

آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال





العقود الدرية

في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية

تأليف
الإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي
(٧٠٥هـ - ٧٤٤هـ)

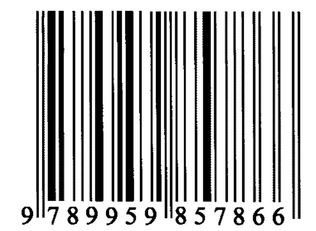
تحقيق
علي بن محمد العمران

وفق المنهج المعتمد من الشيخ العلامة
بكر بن عبد الله أبو زيد
(رحمه الله تعالى)

دار عطاءات العلم

دار ابن حزم

ISBN: 978-9959-857-86-6



الطبعة الثالثة

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

الطبعة الأولى لدار ابن حزم

دار ابن حزم

بيروت - لبنان -ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)

البريد الإلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني: www.daribnhazm.com

أحد مشاريع



هاتف: ٩٦٦١١٤٩١٦٥٣٣+

فاكس: ٩٦٦١١٤٩١٦٣٧٨+

info@ataat.com.sa

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على نبيِّه محمد وآله وسلم تسليمًا.

قال الشيخ الإمام الحافظ المحقِّق أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي، رحمه الله ورضي عنه، وأثابه الجنةَ بفضله ورحمته، وإيَّانا وسائر المسلمين[١].

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا[٢].

أما بعد، فهذه نبذةٌ يسيرة مختصرة في ذِكر حال سيِّدنا وشيخنا، شيخ الإسلام، تقيِّ الدين أبي العباس أحمد[٣] ابن تيميَّة ـ رحمه الله ورضي عنه، وأدخله[٤] الجنةَ برحمته ـ وذِكْرِ بعضِ مناقبه وبعض مصنَّفاته.

هو الشيخ الإمام الربَّاني، إمام الأئمة، ومفتي الأمَّة، وبحر العلوم، سيِّدُ

---

(١) هذه الديباجة من الأصل، وهي بنحوها في (ك، ف) بدون التصلية. وبعد البسملة في (ق): «حسبي الله»، وزاد في (ك): «ونعم الوكيل». وفي (ف): «بفضل رحمته».

(٢) ليست في (ب).

(٣) ليست في (ب).

(٤) (ك): «وأثابه».

الحفَّاظ، وفارس المعاني والألفاظ، سيِّدُ[1] العصر وقريعُ الدهر[2]، شيخ الإسلام، بَركةُ الأنام علَّامة الزمان وتَرْجمان[3] القرآن، عَلَم[4] الزُّهّاد وأوحد العُبَّاد، قامعُ المبتدعين وآخِر المجتهدين: تقيُّ الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام ابن أبي محمد عبد الله ابن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله[5] ابن تيميَّة الحرَّاني. نزيلُ دمشق، وصاحبُ التصانيف التي لم يُسْبَق إلى مثلها.

قيل: إن جدَّه محمد بن الخضر حجَّ على دَرْب تَيْماء[6]، فرأى هناك طِفْلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت [ق٢] له بنتًا فقال: يا تيميَّة يا تيميَّة! فلُقِّب بذلك.

---

(١) بقية النسخ عدا الأصل: «فريد».

(٢) «وقريع الدهر» سقطت من (ف).

(٣) (ب، ق): «ترجمان» بدون واو.

(٤) من هنا إلى قوله ص١٢: «ثم ذكر» ساقط من (ق).

(٥) (ف): «بن محمد بن علي عبد الله».

(٦) تَيماء: بالفتح والمد. بلدة في أطراف جزيرة العرب بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق. انظر «معجم البلدان»: (٢/ ٦٧). وهي الآن تابعة لأمارة مدينة تبوك وبينهما (٢٦٤) كيلًا. انظر «المعجم الجغرافي للسعودية» (١/ ٣٢٢ـ المختصر).

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي في «التبيان لبديعة البيان ـ الجامع» (ص٤٩٢): «ومن زعم أن أمهم من وادي التيم فقد تقوَّل، وليس بصحيح ما عليه عوَّل».

وقال[1] ابنُ النجَّار[2]: ذُكِرَ لنا أن جدَّه محمدًا كانت أمه تسمى تيميَّة، وكانت واعظة، فنُسِب إليها وعُرِفَ بها.

ولد شيخُنا أبو العباس بحرَّان[3] يوم الاثنين عاشر ـ وقيل: ثاني عشر ـ ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة. هاجر والدُهُ[4] به وبإخوته إلى الشام عند جَور التتار، فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلةٍ لعدم الدوابِّ[5]، فكاد العدوُّ يلحقهم ووقفت العجلة[6]، فابتهلوا إلى الله واستغاثوا به، فنَجَوا وسَلِموا.

وقدموا دمشق في أثناء سنة سبع وستين وستمائة[7]، فسمعوا من الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نِعْمة المقدسي «جزءَ ابن

---

(١) (ك): «قال».

(٢) لعله في كتاب «المتفق والمفترق»، أو كتاب «انتساب المحدثين إلى الآباء والبلدان» كما يدل عليه نقل ابن ناصر الدين الدمشقي عنه في «التبيان».

(٣) حرَّان: بتشديد الراء وآخره نون، والنسبة إليها: حرناني على غير قياس، والقياس حرَّاني والعامة عليها. وكانت مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مُضر، بينها وبين الرُّها يوم، وبين الرقة يومان. انظر «معجم البلدان»: (٢/ ٢٣٥-٢٣٦). وهي الآن إحدى محافظات ولاية أورفه بجمهورية تركيا. انظر «المعجم الجغرافي للأمبراطورية العثمانية» (ص٢٥٠).

(٤) (ف): «وقدم والداه». و(ك): «وسافر والداه». ويؤيد ما في الأصل ما في «مختصر علماء الحديث ـ الجامع» (ص٢٤٩) للمؤلف.

(٥) قال الذهبي في «ذيل تاريخه ـ الجامع» (ص٢٦٧): «فإن العدو ما تركوا في البلد دواب سوى بقر الحرث، وكلَّت البقر من ثقل العجلة، ووقف الفران (كذا)».

(٦) «ووقفت العجلة» ليست في (ب).

(٧) «وستمائة» ليست في (ق).

عَرَفَة»، وغير ذلك[1].

ثم سمع شيخُنا الكثيرَ من ابن[2] أبي اليُسْر، والكمال ابن عَبْدٍ، والمَجْد ابن عساكر، وأصحاب الخُشُوعي[3]، ومن الجمال يحيى ابن الصيرفي، وأحمد ابن أبي الخير سلامة[4]، والقاسم الإربلي[5]، والشيخ فخر الدين ابن البخاري، والكمال عبد الرحيم، وأبي الغنائم[6] بن علَّان، وأحمد بن شيبان، وخلق كثير[7].

---

(١) سقطت «وغير» من (ك). وتنبه الناسخ لذلك فأشار إليه بوضع ثلاث نقط (...) في موضع السقط وفي الهامش. واستشكلها في (ط) فغيرها إلى «ابن عرفة كله»! وموضع «ابن عرفة وغير» في (ف) بياض.

(٢) سقطت من «الأصل».

(٣) هو: أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر الدمشقي الخُشُوعي الأنماطي المعمر مسند الشام (ت٥٩٨). والخُشُوعي نِسْبة إلى الجد الأعلى الذي كان يؤم الناس، فتوفي في المحراب، فسمِّي الخشوعي انظر «سير النبلاء»: (٢١/ ٣٥٥-٣٥٨) وحاشيته.

(٤) «سلامة» ليست في (ف، ك). وانظر ترجمته في «ذيل تاريخ الإسلام» (ص١٥٠) للذهبي، «الدرر الكامنة»: (١/ ١٤٠).

(٥) في (ب) زيادة «والشيخ شمس الدين ابن أبي عمر». وابن أبي عمر هذا ذكره المصنف في «مختصر علماء الحديث ـ الجامع» (ص٢٤٩) بلقبه شمس الدين الحنبلي.

(٦) تحرفت في (ك) إلى «القاسم».

(٧) زاد المصنف في «مختصر علماء الحديث ـ الجامع» (ص٢٤٩): «القاضي شمس الدين ابن عطاء الحنفي، والنجيب المقداد، وأبي بكر الهروي، والشرف بن القواس، وزينب بنت مكي».

وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ.

وسمع «مسند الإمام أحمد بن حنبل» مرات، وسمع الكتب[1] الكبار والأجزاء، ومن مسموعاته «معجم الطبراني الكبير»[2].

وعُنِي بالحديث، وقرأ ونسخ وانتقى[3]، وتَعَلَّم الخطَّ والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ أيامًا في العربية[4] على ابن عبد القوي[5]، ثم فهمها، وأخذ يتأمل «كتاب سيبويه» حتى فهمه وبرع في النحو[6]، وأقبل على التفسير إقبالًا كليًّا حتى حاز فيه قَصَب السَّبْق، وأحْكَم[7] أصولَ الفقه، وغير ذلك.

---

(١) في (ك) زيادة «الستة».

(٢) انظر نموذجًا من مسموعاته وقراءاته على شيوخه وهو دون العشرين «سماعات البرزالي ـــ الجامع» (ص٢١٦-٢٢٣)، ومما قرأه الشيخ في مجلس واحد: «الغيلانيات» ذكره المصنف في «مختصره» السالف.

(٣) ليست في (ف، ك). أقول: فمما نسخه «سنن أبي داود» ذكره الذهبي في «ذيل تاريخه ـ الجامع» (ص٢٦٨)، ومما انتقاه: مئة حديث من عوالي«صحيح البخاري» وقد طبعت مرارًا.

(٤) (ك): «وقرأ العربية».

(٥) هو: محمد بن عبد القوي بن بدران بن عبد الله المقدسي، المرداوي، شمس الدين أبو عبد الله، الفقيه المحدث النحوي (ت٦٩٩). وقد ذكر ابن رجب قراءة ابن تيمية عليه. انظر«تاريخ الإسلام». (وفيات ٦٩٩ ص٤٤٦-٤٤٧)، و«ذيل طبقات الحنابلة»: (٤/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩).

(٦) (ف، ك): «حتى فهم في النحو».

(٧) سقط من (ف).

هذا كلُّه[1] وهو بعدُ ابن بضع عشرة سنة، فانبهر الفضلاءُ[2] من فَرْط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوَّة حافظته، وسرعة إدراكه!

ولقد بلغني[3] أن بعض مشايخ العلماء بحلب قَدِم إلى دمشق وقال: سمعت في البلاد بصبيٍّ يقال له: أحمد[4] ابن تيمية، وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصدًا لعلِّي أراه. فقال له خياطٌ: هذه طريق كُتَّابه، وهو إلى الآن ما جاء، فاقعد عندنا الساعة يجيء يعْبُر علينا ذاهبًا إلى الكُتّاب؛ فجلس الشيخُ الحلبيُّ قليلًا، فمرَّ صبيانٌ، فقال الخياط للحلبي: هذاك[5] الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد ابن تيميَّة، فناداه الشيخ، فجاء إليه، فتناول الشيخُ اللوحَ فنظر فيه، ثم قال: يا ولدي امسح هذا حتى أملي عليك شيئًا تكتبه، فَفَعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحَدَ عشر أو ثلاثة عشر حديثًا، وقال له: اقرأ هذا، فلم يَزِد على أن نظر فيه[6] مرة بعد كتابته إياه، ثم دفعه إليه وقال: أسْمِعه عليَّ، فقرأه عليه عرضًا كأحسن ما أنت سامع. فقال له: يا ولدي امسح هذا، ففعل فأملى[7] عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال: اقرأ هذا، فنظر فيه كما فعل أول مرة، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا

---

(١) «هذا كله» ليس في (ب).

(٢) (ف): «فانبهر أهله»، (ك): «أهل دمشق».

(٣) (ك): «واتفق» بدل «ولقد بلغني».

(٤) ليست في (ف).

(٥) (ف): «هذا».

(٦) (ك): «على أن تأمله».

(٧) (ب): «ثم أملى».

الصبي ليكونن له شأن عظيم، فإنّ هذا لم يُر مثلُه. أو كما قال[١].

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي[٢]: نشأ ـ يعني الشيخ تقي الدين رحمه الله ـ في تصوُّن تامٍّ وعفافٍ وتعبُّد، واقتصاد في الملبس والمأكل. وكان يحضر المدارس والمحافل في صِغَره [ق٣] ويناظر[٣] ويُفْحِم الكبار، ويأتي بما يتحيَّرُ منه أعيان البلد في العلم، فأفتى وله تسع عشرة سنة[٤]، بل أقل. وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت، وأكبَّ على الاشتغال.

ومات والده ـ وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم ـ فدرَّس بعدَه بوظائفه وله إحدى وعشرون سنة، واشتهر أمرُه وبَعُدَ صيتُه في العالم. وأَخَذ في تفسير الكتاب العزيز أيام[٥] الجُمَع على كرسيٍّ من حفظه، فكان يورد المجلس ولا يتلعثم[٦]، وكذا كان يوردُ[٧] الدَّرسَ بِتُؤَدة وصوت جَهْوَريّ فصيح[٨].

---

(١) «أو كما قال» ليست في (ب).

(٢) في «الدرة اليتيمية ـ ضمن تكملة الجامع» (ص٣٧).

(٣) (ب): «فيتكلَّم ويناظر...».

(٤) في «مختصر علماء الحديث ـ الجامع» (ص٢٥٠): «وله نحو سبع عشرة سنة». وفي غيره: «وهو دون التاسعة عشرة»، أو «دون العشرين» فيحتمل أن سبعة عشر وتسعة عشر مصحفة إحداهما عن الأخرى، أو هما قولان، ومن عبر بـ«دون العشرين» لم يجزم بتاريخ محدّد.

(٥) ليست في (ف)، وفي (ك): «في».

(٦) (ك): «يتعلثم» تحريف.

(٧) سقطت من (ف، ك).

(٨) بعده في كتاب الذهبي: «فيقول في المجلس أزيد من كراسين أو أقل، ويكتب على الفتوى في الحال عدة أوصال بخط سريع إلى غاية التعليق والإغلاق».

وقال بعض قدماء أصحاب شيخنا ـ وقد ذكر نبذةً من سيرته ـ: أمَّا مبدأ أمرِه ونشأته، فإنّه[1] نشأ مِن حين نشأ في حجور العلماء، راشفًا كؤوس الفهوم[2]، راتعًا في رياض التفقُّه ودوحات الكتب الجامعة لكل فنٍّ من الفنون، لا يلوي إلى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالي الأمور، خصوصًا علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمهما ولم يزل على ذلك خَلَفًا صالحًا سلفيًّا متألّهًا، برًّا بأُمِّه، ورعًا عفيفًا عابدًا ناسكًا صوَّامًا قوَّامًا، ذاكرًا لله تعالى في كلِّ أمر وعلى كلِّ حال، رجَّاعًا إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقَّافًا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر بالمعروف.

لا تكاد نفسُه تشبع من العلم، ولا[3] تَرْوى من المطالعة، ولا تملُّ من الاشتغال، ولا تكلُّ عن[4] البحث. وقلَّ أن يدخل في علم من العلوم من باب من أبوابه إلا ويُفْتح له من ذلك الباب أبواب، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حُذَّاق أهله، معضودةً بالكتاب[5] والسنة.

ولقد سمعته في مبادئ أمره يقول: إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء[6] أو الحالة التي تُشكل عليَّ، فأستغفر الله تعالى ألف مرَّة أو أكثر أو أقل، حتى ينشرح الصدر وينحلّ إشكال ما أشكل.

---

(١) (ك): «فقد».

(٢) (ك): «الفهم».

(٣) (ك): «فلا».

(٤) (ب، ف، ك): «من».

(٥) (ك): «مقصودة بالكتاب».

(٦) (ب، ف، ك): «أو الشيء».

قال: وأكون إذ ذاك في السوق أو[1] المسجد أو الدَّرْب أو المدرسة، لا[2] يمنعني ذلك من الذِّكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي[3].

قال هذا الصاحب: ولقد كنت في تلك المدة وأول النشأة إذا اجتمعتُ في خَتْمة أو مجلس ذِكْر خاصٍّ مع أحد المشايخ المذكورين، وتذاكروا وتكلم ـ مع حداثة سنه ـ أجدُ لكلامه صَولةً على القلوب، وتأثيرًا في النفوس، وهيمنة[4] مقبولةً ونفعًا يظهر أثره وتنفعل له النفوس التي سمعَتْه أيامًا كثيرةً بِعَقبه، حتى كأنَّ مقاله بلسان حالِه، وحالُه ظاهر له في مقاله. شهدْتُ منه ذلك[5] غير مرَّة.

قلت: ثم لم يبرح شيخُنا رحمه الله في ازديادٍ من العلوم وملازمة للاشتغال[6] والإشْغال، وبثّ[7] العلم ونشره، والاجتهاد في سُبُل[8]

---

(١) (ب): «أو في».

(٢) (ب): «ولا».

(٣) تَعَلُّق شيخ الإسلام بالذكر أمرٌ مشهور، نقَلَه طلابه الملازمون له، قال ابن القيم في «الوابل الصيب» (ص٩٦): «وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي. أو كلامًا قريبًا من هذا. وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنِيَّة إجمام نفسي وإراحتها لأستعدّ بتلك الرّاحة لذكرٍ آخر» . وانظر ما ذكره تلميذه أبو حفص البزار في «الأعلام العلية» (ص٣٨).

(٤) (ك): «وهيبة».

(٥) (ف، ك): «ذلك منه».

(٦) (ب، ف، ك): «الاشتغال».

(٧) (ف): «ببث».

(٨) (ب): «سبيل».

الخير. حتى انتهت إليه الإمامةُ في العلم والعمل، والزُّهد والورع، والشجاعة والكرم، والتواضع والحِلم[1] والإنابة، والجلالة والمهابة[2]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد، مع الصِّدق والأمانة[3]، والعِفَّة والصّيانة، وحُسْن القصد [ق٤] والإخلاص، والابتهال إلى الله، وكثرة الخوف منه، وكثرة[4] المراقبة له، وشدّة التمسّك بالأثر، والدّعاء إلى الله، وحُسْن الأخلاق، ونَفْع الخلق والإحسان إليهم، والصبر على من آذاه والصفح عنه والدعاء له، وسائر أنواع الخير.

وكان رحمه الله سيفًا مسلولًا على المخالفين، وشجًى في حلوق أهل الأهواء المبتدعين[5]، وإمامًا قائمًا ببيان الحق ونُصْرة الدين. وكان بحرًا لا تكدِّره الدِّلاء، وحِبْرًا يقتدي به الأخيار[6] الألِبَّاء، طنَّت بذكره الأمصار، وضَنَّت بمثله الأعصار.

قال شيخُنا الحافظ أبو الحجَّاج[7]: ما رأيتُ مثله ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، ولا أتْبَعَ لهما منه.

---

(١) (ف): «والحكم».

(٢) سقطت من (ب).

(٣) سقطت من (ك).

(٤) (ب): «ودوام».

(٥) (ف): «هولاء المبتدعين».

(٦) (ف): «الأخبار».

(٧) هو: يوسف بن عبد الرحمن المِزِّي (ت٧٤٢) صاحب الكتابين العظيمين: «تهذيب الكمال» و«تحفة الأشراف». ترجمته في «ذيل تاريخ الإسلام» (ص٣٨١-٣٨٦). و«طبقات الشافعية»: (١٠/ ٣٩٥) للسبكي.

وقال العلامة كمال الدين ابن الزَّمْلَكاني[١]: كان إذا سئل عن فنٍّ من العلم ظنَّ الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفنّ، وحَكَم أنّ أحدًا لا يعرفه مثله[٢]. وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يُعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلَّم في علم من العلوم، سواءٌ كان من علوم الشرع أو غيرها إلّا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه. وكانت له اليد الطُّولى في حُسْن التصنيف، وجودة العبارة، والترتيب والتقسيم والتبيين.

ووقعت مسألة فرعية في قسمة[٣] جرى فيها اختلاف بين المفتين في العصر، فكتب فيها مجلّدةً كبيرة. وكذلك وقعت مسألة في حدٍّ من الحدود، فكتب فيها مجلَّدة كبيرة أيضًا[٤]. ولم يخرج في كلّ واحدة عن

---

(١) هو: محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الشافعي الدمشقي، قاضي حلب (ت٧٢٧). «طبقات الشافعية»: (٩/ ١٩٠) للسبكي، و«الدرر الكامنة»: (٤/ ٧٤-٧٦).
وقد كان ابن الزملكاني ممن يُثني على الشيخ، ثم صار من مناوئيه كما سيأتي.

(٢) (ف): «غيره مثله».

(٣) «في قسمة» سقطت من (ب). وهو ما سيذكره المصنف لاحقًا بعنوان «التحرير في مسألة حفير».

(٤) «أيضًا» ليست في (ك، ف). ولعله يعني «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ» فإنه ألفه عقب حادثة عسَّاف النصراني لمّا سبّ الرسول ﷺ. انظر «البداية والنهاية ــ الجامع» (ص٤٠٦-٤٠٧).
وقد كتب ابن الزملكاني على ظهر نسخة (الصارم) التي بخط البرزالي ترجمةً للشيخ، كما صنع مع كتبه الأخرى التي سيذكرها المصنف. انظر مقدمة تحقيق «الصارم المسلول»: (١/ ١٨٧-١٨٨).

المسألة، ولا طَوَّل[1] بتخليط الكلام والدخول في شيء والخروج من شيء، وأتى في كلّ واحدة بما لم يكن يجري في الأوهام والخواطر. واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها.

[2]وقرأت بخطِّ الشيخ كمال الدين أيضًا على كتاب «بيان الدليل على إبطال التحليل»[3] لشيخنا ـ وقد ذكر ترجمةً[4] ـ فقال: من مصنفات سيدنا وشيخنا وقدوتنا، الشيخ السيد الإمام[5] العلامة، الأوحد البارع الحافظ، الزاهد الورع القدوة، الكامل العارف، تقي الدين شيخ الإسلام ومفتي الأنام، سيّد العلماء قدوة الأئمة الفضلاء، ناصر السنة قامع البدعة حُجَّة الله على العباد[6]، رادّ أهل الزَّيغ والعناد، أوحد العلماء العاملين، آخر المجتهدين، أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم ابن محمد ابن تيميَّة الحرَّاني. حفظ الله على المسلمين طول حياته، وأعاد عليهم من بركاته، إنه على كل شيء قدير.

وقرأتُ أيضًا بخطّه على كتاب «رَفْع الملام على الأئمة الأعلام»:

---

(١) (ف): «طولب».

(٢) من هنا إلى قوله (ص١٦) «رضي الله عنه» سقط من (ب).

(٣) وهذه النسخة التي كَتَب عليها ابن الزملكاني هذا التصدير محفوظة في مكتبة شيخنا الأستاذ محمد زهير الشاويش، والتقريظ موجود على ظاهرها، وقد كُتبت سنة ٧١٤هـ وقد تفضّل شيخنا وأرسل صورةً منها جزاه الله خيرًا.

(٤) (ف، ك): «ترجمته».

(٥) بخط الزملكاني زيادة: «العالم».

(٦) بخط الزملكاني: «في عصره».

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة، الأوحد الحافظ المجتهد، الزاهد العابد القدوة، إمام الأئمة، قدوة الأمة، علّامة العلماء، وارث الأنبياء، آخر المجتهدين، أوحد علماء الدين، بركة الإسلام، حجة الأعلام، بُرْهان المتكلمين، قامع المبتدعين، محيي السنة ومَنْ عَظُمت به لله علينا المِنّة[1]، وقامت به على أعدائه الحجّة، واستبانت ببركته وهديه المَحجّة: تقيّ الدين أبي العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني. أعلى الله منارَه وشيَّد به من الدين أركانَه.

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلَّت عن الحصر

[ق٥] هو حُجّةٌ لله قاهرة ... هو بيننا أعجوبة الدَّهر

هو آيةٌ للخلق ظاهرة ... أنوارُها أربت على الفجر

وقرأتُ على آخر هذا الكتاب طَبَقة[2] بخطّ الذَّهبي يقول فيها: سمع جميعَ هذا الكتاب على مؤلِّفه شيخِنا الإمام العالم العلامة الأوحد، شيخ الإسلام، مفتي الفِرَق، قدوة الأمّة، أعجوبة الزّمان، بحر العلوم، حبر القرآن، تقي الدين سيد العُبَّاد: أبي العباس[3] أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميَّة الحراني رضي الله عنه.

---

(١) (ف): «ومن علينا به الله المنة».

(٢) الطبقة أو الطِّباق: مصطلح عند المحدثين يعنون به ما يُكتب في آخر نسخة الكتاب ـ غالبًا ـ من أسماء من حضر مجالس القراءة والسماع وتواريخها وإجازة المسمّع لهم. وتسمى «السماعات» أيضًا. انظر «عناية المحدثين بتوثيق المرويات» (ص١٤-٢٣) لأحمد نور سيف، و«توثيق النصوص» (ص٦٨-٧٥) لموفق عبد القادر.

(٣) «أبي العباس» ليست في (ك).

وقال[1] الحافظ فتح الدّين أبو الفتح[2] ابن سيِّد الناس اليَعْمَري المصري[3] ـ بعد أن ذكر ترجمة شيخنا الحافظ جمال الدين أبي الحجَّاج المِزِّي ـ: وهو الذي حداني على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام[4] ابن تيميَّة، فألفيته ممن أدرك من العلوم حظًّا، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظًا، إن تكلَّم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مُدْرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب عِلْمِه وذو روايته[5]، أو حاضر بالنِّحَل والمِلَل لم يُرَ[6] أوسع من نِحْلَته في ذلك ولا أرفع من درايته. بَرَّز في كلِّ فنٍّ على أبناء جنسه، ولم تر عينٌ من رآه مثله، ولا رأت عينُه مثلَ نفسه. كان يتكلَّم في التفسير فيحضر مجلسَه الجمُّ الغفير، ويَرِدون من بحر علمه العذب النمير، ويرتعون من ربيع فضله في روضة وغدير، إلى أن دبَّ إليه من أهل بلده داءُ الحَسَد، وأكبّ[7] أهلُ النظر منهم على ما يُنْتَقد عليه[8] من أمور المُعْتقد، فحفظوا عنه في ذلك كلامًا، أوسعوه بسببه ملامًا، وفوّقوا لتبديعه

---

(١) (ف، ك): «وقال الشيخ...».

(٢) «أبو الفتح» ليست في (ب).

(٣) في كتاب «أجوبة ابن سيد الناس على سؤالات ابن أيبك الدمياطي»: (٢/ ٢٢١-٢٢٤). وانظر «الجامع» (ص١٨٨-١٩٠).

(٤) «بن عبد السلام» سقطت من (ب).

(٥) (ف): «رايته».

(٦) (ب، ف، ك): «تر».

(٧) (ب): «وألب».

(٨) بعدها كلمة غير واضحة في (ف) وفي (ك) بياض بمقدار كلمة ثم «حنبليته».

سهامًا، وزعموا أنه خالف طريقتهم وفَرَّق فريقهم، فنازعهم ونازعوه، وقاطع بعضَهم وقاطعوه.

ثم نازعَ طائفةً أخرى ينتسبون من الفقر إلى طريقة، ويزعمون أنهم على أدقِّ باطن منها وأجلى حقيقة، فكشف تلك الطرائق، وذَكَر لها على ما زعم بوائق، فآضت[1] إلى الطائفة الأولى من مُنازعيه، واستعانت بذوي الضِّغْن[2] عليه من مقاطعيه، فوصلوا بالأمراء أمره، وأَعْمَل كلٌّ منهم في كُفره فِكْره[3]، فكتبوا[4] محاضر، وألَّبوا الرُّويبضة للسعي بها بين الأكابر، وَسَعوا في نقله إلى حضرة المملكة بالديار المصرية، فنُقِل وأُودِعَ السجن ساعةَ حضوره واعْتُقِل، وعقدوا لإراقة دمه مجالس، وحشدوا لذلك قومًا من عُمَّار الزوايا[5] وسُكَّان المدارس؛ من مُجامل[6] في المنازعة مخاتل بالمخادعة، ومن مجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة، يسومونه ريب المنون، وربُّك يعلم ما تُكِنّ صدورهم وما يعلنون[7]. وليس المجاهر بكفره بأسوأ حالًا من المخاتل.

---

(١) (ب): «فأفضت». آض أي: صار.

(٢) (ف، ك): «الظعن».

(٣) الأصل: «في كفرةً فكفره» تحريف.

(٤) (ب): «فرتبوا».

(٥) (ف) زيادة في: «سكان الزوايا».

(٦) الأصل، و(ك): «محامل».

(٧) اقتباس من الآية ٦٩ سورة القصص.

وقد دَبَّت إليه عقاربُ مكره، فردَّ الله كيد كلٍّ في نحره، فنجَّاه[1] على يد من اصطفاه، والله غالب على أمره.

ثم لم يَخْلُ بعد ذلك من فتنة بعد فتنة، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلّا إلى محنة، إلى أن فُوِّض أمرُه لبعض القضاة فتقلّد ما تقلَّد من اعتقاله، ولم يزل بمحبسه[2] ذلك إلى حين ذهابه إلى رحمة الله تعالى وانتقاله، وإلى الله تُرْجَع الأمور، وهو المطَّلع على خائنة الأعين وما تُـخْفي الصدور.

وكان يومه مشهودًا؛ ضاقت بجنازته الطريق، وانتابها[3] المسلمون [ق٦] من كلِّ فجٍّ عميق، يتبرّكون بمشهده يوم يقوم الأشهاد، ويتمسَّكون بشَرْجَعِه[4] حتى كسروا تلك الأعواد، وذلك في ليلة العشرين من ذي القَعْدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، بقلعة دمشق المحروسة.

وكان مولده بحرّان في عاشر شهر[5] ربيع الأول من سنة إحدى وستين وستمائة رحمه الله تعالى[6].

ثم قال: قرأت على الشيخ الإمام، حامل راية العلوم، ومُدْرِك غاية الفهوم، تقيّ الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن

---

(١) (ب، ف، ك): «ونجاه».

(٢) (ف): «بمجلسه».

(٣) (ف): «وانتحابه».

(٤) الشرجع: السرير الذي يحُمل عليه الميت. «لسان العرب» (٨/ ١٧٩).

(٥) «شهر» ليست في (ب، ف، ك).

(٦) (ف، ك، ب): «رحمه الله وإيانا».

تيميَّة رحمه الله بالقاهرة ـ قدم علينا ـ قلت له: أخبركم الشيخ الإمام زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي، ثم ذكر حديثًا من «جزء ابن عرفة»[١].

وقال الشيخ عَلَم الدين البِرْزالي في «معجم شيوخه»[٢]: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله[٣] ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيميَّة الحراني، الشيخ تقي الدين أبو العباس، الإمام المُجْمع على فضله ونُبْله[٤] ودينه، قرأ القرآن[٥] وبرع فيه، والعربية والأصول، ومَهَر في عِلْمَي التفسير والحديث، وكان إمامًا لا يُلْحَق غبارُه في كلّ شيء، وبلغ رتبة الاجتهاد، واجتمعت فيه شروط المجتهدين.

وكان إذا ذَكَر[٦] التفسير أبْهَتَ الناسَ من كثرة محفوظه وحُسْن إيراده،

---

(١) من قوله: «ثم قال....» إلى هنا سقط من (ب).

(٢) نقل هذا النص أيضًا من «معجم شيوخ البرزالي» ابن ناصر الدين في «الرد الوافر» (ص٢١٨). وهذا المعجم خَرَّجه البرزالي لنفسه وذكر فيه ثلاثة آلاف شيخ: ألفان بالسماع وألف بالإجازة.

وقد أنشد فيه الذهبي:

إن رمتَ تفتيش الخزائن كلها ... وظهور أجزاء حوت وعوالي

ونعوت أشياخ الوجود وما رووا ... طالع أو اسمع معجم البرزالي

انظر «الدرر الكامنة»: (٣/ ٢٣٧)، و«الرد الوافر» (ص٢١٧).

(٣) «بن عبد الله» سقط من (ب).

(٤) (ك): «ذبله» تحريف.

(٥) (ف، ك): «قرأ الفقه».

(٦) (ف): «ذاكر».

وإعطائه كلَّ قولٍ ما يستحقّه من الترجيح والتضعيف والإبطال، وخوضه في كلِّ علم. كان الحاضرون يقضون منه العجب، هذا مع انقطاعه إلى الزّهد والعبادة والاشتغال بالله تعالى، والتجرّد من أسباب الدنيا، ودعاء الخلق إلى الله تعالى.

وكان يجلس في صبيحة كلِّ جمعة على الناس يُفَسِّر القرآن العظيم، فانتفع بمجلسه، وبركة دعائه، وطهارة أنفاسه، وصدق نيته، وصفاء ظاهره وباطنه، وموافقة قوله لعمله، وأنابَ إلى الله خلقٌ كثير. وجرى على طريقة[1] واحدة من اختيار الفقر والتقلُّل[2] من الدنيا، وردّ ما يُفْتَح به عليه.

وقال في موضع آخر: كان قد نظم شيئًا يسيرًا في صغره وكتبت عنه إذ ذاك، ثم إنه ترك ذلك وأعرض عنه.

وسُئل عن مسألةِ القَدَر بنظمٍ، فأجاب فيها بنظم[3]، وقد قُرئ عليه وسُمِع منه.

وحلّ لُغز الرّشيد الفارقيّ بأبيات تشتمل على نحو مائة بيت على وزن اللغز، وذلك في حياة والده رحمه الله تعالى، وله نحو العشرين من العمر،

---

(١) (ف، ك): «طريق».

(٢) (ف): «والتقليل».

(٣) يعني الأبيات التي نُظِمت على لسان ذمّي في إنكار القدر، ومطلعها:

أيا علماء الدين ذِمّي دينكم ... تحيَّر دلّوه بأعظم حجة

وهي في «مجموع الفتاوى»: (٨/ ٢٤٥ ـ ٢٥٥). وقد سأل شيخَ الإسلام عيسى بن إبراهيم الماردي الشاعر سؤالًا منظومًا في القدر في عدة أبيات، فأجاب عنه الشيخ نثرًا. انظر «مجموع الفتاوى»: (٨/ ٤٤٨ ـ ٥١٦)، و«الدرر الكامنة»: (٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).

وكان حَلُّه له[1] في[2] أسرع وقت.

قلت: هذا اللغز الذي أشار إليه الشيخ عَلَم الدين نظمه الشيخ الإمام العلامة رشيدُ الدين أبو حفص عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي[3] في اسمٍ أَلْغَزَه، بوصف أَبْرَزه، في لفظٍ أوجزه، لفهمٍ أَعْجَزه، وهي هذه[4]:

ما اسمٌ ثلاثيّ الحروف فثُلْثه ... مِثلٌ له والثلث ضِعْفُ جميعه

والثلث الآخر جوهرٌ حلَّت به الـ ... أعراض جمعًا فاعجبوا لبديعه

وهو المثلَّث جذرُه مثلٌ له ... وإذا يربَّع بان في تربيعه

---

(١) «له» سقطعت من (ك).

(٢) من هنا إلى قوله (ص٢٣): «ابن عبد السلام» ساقط من (ق).

(٣) (ت٦٨٩). ترجمته في «تاريخ الإسلام»: (وفيات ٦٨٩، ص/ ٣٧٦-٣٨١) للذهبي، و«الوافي بالوفيات»: (٢٢/ ١٢٩-١٣١) للصفدي. وقد ذكر الصفدي هذا اللغز ـ ووصفه بالمشهور ـ بتمامه، وأشار إلى أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد حلَّه في «عِلْم» بنحو مئة بيت وذكر أن أولها قوله:

ألغزتَ (علمًا) في فنون وسيعه ... بغزيرِ علمٍ وامتنانٍ واسعِ

وهذا البيت هو السابع في جواب شيخ الإسلام الذي ذكره المصنف هنا.

وأشار الصفدي إلى اللغز أيضًا باختصار في «أعيان العصر»: (١/ ٢٤٦).

أقول: وللعلامة ابن الخشّاب النحوي (ت٥٦٧) قصيدة تُعرف بـ«القصيدة البديعة الجامعة لأشتات الفضائل» وهي نحو ١١٢ بيتًا فيها مسائل زعموا أن أحدًا من أرباب العلوم لم يستطع الإجابة عنها. قال ناقلها: إن شيخ الإسلام ابن تيمية وقف عليها وقال: يمكن الإجابة عما فيها من المسائل لكن ليس لي فراغ للإجابة عنها. انظر حاشية أستاذنا العلامة عبد الرحمن العثيمين على «المقصد الأرشد»: (٢/ ١٠ ـ ١٤) فقد أورد نماذج منها، وعنه استفدنا هذه الفائدة.

(٤) «وهي هذه» ليست في (ف، ك)، وفي (ب) بدلًا منها: «فقال».

جـزء مـن الفلـك العـليّ وإنـما ... باقيـه خـوفٌ أو أمـان[1] مروعـه

حـــيٌّ جمـــادٌ ســـاكن متحـــرِّك ... إن كنـــتَ ذا نظـــر إلى تنويعـــه

وتــراه مـع خُمْـسيه علـة كونـه ... معلولـــه سرًّا لغـــير[2] مذيعـــه

وبغـير خمـسيه بغـير النحـو مـو ... جـودٌ و محمـول عـلى موضـوعه

وبحالـــه فعـــل مـــضى مـــستقبلًا ... حُمِدت صناعته بحمد[3] صنيعه

[ق٧] قيدٌ لمطْلَقِه[4] خصوص عمومه ... زيـــدٌ لمفـــرده عـــلى مجموعـــه

شيء مقـيم في الرَّحيـل و ممكـن ... كالمـــستحيل بطيئـــه كـــسريعه

وأهمّ ما في الـشرع والـدين اسـمه ... ومـــضافه بأصـــوله وفروعـــه

ودقيـق معنـاه الجليـل مناسـبٌ ... علـم الخليـل ولـيس مـن تقطيعـه

وإذا عـــروضيٌّ تطلَّـــب حلَّـــه ... ألفـاه في المفـروق أو مجموعـه

وإذا ترصِّـــعه بـــدرٍّ[5] فريـــدة ... عِقْـدًا يَـزِين الـدّرَّ في ترصـيعه

للمنطقـــيّ وللحكـــيم نتاجـــه ... وعلاجـــه بذهابـــه ورجوعـــه

ولـــه شِـــعارٌ أشـــعريٌّ واعتقـــا ... دٌ حنـــبليٌّ فـــاعجبوا لوقوعـــه

وتمامُـه في قـول شـاعر كنـدة: ... مـا حـافظ للعهـد مثـل مُـضِيعه

يُرويـك في ظمـأٍ نـدى بـوروده ... ويريـك في ظُلـمٍ هُـدًى بطلوعـه

---

(١) تحتمل في (ك): «أبان».

(٢) (ك): «بغير».

(٣) (ك): «لحمد».

(٤) (ف): «لمطلع».

(٥) ضبطها في الأصل: «بدُرٍّ» ويمكن أن يضبط هذا الشطر «وإذا يرصّعه بدرٍّ فريده..».

ولقد حللتُ اللغزَ إجمالًا وفي ... تفصيله تفصيل روض ربيعه
فاسْتَجْل بكرًا من وليٍّ بالحُلى ... تُهدى لكُفء الفضل بين رُبوعه

فأجاب العبد الفقير إلى ربه أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميَّة حلًّا لمعضله، وفصلًا لمجمله، وفتحًا لمقفله، وشرحًا لمشكله:

يا عالمًا قد فاق أهلَ زمانه ... بفنونه وبيانه وبديعه
وغدا لأعلام العلوم منارَهم ... يَهدي الهُداةَ إلى منار ربوعه
وأجاد نظمًا عقد جيد عقيلةٍ ... من درٍّ بحر العلم في ترصيعه
وجلا[1] المعارف في عوارف لفظه[2] ... أخذًا لعَرْف[3] العلم من ينبوعه
وأبان عما قد حوى من كلّ فنـ ... ـن قد أحاط بأصله وفروعه
ببيانه السِّحرِ الحلال ولفظه الـ ... ـعذب الزُّلال ولفظ[4] حُسْن صنيعه
بغزير علمٍ وافتنانٍ واسع ... ألغزتَ (علمًا) في فنون وسِيعه
حلّيته بدقيق وصفٍ صُنته ... بجليل لفظٍ ناءَ عن موضوعه
ووصفته بِحُلى العلوم وأهلها ... ونعتَّه بضروبه وضروعه[5]
وجمعتَ في أوصافه الأضدادَ حتـ ... ـتَى استيأسَ الطلَّاب من تتبيعه
والعبدُ لمّا أن تأمّل نظمَكم ... بنظامه أُلقِيْ له في رُوعه

(١) الأصل: «وحكى»، والمثبت من (ب، ق، ك)، و(ف): «وأجلى».
(٢) (ب، ق): «فضله».
(٣) (ق): «لغرف».
(٤) (ب، ق): «ولطف».
(٥) (ق): «وصروعه» بالمهملة. وضروعه: أي وأشباهه.

أن الـــذي أَلْغَــزْتُمُ «عِلْـم» ولمـــ ـــا يجعـل المظنـون مـن مقطوعـه

لكنـــه أمـــسى يحُلّيـــه بـــما حلَّيــتمُ[1] ويغــوص في توقيعــه

حتى تجلّى الحقُّ من ظَلْمائه[2] في ليلـةٍ مـن قبـل وقـت هُجُوعـه

فـــإذا الـــذي قـــد عـــنَّ أول مـــرةٍ حـــقٌّ تـــبلَّجَ فجـــره بطلوعـــه

ورأيــتُ فيــه الوصــف إمــا باديًــا أو خافيًـــا معنـــاه في مـــسموعه

لـــدقيق مغـــزاه ولطـــف إشـــارة فيـه[3] وبُعـد حُـلاه عـن موضـوعه

فغدوتُ أكشفُ عنه كشفًا موجزًا بإشـــارةٍ تهـــدي لـــشَطْر بقيعـــه

فاســمع لحــلِّ حُـلاه في تفـصيله واشـــهد بقلـــبٍ مقبـــلٍ بهطوعـــه

«العلــم» لفــظ ذو ثلاثــة أحــرف وهجـاء كــلِّ مثـل مــا مجموعـه

فـــإذا يكـــون مركبًـــا مـــن تـــسعة جـــذرًا لهـــا فـــانظر إلى تربيعـــه

ومربعًـــا ســـاواه جـــذر حـــسابه ومثلّثًـــا بحـــدوده وضـــلوعه

ويكـــون أثلاثًـــا فثلـــثٌ مثلُـــه هـــو لامـــه إن خُـضْت في توزيعـه

والميمُ في الجمل الكبير حسابه هـــو أربعـــون بقـــول أهـــل ربيعـــه

والميم[4] في الجمل الصغير حسابه عشرون هذا الثلث ضعف جميعه

والثلـــثُ عـــينٌ عـــينُ كـــلِّ ذاتـــه هو جوهرٌ والوصفُ في موضـوعه

إذ كانـــت الأعيـــانُ قائمـــةً بهـــا الـــ أعـراض جمعًـا فـافطنوا لجموعـه

---

(١) (ك): «حليته».

(٢) (ف): «ظلماته».

(٣) سقطت من (ك).

(٤) جميع الأصول «والعلم». والمثبت هو الصواب.

حكـمٌ يخـصُّ العين حرفًـا واحـدًا من بـين جنس الحـرف في تنويعـه

[ق٨] هو تسعةٌ في أصله والعالم العُلْـــوي منـــه تـــسعة برقيعـــه

العـرش والكـرسيّ والـسبع الـسمـوات الطّبـاق فالاسـم جـزء رفيعـه

من عالـم الملكوت أعني الغيـب إذ عنـه كنَـى لعلـوٍّ شـأن ضـليعه[1]

لم يبـــق إلا جنـــةٌ أو جـــاحِمٌ فيـــه المخافـــة أو أمـــان مروعـــه

بـــالعلم يُـــحيي الله قلبًـــا ميتًـــا يـسري كنـورٍ ضـاء حـين سُـطوعه

فلأنَّـه يحيـى اسـمه حـيٌّ[2] إذ الــأحيـــاءُ فـــرعُ حيـــاة ربّ صـــنيعه

ولأنـــه يـــسري اســـمه متحـــرّك لوحًـــا تنقّلـــه بـــذهن قريعـــه

ذا الوصـــفُ عقـــليّ وفي حِـــسّيه هـــو جامـــد هـــو ســـاكن بربوعـــه

إذ كـان نـوع العلـم معنـى جنـسه عَـرَض يقـوم بمـستوى موضـوعه

والحيُّ والمتحـرّك الوصـفان يخـتــصّان شخــصًا جــوهرًا ببقيعــه

إذ كان في المحسوس لـيس بقـائم عـــرضٌ بـــآخر مثلـــه وتبيعـــه

أمـــا إذا مـــا جُـــرّد المعقـــول فالـــــوصفان في المعنــى لــه بربيعــه

ثلثـاه حرفـا العـين والمـيم همـا في اللفـظ مـن عـدم وفي تنويعـه

وإذا جمعـتَ حـسابه في أكـبر[3] وأضــفت خمــسيه إلى مجموعــه

---

(١) كذا بجميع النسخ.

(٢) (ف): «حتى».

(٣) (ف، ك): «أكثر»، وكتب فوقها في (ك): لعله، وفي هامشها: «لعله: أكبر». وهي غير محررة في (ق).

فمربعًا يُضحي ويُضحي[1] جذره مع أربع عشرًا لدى[2] تربيعه

فالجذر عِلّته ومعلول له من حيث ما هو علة لوقوعه

فالجذر معلول لجذرٍ كائن معلوله فافهم مدار رجيعه

فلكونه معلولَ معلولٍ[3] له قد صار معلولًا له برجوعه

ويقول إن العلم[4] منه النحو هـ ـذا إن تُرِد حملًا على موضوعه

فإذًا يكون الضمّ علة كون هـ ـذا الجمع علةَ نفسه و جميعه

وبغير خمْسيه يعود لأصله علمًا وعلم النحو بعضُ فروعه

وإذا اعتبرتَ حروفه ألفيته فعلًا مضى لغةً وفي موضوعه[5]

حكمٌ على المستقبلات وغيرها لعمومه متعلّقًا وذيوعه

إذ من خصائصه تعلُّقه بكُلْ لِ محقق معَ سَبْقه لوقوعه

أكْرِم به أمرًا عظيمًا نفعُه حُمِدت صناعته بحمد صنيعه

والفعل فيه مصدرٌ وزمانه وضعًا وملزومٌ لربّ صنيعه[6]

فلذاك كان مقيدًا ومخصّصًا لعموم جنس العلم في تنويعه

هو مفردٌ[7] نوعٌ حوى أشخاصه فإذا تركَّبَ خُصّ في تجميعه

---

(١) (ق): «يصحي».

(٢) ما عدا الأصل: «لذي».

(٣) (ف): «معلولًا»، (ق): «معلولٌ».

(٤) (ب، ق): «ونقول...»، (ك): «ويقول...»، (ف): «ويقولو أهل...».

(٥) الأبيات الثلاثة سقطت من (ف).

(٦) البيت ساقط من (ف).

(٧) (ب، ق، ف): «مفردًا».

فيـــصحُّ حينئـــذٍ مقالـــة قائـــل قـــد زاد مُفـــرده عـــلى مجموعـــه
هـــو ثابـــتٌ في كـــلّ حـــال ممكـــن ذو عِـــزّة صـــعب عـــلى مُـــسْطيعه
حتـــى يُنـــال فيَحْمَـــد القـــومُ الـــسُّرى وإذًا يقـــــال: بطيئـــــه كـــــسريعه
فـــالبُطْءُ والإسراع لـــيس بنفـــسه بل في الطريق وفي اقتنـاص منيعه
والعلـمُ بـالرحمن أول واجـبٍ[١] وأهـــمُّ فـــرض الله في مـــشروعه
وأخـــو الديانـــة طالـــبٌ لمزيـــده أبـــدًا ولمّـــا ينهـــه بقطوعـــه
والمـــرء فاقتـــه إليـــه أشـــدّ مـــن فقـر الغـذاء لعِلْـم حُكـم صـنيعه
في كـلِّ وقـتٍ، والطعـام فـإنما يحتاجـه في وقـت شِـدَّةِ جوعـه
وهـو الـسبيل إلى المحاسـن كلِّهـا والـصالحات فـسوأة لمـضيعه
وإليـه يُـسْنَد كـلُّ فـنٍّ نـافع بـل فـارع بأصـوله وفروعـه
لجلالة المعلوم واللطف[٢] الـذي للعلـم كـان مناسـبًا لبديعـه
فـالعلم ميـزانُ الحقـائق والعـرو ض كـذاك[٣] ميـزان لـدى تقطيعـه
والاسم بالتحريك[٤] مـن مفروقـه والفعـل بالتـسكين مـن مجموعـه
[ق٩] هو واسطُ[٥] عِقْد الفضائل كلّها وبـه يُـزان الحَـلْي في ترصـيعه

---

(١) (ف، ك): «صاحب».

(٢) (ف): «واللفظ».

(٣) (ك): «وكذاك».

(٤) كذا في الأصول. وبهامش الأصل: «صوابه: بالتسكين». أقول: وكذلك في الشطر الثاني «والعقل بالتحريك». ولعل مراد المؤلف أن اسم «عِلْمَ» (وتد مفروق)، أي متحرك بينهما ساكن. والفعل عَلِمَ (وتد مجموع) متحركان ثم ساكن أو متحرك.

(٥) (ف): «واسطة».

وعلاجـه بالجـدِّ في تحـصيله   بمقـدمات نتاجـه وينوعـه

ولكـلّ قـومٍ منـه حـظٌّ وافـر   وحقـائق التوحيـد[١] في مشروعه

بـشعائر لمـشاعر وقواعـدٍ   لعقائـد المعقـول في مـسموعه

وجميعُـه متفـرِّق في قولـه: مـا حـافظ للعهـد مثـل مُـضِيعه

فلِعَينـه وللامـه ولميمـه   من ذا الكلام الحظ في تبضيعه[٢]

يُـرْوي بـماء حياتـه في وِرْده   ظمـآن تحقيـق إلى ينبوعـه

ويُـري بنـور هـداه في تبيينـه   حَـيران تـدقيق طلـوع سـطيعه

كطلوعـه لمّـا أبـان بنـوره   قـصدَ الـسبيل لحـلّ عقـد بديعـه

جـلّي المُجـلّي بَعْـد بُعْـد بُـدُوِّه   مع فتح مُقْفلـه وقـرب شَـسوعه[٣]

وأبـان مجملَـه وفـصَّل عِقْـدَه   ولروضِـه الأُنـف ارتعـى برتوعـه

وجَلَى[٤] جمال البكر في حَلْي الحلى   فافتـضَّها كُـفـء ثَـوَت بربوعـه

فخُـذ الجـوابَ مخلَّـصًا فيـه اللبا   بُ مُلخَّـصًا في نظمـه لـسميعه

مـع أنّ نظـم الـشعر غـير محُـصِّل   لكـمال مغـزاه[٥] وشرح جميعـه

مـن خـاطرٍ مـستعجل مـستوفزٍ   لم يُـنْعِم[٦] التفكـير في مرجوعـه

---

(١) بقية النسخ: «التحقيق».

(٢) البيت ليس في الأصل.

(٣) الأصل: «شيوعه»، (ف): «هسوعه»، (ك): «مع قرب... مسوعه». ولعله ما أثبت أي: بعيده.

(٤) (ك): «وحلى» بالمهملة.

(٥) (ك): «معزاه».

(٦) (ب، ق، ك): «يمعن».

لم يجعل التحليل من مقصوده[1] كلّا ولا الفضلات من مصنوعه

إذ كان مخلوقًا لأكبر غايةٍ دار القرار جميله وقطيعه

وعليه من أمر الإله ونهيه ما يلفت المعقول عن تضييعه

لكنه لا بدّ للمصدور من نفثٍ يُريح فؤادَه بنخوعه

مع أنه مُزْجى البضاعة نظمُه غِرّ بحكم اللفظ في تسجيعه[2]

عبدٌ ذليل عاجز مُتضعِّف في حال مبداه وحال رجوعه

لكنه لما استعان بربِّه ثم استكان له بذلِّ خضوعه

فأعانه يُسْر الجواب فإن يكن حقًّا بوفق[3] الوصف في توقيعه

فالحمد والفضل العظيم لربنا شكرًا على محمود حُسْن صنيعه

إذْ ما بِنا من نعمة فَبِمنِّه والخير منه جميعه بهموعه

أو إن يكن خطأً فمني حيث إن لم أستطع متناولًا لرفيعه

فالنقصُ للإنسان وصفٌ لازم إنْ كان يعرفُ نفسَه بنخوعه

والحمد لله الرحيم بخلقه الـ ـبرّ الودود بعبده ومُطيعه

ومُيسّر الخَطْب العسير بلطفه من بعد منعته وبعد منيعه

ثم الصلاةُ على النبيّ وآله والمُصْطَفَين من الأنام جميعه

وعليهم التسليم منّا دائمًا ما اهتزَّ وجه الأرض بعد خُشُوعه

---

(١) (ك): «مصنوعه».

(٢) (ق، ب): «تشجيعه».

(٣) (ك): «برفق».

فلما وقفَ الشيخ رشيد الدين[1] على هذا الجواب كتب إلى منُشئه الشيخ تقي الدين[2]:

أحْسَنَ في حلّ المسمَّى وما	سمّى ولكن جاء بالمِثْل[3]
وجاوز الجوزاء بالنطق والشْـ	ـشِعْرَى بشعرٍ رائقٍ جَزْل
جَلَّت معانيه فشكري[4] له	مُصَحّف والحلّ كالحلّ
أحمدُ وزنُ الفعل فيه وفي التْـ	ـتَقيِّ وزنُ القول والفعل
كأنما أحرفه مُثِّلت[5]	تُمْلي عليه وهو يستملي
وحُقّ بالفخر فتًى[6] جدُّه الـ	مجد وقد بورك في النَّسْل
فسهَّل الله لمن في اسمه الـ	ـعدل مكافاة[7] على الفضل

فنظر والد الشيخ تقي الدين ابن تيميَّة بعد ذلك في اللُّغز[8]، وحلَّه في لفظة أخرى، ونَظَم في ذلك قصيدة، فكتب إليه الشيخ رشيد الدين جوابًا لها:

[ق١٠] ماثَلَ[9] لُغزي ولم يُسم به	مَنْ لم يماثل في الفَضْل والأدب

---

(١) (ك): «رشيد».

(٢) بعده في (ف، ك): «ابن تيمية رضي الله عنه».

(٣) (ف): «... في المسمى.. ولكن جاد...».

(٤) (ف، ك): «فشكرًا».

(٥) (ب، ف): «مثلث».

(٦) (ف): «وحق بفتى».

(٧) (ك): «مكافآت».

(٨) الأصل: «اللفظ»، والمثبت من النسخ، وفي (ف): «ذلك اللغز».

(٩) (ف، ك): «ما مثل».

بخـاطرٍ حـاضرٍ[1] يـضيء ولا يُنكر ضوءٌ لواحـدِ[2] الـشُّهُب

شـيخُ شـيوخ الإسـلام قاطبـةً مفتـي الفـريقين حُجّـة العَـرَب

شـنَّف سـمعي بالـدُّرّ مـن كلِـمٍ تُرْوَى فتُرْوي[3] بالدّر من سحب

حـلَّا كحـلٍّ فنـشوتي نـشأت من ضرب مثلٍ أحلى من الضَّرَبِ

وكـان لغـزي مـن فـضّةٍ فعـلا سِعرًا[4] وشعرًا وصار من ذهب

فـالفخر للمجد بالـشّهاب وللشـ ـهاب بالمجـد ذروة النـسب

ذروةٌ والعنـــان[5] يحـــسبها ذُرّيـة للـشروق في الحَـسَب[6]

وإن تعفَّـــت رســـومُ بلدتـــه وهـي خيـار الـبلاد والـتُّرَب

فبلـــدة الأفـــق حلّهـــا عوضًـــا عنها بفضل يسمو على الرُّتَـب[7]

وإن قلبـــي أضـــحى لـــه وطنًـــا وفيـه أُنْـسٌ لكـلِّ مغـترب[8]

هـذا ثنـائي مـع الخمـول وإن نُبِّـهَ حظّـي[9] أربـى عـلى الأرب

وعِـشْ طـويلًا مكمّـلًا أدبًـا بـسيط فـضلٍ نـاءٍ ومقـترب

---

(١) سقطت من (ف).

(٢) (ب، ق): «لواجد».

(٣) الأصل: «فتردى»، (ف): «ترى»، (ك): «فترى».

(٤) (ف، ك): «فعلى شعرًا».

(٥) (ق، ب): «ذرية والعيان».

(٦) (ف، ك): «السحب».

(٧) (ك): «الترب».

(٨) (ق، ب): «مقترب».

(٩) الأصل: «نية»، و(ق، ب، ك): «نبه خطي».

وقال الشيخ علمُ الدين: رأيت في إجازة لابن الشَّهْرزوري[1] الموصلي خطَّ الشيخ تقيّ الدين ابن تيميَّة، وقد كتب تحته[2] الشيخُ شمسُ الدين الذهبي: هذا خطّ شيخنا الإمام العلّامة[3]، شيخ الإسلام، فَرْد الزّمان، بحر[4] العلوم، تقي الدين. مولده عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وقرأ القرآن والفقه، وناظر واستدلّ وهو دون البلوغ، وبرع في العلم والتفسير، وأفتى ودرَّس وله نحو العشرين سنة[5].

وصنَّف التصانيف، وصار من كبار[6] العلماء في حياة شيوخه، وله من[7] المُصنَّفات الكبار التي سارت بها الرُّكبان، ولعلّ تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كرَّاس وأكثر[8].

وفسَّر كتابَ الله تعالى مُدَّة سنين من صدره أيام الجُمَع، وكان يتوقَّد ذكاءً،

---

(١) (ف): «الشهروي» تحريف. وهو: محمد بن عبد القاهر بن عبد الرحمن محيي الدين الشيباني الشهرزوري الموصلي الشافعي (ت٧٧٨). ترجمته في «الوافي»: (٣/ ٢٢٥-٢٢٧)، و«الدرر الكامنة»: (٤/ ٢١)، و«إنباء الغمر»: (١/ ٢٢٠). وقد نقل هذا الثناء أيضًا ابن ناصر الدين في «الرد الوافر» (ص٦٩).

(٢) سقطت من (ف).

(٣) من الأصل فقط.

(٤) (ف): «محيي».

(٥) «سنة» ليست في (ب، ق).

(٦) (ب، ق، والرد): «أكابر».

(٧) «من» ليست في (ب، ق، والرد).

(٨) «وأكثر» ليست في (ب، ق).

وسماعاته[1] من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصِحّته وسقمه فما يُلْحَق فيه. وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين ـ فضلًا عن مذاهب[2] الأربعة ـ فليس له فيه نظير[3]. وأما معرفته بالملل والنِّحَل، والأصول والكلام، فلا أعلم له فيه نظيرًا، ويدري جملةً صالحة من اللغة، وعربيته[4] قويّة جدًّا، ومعرفته بالتاريخ والسِّيَر فعجبٌ عجيب!!

وأما شجاعته وجهاده وإقدامه، فأمرٌ يتجاوز الوصف ويفوق النعت. وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يُضْرَب بهم المثل، وفيه زهد وقناعة باليسير في المأكل والمَلْبس.

وقال الذهبيُّ في موضع آخر ـ وقد ذكر الشيخ رحمه الله ـ: كان آيةً في[5] الذكاء وسُرْعة الإدراك، رأسًا في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، بحرًا في النقليات. هو في زمانه فريد عصره علمًا وزهدًا، وشجاعةً وسخاءً، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، وكثرةَ تصانيف.

قرأ وحصَّل، وبرع في الحديث والفقه، وتأهَّل للتدريس والفتوى وهو ابن سبع [ق١١] عشرة سنة. وتقدَّم في علم التفسير والأصول وجميع علوم

---

(١) (ب، ق): «وسماعًا».

(٢) (ك): «المذاهب».

(٣) (ب، ك): «فليس فيه»، (ف): «فليس له نظير».

(٤) (ك): «عربية». وسيأتي قول الذهبي: «وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة».

(٥) الأصل: «من».

الإسلام؛ أصولها وفروعها، ودِقّها وجِلّها سوى علم القراءات[1]. فإن ذُكِرَ التفسير فهو حامل لوائه[2]، وإن عُدّ الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفَّاظ نطقَ وخَرِسوا، وسَرَد وَأَبْلَسوا، واستغنى وأفلسوا. وإن سُمِّي المتكلّمون فهو فَرْدهم وإليه مرجعهم، وإن لاح ابن سينا يَقْدم الفلاسفة فلَّسهم[3] وتيَّسَهم، وهتك أستارهم، وكشف عُوارهم[4]، وله يدٌ طولى في معرفة العربية والصرف واللغة.

وهو أعظم من أن تَصِفه[5] كَلِمي، أو يُنبِّه على شأوه قلمي، فإنَّ سيرته وعلومه ومعارفه ومِحَنَه وتنقّلاته يحتمل[6] أن ترصَّع[7] في مجلّدتين.

وهو بَشَرٌ من البشر له ذنوب، فالله تعالى يغفر له ويُسكنه أعلى جنته؛ فإنه كان ربَّاني الأمة، وفريد الزمان، وحامل لواء الشريعة، وصاحب معضلات المسلمين. وكان رأسًا في العلم[8]، يبالغ في إطراء[9] قيامه في

(١) (ف): «القرآن» خطأ.

(٢) (ب، ق): «رايته».

(٣) (ك): «فلسفهم».

(٤) (ب): «عورائهم».

(٥) (ف، ك): «يصفه».

(٦) (ف، ك): «تحتمل».

(٧) (ب، ق، ف): «توضع».

(٨) «وكان» ليست في (ب، ق، ف). و(ب): «الذكاء» بدلًا من «العلم». وزاد في (ق): «رأسًا في الذكاء».

(٩) كذا في الأصول الخطية، وكذا نقله الكرمي في «الكواكب» (ص٦٣). ولكن في =

الحق والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبالغةً ما رأيتها ولا شاهدتها من أحد ولا لحَظْتها في فقيه.

وقال في مكان آخر ـ ذَكَر فيه ترجمةً طويلة للشيخ قبل وفاة الشيخ بدهر طويل[1] ـ: «قلت: وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنازل، وبالصحيح والسقيم، مع حفظه لمتونه الذي انفردَ به، فلا يبلغ أحدٌ في العصر رتبتَه ولا يقاربه. وهو عجَبٌ في استحضاره واستخراج الحُجَج منه، وإليه المنتهى في عَزْوه[2] إلى الكتب الستة و«المسند»، بحيث يَصْدُق عليه أن يقال: كلُّ حديثٍ لا يعرفه ابن تيميَّة فليس بحديث، ولكنَّ الإحاطة لله، غير أنه يغترف فيه[3] من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي.

= «الشهادة الزكية» (ص٤٣) له أيضًا: «في أمر قيامه...» فإن صحّ ما في النسخ، فلعلّ الذهبي قصد ما وقع للشيخ في مجالس المناظرة من الثناء على نفسه لما احتاج إلى ذلك، فإنه قال: «وتكلمت بكلام احتجت إليه مثل أن قلت: من قام بالإسلام في أوقات الحاجة غيري؟ ومن الذي أوضح دلائله وبينه؟ وجاهد أعداءه وأقامه لما مال؟ حين تخلى عنه كل أحد، فلا أحد ينطق ولا أحد يجاهد عنه، وقمت مظهرًا لحجته، مجاهدًا عنه، مرغّبًا فيه. فإذا كان هؤلاء يطمعون في الكلام فيّ فكيف يصنعون بغيري»؟! انظر ما سيأتي في كتابنا هذا (ص٢٦٨)، و«مجموع الفتاوى»: (٣/ ١٦٣).

(١) في «الدرة اليتيمية ـ ضمن تكملة الجامع» (ص٣٨-٤٠). ومن قوله: «وقال في مكان..» إلى هنا سقط من (ب).

(٢) ضبطها في الأصل «عُزُوِّه»!

(٣) ليست في (ب، ق، ك).

وأما التفسير فمسلَّمٌ إليه، وله في استحضار الآيات من القرآن وقتَ إقامة الدَّليل بها على المسألة قوَّة عجيبة، وإذا رآه المقرىء تحيَّر فيه. ولِفَرْط إمامته في التفسير ولعَظَمة اطِّلاعه يبيّن خطأ كثيرٍ[1] من أقوال المفسِّرين، ويوهِّي أقوالًا عديدة، وينصر قولًا واحدًا موافقًا لما دلَّ عليه القرآنُ والحديث.

ويكتب في اليوم والليلة[2] من التفسير أو من الفقه أو من الأصلين[3] أو من الرَّدّ على الفلاسفة والأوائل نحوًا من أربعة كراريس أو أَزْيَد. وما أُبْعِد أنَّ تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة[4]. وله في غير مسألةٍ مصنَّف مفرد[5] في مجلد ـ ثم ذكر بعض تصانيفه ـ وقال: ومنها كتابٌ في الموافقة بين المعقول والمنقول، في مجلدتين[6].

قلت: هذا الكتاب ـ وهو كتاب «درء تعارض العقل والنقل» ـ في أربع مجلدات كبار، وبعض النُّسَخ به في أكثر من أربع مجلدات. وهو كتابٌ

---

(١) بقية النسخ: «وعظمة...كثيرًا».

(٢) (ك): «والليل».

(٣) (أ، ف، ك): «الأصولين». والمثبت من (ب، ق، جزء الذهبي).

(٤) (ف): «مجلد».

(٥) زيادة «مفرد» من بقية النسخ، وجزء الذهبي. وفي(ك): «.. غير المسألة». والكتب المفردة التي ذكرها الذهبي هي: مصنف في مسألة التحليل (بيان الدليل في بطلان التحليل)، ومصنف في مسألة حفير، ومصنف في من سبّ الرسل (الصارم المسلول)، واقتضاء الصراط المستقيم. وانظر ما سبق (ص١٤-١٥).

(٦) (ك): «مجلدين». هنا انتهى النقل عن الذهبي.

حافلٌ عظيم المقدار، ردَّ الشيخُ فيه على الفلاسفة والمتكلِّمين[1].

وله كتابٌ في نحو مجلد أجاب فيه عمَّا أورده [ق١٢] كمال الدين ابن الشَّرِيشي[2] على هذا الكتاب[3].

وللشيخ رحمه الله من المصنَّفات والفتاوى والقواعد والأجوبة والرَّسائل، وغير ذلك من الفوائد ما لا ينضبط، ولا أعلم أحدًا من متقدِّمي الأئمة[4] ولا متأخِّريها جَمَع مثل ما جمع، ولا صنَّف نحوَ ما صنَّف ولا قريبًا من ذلك[5]، مع أن أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه، وكثيرًا منها صنَّفه في الحبس[6]، وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب.

---

(١) طبع الكتاب في جامعة الإمام بالرياض في أحد عشر مجلدًا، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم. وفيه يقول ابن القيم في نونيته:

واقرأ كتاب (العقل والنقل) الذي ... ما في الوجود له نظير ثاني

(٢) هو: أحمد بن محمد بن أحمد البكري كمال الدين الشريشي الشافعي القاضي (ت٧١٨). انظر «ذيل تاريخ الإسلام» (ص١٥٠-١٥١)، و«الدرر الكامنة»: (١/ ٢٥٢).

(٣) ذكره ابن رشيق (ص٢٩٥ - ضمن الجامع).

(٤) كذا في الأصل ومختصره «الكواكب» (ص٧٧)، وفي بقية النسخ: «الأمة»، و(ف): «متقدم الأمة».

(٥) قال الحافظ الذهبي في «السير»: (٢١/ ٣٦٧) في ترجمة ابن الجوزي: «ما عرفت أحدًا صنف ما صنف». أقول: المكثرون من التصانيف جمعهم جميل العظم في «عقود الجوهر»، ومحمد خير في رسالة له في ذلك. ولا ريب أن شيخ الإسلام من أكثرهم تصنيفًا، وأقواهم مادة وبحثًا.

(٦) (ف): «...بالحبس». (ك): «وكثير..».

[مصنفات الشيخ رحمه الله]

وها أنا أذكرُ بعضَ مصنفاته، ليقف عليها من أحبَّ معرفتَها.

فمن ذلك ما جمعه في تفسير القرآن العظيم، وما جمعه من أقوال مفسِّري السَّلف الذين يذكرون الأسانيد في[1] كتبهم، وذلك[2] أكثر من ثلاثين مجلدًا[3]، وقد بيَّض أصحابُه بعضَ ذلك، وكثيرًا منه لم يكتبوه بعدُ[4].

وكان رحمه الله يقول: ربَّما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير[5]، ثم أسأل الله الفهم وأقول: يا مُعَلِّم[6] إبراهيم علِّمني. وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها[7] وأمرِّغ وجهي في التراب، وأسأل الله تعالى وأقول: يا معلِّم إبراهيم فهِّمْني، ويذكر قصَّة معاذ بن جبل وقوله لمالك بن يَخامِر لمَّا بكى عند موته وقال: إني لا أبكي على دنيا

---

(١) (ب، ق): «من».

(٢) بعده في (ك): «في».

(٣) زاد في «الكواكب»: «ولو كتب كله لبلغ خمسين مجلدًا». وقال ابن القيم في «النونية» (٣٦٧٩): إنه لا يقل عن عشر مجلدات كبار.

(٤) (ب، ق): «بعد ذلك».

(٥) وذكر ابن رشيق (ص٣٨٣) أن شيخ الإسلام قال له مرة: وقفت على نحو خمسة وعشر (كذا ولعلها: وعشرين) تفسيرًا مسندًا.

(٦) (ف): «يا معلم آدم ويا معلم...». (ك): «يا معلم آدم وإبراهيم».

(٧) (ب، ق): «وغيرها».

كنت أصيبها[1] منك ولكن أبكي على العلم والإيمان اللذَين كنت أتعلمهما منك. فقال: إنَّ العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما فاطلب العلم عند أربعة ـ وسمَّاهم ـ فإن أعياك العلم عند هؤلاء، فليس هو في الأرض[2]، فاطلبه من معلِّم إبراهيم[3].

قال الشيخ أبو عبد الله بن رُشَيِّق[4] ـ وكان من أخصِّ أصحاب

---

(١) (ب): «ذنب...أصبتها». (ق): «أصبتها».

(٢) «فليس هو في الأرض» سقطت من (ف).

(٣) الأصل: «قاطبة من معلم». هذا كله ذكره ابن رشيق (ص٢٨٣) وسمى الأربعة: «عند أبي الدرداء، وعبدالله بن مسعود، وسلمان الفارسي، وعبدالله بن سلام». وذكره ابن القيم في «إعلام الموقعين»: (٦/ ١٩٧).
أقول: هذا الأثر لم أقف عليه من رواية مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل، ورواه عن معاذ جماعة، أشهرها رواية يزيد بن عَميرة الهَمْداني عن معاذ، أخرجه الترمذي (٣٨٠٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٩٦)، وأحمد (٢٢١٠٤)، وابن حبان (٧١٦٥)، والحاكم: (١/ ٩٨)، والبيهقي في «المدخل» (١٠٢)، وابن سعد (٢/ ٣٠٤) وغيرهم بألفاظ مختلفة. قال الترمذي: حسن غريب. كما في «تحفة الأشراف»: (٨/ ٤١٨)، ونسخة الكروخي (ق٢٥٨)، وفي المطبوع: حسن صحيح غريب. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.
وقد نسبه شيخ الإسلام لمالك بن يخامر كما في «مجموع الفتاوى»: (٤/ ٥٣١)، وتابعه تلميذه ابن القيم في «إعلام الموقعين»: (٢/ ٢٣، ٦/ ١٩٧).

(٤) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد، سبط ابن رُشَيِّق المالكي (ت٧٤٩) كاتب شيخ الإسلام، يقول ابن كثير: كان أبصر بخط الشيخ منه.. انظر ما كتبناه عنه في «الجامع لسيرة شيخ الإسلام» (ص٥٩). وهذ النقل من رسالته ـ المنسوبة خطأً لابن القيم ـ «أسماء مؤلفات ابن تيمية»: (ص٢٨٣ وما بعدها – ضمن الجامع).

شيخِنا وأكثرهم كتابة لكلامه وحرصًا على جمعه ـ : كتب الشيخ رحمه الله نقولَ السَّلف مجرَّدَةً[1] عن الاستدلال على جميع القرآن.

وكتب في أوَّله قطعةً كبيرة[2] بالاستدلال.

ورأيتُ له سورًا وآياتٍ يفسِّرها ويقول في بعضها[3]: كتبته للتذكُّر ونحو ذلك.

ثم لما حُبِس في آخر عمره كتبتُ له أن يكتب على جميع القرآن مرتَّبًا[4] على السور، فكَتَبَ يقول: إن القرآن فيه ما هو بيِّن بنفسه، وفيه ما قد بيّنه المفسرون في غير كتاب، ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرُها على جماعةٍ من العلماء، فربّما يطالع الإنسان عليها[5] عدَّة كتبٍ ولا يتبيّن له تفسيرُها، وربَّما كتب المصنف الواحدُ في آية تفسيرًا ويفسِّر نظيرها بغيره[6]، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل لأنه أهم من غيره[7]، وإذا

---

(١) الأصل: «مخرَّجة».

(٢) (ف): «يسيرة».

(٣) (ب): «بعض».

(٤) (ف): «شيئًا». وموضعه بياض في (ك)، وبدا طرف الكلمة (تنا) ومقابله في الهامش بخط مغاير: «تفسير مرتبًا».

(٥) «عليها» ليست في (ب، ق).

(٦) (ك): «يفسر غيرها بنظيره».

(٧) طبعت فصول من هذه الآيات ضمن «مجموع الفتاوى» المجلدات (١٤، ١٥، ١٦)، ثم طبعت مستقلة مع غيرها بعنوان «تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير فيها القول الصواب بل لا يوجد فيها إلا ما هو خطأ». في مجلدين، بتحقيق عبد العزيز الخليفة. وانظر ما سيأتي (٤٣٧).

تبيّن معنى آية تبيّن معاني نظيرها(١).

وقال: قد فتح الله عليَّ في هذا الحِصْن في هذه المرَّة(٢) من معاني القرآن وأصول(٣) العلم بأشياء مات كثير من العلماء يتمنَّونها، وندمتُ على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن، أو نحو هذا(٤).

وأرسل إلينا شيئًا يسيرًا مما كتبَه من هذا الجنس(٥)، وبقي شيءٌ كثير في سَلَّة(٦) الحُكْم عند الحُكَّام لمَّا أخرجوا كتبه من عنده، وتوفي وهي عندهم [ق١٣] إلى هذا الوقت، نحو أربع عشرة رِزْمة(٧).

---

(١) (ق، ف، ك): «نظائرها».

(٢) (ب، وابن رشيق): «المدة».

(٣) (ب، ف، ك): «ومن أصول».

(٤) انظر ما كتب الأستاذ محمد بن عبد الله أبو الفضل القونوي حول هذه الكلمة «وندمت على تضييع...» في كتابه الماتع «موقف خليل الصفدي من ابن تيمية»: (ص٩٣-٩٤).

(٥) (ك): «في هذا الحبس».

(٦) (ف): «مسئلة»، و(ك): «سنلة» تحريف. وسلة الحكم: هو المكان الذي تحفظ فيه الوثائق ونحوها، بحيث لا يخرجها ولا يَطَّلع عليها إلا القاضي أو من يأذن له.

(٧) سيذكر المصنف (ص٤٤٥) «أن هذه الكتب حُملت إلى القاضي علاء الدين القونوي (ت٧٢٩)، وجُعلت تحت يده في المدرسة العادلية». وتوفي القونوي بعد الشيخ بسنة، فبقيت الكتب عند القاضي الشافعي، حتى خلصها منه الأمير قطلوبغا الفخري بعد أربعة عشر عامًا. قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»: (١٨/ ٤٤٠): «وفي يوم السبت ثالثه (أي ثالث شهر رجب من عام ٧٤٢) استدعى قطلوبغا الفخريُّ (الأمير قطلوبغا) القاضيَ الشافعيَّ، وألحَّ عليه في إحضار الكتب المُعْتَقَلة في سلَّة الحُكم، التي كانت أُخِذت من عند الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله من القلعة =

ثم ذكر الشيخ أبو عبد الله ما رآه ووقف عليه من تفسير الشيخ[1].

قلت: ومن مصنَّفاته: كتاب «بيان[2] تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» في ستّ مجلدات، وبعض النسخ منه[3] في أكثر من ذلك.

وهو كتاب جليل المقدار، معدوم النَّظير، كشف الشيخُ فيه أسرار الجهمية، وهتَكَ أستارَهم. ولو رحل[4] طالب العلم لأجل تحصيله من[5]

= المنصورة في أيام جلال الدين القزويني، فأحضرها القاضي بعد جهد ومدافعة، وخاف على نفسه منه، فقبضها منه الفخري بالقصر، وأذن له في الانصراف من عنده، وهو متغضِّب عليه، وربما همَّ بعزله لممانعته إياها، وربما قال قائل: هذه فيها كلام يتعلق بمسألة الزيارة، فقال الفخري: كان الشيخ أعلم بالله وبرسوله منكم. واستبشر الفخري بإحضارها إليه، واستدعي بأخي الشيخ زين الدين عبد الرحمن، وبالشيخ شمس الدين عبد الرحمن ابن قيم الجوزية، وكان له سعي مشكور فيها، فهنأهما بإحضاره الكتب، وبيَّت الكتبَ تلك الليلة في خزانته للتبرُّك، وصلى به الشيخ زين الدين أخو الشيخ صلاة المغرب بالقصر، وأكرمه الفخري إكرامًا زائدًا لمحبته الشيخ رحمه الله»اهـ.

(١) انظر ما ذكره ابن رشيق في كتابه (ص٢٨٤-٢٩٤- ضمن الجامع). وبهامش (ك) دون علامة لحق أو تصحيح ما نصه: «ومن مصنفاته تفسير سورة الصمد، وجواب سؤال عن كلام الله تعالى هل يتفاضل».

(٢) «بيان» ليست في (ب، ق).

(٣) بقية النسخ: «به». وهذا الكتاب ردٌّ على كتاب «أساس التقديس» للرازي. ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٥). وقد طبع ما وجد من كتاب الشيخ في عشر مجلدات عن مجمع الملك فهد، بتحقيق مجموعة من الباحثين.

(٤) (ك): «رحل رجل».

(٥) (ط): «إلى».

الصين ما ضاعت رحلتُه[1].

ومنها: كتاب «منهاج السنَّة النبويَّة في نقضِ كلام الشِّيَعِ القدرية»[2] في ثلاث مجلَّدات، وبعض النسخ في أربع مجلدات[3].

ردَّ فيه على ابن المُطَهَّر الرَّافضي[4]، وبيَّن جهل الرَّافضة وضلالتَهم[5]، وكذبَهم وافتراءَهم.

ومنها: كتاب «جواب الاعتراضات المصريَّة على الفُتْيا الحمويَّة» في أربع مجلَّدات، وبعض النُّسَخ به[6] في أقلّ[7].

---

(١) وذكره ابن القيم في النونية فقال:

وكذلك التأسيس أصبح «نقضه» أُعجوبة للعالم الرباني

(٢) (ف): «والقدرية»، (ط): «الشيعة». وقد نص الشيخ في أثناء كتابه على اسمه فقال: «ولهذا جُعِل هذا الكتاب: منهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام الشِّيَع والقدريَّة». «المنهاج»: (٢/ ١٩٩).

(٣) صدر في تسع مجلدات عن جامعة الإمام بالرياض، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

(٤) هو: حسن (أو حسين) بن يوسف بن مطهر الحلي العراقي أبو منصور (ت٧٢٦) له تصانيف كثيرة. وكتابه المردود عليه هو «منهاج الكرامة ــ ويقال: الاستقامة ــ في معرفة (أو إثبات) الإمامة». ترجمته في «البداية والنهاية»: (١٨/ ٢٧١-٢٧٢) و«الدرر الكامنة»: (٢/ ٧١-٧٢).

(٥) (ب، ق): «وضلالهم».

(٦) ليست في (ب، ق).

(٧) وكذا قال ابن رشيق (ص٢٩٤): في أربع مجلدات، وقيل: في ست مجلدات كما قال ابن القيم في نونيته:

=

وهو كتاب عزيز الفوائد سهل التناول.

ومنها: كتاب الردّ على النصارى سمَّاه «الجواب الصّحيح لمن بدَّل دينَ المسيح» في مجلدين، وبعض النسخ منه[1] في ثلاث مجلدات، وبعضها في أكثر[2]. وكذلك كثير من كتبه الكبار تختلف النُّسَخُ بها.

وهذا الكتاب من أجلِّ الكتب وأكثرها فوائد، ويشتمل على تثبيت النبوات وتقريرها بالبراهين النَّيِّرة الواضحة، وعلى تفسير آيٍ كثير من القرآن، وعلى غير ذلك من المهمَّات.

ومنها: كتاب «الإيمان» في مجلد[3]. وهو كتاب عظيم لم يُسْبَق إلى

= وكـذاك أجوبة له مصريـــة   في ست أسفار كُتِبْن سمان

والمردود عليه هو: القاضي شمس الدين أحمد بن إبراهيم السَّرُوجي الحنفي (ت٧١٠) وصفه شيخ الإسلام بأفضل القضاة المعارضين. انظر «بيان تلبيس الجهمية»: (١/ ٦). وترجمته في «الجواهر المضية»: (١/ ١٢٣) للقرشي، و«البداية والنهاية»: (١٨/ ١٠٧).

وقد نُشِرت منه قطعتان في مجلد لطيف ضمن هذا المشروع (آثار شيخ الإسلام ابن تيمية)، بتحقيق صديقنا البحاثة الشيخ محمد عزير شمس.

(١) (ق، ف، ك): «به». وسقطت «منه» من (ب)، و «في» سقطت من (ف).

(٢) وقد كتبه الشيخُ ردًّا على كتاب ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى بما يحتجّ به علماء دينهم قديمًا وحديثًا. كما ذكر في مقدمته: (١/ ٩٨). وقد صدر الكتاب عن دار العاصمة محققًا في سبع مجلدات، بتحقيق ثلاثة من الباحثين.

(٣) مطبوع في «الفتاوى»: (٧/ ٤-٤٦٠)، وطبع مستقلاً مرات، وحقق في رسالة جامعية ولم تطبع حتى الآن. ويسمى «الإيمان الكبير»، وهو غير «الإيمان الأوسط» الآتي ذكره (ص١٠٥).

مثله.

ومنها: كتاب «الاستقامة» في مجلدين[1]. وهو من أجلِّ الكتب وأكثرها نفعًا.

ومنها: كتاب «تنبيه الرَّجل العاقل على تمويه الجدل[2] الباطل» في مجلد[3]. وهو من أحسن الكتب وأكثرها فوائد.

قال في خُطبته: «الحمد لله العليم القدير الخالق، اللطيف الخبير الرَّازق، السميع البصير الحكيم[4] الصّادق، العليّ الكبير الفاتق الرَّاتق[5]، الذي يسنُّ المناهجَ[6] والشرائع ويُبيِّن الطرائق[7]، ويَنْصِبُ الأعلامَ الطوالعَ لكشف الحقائق، ويُنزِّل الآيات والدَّلائل لبيان الجوامع

(١) والكتاب أكثره في الرد على كتاب «الرسالة» للقشيري، ومناقشة ما فيه من أخطاء. وقد طبع بجامعة الإمام بالرياض في مجلدين، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

(٢) (ف): «الجدال».

(٣) والكتاب ردّ على برهان الدين النسفي (ت٦٨٧) في كتابه «فصول في الجدل» ويقال: المقدمة في الجدل، أو المقدمة البرهانية. وقد طبع الكتاب في مجلدين ضمن هذا المشروع المبارك، بتحقيق محمد عزير شمس وعلي بن محمد العمران. وقد فقدت مقدمته من نسخة الكتاب الخطية، وحفظها لنا ابن عبد الهادي في كتابه هذا، ولله الحمد والمنة. وقد كتبنا مقالًا مفصلًا في إثبات نسبة الكتاب الذي نشرناه إلى شيخ الإسلام في مقدمة الطبعة الثانية، ونُشر على الشبكة، فليراجعه من أحبّ.

(٤) (ف، ك): «الحليم».

(٥) (ك): «الفائق الرائق» تحريف.

(٦) (ف): «المنهاج».

(٧) (ف): «الطريق».

والفوارق، ويقذفُ بالحقِّ على الباطل فيدْمَغُه فإذا هو زاهق.

أحمده ثناءً عليه بأسمائه الحُسنى وصفاته العُلى وشكرًا له على نعمه البواسق[1].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ربّ المغارب والمشارق، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله المؤيَّد بالمعجزات الخوارق، الموضِّح لسبيل الحقِّ في الجلائل والدقائق، صلى الله عليه وعلى آله[2] وسلم صلاة وتسليمًا باقيَين ما بقيت الخلائق.

أما بعد، فإنَّ الله سبحانه علمَ ما عليه بنو آدم من كثرة الاختلاف والافتراق، وتبايُن العقول والأخلاق، حيث خُلِقوا من طبائع ذات تنافر، وابتلوا بتشعُّب[3] الأفكار والخواطر. فبعث الله الرُّسل مبشِّرين ومنذرين ومبيِّنين للإنسان ما يُضلُّه ويهديه، وأنزل معهم الكتاب بالحقِّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه. وأمرهم بالاعتصام [ق١٤] به حذرًا من الافتراق[4] في الدِّين، وحضَّهم عند التنازع على الرَّدّ إليه وإلى رسوله المبين. وعَذَرهم بعد ذلك فيما يتنازعون فيه من دقائق الفروع العملية[5]، لخفاء مَدْرَكها وخفَّة مَسْلكها وعدم إفضائها إلى بليَّة، وحضَّهم على المناظرة والمشاورة،

(١) (ف، ك): «السواسق».

(٢) (ف) زيادة: «وصحبه».

(٣) (ف): «بتشعُّث».

(٤) (ك): «التفرق».

(٥) (ف، ك): «العلمية».

لاستخراج الصّواب في الدّنيا والآخرة، حيث يقول لمن رضي دينهم: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨]، كما أمرهم بالمجادلة والمقاتلة لمن عَدَل عن السبيل العادلة، حيث يقول آمرًا وناهيًا لنبيِّه والمؤمنين، لبيان ما يرضاه منه ومنهم: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦].

فكان أئمة الإسلام ممتثلين لأمر المليك[١] العلَّام، يجادلون أهلَ الأهواء المضلَّة، حتى يردُّوهم[٢] إلى سواء المِلَّة، كمجادلة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج المارقين، حتى رجع كثيرٌ منهم إلى ما خرج عنه من الدين، وكمناظرة كثير من السلف الأولين لصنوف المبتدعة الماضين، ومن في قلبه ريبٌ يخالفُ اليقين، حتى هدى الله من شاء من البَشَر، وعَلَن[٣] الحقُّ وظَهَر، ودَرَس ما أحدثه المبتدعون واندَثَر.

وكانوا يتناظرون في الأحكام ومسائل الحلال والحرام، بالأدلة المرضيَّة والحُجَج القويَّة، حتى كان قلَّ مجلسٌ يجتمعون فيه[٤] إلا ظهر الصواب، ورجع راجعون إليه؛ لاستدلال المستدلِّ بالصّحيح من الدلائل، وعِلْمِ المنازِع[٥] أنَّ الرجوعَ إلى الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطل. كمجادلة الصّدّيق لمن نازعه في قتال مانعي الزَّكاة حتى رجعوا إليه،

---

(١) (ب، ق): «الملك».

(٢) (ف، ك): «يردونهم».

(٣) (ف): «وأعلن».

(٤) بقية النسخ: «عليه».

(٥) ضبطها في الأصل و(ف): «وعَلِمَ المنازعُ».

ومناظرتِهم في جَمْع المُصحف حتى اجتمعوا عليه، وتناظُرِهم[1] في حدِّ الشّارب وجاحد التحريم، حتى هُدوا إلى الصراط المستقيم. وهذا وأمثاله يجلُّ عن العدِّ والإحصاء، فإنَّه أكثرُ من نجوم السّماء.

ثم صار المتأخِّرون بعد ذلك قد يتناظرون في[2] أنواع التأويل والقياس بما يُؤثِّر في ظنٍّ بعض الناس، وإن كان عند التحقيق يؤول إلى الإفلاس، لكنَّهم لم يكونوا يقبلون من المناظر إلا ما يفيد ولو ظنًّا ضعيفًا للنَّاظر، واصطلحوا على شريعةٍ من الجدل، للتعاون على إظهار صواب القول[3] والعمل، ضبطوا بها قوانينَ الاستدلال، لتسلم عن الانتشار والانحلال. فطرائقهم وإن كانت بالنسبة إلى طرائق[4] الأوَّلين غيرَ وافيةٍ بمقصود الدّين، لكنَّها غيرُ خارجةٍ عنها بالكليَّة ولا مشتملة على ما لا يُؤثِّر في القضيَّة، وربَّما كسَوها من جَودة العبارة، وتقريب الإشارة، وحُسْن الصِّياغة[5]، وصنوف البلاغة ما يُحَلِّيها عند النّاظرين، ويُنْفِقُها عند المتناظرين، مع ما اشتملت عليه من الأدلَّة السَّمعية والمعاني الشرعيّة[6]، وبنائها على الأصول الفقهيَّة والقواعد المرضيَّة[7]، والتحاكم فيها إلى

(١) (ب، ق): «ومناظرتهم».
(٢) الأصل و(ب، ق): «من».
(٣) (ف): «التأول».
(٤) (ق): «أدلة».
(٥) (ب، ق): «الصناعة».
(٦) الأصل: «الشريعية».
(٧) (ك): «الشرعية».

حاكم[1] الشّرع الذي لا يُعْزَل، وشاهد العقل المزَكَّى المعدَّل.

وبالجملة [ق١٥] لا تكاد تشتمل على باطل مَحْض ونُكْرٍ[2] صِرْف، بل لا بدَّ فيها من مَخِيلٍ للحقِّ ومشتملٍ على عُرْف.

ثم إن بعض طلبةِ العلوم من أبناء فارس والروم صاروا مولَعين[3] بنوعٍ من جَدَل المُمَوِّهين استحدثه طائفةٌ من المشرقيِّين[4]، وألحقوه بأصول الفقه في الدين، راوغوا[5] فيه مراوغة الثَّعالب، وحادوا فيه عن المسلك اللَّاحب، وزخرفوه بعبارات موجودة في كلام العلماء قد نطقوا بها، غير أنَّهم وضعوها في غير مواضعها المستحقَّة لها، وألَّفوا الأدلَّة تأليفًا غير مستقيم، وعَدَلوا عن التركيب الناتج إلى العقيم.

غير أنَّهم بإطالة العبارة، وإبعاد الإشارة، واستعمال الألفاظ المشتركة والمجازيَّة في المقدِّمات، ووضع الظنيَّات موضع[6] القطعيَّات، والاستدلال بالأدلة العامَّة حيثُ ليس[7] لها دلالة، على وجهٍ يستلزمُ الجمعَ بين النقيضين مع الإحالةِ والإطالة، وذلك مِنْ فِعْل غالطٍ أو[8]

---

(١) (ب): «حاكم».

(٢) (ب، ف، ك): «مكر». وغير واضحة في (ق).

(٣) رسمها في الأصل: «مولفين».

(٤) من بقية النسخ، وفي الأصل: «المسرفين».

(٥) (ب، ف): «راغو».

(٦) (ف): «مواضع».

(٧) (ف، ك): «ليست».

(٨) (ف، ك): «و».

مُغالطٍ للمُجادل، وقد نهى النَّبي ﷺ عن أغلوطات المسائل[1]= نَفَق ذلك على الأغْتام الطَّماطِم، وراج رواج البَهْرج على الغِرِّ العادِم، واغترَّ به بعض الأغْمار الأعاجم، حتى ظنُّوا أنَّه من العلم بمنزلة الملزوم من اللازم، ولم يعلموا أنه والعلم المقرِّب من الله[2] متعاندان متنافيان، كما أنَّه والجهل المركَّب متصاحبان متآخيان[3].

فلما استبان لبعضهم أنّه كلامٌ ليس له حاصل، لا يقوم بإحقاقِ حقٍّ ولا إبطال باطل= أخَذَ يطلبُ كشفَ مُشكِله وفتحَ مُقفَله، ثم إبانة علله وإيضاح زَلله، وتحقيق خطئه وخلله[4]؛ حتى يتبيَّن[5] أنَّ سالكَه يسلك في الجَدَل مسلك اللَّدَد، وينأى عن مسالك[6] الهدى والرَّشَد، ويتعلَّق من الأصول بأذيالٍ لا توصل إلى حقيقة، ويأخذ من الجدل الصحيح رسومًا يموِّه بها على أهل الطَّريقة.

ومع ذلك فلا بدَّ أن يدخل في كلامهم قواعدُ صحيحة، ونُكتٌ من

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٨٨)، وأبو داود (٣٦٥٦)، وغيرهما، من طرق عن الأوزاعي عن عبد الله بن سعد عن الصنابحي عن معاوية عن النبي ﷺ الحديث. وفي سنده عبد الله بن سعد مجهول، وضعف الحديث ابن القطان في «بيان الوهم»: (٤/ ٦٦)، وقواه الحافظ في «فتح الباري»: (١٠/ ٤٠٧).

(٢) «من الله» من الأصل فقط.

(٣) (ف): «ومتآخيان».

(٤) بقية النسخ: «وخطله».

(٥) (ف): «تبين».

(٦) (ف، ك): «مسلك».

أصول الفقه مليحة، لكن إنَّما أخذوا ألفاظَها ومبانيها دون حقائقها ومعانيها، بمنزلة ما في الدِّرْهم الزّائف من العين، ولولا ذلك لما نَفَق على من له عين.

فلذلك آخذُ في تمييز حقِّه من باطله، وحاليه من عاطله، بكلام مختصر مرتجل، كتبه كاتبُه على عَجَل. والله الموفِّق لما يحبّه ويرضاه، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله». انتهت خطبة هذا الكتاب.

ومن مصنفاته أيضًا:

كتاب «بيان الدّليل على بطلان التّحليل»[(١)].

وكتاب «الصّارم المسلول على شاتم الرّسول»[(٢)].

وكتاب «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة[(٣)] أصحاب الجحيم»[(٤)].

وكتاب «تحرير الكلام في حادثة الاقتسام»[(٥)]، وسماه بعضهم: كتاب

---

(١) طبع عدة مرات، أفضلها بتحقيق الدكتور أحمد الخليل، دار ابن الجوزي. وطبع مختصره للبعلي ضمن هذا المشروع بتحقيقي.

(٢) طبع مرارًا، وأفضلها بتحقيق الشيخين محمد الحلواني و محمد شودري، عن دار رمادي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ في ثلاث مجلدات. وطبع مختصره للبعلي بتحقيقي.

(٣) (ب، ق، ف): «في مخالفة». وعند ابن رشيّق (ص٣٠٥): «في الرد على أصحاب..».

(٤) طبع عدة مرات، آخرها بتحقيق الدكتور ناصر العقل في مجلدين. وطبع مختصره للبعلي بتحقيقي.

(٥) (ك): «الأقسام». انظر ما قاله ابن الزملكاني (ص١٣ ـ ١٤) عن الكتاب، وقال ابن رجب في «الذيل»: (ص٣٨٤- الجامع): إنه مجلد في مسألة من القسمة كتبها اعتراضًا على الخويي في حادثة حكم فيها.

«التحرير في مسألة حفير»[1].

وكتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»[2].

وكتاب «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»[3].

وكتاب «تفضيل صالح الناس على سائر الأجناس»[4].

وكتاب « التحفة العراقية في الأعمال القلبية»[5].

وكتاب [ق١٦] «المسائل[6] الإسكندرية في الردّ على الملاحدة والاتحادية»[7]. وتعرف بـ «السبعينية» لاشتمالها على الردّ على ابن سبعين

---

(١) وقع عند ابن رشيّق (ص٣٠٦): «مسألة الخضر» تحريف.

(٢) عند ابن رشيّق (ص٣٠٦): «دفع الملام... مجلد لطيف» .طبع مرارًا، وهو في « مجموع الفتاوى»: (٢٠/ ٢٣١-٢٩٣).

(٣) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٦). وطبع مختصره مرارًا، وهو في « مجموع الفتاوى»: (٢٨/ ٢٤٤-٣٩٧). وطبع كاملًا لأول مرة ضمن مشروع آثار شيخ الإسلام ابن تيمية في مجلد، بتحقيقي.

(٤) ذكره ابن رشيق (ص٢٩٨- الجامع) وغيره. ولعله ما في « مجموع الفتاوى»: (٤/ ٣٥٠-٣٩٢).

(٥) قال ابن رشيّق (ص٢٩٨): «نحو ستين ورقة». وقد طبع مرارًا، آخرها بتحقيق د. يحيى الهنيدي، عن مكتبة الرشد بالرياض. وهو في « مجموع الفتاوى»: (١٠/ ٥-٩٠).

(٦) (ف، ك): «مسائل».

(٧) قال ابن رشيّق (ص٢٩٥): «رد فيه على ابن سبعين وغيره، مجلد» . طبع بعنوان «بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد» بتحقيق د. موسى الدويش، عن دار العلوم والحكم ١٤٠٨ . وقد=

وأضرابه.

وكتاب « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»[1].

وكتاب « فضائل القرآن»[2].

وكتاب « أقسام القرآن»[3].

وكتاب « أمثال القرآن»[4].

وهذه المصنَّفات بعضها مجلد كبير، وبعضها مجلد صغير.

وله كتاب في الردّ على المنطق، مجلد كبير[5].

= ذكر أن هذا العنوان من النساخ، وأن المؤلف قد ذكره في كتبه بعدة أسماء، وكذلك تلاميذ الشيخ ومن بعدهم ذكروه بعناوين أخرى. راجع مقدمة التحقيق (ص٥٣-٥٧).

(١) قال ابن رشيّق (ص٣٠٢): « مجلد لطيف». طبع عدة مرات، ومن آخرها طبعة مكتبة الرشد بتحقيق د. عبد الرحمن اليحيى. وهو في « مجموع الفتاوى»: (١١/ ١٥٦-٣١٠).

وتأخر ذكر هذا الكتاب في (ب، ق) إلى ما بعد «أمثال القرآن».

(٢) ذكره ابن رشيق (ص٢٩٤-الجامع) بعنوان «قاعدة في فضائل القرآن».

(٣) ذكره ابن رشيق (ص٢٩٤) بعنوان «قاعدة في أقسام القرآن». وهو في « مجموع الفتاوى»: (١٣/ ٣١٤-٣٢٨) بعنوان «فصل في...».

(٤) ذكره ابن رشيق (ص٢٩٤) بعنوان «قاعدة في أمثال القرآن».

(٥) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٥). وطبع بتحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدين رحمه الله، عن الدار القيمة بالهند عام ١٣٦٨هـ، بعنوان «الرد على المنطقيين». وهذا هو عنوانه الصحيح؛ لأنه هو المكتوب على غلاف نسخته الخطية التي قرئت على المصنف،=

وله مصنفان آخران في الردّ على المنطق، نحو مجلد[1].

ولـه كتـاب في محنتـه بمـصـر[2]، مجلَّـدان، ردَّ فيـه عـلى القـائلين[3] بالكلام النفسيّ من نحو ثمانين وجهًا[4].

وله في مسألة القرآن مؤلفاتٌ كثيرة، وقواعدُ وأجوبة، وغير ذلـك، إذا

= وعليها خطه في مواضع عديدة. ويسمى أيضًا «نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان» وقد لخصه السيوطي وطبع تلخيصه في «مجموع الفتاوى»: (٩/ ٨٢-٢٥٤).

(١) ذكر الصفدي في «أعيان العصر»: (ص٣٥٤-الجامع)، و«الوافي»: (ص٤٧٧-الجامع) أن للشيخ مصنَّفًا في المنطق في مجلد، ثم قال: وآخر في مجلد لطيف. أقول: وللشيخ فصل في ضبط كليات المنطق والخلل فيه، طبع ضمن «مجموع الفتاوى»: (٩/ ٢٥٥-٣١٩). أما الكتاب المطبوع باسم «نقض المنطق» فليس عنوانه من وضع الشيخ بل من اجتهاد الطابع، وليس موضوعه في المنطق، بل غالب الكتاب في عقيدة أهل الحديث، وفي آخره جواب عن المنطق وهل هو فرض كفاية؟ (ص١٥٥-٢٠٩)، وقد استلّ هذا القسم وطبع في «مجموع الفتاوى»: (٩/ ٥-٨٢).

(٢) وهو الكتاب المسمى بـ «التسعينية»، وسمي بذلك؛ لأن الشيخ ردّ على القائلين بالكلام النفسي من نحو تسعين وجهًا، طبع أولاً في «مجموعة فتاوى ابن تيمية»: (٥/ ٢-٢٨٨)، ثم طبع بتحقيق د. محمد العجلان، في ثلاثة مجلدات عن دار المعارف بالرياض عام ١٤٢٠هـ. واختلف في تسميته على أقوال. انظر مقدمة تحقيقه: (١/ ٥٦-٥٩).

(٣) من هنا طمس في(ق) أكثر من نصف صفحة.

(٤) ذكر أنها من ثمانين وجهًا ابن رشيق: (ص٢٩٦-الجامع)، والصفدي: (ص٣٥٤-الجامع). وذكر أنها من تسعين وجهًا ابن القيم في «النونية»: (ص٣٤١-الجامع) وغيره. واختلافهم عائد إلى احتساب بعض الأوجه أو التفريعات في العد، أو عدم احتسابها.

جُمِعَت[1] بلغت مجلدات كثيرة، منها ما بُيِّض ومنها ما لم يُبَيض.

فمن مؤلفاته في ذلك: الگيلانية[2]. والبغدادية[3]. والقاهرية[4]. والأزهرية[5]. والبعلبكية[6]. والمصرية[7].

---

(١) (ك): «اجتمعت».

(٢) (ف): «الكلابية» تحريف. قال ابن رشيق: (ص٢٩٦- الجامع): «وهو جواب في مسألة القرآن، في مجلد لطيف». وهو في «مجموع الفتاوى»: (١٢/ ٣٢٣-٥٠١). وسميت كذلك؛ لأن السؤال ورد من كيلان، وكِيلان أو جِيلان إحدى محافظات إيران الآن على حدود بحر قزوين، وهي اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان. وليس في جيلان مدينة كبيرة إنما هي قرى في مروج بين جبال، ينسب إليها: جيلاني وجيلي، والعجم يقولون: گيلان، وقد نسب إليها من لا يحصى من أهل العلم في كل فن. انظر «معجم البلدان»: (٢/ ٢٠١).

(٣) قال ابن رشيق: (ص٢٩٧- الجامع): «وهي مسألة في القرآن». وللشيخ رسالة بعنوان «البغدادية فيما يحل من الطلاق ويحرم» في «مجموع الفتاوى»: (٣٣/ ٥-٤٣).

(٤) (ب، ف، ك): «والقادرية» وكذا عند ابن رشيق: (ص٢٩٧-الجامع)، وقال: «وهي مسألة في القرآن، نحو عشر ورقات». والمثبت من الأصل، وهو المناسب لتسمية كتب المؤلف بأسماء البلدان التي وردت منها الأسئلة.

(٥) قال ابن رشيّق (ص٢٩٧): «بضع وعشرون ورقة». اقتبس نصوصًا منها الفتوحي في «شرح الكوكب»: (٢/ ٣٤-٤٠)، والمرداوي في «التحبير»: (٣/ ١٢٧٨-١٢٨٢). ثم ضمت إلى «جامع المسائل-المجموعة الخامسة»: (٥/ ١٢٣-١٢٩).

(٦) قال ابن رشيّق (ص٢٩٦): «تكلم فيها على اختلاف الناس في الكلام، نحو عشرين ورقة». وقد طبعت عدة مرات، آخرها رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، عن نسخة عليها خطّ المؤلف. وهي في «مجموع الفتاوى»: (١٢/ ١١٧-١٦١) ولم تعنون فيه، وتبدأ بقوله: «فصل في أن القرآن العظيم كلام الله وليس شيء منه كلامًا لغيره».

(٧) قال ابن رشيق (ص٢٩٦): «جواب في مسألة القرآن، وردت من مصر، نحو سبعين ورقة». =

وله في الردِّ على الفلاسفة مجلدات وقواعد أملاها مفردة غير ما[1] تضمَّنته كتبه.

منها: إبطال قولهم بإثبات الجواهر العقلية[2].

ومنها: إبطال قولهم بقدم العالم، وإبطال ما احتجّوا به[3].

ومنها: إبطال قولهم: إنَّ[4] الواحد لا يصدر عنه إلا واحد[5].

وله كتاب في الوسيلة، مجلد[6].

وكتاب الردّ على البكري في الاستغاثة، مجلد[7].

وكتاب شرح أول كتاب الغزنوي في أصول الدين، مجلد لطيف[8].

= وهي في «مجموع الفتاوى»: (١٢/ ١٦٢-٢٣٤). ومما ذكره ابن رشيق ولم يذكره المصنف: «جواب مسألة في القرآن، هل هو حرف وصوت أم لا؟ نحو ثلاثين ورقة».

(١) (ب): «وغيرها».

(٢) ذكره ابن رشيق (ص٢٩٧).

(٣) قال ابن رشيق (ص٢٩٧): «في مجلد كبير».

(٤) «إبطال» ليست في (ف)، و(ب، ك): «في إن».

(٥) ذكره ابن رشيق (ص٣٩٧).

(٦) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٥). وطبع مرات باسم «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، وهو في «مجموع الفتاوى»: (١/ ١٤٢-٣٦٨). وفي «جامع المسائل-الخامسة»: (٥/ ٩٥-١٢٢) قاعدة في الوسيلة.

(٧) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٥). وطبع عدة مرات، آخرها بتحقيق د. عبد الله السهلي في مجلد، والكتاب ناقص من أوله. واختصره الحافظ ابن كثير. وطبع أيضًا.

(٨) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٥). و الغزنوي هو جمال الدين أحمد بن محمد الحنفي=

وكتاب «شرح عقيدة الأصبهاني»، يسمى: «الأصبهانية»، مجلد[1].

وكتاب شَرَح فيه بضع عشرة مسألة من كتاب «الأربعين» للفخر الرازي، أكثر من مجلدين[2].

وكتاب يُعرف بـ «الصفديَّة» في الردِّ على الفلاسفة في قولهم: إن معجزات الأنبياء عليهم السلام قُوى نفسانيَّة، وفي إبطال[3] قولهم بقدم العالم[4].

وله كتاب شرح أول المحصَّل، مجلد[5].

= (ت٥٩٣) وكتابه طبع في مجلد لطيف بعنوان: «أصول الدين»، عن دار البشائر عام ١٤١٨هـ بتحقيق عمر الداعوق.

(١) «الأصبهاني يسمى» من (ف، ك)، وسقط «مجلد» من (ك). ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٥). وطبع عدة مرات، لكنه ناقص بمقدار الثلث. وحققه محمد السعوي رسالة دكتوراه على نسخة تامة وطبع بدار المنهاج أخيرًا في مجلد كبير.

(٢) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٥). وكتاب الرازي «الأربعين في أصول الدين» مطبوع في مجلد كبير. سيأتي (ص٨٧) أن للمؤلف فصلًا في الرد على الرازي في الأربعين في مسألة الصفات الاختيارية، وهو مطبوع في «الفتاوى» (٦/ ٢٧٣-٢٨٧).

(٣) «نفسانية وفي إبطال» سقطت من (ف).

(٤) طبع بتحقيق د. محمد رشاد سالم في مجلدين، ثم طبع في مكتبة أضواء السلف سنة ١٤٢٣هـ في مجلد واحد، وفيها تصحيحات واستدراكات على الطبعة السابقة.

(٥) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٥). وكتاب «المحصل» مطبوع في مجلد. وقد ذكر شيخ الإسلام أن بعضهم كان ينشد فيه كما في «منهاج السنة»: (٥/ ٤٣٣):

محصَّل في أصول الدين حاصله ... من بعد تحصيله علمٌ بلا دين
أصل الضلالة والإفك المبين فما ... فيه فأكثره وحي الشياطين

وكتاب الردّ على أهل كسروان الرافضة، مجلدان[1].

وكتاب يسمى: الهلاوونية[2]. وهو جواب سؤال ورَدَ على لسان هولاكو ملك التتار، مجلد.

وله في الردّ على من قال: إن[3] الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين، عدّة مصنفات.

وله في الردّ على منكري المعاد قواعد كثيرة.

وله تعليقة على كتاب «المحرّر» في الفقه، لجده الشيخ مجد الدين، في عدة مجلدات[4].

وله كتابٌ شرَح فيه قطعةً من كتاب «العمدة» في الفقه، للشيخ موفَّق الدين، في مجلدات[5].

---

(١) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٥). وهو كتاب آخر غير «منهاج السنة النبوية». وانظر ما كتبه شيخ الإسلام عن أحوال الكسروانيين وعقائدهم بعد فتح ديارهم من جيش المسلمين في «مجموع الفتاوى»: (٢٨/ ٣٩٨-٤٠٩).

(٢) (ق): «الهلاكونية». و(ب، ك): «الهلاونية». و(ف): «الهلاوكية». وذكره ابن رشيّق (ص٢٩٥).

(٣) سقطت من (ق، ب).

(٤) سماها ابن رشيق (ص٣٠٥):«شرح المحرر».

(٥) قال ابن رشيّق (ص٣٠٥): «شرح العمدة، في أربع مجلدات». وقد شرح منه الشيخ العبادات إلى كتاب الحج، وطبع ما وجد منه سوى شرح كتاب الزكاة فلم يُعثر عليه. طبع قسم الطهارة بتحقيق د. سعود العطيشان، والصلاة بتحقيق د. خالد المشيقح، وقطعة من كتاب الصلاة بتحقيق الشيخ عبد العزيز المشيقح، والصيام بتحقيق الشيخ=

وله قواعد كثيرة في فروع الفقه لم تبيَّض بعد، ولو بُيّضت كانت مجلدات عدة.

وقد جمع بعضُ أصحابه جملةً كثيرة[1] من فتاويه الفروعية وبوَّبها على أبواب الفقه في مجلدات كثيرة، تعرف بـ«الفتاوى المصرية». وسماها[2] بعضهم «الدّرر المضيَّة من فتاوي ابن تيميَّة»[3].

وله مؤلفات في صفة حجّ النبيّ ﷺ، والجمع بين النصوص في ذلك.

والكلام على[4] مُتعة الحج.

= زايد النشيري، والحج بتحقيق د. صالح الحسن. وسيعاد تحقيقه ضمن هذا المشروع إن شاء الله تعالى.

(١) بقية النسخ: «قطعة كبيرة».

(٢) (ف، ك): «سماها».

(٣) قال ابن رجب: إنها سبعة مجلدات «الجامع» (ص٤٨٢). وقد طبع منه أربعة مجلدات، وبقي اثنان أو ثلاثة، أما المطبوع في خمسة مجلدات بعنوان (مجموعة فتاوى) فقد أدخل فيها ما ليس من الفتاوى المصرية بل هي كتب مستقلة؛ كالتسعينية، وبغية المرتاد، والقواعد النورانية، وإبطال التحليل. وبالمقارنة مع مختصره المطبوع باسم «مختصر الفتاوى المصرية» للبعلي في مجلد واحد يتبين ترتيب الكتاب ومقدار النقص. وانظر مقدمة «جامع المسائل-الرابعة»: (٤/ ٥-٩).
وذكر ابن القيم في «النونية» (٣٦٧٦-٣٦٧٨) أن فتاواه تبلغ ثلاثين مجلدًا بعدد أيام الشهر، وأنّ الذي فاته منها بلا حُسبان. فلعلّه يعني مجمل فتاواه المصرية وغيرها. والله أعلم.

(٤) (ك): «في».

والعمرة المكيَّة[1].

وطواف الحائض[2] وما يتعلّق بذلك= أكثر من مجلّدين[3].

وله مصنَّفات في زيارة القبور هل[4] تُباح للنساء؟

والفرق بين الزّيارة الشرعية والزّيارة [ق١٧] البدعية.

وفي المشاهد متى حدثت، وفي النذور[5] لها[6].

وفي المشهد المنسوب للحسين[7].

وفي قبر علي رضي الله عنه، وغير ذلك= عدة مجلدات[8].

---

(١) قال ابن رشيّق (ص٣٠٤): «قاعدة في العُمَر المكية، وهل الأفضل للمجاور وأهل مكة الاعتمار أو الطواف؟ نحو أربعين ورقة».

(٢) «وطواف الحائض» تأخرت في (ف، ك) إلى بعد «بذلك». وذكر ابن رشيّق (ص٣٠٨) أن للشيخ قاعدة في طواف الحائض.

(٣) في المجلد السادس والعشرين من «مجموع الفتاوى» عدة رسائل تتعلق بالحج ومسائله، منها: «التمتع والقران أيهما أفضل»: (٢٦/ ٣٣-٧٨)، و«منسك شيخ الإسلام»: (٢٦/ ٩٨-١٥٨)، و«طواف الحائض والجنب والمحدث»: (٢٦/ ١٧٦-٢١٧)، و«مسائل في الحيض يبتلى بها النساء في الحج»: (٢٦/ ٢١٩-٢٤٢)، و«العمرة المكية»: (٢٦/ ٢٤٨-٣٠١).

(٤) (ف، ك): «وهل».

(٥) بقية النسخ: «النذر».

(٦) «جامع المسائل-الثالثة»: (٣/ ١١٧-١٤١)، و(الرابعة): (٤/ ١٥٤-١٧١).

(٧) كتب فوقها في (ك): «رض».

(٨) في المجلد السابع والعشرين من «مجموع الفتاوى» عدة رسائل، منها: «[مكان]=

وله في مسألة شدِّ الرِّحال ولوازمها التي حبس ومات في الحبس[1] بسببها شيء كثير، بُيِّض منه مجلدات عديدة[2].

وله في مسائل الطلاق والخُلْع[3] وما يتعلق بذلك من الأحكام شيء كثير ومصنفات عديدة، بيَّض الأصحابُ من ذلك كثيرًا، وكثيرٌ منه لم يبيَّض[4]، ومجموع ذلك نحو العشرين مجلدًا[5].

وله قواعد كثيرة في[6] سائر أنواع العلوم؛ منها:

قاعدة في الصفات والقَدَر تسمى: «تحقيق الإثبات للأسماء والصفات،

= رأس الحسين»: (٢٧/ ٤٥٠-٤٨٩)، و«سؤال القبور ومن يستنجد بها»: (٢٧/ ٦٤-١٠٥) «سؤال عن استجابة الدعاء عند القبور»: (٢٧/ ١٢-١٤٩)، وآخر نحوه: (٢٧/ ١٥١-١٧٩).

(١) بقية النسخ: «السجن». وطمست هي وما بعدها في (ف).

(٢) منها: «الجواب الباهر في زوّار المقابر» طبع مفردًا، وفي «مجموع الفتاوى»: (٢٧/ ٣١٤-٤٤٣). ومنها «الرد على الإخنائي في مسألة الزيارة» طبع في مجلد، وطبع مختصره في «مجموع الفتاوى»: (٢٧/ ٢١٤-٢٨٨). وله ردّ على ابن الزملكاني في المسألة كتاب كبير. ذكر ابن رشيّق (ص٣١١) كتابًا بعنوان: «الدر المنثور في زيارة القبور».

(٣) (ف، ك): «الطلاق ومسائل الخلع».

(٤) (ب، ق): «يبيضوه».

(٥) وقال الصفدي: (ص٣٨١-الجامع): إنها خمسة عشر مجلدًا. وفي المجلد الثالث والثلاثين من «مجموع الفتاوى» عدة رسائل، وكذا في «جامع المسائل-المجموعة الأولى» الرسائل رقم (١٧-٢٢).

(٦) الأصل: «من».

وحقيقةُ الجمع بين القَدَر والشرع»، وهي المعروفة بـ«التدمريَّة»[1].

وقاعـدة في أنَّ مخالفـة الرَّسـول ﷺ لا تكـون إلا عـن[2] ظـنٍّ واتبـاع هوى[3].

وقاعدة في أن الإيمان والتوحيد يشتمل على مصالح الدنيا والآخرة[4].

وقاعدة في إثبات كرامات الأولياء[5].

وقاعدة في أنّ خوارق العادات لا تدل على الولاية[6].

وقاعدة في الصبر والشكر[7].

وقاعدة كبيرة في الرِّضا[8].

---

(١) ذكرها ابن رشيّق (ص٢٩٦). وطبعت مرات، منها طبعة بتحقيق محمد السعوي، في مجلد. وهي في «مجموع الفتاوى»: (٣/ ١-١٢٨).

(٢) سقطت من (ب، ق).

(٣) ذكره ابن رشيق (ص٢٩٧).

(٤) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٧). وفي «جامع المسائل-السادسة»: (٦/ ١٣١-١٩٩) رسالة بعنوان: فصل في أن التوحيد الذي هو إخلاص الدين لله أصل كل خير من علم نافع وعمل صالح.

(٥) قال ابن رشيق (ص٢٩٧): «عشرون ورقة».

(٦) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٧). ولعلها ما في «مجموع الفتاوى»: (١١/ ٣١١-٣٦٢) بعنوان: قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات.

(٧) قال ابن رشيق (ص٢٩٨): «نحو ستين ورقة». وطبع للشيخ في الشكر رسالة في «مجموع الفتاوى» (١/ ١٠٣-١١٨)، وفي: «جامع المسائل-الأولى»: (١/ ١٦٣-١٦٨).

(٨) قال ابن رشيق: (ص٢٩٨): «مجلد لطيف». وطبعت في «جامع المسائل-الثالثة»: (٣/ ٢١١-٢١٧) رسالة صغيرة في الرضا.

وقاعدة في الشُّكر والرِّضا.

وقاعدة في أنَّ كلَّ آيةٍ يحتجُّ بها مبتدع، ففيها[1] دليل على فساد قوله.

وقاعدةٌ في أنَّ كلَّ دليل عقليّ يحتجّ به مبتدع، ففيه دليل على بطلان قوله[2].

وقاعدة في الخلوات، وما يلقيه الشيطان لأهلها من الشُّبَه، والفرق بين الخَلوة الشرعية والبدعية[3].

وقاعدة في الفقراء والصوفية، أيُّهم أفضل؟[4].

وقاعدة في الفقير الصابر والغنيّ الشاكر، أيُّهم[5] أفضل؟[6].

وقاعدة في أهل الصُّفَّة ومراتبهم وأحوالهم[7].

---

(١) (ق): «منها».

(٢) «قوله» سقطت من (ف). قال ابن رشيق (ص٢٩٨): «مائة ورقة». وفي «مجموع الفتاوى»: (٦/ ٢٨٨-٣٣٨): «فصل: فيه قاعدة شريفة، وهي: أن جميع ما يحتجّ به المُبطل من الأدلة الشرعية والعقلية إنما تدل على الحق لا تدل على قول المبطل». فلعله يكون هذا.

(٣) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٨).

(٤) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٨). وطبعت في «مجموع الفتاوى»: (١١/ ٥-٢٤).

(٥) بقية النسخ: «أيهما».

(٦) ذكره ابن رشيّق (ص٣١١). وهو في «مجموع الفتاوى»: (١١/ ١٢٢-١٣٢). وجواب آخر في: (١١/ ١١٩-١٢١).

(٧) طبعت في «مجموع الفتاوى»: (١١/ ٣٧-٧٠).

وقاعدة كبيرة في محبة الله للعبد و محبة العبد لله[1].

وقاعدة في الإخلاص والتوكُّل[2].

وقاعدة في الإخلاص وتقريرُه[3] بالعقل.

وقاعدة في الشيوخ الأحمدية وما يظهرونه[4] من الإشارات[5].

وله قواعد وأجوبة في تحريم السماع أكثر[6] من مجلدين[7].

وقاعدة في شرح أسماء الله الحسنى[8].

---

(١) قال ابن رشيق (ص٢٩٨): «مجلد لطيف». وهي في «جامع الرسائل»: (٢/ ١٩١-٤٠١) تحقيق محمد رشاد سالم.

(٢) قال ابن رشيق (ص٢٩٨): «نحو خمسين ورقة». وذكرها (ص٣٠٤) وقال: «قاعدة في التوكل والإخلاص، نحو أربعين ورقة». فهل هما رسالتان؟ وفي «جامع المسائل-السادسة»: (٦/ ٣-٤٢) رسالة بعنوان: «قاعدة في الإخلاص لله تعالى». وأخرى: «في تحقيق التوكل» طبعت في «جامع الرسائل»: (١/ ٨٥-١٠٠) تحقيق د. محمد رشاد سالم.

(٣) (ف، ك): «وتقديره».

(٤) (ف): «يظهرون».

(٥) قال ابن رشيق (ص٢٩٨): «نحو خمسين ورقة».

(٦) (ف، ك): «أكبر».

(٧) ذكر ابن رشيق رسالتين «قاعدة في تحريم السماع، نحو عشرين ورقة، وتحريم السماع، في مجلد». وقد طبعت عدة رسائل في السماع في «مجموع الفتاوى»: (١١/ ٥٥٧-٥٨٦، ٥٨٧-٦٠٢). وفي «جامع المسائل- الثالثة»: (٣/ ٣٨٧-٣٨٩).

(٨) ذكره ابن رشيق (ص٢٩٩).

وقاعدة في الاستغفار وشرحه وأسراره[1].

وقاعدة في أن[2] الشريعة والحقيقة متلازمان[3].

وقاعدة في الخُلَّة والمحبة أيهما أفضل؟[4]

وقاعدة في العلم المحكم[5].

وقواعد وأجوبة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه[6].

وقاعدة في وجوب نصيحة أولي الأمر والدعاء لهم.

وقاعدة في أحوال الشيخ يونس القُنَيِّي[7]، والشيخ أحمد بن[8]

---

(١) ذكره ابن رشيق (ص٢٩٩). وقد طبع لشيخ الإسلام في مسألة الاستغفار رسالتان في «جامع المسائل-الأولى»: (١/ ١٥٧-١٦٢) بعنوان: «فصل في قوله ﷺ: «سيد الاستغفار...»، وفيها أيضًا: (السادسة): (٦/ ٢٧٣-٢٧٩) بعنوان: «مسألة في الاستغفار».

(٢) «أن» من الأصل.

(٣) ذكره ابن رشيق (ص٢٩٩).

(٤) قال ابن رشيق (ص٢٩٩): «في مجلد».

(٥) قال ابن رشيق (ص٢٩٩): «مجلد».

(٦) قال ابن رشيق (ص٢٩٩):«مجلد». وطبعت في «جامع المسائل- السابعة»: (٧/ ٢٦١ ـ ٢٧١) رسالة بعنوان: مسألة في تقديم عليّ على أبي بكر.

(٧) رسمها في الأصل: «الفيتني»، و(ب، ق، ف): «القنني»، و(ك): «الغيبي». تحريفات، وصوابه ما أثبت نِسبة إلى القُنَيَّة، قرية من أعمال دارا من نواحي ماردين. والشيخ يونس هو ابن يوسف بن مساعد الشيباني المخارقي الجزري، شيخ اليونسية (ت ٦١٩) قال الذهبي: «كان ذا كشف وحال، ولم يكن عنده كبير علم، وله شطح وشعر ملحون...». ترجمته في «السير»: (٢٢/ ١٧٨-١٧٩)، و«وفيات الأعيان»: (٧/ ٢٥٦).

(٨) «بن» ليست في (ف). وهو أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن رفاعة المغربي ثم =

الرِّفاعي.

وقاعدة وأجوبة في عصمة الأنبياء عليهم السلام[1].

وقاعدة في الاستطاعة هل هي مع الفعل[2] أو قبله؟[3]

وقاعدة في العدم واستطاعته[4].

وقاعدة في وجوب العدل على كلّ أحدٍ لكلِّ أحد[5] في كلِّ حال[6].

وقاعدة في فضل السلف على الخَلَف في العلم[7].

وقاعدة في حق الله وحق رسوله ﷺ وحقوق عباده، وما وقع في ذلك من التفريط[8].

= البطحائي، شيخ الرفاعية (ت٥٧٨)، قال الذهبي في «العبر»: (٣/ ٧٥) بعد ثنائه على الرفاعي: «ولكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتارُ العراق؛ من دخول النيران وركوب السباع، واللعب بالحيات. وهذا لا عرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان» اهـ. وانظر «السير»: (٢١/ ٧٨-٨٠)، و«تاريخ الإسلام».

(١) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٠) وعنده: «رسالة في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هل هي من الصغائر؟ وهل يكفر المنازع في تجويز الصغائر عليهم؟ نحو ثلاثين ورقة».

(٢) (ب، ق): «العقل».

(٣) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٠).

(٤) في «جامع المسائل-السادسة»: (٦/ ٢٠١-٢١٥) رسالة في الموضوع.

(٥) «لكل أحد» سقطت من (ف).

(٦) ذكره ابن رشيق (ص٣٠١).

(٧) المصدر نفسه.

(٨) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠١). وفيه: «قاعدة في حق الله وحق عباده، بضع عشرة ورقة». وطبع للشيخ في هذا البحث رسالتان: في «جامع المسائل-الثالثة»: (٣/ ٤٩-٦٥)=

وقاعدة في أنّ مَبدأ العلم الإلهي عند النبي [ق١٨] ﷺ هو الوحي، وعند أتباعه هو الإيمان(١).

وقاعدة في أنَّ الحمد والذمَّ والثواب والعقاب بالجهاد(٢) والحدود تتعلق(٣) بأفعال العباد لا بأنسابهم.

وقاعدة في أنّ كلّ حمد وذمٍّ للمقالات والأفعال لا بد أن يكون بكتاب الله وسنة رسوله(٤).

وقاعدة فيما لكل أمة من الخصائص، وخصائص هذه الأمة(٥).

وقاعدة في الكليَّات(٦).

وقواعد في الفناء والاصطلام(٧).

= بعنوان: «فصل في حق الله وحق عبادته وتوحيده»، وفي (السادسة): (٦/ ٤٣-٦٧) بعنوان: «فصل في حق الله على عباده وقِسمه من أم القرآن».

(١) ذكره ابن رشيق (ص٣٠١).

(٢) كذا بالأصل وغير واضحة في (ق).

(٣) (أ، ف): «يتعلق».

(٤) ذكره ابن رشيق (ص٣٠١).

(٥) ذكره ابن رشيق (ص٣٠١).

(٦) قال ابن رشيق (ص٣٠١): «مجلد لطيف». وفي «جامع المسائل-السابعة»: (٧/ ٤٦٧ ـ ٤٧٥) رسالة بعنوان: «مقاصد الكليات».

(٧) قال ابن رشيق (ص٣٠١): «نحو ثلاثين ورقة». ولعلها ما في «مجموع الفتاوى»: (١٠/ ٣٣٧-٤٤٣) بعنوان: «فصل الفناء الذي يوجد في كلام الصوفية»...وفي «جامع المسائل ـ السابعة»: (٧/ ١٥٧ ـ ١٩٦) رسالة بعنوان: «قاعدة في الفناء والبقاء».

وقاعدة في العلم والحلم[1].

وقاعدة في الاقتصاص من الظالم[2] بالدعاء وغيره، وهل هو أفضل من العفو؟[3]

وله قاعدتان في قُرْب الرَّب من عابديه وداعيه[4].

وقاعدة في تزكية النفوس[5].

وقاعدة في[6] كلام ابن العريف في التصوّف[7].

وقاعدة في الصراط المستقيم في الزهد والورع[8].

---

(١) قال ابن رشيق (ص٣٠١): «نحو عشرين ورقة».

(٢) بقية النسخ: «المظالم».

(٣) قال ابن رشيق (ص٣٠٢): «مجلد».

(٤) ذكر ابن رشيق (ص٣٠٠) رسالة واحدة وقال: «مجلد لطيف».

(٥) (ف، ك): «النفس». قال ابن رشيق (ص٣٠٢): «نحو ثلاثين ورقة». وهي ضمن «مجموع الفتاوى»: (١٠/ ٦٢٥-٦٤٠). ونشرها د. محمد القحطاني مفردة، وفيها زيادات عما في الفتاوى.

(٦) بقية النسخ): «على».

(٧) قال ابن رشيق (ص٣٠٢): «كراسة». وتحرّفت فيه إلى «ابن الشريف». وابن العريف هو: أبو العباس أحمد بن محمد ابن عطاء الله الصنهاجي الصوفي (ت٥٣٦) له كتاب «محاسن المجالس» في التصوف. انظر «الصلة»: (١/ ٨١)، و«السير»: (٢٠/ ١١١-١١٤).

(٨) قال ابن رشيق: «نحو ثلاثين ورقة»، وهي في «مجموع الفتاوى»: (١٠/ ٥٦٨-٦٢٤).

وقاعدة في الإيمان والتوحيد، وبيان ضلال من ضل[1] في هذا الأصل[2].

وقاعدة في أمراض القلوب وشفائها[3].

وقاعدة في السياحة ومعناها في هذه الأمة[4].

وقاعدة في خُلَّة إبراهيم الخليل عليه السلام، وأنه الإمام المطلق[5].

وقواعد[6] في الشهادتين[7].

وقواعد كثيرة فيمن امْتُحِنَ في الله وصبر[8].

وقاعدة في الصفح الجميل والهجر الجميل[9].

وقاعدة فيما يتعلَّق بالوسيلة بالنبي ﷺ، والقيام بحقوقه الواجبة على

---

(١) (ف): «... في الإبان والتوحيد وبيان من ضل».

(٢) ذكره ابن رشيق (ص٣٠٢).

(٣) قال ابن رشيق (ص٣٠٢): «نحو أربعين ورقة». وقد طبعت ضمن «مجموع الفتاوى»: (١٠/ ٩١-١٤٨).

(٤) ذكره ابن رشيق (ص٣٠٢).

(٥) ذكره ابن رشيق (ص٣٠٢).

(٦) (ف، ك): «عدة في».

(٧) عند ابن رشيق (ص٣٠٠): «كتاب في الشهادتين وما يتبع ذلك، في مجلد».

(٨) (ب): «امتحن وصبر». ذكره ابن رشيق (ص٣٠٣) وعند: قاعدة فيمن...

(٩) (ف): «في الصبر و...». ذكره ابن رشيق (ص٣٠٣) وفيه زيادة: «والصبر الجميل». وهي في «مجموع الفتاوى»: (١٠/ ٦٦٦-٦٧٧).

أُمَّته في كل زمان ومكان، وبيان خصائصه التي امتاز بها على جميع العالمين، وبيان فضل أمته على جميع الأمم[1].

وقاعدة[2] تتعلق بالصبر المحمود والمذموم[3].

وقاعدة تتعلق برحمة الله تعالى في إرسال محمد ﷺ، وأن إرساله أجلّ النعم[4].

وقاعدة في الشكر لله، وأنه يتعلق بالأفعال الاختيارية[5].

وقاعدة في المقربين هل يسألهم مُنكرٌ ونكير.

وقاعدة في الفتوَّة الاصطلاحية وأنه ليس لها أصل في الأحكام الشرعية[6].

وقاعدة في الكلام على المُرْشدة التي ألفها ابن التومرت[7].

وله أجوبة تتعلق بها أيضًا.

وقاعدة في كلام الجُنَيد لما سئل عن التوحيد فقال: [8] إفراد

---

(١) (ف): «الأمة». ذكره ابن رشيق (ص٣٠٣).

(٢) (ف): «وكذا قاعدة».

(٣) ذكرها ابن رشيق (ص٣٠٣).

(٤) نفسه.

(٥) ذكرها ابن رشيق (٣٠٣). وللمصنف عدة رسائل في الشكر كما سيأتي، وقد طبعت له رسالة في «جامع الرسائل»: (١/ ١٠١-١١٨) تحقيق محمد رشاد سالم.

(٦) طبعت رسالة في هذا البحث في «جامع المسائل-الأولى»: (١/ ١٧٥-١٨٠).

(٧) ذكرها ابن رشيّق (ص٣٠٤). وهي في «مجموع الفتاوى»: (١١/ ٤٧٦-٤٩١).

(٨) بقية النسخ: «هو إفراد».

الحدوث عن القِدَم[1].

وقاعدة في التسبيح والتحميد والتهليل[2].

وقاعدة في أن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته[3].

وقاعدة في الكلام على قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ...﴾ الآية [البقرة:٢١]، تسمى: «العبودية»، وهي جليلة القدر[4].

وقاعدة فيما أحدثه[5] الفقراء المجرَّدون.

وقاعدة في القدرية وأنهم ثلاثة أقسام مجوسية ومشركية وإبليسية[6].

وقاعدة في بيان طريقة القرآن في الدعوة والهداية النبوية، وما بينها[7] وبين الطريقة الكلامية والطريقة الصوفية[8].

وقاعدة في وصية لقمان لابنه[9].

وقاعدة في تسبيح المخلوقات من الجمادات وغيرها، هل هو بلسان

---

(١) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٤).

(٢) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٤).

(٣) بعده في (ك) زيادة: «وقاعدة في الكلام». ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٤).

(٤) طبعت في «مجموع الفتاوى»: (١٠/ ١٤٩-٢٣٦). وطبعت مستقلة مرات.

(٥) (ق): «أحدثته».

(٦) لعلها ما في «مجموع الفتاوى»: (٨/ ٢٥٦-٢٦١).

(٧) (ف): «بينهما».

(٨) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٤).

(٩) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٤).

الحال أم لا؟[١].

وقاعدة تعرف بـ «الصعيدية» تتعلق[٢] بالثنوية[٣].

وقاعدة في لباس الخرقة هل له أصل شرعي؟ وفي الأقطاب ونحوهم[٤].

وقاعدة [ق١٩] في القضايا الوهمية[٥].

وقاعدة فيما يتناهى وما لا يتناهى[٦].

وقاعدة في الخُلْطة والعُزلة[٧].

وقاعدة في مشايخ العلم ومشايخ الفقراء أيّهم أفضل؟[٨].

وقاعدة في تعذيب المرء[٩] بذنب غيره[١٠].

---

(١) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٤).

(٢) (ق): «وقاعدة في». (ب): «بالصعيدية الثنوية».

(٣) عند ابن رشيّق (ص٢٩٨): «بالتوبة». والثنوية: فرقة يقولون: إن العالم صادر عن أصلين: النور والظلمة، والنور إله الخير المحمود، والظلمة إله الشر المذموم. «الملل والنحل»: (ص ٢٤٥)، و«الجواب الصحيح»: (١/ ٣٥١).

(٤) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٨). وفي «جامع المسائل ـ الثامنة» سؤال عن الخرقة.

(٥) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٧).

(٦) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٧).

(٧) عند ابن رشيّق (ص٣٠٥): «قاعدة في السياحة والعزلة، وفي الفقر والتصوف، هل هما اسمان شرعيان». وفي «مجموع الفتاوى»: (١٠/ ٤٢٥ ـ ٤٢٩) جواب عن العزلة والخلطة.

(٨) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٥).

(٩) (ف، ك): «المريد»!

(١٠) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٥).

وقاعدة في قوله ﷺ: «ستفترق أُمَّتِي على ثلاث وسبعين فرقة»[1].

وقاعـدة في أن جِمـاع الحـسنات العـدل، وجِمـاع الـسيئات الظلـم، ومراتب الذنوب في الدنيا[2].

وقاعـدة في أن[3] الحـسنات تعلَّـل بعلَّتـين: جلـب المنفعـة ودفـع المضرة، والسيئات بالعكس[4].

وقاعدة في فضائل عشر ذي الحجة[5].

وقاعدة في رسالة النبي ﷺ إلى الجن والإنس[6].

وقاعدة في أن جميع البدع ترجع إلى شعبة من شعب الكفر[7].

وقاعدة[8] في الكلام على السنة والبدعة، وأنَّ كلَّ بدعة ضلالة[9].

---

(١) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٩). وطبع في «مجموع الفتاوى»: (٣/ ٣٤٥-٣٥٨).

(٢) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٥). ولعله ما في «مجموع الفتاوى»: (١/ ٨٦ ـ ٩٦).

(٣) «أن» ليست في (ب، ق).

(٤) لعلها ما في «مجموع الفتاوى»: (٢٠/ ١٩٢ ـ ١٩٥)، وفيه أيضًا: (٢٠/ ٤٨ ـ ٨٤) رسالة بعنوان: «تعارض الحسنات والسيئات».

(٥) قال ابن رشيّق (ص٣٠٥): «وذكر نحو عشرين فضيلة».

(٦) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٥). ولعلها ما في «جامع المسائل-الثالثة»: (٣/ ٢٢٧-٢٤٣) بعنوان: «قاعدة في شمول آي الكتاب والسنة والإجماع أمر الثقلين الجن والإنس». ونحوها رسالة في «مجموع الفتاوى»: (١٩/ ٩ ـ ٦٥).

(٧) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٥).

(٨) (ف، ك): «وقواعد».

(٩) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٦).

وقاعدة في الإجماع، وأنه ثلاثة أقسام[1].

وقاعدة كبيرة في أصول الفقه غالبها نقل أقوال الفقهاء.

وقاعدة فيما يُظَنّ من تعارض النصّ والإجماع[2].

وقواعد[3] فقهية في مسائل من النذور والأيمان[4].

ونكاح الشِّغار، وما يستقرُّ به المهر، ونحو ذلك= مجلد.

وقواعد في المغالبات وما يحلّ من الرّهن، وهل يفتقر إلى محلِّل؟ مجلد.

وقواعد في المائعات والمياه[5] وأحكامها[6].

وفي الميتة إذا وقعت في المائعات[7].

والكلام على حديث القلتين، وما يتعلق بذلك= شيء كثير.

وقواعد في الوقف، وشروط الواقفين، وما يعتبر منها، وفي إبداله بأجود منه، وفي بيعه عند تعذُّر الانتفاعِ ونحو ذلك، أكثر من مجلد[8].

---

(١) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٥).

(٢) ابن رشيق (ص٣٠٦).

(٣) (ب، ق): «وقاعدة».

(٤) عند ابن رشيّق (ص٣٠٧): «قواعد في مسائل من النذور والضمان (كذا ولعلها: الأيمان)».

(٥) ساقط من (ب، ق).

(٦) قال ابن رشيّق (ص٣٠٧): «نحو ستين ورقة».

(٧) قال ابن رشيّق (ص٣٠٧): «نحو عشرين ورقة».

(٨) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٧).

وقاعدة كبيرة في تفضيل[1] مذهب الإمام أحمد وذِكْر محاسنه، نحو مجلد[2].

وقاعدة في تفضيل مذهب[3] أهل المدينة تسمى: «المالكية»[4].

وقواعد في الاجتهاد والتقليد[5].

وفي الأسماء التي علّق الشارعُ بها الأحكام، مجلد[6].

وقواعد في المجتهد في الشريعة، هل يأثم إذا أخطأ الحقَّ؟ وهل المصيب واحد؟ ونحو ذلك، أكثر من مجلد[7].

وقاعدة في الاستحسان[8].

---

(١) سقطت من (ب).

(٢) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٧).

(٣) سقطت من (ب، ق).

(٤) قال ابن رشيّق (ص٣٠٨): «نحو خمسين ورقة». وهي في «مجموع الفتاوى»: (٢٠/ ٢٩٤-٣٩٦) باسم: «صحة مذهب أهل المدينة».

(٥) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٨) وقال: قواعد... وفي «مجموع الفتاوى»: (١٩/ ٢٦٠-٢٧٩) رسالة في الموضوع.

(٦) في «مجموع الفتاوى»: (١٩/ ٢٣٥-٢٥٩) رسالة بعنوان: «الأسماء التي علق الله بها الأحكام في الكتاب والسنة».

(٧) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٨). وفي «مجموع الفتاوى»: (١٩/ ٢٠٣-٢٢٧) رسالة في ذلك.

(٨) (ب، ق): «وقواعد في...»، (ف، ك): «الإحسان» تحريف. نشرها الأستاذ محمد عزير شمس مفردة، ثم ضمت إلى «جامع المسائل-الثانية»: (٢/ ١٧-٢٢٨).

وقاعدة[1] في شمول النصوص للأحكام[2].

وقاعدة في تقرير القياس في[3] مسائل عدة، والردّ على من يقول: هي على خلاف القياس[4].

وقاعدة في شرح رسالة ابن عبدوس[5]. وهي متضمّنة لكلام الإمام أحمد في أصول الدين.

وقاعدة في لعب الشِّطْرَنْج، وأنه حرام[6].

وقواعد كثيرة في السفر الذي يجوز فيه القصر والفطر، هل له حدٌّ[7].

وفي الجمع بين الصلاتين[8].

وفي ذوات الأسباب هل تُصلَّى في وقت النهي؟[9].

---

(١) (ب، ق): «وقواعد».

(٢) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٨). وطبعت في «جامع المسائل-الثانية»: (٢/ ٢٣١-٣٤٩). وفي «مجموع الفتاوى»: (١٩/ ٢٨٠ ـ ٢٨٩) جواب في المسألة.

(٣) (ق): «وقاعدة في مسائل».

(٤) للمؤلف رسالة في القياس في «مجموع الفتاوى»: (٢٠/ ٥٠٤-٥٨٥).

(٥) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠١).

(٦) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٨) وليس فيه: «وأنه حرام». ولعله ما في «مجموع الفتاوى»: (٣٢/ ٢١٦ ـ ٢٣٩).

(٧) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٨) بلفظ: قاعدة... وفي «مجموع الفتاوى»: (٢٢/ ٧٧ ـ ٩٢، ٢٤/ ٣٣ ـ ١٦٢) رسائل تتعلق بذلك.

(٨) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٨). وفي «جامع المسائل-السادسة»: (٦/ ٣١٩-٣٦٧) رسالة بعنوان: «فصل في المواقيت والجمع بين الصلاتين».

(٩) في «مجموع الفتاوى»: (٢٣/ ١٧٨ ـ ٢١٨) رسالتان في هذه المسألة.

وفي مواقيت الصلاة[1].

وفي أن أول ما يحاسب به العبد الصلاة.

وفي تارك الصلاة وفي[2] تفصيل القول فيه.

وفي أن الصلاة أول الأعمال.

وفي تارك الطمأنينة= وذلك شيء كثير جدًّا[3].

وقواعد في الكنائس وأحكامها، وما يجوز هدمُه منها وإبقاؤه، وما يجب هدمه[4]، وأجوبة نحو مجلَّدين[5] تتعلق بذلك[6].

وقواعد في رجوع المغرور على من غرَّه[7].

وفي استقرار الضمان.

---

(١) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٩). وفي «جامع المسائل-السادسة»: (٦/ ٣١٩-٣٦٧) رسالة بعنوان: «فصل في المواقيت والجمع بين الصلاتين».

(٢) من الأصل فقط. وانظر «جامع المسائل ـ الرابعة»: (٤/ ١٠٢ ـ ١٢٦، ١٣٩ ـ ١٤٥).

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٥٢٦ ــ ٦٠٠)، و«جامع المسائل ــ السادسة»: (٦/ ٢٨١-٢٩٨).

(٤) (ف، ك): «هده».

(٥) (ف، ك): «تتعلق بذلك نحو مجلدين».

(٦) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٩) بعنوان: «قاعدة في الكنائس وما يجوز هدمه منها، في مجلد». وطبعت رسالة في الكنائس ضمن «مجموع الفتاوى»: (٢٨/ ٦٣٢-٦٤٦)، ثم حققها د. علي الشبل واستدرك سقطًا في آخرها. ورسالة أخرى في «جامع المسائل-الثالثة»: (٣/ ٣٦١-٣٦٩) وأصلها ساقه ابن القيم في «أحكام أهل الذمة».

(٧) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٦).

وفي بيع الغرر، والشروط[1] في البيع والنكاح وغير ذلك، نحو مجلد[2].

وقاعدة في فضائل الأئمة الأربعة، وما امتاز به كلُّ إمام من الفضيلة[3].

وقاعدة في مقدار الكفَّارة في اليمين[4].

وقاعدة في لفظ الحقيقة والمجاز، وفي العام إذا خُصّ هل يكون حقيقةً أو مجازًا؟ والبحث مع السيف الآمدي في ذلك[5].

وقاعدة كبيرة[6] في أنّ جنس فعل المأمور[7] به أفضل من جنس تَرْك المنهيّ عنه[8].

وقاعدة في طهارة بول ما يُؤكَل لحمُه، ذكر فيها نحو ثلاثين حُجَّة على ذلك[9].

---

(١) (ف، ك): «الشرط».

(٢) (ب): «مجلدين».

(٣) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٦).

(٤) قال ابن رشيّق (ص٣٠٦): «نحو خمسين ورقة». وفي «مجموع الفتاوى»: (٣٥/ ٢٤١ ـ ٣٥٣) قواعد وفصول في الأيمان.

(٥) قال ابن رشيّق (ص٣٠٦): «نحو ثمانين ورقة». وللشيخ بحوث في الحقيقة والمجاز انظر «مجموع الفتاوى»: (٢٠/ ٤٠٠-٤٩٧).

(٦) (ب، ق): «وقواعد». (ق): «كثيرة».

(٧) (ف، ك): «جنس فعل...».

(٨) قال ابن رشيّق (ص٣٠٧): «في مجلد لطيف». وطبعت ضمن «مجموع الفتاوى»: (٢٠/ ٨٥-١٥٨).

(٩) قال ابن رشيّق (ص٣٠٧): «نحو سبعين ورقة». ولعلها ما في «مجموع الفتاوى»: (٢١/ ٥٣٤ ـ ٦٠٣).

وقاعدة في في تطهير العبادات[1] من الفواحش والمنكرات.

وقواعد وأجوبة في تحريم نكاح الزانية[2].

وقاعدة في معاهدة[3] الكفار المُطْلَقة والمقيَّدة[4].

وقاعدة في مفطِّرات الصائم[5].

وقاعدة فيما شرعه الله تعالى بوصف العموم والإطلاق، هل يكون مشروعًا بوصف الخصوص والتقييد[6].

وقاعدة في أن العامِّي هل يجب عليه تقليد[7] مذهب معيَّن أم لا؟[8].

وقاعدة في تعليق العقود والفسوخ بالشرط.

وقاعدة في الجهاد والترغيب فيه[9].

وقاعدة في ذمّ الوَسْواس[10].

---

(١) زاد في المطبوع: «النفس».

(٢) انظر «مجموع الفتاوى»: (٣٢/ ١٠٩ ـ ١٣٤).

(٣) (ف، ك): «معاهد».

(٤) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٧).

(٥) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٨). وانظر «مجموع الفتاوى»: (٢٥/ ٢١٩ ـ ٢٥٨).

(٦) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٨). وانظر «مجموع الفتاوى»: (٢٠/ ١٩٦ ـ ١٩٨).

(٧) «تقليد» سقطت من (ب، ق).

(٨) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٩). ولعلها ما في «مجموع الفتاوى»: (١٩/ ٢٦٠ ـ ٢٧٩).

(٩) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٨). ولعلها ما في «مجموع الفتاوى»: (٢٨/ ٧ ـ ٢٥)، و«جامع المسائل ـ الخامسة»: (٥/ ٣٣٧ ـ ٣٧٩).

(١٠) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٩).

وقاعدة في الأنبذة والمُسْكرات[1].

وقاعدة في الحِسْبة[2].

وقاعدة في المسألة الشُّريحية[3].

وقاعدة في حلِّ الدَّور، ومسائل في[4] الجبر والمقابلة[5].

وقاعدة في أنّ كلّ عمل[6] صالح أصله اتباع النبي ﷺ[7].

وقاعدة في الأطعمة وما يحلّ منها وما يحرُم، وتحرير الكلام على الطيّبات والخبائث[8].

وقاعدة في اشتراط التسمية على الذبائح والصيد[9].

وقاعدة في دم الشهداء ومِداد العلماء، تتضمَّن[10] أيّ الطائفتين

---

(1) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٩). وانظر «مجموع الفتاوى»: (٣٤/ ١٨٦ ـ ١٩٢ و٢٠٤ ـ ٢١٠).

(2) ذكرها ابن رشيّق (ص٣٠٩). وهي في «مجموع الفتاوى»: (٢٨/ ٦٠-١٢٠).

(3) بقية النسخ: «السريجية». وكذا عند ابن رشيّق (ص٣٠٩).

(4) ليست في (ف، ك).

(5) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٩).

(6) «عمل» سقطت من (ب، ق).

(7) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٨). ولعله ما في «جامع المسائل ـ الخامسة»: (٥/ ٢٠٧ ـ ٢٣٨) و(٦/ ١٣١ ـ ١٩٩).

(8) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٨) وليس في: «وتحرير...».

(9) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٨). وفي «جامع المسائل-السادسة»: (٦/ ٣٧٥-٣٨٩) رسالة بعنوان: «مسألة في التسمية على ذكاة الذبيحة».

(10) (ف، ك): «يتضمن». وسقطت من (ب، ق).

أفضل؟[1]

وقاعدة في الانغماس في العدوِّ هل[2] يباح؟[3]

وقاعدة في ضمان البساتين[4] هل يجوز أم لا؟[5]

وله قواعد في النهي هل يقتضي فساد المنهي عنه؟

وقاعدة في زكاة مال الصبي.

وقاعدة في الإيمان المقرون بالإحسان، وفي الإحسان المقرون بإسلام[6] الوجه.

وقاعدة في اقتران الإيمان بالاحتساب[7].

وقواعد[8] وأجوبة في النجوم هل لها تأثير عند الاقتران والمقابلة وفي الكسوف؟ وهل[9] يُقبل قول المنجمين فيه؟ و[10] في رؤية الهلال ونحو

(١) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٨).

(٢) (ب، ق، ك): «وهل».

(٣) طبعت في «جامع المسائل-الخامسة»: (٥/ ٣٠٧-٣٣٤).

(٤) سقطت من (ب، ق).

(٥) طبعت في «جامع المسائل-السادسة»: (٦/ ٤٠٥-٤٢٢).

(٦) (ك): «بالإسلام».

(٧) كذا في الأصول وكتاب ابن رشيق (ص٣٠٣)، وفي هامش (ك): «لعله: الإحسان».

(٨) (ف، ك): «وقاعدة».

(٩) (ف، ك): «هل».

(١٠) «فيه و» سقطت من (ب، ق).

ذلك، نحو مجلد[1].

وقاعدة في الأقراء هل هي الحيض أو الأطهار؟ واختار أنها الحيض.

وقاعدة في الشُّكر[2] وأسبابه وأحكامه.

وقاعدة في الاستفتاحات في الصلاة[3].

وقاعدة تتضمَّن ذِكر ملابس النبي ﷺ وسلاحه ودوابه، وهي «القرمانية»[4].

وقاعدة تتعلق بمسائل من التيمُّم والجمع بين الصلاتين، تسمى: «تيسير العبادات لأرباب الضرورات»[5].

وقاعدة في النُّصَيرية وحكمهم[6].

وقاعدة في تحريم الشبَّابة[7].

[ق٢١] وقاعدة في العقود اللازمة والجائزة.

---

(١) للشيخ رسالة في الهلال في «مجموع الفتاوى»: (٢٥/ ١٢٦-٢٠٢).

(٢) (ك): «السكر»! وسبق ذكر بعض المؤلفات في الشكر (ص ٧٠).

(٣) هي ضمن «مجموع الفتاوى»: (٢٢/ ٣٧٦-٣٩٧)، ونشرها الشيخ عبد الصمد شرف الدين عام ١٣٨١هـ بالهند.

(٤) طبعت ضمن «جامع المسائل-السابعة»: (٧/) بتحقيقي.

(٥) طبعت مفردة، وهي في «مجموع الفتاوى»: (٢١/ ٤٤٩-٤٦٢، ٢٤/ ١٠-١٣).

(٦) طبعت في «مجموع الفتاوى»: (٣٥/ ١٤٥-١٦٠) بعنوان: «فتوى في النصيرية».

(٧) في (ق) بين الأسطر: (وهو الميراع). والشبّابة: نوع من المزامير يُصنع من القصب، وينفخ فيه. انظر «تكملة المعاجم»: (٦/ ٢٣١)، و«مقدمة ابن خلدون»: (٢/ ٨٩١).

وله قاعدة جليلة في وجوب الاعتصام بالرسالة، وأنّ كلّ خير في العالم فأصله متابعة الرّسل، وكلّ شرّ فمن مخالفتهم، إما جهلًا أو عمدًا[1].

وقاعدة في تحزيب القرآن وما يتعلق بذلك وما ورد فيه من الآثار[2].

وقاعدة في الكلام على الممكن.

وقاعدة في ذبائح أهل الكتاب[3].

وقاعدة في تعليل الأفعال[4].

وقاعدة في الكلام على العِدَد.

وله رسائل تشتمل على علوم كثيرة منها:

رسالة كتبها إلى الشيخ نصر المَنْبِجي[5]، تسمى «المصرية»[6].

ورسالة كتبها إلى الشيخ شمس الدين الدِّباهي تسمى «المدنيَّة»[7].

---

(١) وهي في «مجموع الفتاوى»: (١٩/ ١٩٣-١٠٥). وفيه رسالة أخرى أيضًا (١٩/ ٦٦-٧٥) بعنوان: «الاكتفاء بالرسالة والاستغناء بالنبي عن اتباع ما سواه».

(٢) لعلها ما في «مجموع الفتاوى»: (١٣/ ٤٠٥ ـ ٤١٦).

(٣) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٦).

(٤) قال ابن رشيّق (ص٢٩٦): «جواب في تعليل مسألة الأفعال، نحو ستين ورقة».

(٥) «نصر» سقطت من (ب، ق)، و(ك): «المنيحي» تحريف.

(٦) هذه الرسالة تأخرت في باقي النسخ على التي تليها. ذكرها ابن رشيّق (ص٣١٠) ولم يذكر إلى من أرسلت. وهي في «مجموع الفتاوى»: (٢/ ٤٥٢-٤٧٩).

(٧) ذكرها ابن رشيّق (ص٣١٠) ولم يذكر إلى من أرسلت. وهي في «مجموع الفتاوى»: (٦/ ٣٥١-٣٧٣). وحققها مفردة د. الوليد الفريان.

ورسالة كتبها إلى أهل بغداد.

ورسالة كتبها إلى أهل البصرة.

ورسالة كتبها إلى القاضي شمس الدين السَّروجي قاضي الحنفية بمصر[1].

ورسائل[2] إلى غيره من القضاة والعلماء.

ورسالة كتبها إلى بيت الشيخ عديّ بن مُسافر، تسمى «العدوية»[3].

ورسالة كتبها إلى [بيت][4] الشيخ جاكير[5].

وأرسل إليهم أجوبةً في مجلد غير الرسالة.

ورسالة كتبها إلى ملك قبرص في مصالح المسلمين، تتضمن علومًا[6].

---

(١) ذكر هذه الرسائل ابن رشيّق (ص٣١٠).

(٢) (ب، ق): «ورسالة». زاد في (ب): «كتبها».

(٣) قال ابن رشيّق (ص٣٠٣): «بقدر أربعين ورقة» وأعاد ذكرها (ص٣١٠). وهي في «مجموع الفتاوى»: (٣/ ٣٦٣-٤٣٠). وتسمى أيضًا: «الوصية الكبرى».

(٤) من بقية النسخ.

(٥) (ق): «جاكريه». ذكرها ابن رشيّق (ص٣١٠). والشيخ جاكير هو: محمد بن دشم (وقيل غير ذلك) الكردي الحنبلي، وجاكير لقب، من مشايخ العراق، صاحب أحوال وتأله (ت٥٩٠). انظر «السير»: (٢١/ ٢٦١)، و«طبقات الأولياء»: (ص٤٢٥) وجعل وفاته سنة (٦٧٩).

(٦) (ف، ك) زيادة: «نافعة». ذكرها ابن رشيّق (ص٣١١). وهي في «مجموع الفتاوى»: (٢٨/ ٦٠١-٦٣٠). وذكر ابن رشيق (ص٣٠٣) رسالة أخرى بعنوان: «رسالة لأهل قبرص تتضمن قواعد دينية أصولية، بقدر ثلاثين ورقة».

وله رسائل[1] إلى البحرين[2].

وإلى ملوك العرب.

وإلى ثغور الشام، إلى طرابلس وغيرها تتعلَّق بمصالح[3] المسلمين.

وأجوبة عن مسائل كُتِبت إليه في أمرٍ[4] بمعروف ونهيٍ عن منكر.

ورسالة لأهل[5] تدمر[6].

ورسائل للملوك: ملك مصر، وملك حماة، وغيرهما[7].

ورسائل[8] إلى الأمراء الكبار[9].

ورسالة إلى طبرستان وجيلان[10].

---

(١) (ب، ق): «رسالة».

(٢) طبعت رسالته إلى أهل البحرين في «مجموع الفتاوى»: (٦/ ٤٨٥-٥٠٦، و٢٤/ ١٦٣-١٧٦).

(٣) (ب، ق، ف): «وغيرها بمصالح تتعلق بالمسلمين».

(٤) ليست في (ف، ك).

(٥) (ب، ق): «إلى أهل».

(٦) ذكرها ابن رشيّق (ص٣٠٥). وهي غير «التدمرية» التي سبق ذكرها (ص٦٣).

(٧) ذكر رسائله إلى ملوك العرب ومصر وحماة ابن رشيّق (ص٣١١). ورسالته إلى ملك مصر (الملك الناصر) موجودة في كتابنا بتمامها (ص٢٣٧ ــ ٢٤٩). وفي «مجموع الفتاوى»: (٢٨/ ٣٩٨ـ٤٠٩).

(٨) (ب، ق): «رسالة».

(٩) مثل الأمير سنقر شاه، والأمير آقش المنصوري، والأمير حسام الدين لاجين.

(١٠) الأصل: «طوستان» تحريف. وسقطت «جيلان» منه وهي في بقية النسخ. ذكر ابن رشيّق (ص٣٠٣) أن له «رسالة في الأصول لأهل جيلان، نحو خمسين ورقة». وفي =

ورسائل كثيرة كتبها إلى الصُّلحاء من إخوانه من مصر إلى دمشق، ومن دمشق إلى غيرها، ومن السجن= شيء كثير يحتوي على مجلدات عدة[1].

وله من الكلام على مسائل العلوّ والاستواء والصفات الخبرية، وما يتعلّق بذلك من الردِّ على الجهمية والقدرية والجبرية وغيرهم من أهل الأهواء والبدع، ما يشتمل على مجلدات كثيرة.

وله من الكلام على فروع الفقه والأجوبة المتعلقة بذلك شيء كثير يشقُّ إحصاؤه ويعسُر ضبطُه.

ومن مؤلفاته:

الكلام على دعوة[2] ذي النون، في مجلَّد لطيف[3].

وكتاب فيه الكلام على إرادة الرب تبارك وتعالى وقدرته، وتحرير القول في ذلك على كلام الرازي في «المطالب العالية»[4].

= «جامع المسائل ـ السابعة»: (٧/ ٣٨٩ ـ ٣٩٣) ورقات في عقيدة أهل كيلان.

(١) انظر بعض رسائله إلى والدته والتشوّق إليها وسبب بقائه في مصر، وإلى أصحابه وإخوانه في طلب بعض الكتب من بيته، وخصّ منهم الحافظ جمال الدين المزي، وفي الوصية بهم وإصلاح ما بينهم، وألا يؤذى أحد بسبب الشيخ. انظرها فيما سيأتي من هذا الكتاب (ص ٣١٨ فما بعدها)، وفي «مجموع الفتاوى»: (٢٨/ ٣٠-٥٩). وأفردت في رسالة مستقلة.

(٢) «دعوة» ليست في (ف).

(٣) طبعت في «مجموع الفتاوى»: (١٠/ ٢٣٧-٣٣٦).

(٤) قال ابن رشيّق (ص٢٩٦): «نحو مائة ورقة». و«المطالب العالية» في علم الكلام للرازي مطبوع في ثلاثة مجلدات. وانظر «مجموع الفتاوى»: (٨/ ٧ ـ ٥٧).

ومسألة في العلوّ، أجاب فيها عن شُبَه المخالفين، وهي مفيدة[1].

وأخرى في الصفات تسمى: «المرّاكشية»، وتشتمل على نقول كثيرة[2].

وقاعدة تتضمن صفات الكمال وما الضابط فيها، مما يستحقّه الربُّ عزّ وجل، تسمّى «الأكمليّة»[3].

والإحاطة الكبرى.

والإحاطة الصغرى[4].

وعقيدة الفرقة الناجية، وتعرف بـ «الواسطية»[5].

والجواب عما أُورِدَ عليها عند المناظرة بقصر الإمارة بدمشق[6].

---

(١) لعلها ما ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٦): «فتيا في مسألة العلو، نحو خمسين ورقة». وقد طبعت عدة رسائل في العلو في «مجموع الفتاوى»: (٥/ ١٢١-١٣٥، ١٣٦-١٥٢). وفي «جامع المسائل-الأولى»: (١/ ٦١-٦٤)، و(الثالثة): (٣/ ١٨١-١٩١) وأخرى: (٣/ ١٩٣-٢٠٨)، و(السابعة): (٧/ ٣٤٣ ـ ٣٥١).

(٢) قال ابن رشيّق (ص٢٩٦): «خمسون ورقة». وهي في «مجموع الفتاوى»: (٥/ ١٥٣-١٩٣).

(٣) قال ابن رشيّق (ص٢٩٦): «نحو ستين ورقة» . وهي في «مجموع الفتاوى»: (٦/ ٦٨-١٤٠).

(٤) في فهرس «مجموع الفتاوى»: (٦/ ٦٢٦) ذكر أن رسالة العرش تسمى أيضًا: «الإحاطة». وسيأتي ذكر الرسالة العرشية (٩٨).

(٥) قال ابن رشيّق (ص٢٩٦): «نحو ثلاثين ورقة». طبعت مرارًا، وهي في «مجموع الفتاوى»: (٣/ ١٢٩-١٥٩).

(٦) طبع في «مجموع الفتاوى»: (٣/ ١٦٠-١٩٣).

والكلام على حديث عِمران بن حُصين الذي فيه: «جئنا نسألك عن أول هذا الأمر». وهو [ق٢٢] مؤلف مفيد(١).

والكلام على حديث عبد الله بن خليفة عن عمر(٢)، وهل هو ثابت أم لا؟ وأيّ ألفاظه هو المحفوظ؟

وكتابٌ في نزول الرَّب تبارك وتعالى كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا، والجواب عن اختلاف وقته(٣) باختلاف البلدان والمطالع(٤).

وجواب في اللقاء وما ورد فيه(٥) في القرآن وغيره(٦).

وجواب في الاستواء والنزول هل هو حقيقة أم لا؟ تسمى «الإربلية»(٧).

---

(١) طبع في «مجموع الفتاوى»: (١٨/ ٢١٠-٢٤٣).

(٢) وهو: أن امرأة أتت إلى النبي ﷺ فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة، قال: فعظّم الرب وقال: إنّ كرسيه وسع السماوات والأرض، وإن له أطيطًا كأطيط الرحل الجديد إذا رُكب من ثِقَله». أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٤)، وابن خزيمة (١/ ٢٤٥)، والبزار (٣٢٥). وانظر كلام ابن تيمية عليه في «الفتاوى»: (١٦/ ٤٣٤-٤٣٥).

(٣) (ب): «فيه».

(٤) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٠) وفيه: «مسألة الزوال..» خطأ وصوابه: النزول. وهو في «مجموع الفتاوى»: (٥/ ٣٢١ ـ ٥٨٢)، وحققه د. محمد الخميس، وطبع مفردًا بعنوان «شرح حديث النزول».

(٥) «فيه» ليست في (ف، ك).

(٦) قال ابن رشيّق (ص٣٠٠): «نحو عشرين ورقة». وهو في «مجموع الفتاوى»: (٦/ ٤٦١-٤٨٤).

(٧) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٠). ولعله ما في «مجموع الفتاوى»: (٥/ ١٩٤-٢١٣) وبقيتها في (٢٠/ ٢١٧-٢١٩).

وجواب في الاستواء وإبطال قول من تأوَّلَه بالاستيلاء، من نحو عشرين وجهًا[1].

ومسألة في المباينة بين الله تعالى وبين خلقه[2].

وله أجوبة أخر في مباينة الله تعالى لخلقه، وفيمن يقول: إنه سبحانه على عرشه بذاته، وأقوال السلف في ذلك[3].

وله مسائل كثيرة في الأفعال الاختيارية المسمَّاة عند بعض المتكلمين بـ «حلول الحوادث»[4].

منها كلام مفرد على كلام الرَّازي في «الأربعين»[5].

وله مسائل وأجوبة في مسألة القدر، والردّ على القدريَّة وعلى[6] الجبرية، أكثر من مجلدين[7].

وله مسائل[8] في محلّ الشِّعْر والعلوم، وغيرها هل هو واحد أو متعدّد؟

---

(١) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٠). وهو في «مجموع الفتاوى»: (٥/ ١٣٦-١٤٩).

(٢) قال ابن رشيق (ص٣٠٣): «نحو أربعين ورقة». ولعله ما في «مجموع الفتاوى»: (٥/ ٢٦٧ ـ ٣٢٠).

(٣) منها عدة قواعد وأجوبة في المجلد الخامس من «مجموع الفتاوى».

(٤) انظر «الفتاوى»: (٦/ ٢١٧ ـ ٢٦٧).

(٥) وهو مطبوع في «مجموع الفتاوى»: (٦/ ٢٧٣-٢٨٧)، وانظر ما سبق (ص٥٧).

(٦) «القدرية وعلى» من بقية النسخ.

(٧) بقية النسخ «مجلد». وله في «مجموع الفتاوى»: (٨/ ٨١-١٥٨و٨/ ٣٠٣-٣٧٠) رسالتان في القضاء والقدر والحكمة والتعليل.

(٨) بقية النسخ «مسألة». وسقطت «محل» من (ب، ق).

وله درس السّكريَّة في[1] البسملة، جزء.

ودرس الحنبلية في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢] جزء حسن.

ومسألة فيمن يدَّعي أن للقرآن باطنًا، وأنَّ لذلك الباطن باطنًا[2] إلى سبعة أبْطُن.

ومسألة في عَقْل الإنسان وروحه.

والحَلَبية[3] في الصفات، وهل[4] هي زائدة على الذَّات أم لا؟

والردّ على ابن سينا في رسالته الأضحويّة، نحو مجلد[5].

وجواب في العزم على المعصية هل يعاقب عليه العبد؟[6].

وجواب على حزب أبي الحسن[7] الشّاذلي وما يشبهه، مجلد لطيف[8].

---

(١) (ف، ك): «بالبسملة».

(٢) «وأن لذلك الباطن باطنًا» سقطت (ف، ك). ولعلها ما في «مجموع الفتاوى»: (١٣/ ٢٣٠ ـ ٢٦٩).

(٣) الأصل: «والحِلْية» ولعله تحريف. ولعلها ما في «مجموع الفتاوى»: (٦/ ٣٣٩ ـ ٣٥٠).

(٤) (ف، ك): «وهل».

(٥) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٦). ورسالة «الأضحوية» في إنكار المعاد وتأويل الأدلة في ذلك، وهي مطبوعة بتحقيق د. سليمان دنيا.

(٦) قال ابن رشيّق (ص٢٩٧): «نحو عشرين ورقة». وهو في «مجموع الفتاوى»: (١٠/ ٧٢٠ ـ ٧٦٩).

(٧) «أبي الحسن» من الأصل فقط.

(٨) طبع ضمن هذا المشروع المبارك بتحقيقي بعنوان «الرد على أبي الحسن الشاذلي في حِزْبيه وما صنفه في آداب الطريق» في مجلد واحد عام ١٤٢٩هـ.

وجواب في الكفّار من التتر وغيرهم، وهل لهم خُفَراء[1] بقلوبهم لهم تأثير؟

وله شرح كلام الشيخ عبد القادر في غير موضع، نحو مجلد[2].

وقاعدة في قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقول النبي ﷺ: «**لن يدخلَ أحدٌ منكم الجنَّة بعملِه**»[3].

وله جواب في يزيد بن معاوية وهل يجوز سَبُّه أم لا؟[4].

وله قاعدة في فضل معاوية[5].

وجواب في الخضر هل مات أو هو حي؟[6] واختار أنه مات.

---

(١) «خفراء» مهملة النقط في الأصل، وتحرفت في (ف) إلى «خضراء». و«وهل لهم» سقطت من (ب).

(٢) ومنها تعليقة على «فتوح الغيب» ذكرها ابن رشيّق (ص٢٩٨). وطبعت في «مجموع الفتاوى»: (١٠/ ٤٥٥-٥٤٨). وفي «جامع الرسائل»: (٢/ ٧٣-١٨٩) تحقيق محمد رشاد سالم.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقد طبعت في «جامع الرسائل»: (١/ ١٤٣-١٥٢).

(٤) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٩). طبع في «مجموع الفتاوى»: (٤/ ٤٨١ ـ ٤٨٨)، وأخرى في «جامع المسائل-الخامسة»: (٥/ ١٣٩-١٥٨)، وفي (السادسة): (٦/ ٢٥٣-٢٦٧) بعنوان: «مسألة في قتل الحسين وحكم يزيد».

(٥) في «مجموع الفتاوى»: (٤/ ٤٥٣-٤٨٠) جواب سؤالٍ عن إيمان معاوية رضي الله عنه.

(٦) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٩). وانظر «جامع المسائل-الخامسة»: (٥/ ١٣١-١٣٧)، و«مجموع الفتاوى»: (٤/ ٣٣٧، ٢٧/ ١٠٠). أما ما وقع في «مجموع الفتاوى»: =

وله جواب في أنَّ الذَّبيح من ولد إبراهيم عليه السلام هو إسماعيل، واحتجَّ لذلك بأدلة كثيرة[1].

وله[2] جواب في زيارة القدس يوم عرفة للتعريف به[3].

وله أجوبة كثيرة في هذا المعنى.

وجواب في احتجاج الجهمية والنصارى بالكلمة[4].

وجواب فيمن عزم على فعل محرَّم ثم مات[5].

وجواب في الذوق والوجد الذي يذكره الصوفية[6].

= (٤/ ٣٣٩) من القول بحياته، فهي فتوى مخالفة لكلام الشيخ المفصَّل في مواضع عدة، ومخالف لما نقله تلاميذه، ومنهم المصنف هنا وابن القيم في «المنار المنيف» (ص٦٤). ولقطب الدين الخيضري الشافعي (ت٨٩٤) رسالة في الخضر مخطوطة، وذكر فيها أن بعضهم نقل عن ابن تيمية القول بحياة الخضر، فردّ عليه بأن هذه الفتوى التي نقل منها هذا القائل إنما هي حكاية على لسان من يرى حياته، وليس هو قول الشيخ، وأنه قد تتبع فتاوى ابن تيمية بهذا الخصوص فوجدها متفقة على القول بموته. راجع مقدمة «جامع المسائل- المجموعة الخامسة»: (ص٨-٩).

(١) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٩). وهي في «مجموع الفتاوى»: (٤/ ٣٣١ ـ ٣٣٦).

(٢) «وله» ليست في (ف، ك).

(٣) طبعت رسالتان في «مجموع الفتاوى»: (٢٧/ ٥-٢٤). وفي «جامع المسائل- السابعة»: (٧/).

(٤) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٩).

(٥) (ف، ك): «تاب». ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٩).

(٦) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٩).

وجواب في قوله ﷺ: «من قال: أنا خير من يونس بن متَّى فقد كذب»[1].

وجواب في التشاغل بكلام الله وأسمائه وذكره أيُّ ذلك أفضل[2]؟

وجوابٌ في غضّ البصر وحفظ الفرج[3].

وجواب في المعيَّة وأحكامها.

وله في[4] مسائل [ق٢٣] الرُّوح وهل يُعذَّب في القبر مع الجسد؟ وهل يفارق البدنَ بالموت، وهل يتصوَّر بصورة ويعقل[5] بعد الموت، ونحو ذلك، نحو[6] مجلد.

وله جواب هل كان النبي ﷺ قبل الرسالة نبيًّا؟ وهل يسمّى من صَحِبه إذ ذاك صحابيًّا؟[7].

---

(١) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٩). والحديث أخرجه البخاري (٤٦٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٩). ولعلها ما في «جامع المسائل-الثالثة»: (٣/ ٣٨٣-٣٨٥) بعنوان: «مسألة في تلاوة القرآن والذكر أيهما أفضل؟».

(٣) ذكره ابن رشيّق (ص٢٩٩).

(٤) من بقية النسخ.

(٥) (ك) الأفعال «يعذب ... يتصور... يعقل» بتاء التأنيث. و«الروح» مذكَّر في قول الأكثر، وقيل: يذكر ويؤنّث. «تاج العروس»: (٤/ ٥٧).

(٦) ليست في (ك). وفي «مجموع الفتاوى»: (٤/ ٢١٦ ـ ٢٩٩ و٢٤/ ٣٦٣) مسائل عن الروح.

(٧) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٠).

وجواب هل كان النبي ﷺ قبل الوحي متعبّدًا بشرع من كان[1] قبله من الأنبياء؟[2].

وله جواب في كفر فرعون، والردّ على من لم يكفِّره[3].

وجواب في ذي الفِقَار هل كان سيفًا لعلي رضي الله عنه؟[4].

وله قواعد وأجوبة في الإيمان هل يزيد وينقص؟ وما يتبع ذلك، نحو مجلد[5].

وله جواب في عقيدة الأشعرية وعقيدة الماتريدي وغيره من الحنفية، تسمى «الماتريدية»[6].

وله عقيدة تسمى[7] «الحَوفية»[8].

وله أجوبة في العرش والعالم، هل هو كُريّ الشكل أم لا؟[9].

---

(١) من الأصل فقط.

(٢) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٠).

(٣) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٠). وهي في «جامع الرسائل»: (١/ ٢٠١ ـ ٢١٦ ت ـ رشاد سالم).

(٤) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٠).

(٥) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠١).

(٦) قال ابن رشيّق (ص٣٠١): «نحو خمسين ورقة».

(٧) «الما تريدية. وله عقيدة تسمى» سقطت من (ف).

(٨) قال ابن رشيّق (ص٣٠١): «نحو عشرين ورقة». و«الحَوفية» بالفتح وسكون الواو، نسبةً إلى الحَوْف، والحوف بمصر حَوفان الشرقي والمغربي، ويشتملان على بلدان وقرى كثيرة. انظر «معجم البلدان»: (٢/ ٣٢٢).

(٩) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠١)، وأعاد ذكره في (ص٣١١) بعنوان: رسالة العرش. وهي في «مجموع الفتاوى»: (٦/ ٥٤٥-٥٨٣) بعنوان: «الرسالة العرشية».

وفي قصد القلوب العلوّ ما سببه[1]؟

وله في الكلام على توحيد الفلاسفة على نظم ابن سينا، مجلد لطيف[2].

وله في جواب محيي الدين الأصبهاني، عدّة كراريس[3].

وله جواب في الفرق بين ما يتأوّل من النصوص وما لا يتأوّل[4].

ومسألة في قوله: «أُمِرْتُ أن أخاطب الناسَ على قَدْر عقولهم»، هل[5] هو كلامه ﷺ؟[6]

وقاعدة في الردِّ على أهل الاتحاد[7].

وله مؤلَّف في الردّ على ابن عربي[8].

---

(١) الأصل «ماشية»!

(٢) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٢).

(٣) (ك): «في عدة». قال ابن رشيّق (ص٣٠٢): «نحو ستين ورقة».

(٤) قال ابن رشيّق (ص٣٠٢): «نحو عشرين ورقة».

(٥) (ف) زيادة «من».

(٦) ذكره ابن رشيق (ص٣٠٣). وفي «مجموع الفتاوى»: (١٨/ ٣٣٦-٣٣٩) سؤال عن أحاديث، ومنها هذا الحديث. وقال في جوابه: «فهذا لم يروه أحد من علماء المسلمين الذين يُعتمد عليهم في الرواية، وليس هو في شيء من كتبهم». والظاهر أن ما ذكره المؤلف كتاب آخر غير هذا الجواب المختصر. وانظر «المقاصد الحسنة»: (ص٩٣-٩٤).

(٧) قال ابن رشيق (ص٣٠٣): «وهي جواب الطوفي، في مجلد لطيف». وللشيخ في الاتحادية كلام كثير انظر «مجموع الفتاوى»: (٢/ ١٣٤-٢٨٥).

(٨) (ك): «العربي». في «مجموع الفتاوى»: (٢/ ٣٦٢-٤٥١) رد عليه بعنوان: «الرد الأقوم على فصوص الحكم». وله مَحْضر حول الاعتقاد فيه ضمن «جامع المسائل- السابعة»: (٧/ ٢٤١-٢٥٧).

وجواب على حال الحلاج، ورفع ما وقع فيه من اللَّجاج[1].

وله مسائل وقواعد في الاستغاثة غير ما تقدَّم ذكرُه.

وجواب في الرِّضا على كلام أبي سليمان الداراني[2].

وجواب في رؤية النساء ربهم في الجنة سأله عنه الشيخ إبراهيم الرقِّي رحمه الله.

وجواب في العباس وبلال رضي الله عنهما أيهما أفضل؟[3]

وجواب في الكتاب الذي همَّ به النبي ﷺ في مرضه[4].

وجواب فيمن يقول: إن بعض المشايخ أحيا ميتًا[5].

وله أجوبه في مسائل وردت من أصبهان[6].

وجواب عن مسائل وردت من الأندلس[7].

---

(١) ذكره ابن رشيق (ص٣٠٣) وعنده: «رسالة في حال الحلاج، ودفع ما وقع به التحاج». وطبع للشيخ في شأن الحلاج رسالة في «مجموع الفتاوى»: (٢/ ٤٨٠ ـ ٤٨٧)، (٣٥/ ١٠٨ ـ ١١٩)، وفي «جامع الرسائل»: (١/ ١٨٥-١٩٩)، وفي «جامع المسائل- السابعة»: (٧/ ٤٤٧ ـ ٤٦٥) بتحقيقي.

(٢) لعله ما في «مجموع الفتاوى»: (١٠/ ٦٧٨ ـ ٧١٩).

(٣) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٥).

(٤) وللشيخ جواب عنه في «منهاج السنة»: (٦/ ٨-١٤).

(٥) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٥).

(٦) «في مسائل» ليست في (ب، ق). ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٧).

(٧) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٧).

وجواب عن سؤال ورد من الرَّحْبة[1].

وجواب عن سؤال ورد من ماردين[2].

وجواب عن سؤال ورد من زُرَع.

وأجوبة كثيرة عن مسائل وردت من بغداد[3].

وأجوبه كثيرة[4] عن مسائل وردت من الصّلْت[5].

وجواب في أرض الموات إذا أحياها الرّجل ثم عادت مواتًا هل تُـمْلَك بالإحياء مرّةً أُخرى؟[6].

وله وصايا عدَّة يُسأل عنها.

فكتب منها وصية لابن المهاجري، في كراريس؟[7].

---

(١) هذا الجواب متأخر على تاليه في (ب، ق). ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٧). وهي واحد وأربعون سؤالًا وردت من الرحبة، وهو ضمن «جامع المسائل-السابعة»: (٧/ ٣ـ ١١٩) بتحقيقي.

(٢) لعله «المسائل الماردينية» وهي أربعون سؤالًا في مسائل الفقه، طبعت مرارًا وهي في « مجموع الفتاوى» مفرقة على الأبواب.

(٣) هذا الكتاب سقط من (ف، ك).

(٤) «كثيرة» ليست في (ب، ق).

(٥) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٧). وفيها ستة وعشرون سؤالًا، طبعت في «جامع المسائل-الرابعة»: (٤/ ٣٤٧-٣٨٥).

(٦) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٧).

(٧) (أ، ف، ك): «وكتب». ذكر الوصيتين ابن رشيّق (ص٣١٠) وزاد «ووصية لأبي القاسم يوسف السَّبْتي». وهذه الأخيرة هي المعروفة بالوصية الصغرى، وهي في « مجموع =

ووصية كتبها للتُّجِيبي.

وله إجازات منها[1]:

إجازة لأهل[2] سَبْتة ذكر[3] فيها مسموعاته.

وإجازة كتبها لبعض أهل توريز[4].

وإجازة لأهل غرناطة.

وإجازة لأهل أصبهان.

وله قواعد وأجوبة في الفقه كثيرة جدًّا، منها:

قاعدة في الجمعة هل يُشْترط لها الاستيطان؟

وقاعدة في المسح على الخُفّين، وهل يجوز على المقطوع؟[5].

وقاعدة [ق٢٤] في حلق الرّأس هل يجوز في غير النُّسُك لغير عذر؟[6].

وقواعد في الاستجمار، وفي الأرض هل تَطْهُر بالشمس وبالرِّيح[7]؟

= الفتاوى»: (١٠/ ٦٥٣-٦٦٥).

(١) ذكر الإجازات ابن رشيّق (ص٣١٠).

(٢) تحرفت في الأصل إلى «لابن».

(٣) (ف، ك): «وذكر».

(٤) هي مدينة تبريز.

(٥) في «مجموع الفتاوى»: (٢١/ ١٧٢-٢١٢).

(٦) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٩).

(٧) بقية النسخ: «والريح». ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٧). وانظر «مجموع الفتاوى»: (٢١/ ٤٧٤ ـ ٤٨٢).

وقواعد في نواقض الوضوء[1].

وفي المحرَّمات في النكاح[2].

وقاعدة في الجدِّ هل يُجبر البكر على النكاح؟ وفي الاستئذان من الأب هل يجب؟[3].

وجواب في المظالم المشتركة وأحكامها[4].

وجواب عن[5] أهل البدع هل يصلَّى خلفهم؟

ومسائل وأجوبتها في قتال التتار الذين قدموا مع غازان وغيره[6]، وفي قتال أهل البيعات[7] من النصارى، ونصارى ملطية، وقتال الأحلاف والمحاربين، نحو مجلَّد.

وقاعدة في قوله: «**استحللتم فروجهنَّ بكلمة الله**»[8].

وقاعدة في العِينَة والتورُّق ونحوهما من البياعات.

---

(١) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٨).

(٢) انظر «مجموع الفتاوى»: (٣٢/ ٦٢ ـ ٦٧).

(٣) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٩) وليس فيه: «وفي الاستئذان...».

(٤) طبعت في «مجموع الفتاوى»: (٣٠/ ٣٣٧-٣٥٥).

(٥) (ق): «في». وانظر «مجموع الفتاوى»: (٢٣/ ٣٤٢ ـ ٣٥٠ و٣٥٥ ـ ٣٥٦).

(٦) في «مجموع الفتاوى» المجلد الثامن والعشرين أجوبة عدة في قتال التتار.

(٧) غير محررة في الأصل، وفي(ق، ب): «التينات»، و(ك): «السات»، ومهملة النقط في (ف).

(٨) الحديث أخرجه مسلم (١٢١٨).

وقاعدة في القراءة خلف الإمام[1].

وقاعدة في قوله ﷺ: «من[2] **بكَّر وابتكر، وغسَّل واغتسل**»[3].

وأجوبة في الصلوات المبتدعة، كصلاة الرغائب، ونصف شعبان، ونحو ذلك[4].

وأجوبة في النهي عن أعياد النصارى[5]، وعما يُفعل من البدع يوم عاشوراء، نحو مجلد.

وله مسألة في أنّ الجدَّ يُسقط الإخوة.

وقاعدة في توريث ذوي الأرحام.

ومسألة في بيع المُسْلَم فيه قبل قبضه، هل يجوز؟

وله أجوبة في رؤية هلال ذي الحِجَّة إذا رآه بعضُ الناس، ما حكمهم في الأضحية؟

وفي قوله: «**صومكم يوم تصومون**»[6]، وفيما إذا غُمَّ هلالُ رمضان ليلة

---

(١) ذكره ابن رشيّق (ص٣٠٩). ولعلها ما في «مجموع الفتاوى»: (٢٣/ ٢٦٥-٣٢٨).

(٢) سقطت من (ك).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٢٧٢)، وأبو داود (٣٤٥)، والترمذي (٤٩٦)، وابن ماجه (١٠٨٧)، والنسائي (١٣١٨)، وابن خزيمة (١٧٥٨) من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه، قال الترمذي: «حديث حسن».

(٤) انظر «مجموع الفتاوى»: (٢٣/ ١٣١-١٣٥).

(٥) منها رسالة في «جامع المسائل ـ الثالثة»: (٣/ ٣٧١ ـ ٣٧٧).

(٦) الحديث أخرجه الترمذي (٦٩٧) من حديث أبي هريرة وقال: «هذا حديث حسن غريب». وفي إغمام هلال رمضان انظر «مجموع الفتاوى»: (٢٥/ ٩٨-١٠٣).

الثلاثين، هل يجب[1] الصوم أم لا؟

وجواب[2] في الإجارة، هل المعقود عليه تهيؤ العين وصلاحيتها[3] لنفع المستأجر؟ وهل ما يحدث في العين على ملكه؟ وهل هي على وَفْق القياس؟

وله قاعدة في أنّ ما كان داعيًا إلى الفُرْقة والاختلاف يجب النهي عنه[4].

وجواب في التسمية على الوضوء.

وقواعد في سباق الخيل، ورمي النُّشَّاب[5].

وقواعد وأجوبة في النية في الصلاة، وغير ذلك من العبادات[6].

وأجوبة في صلاة بعض أصحاب المذاهب خلف بعض، وأنه جائز[7].

وجواب فيمن تفقَّه على مذهب، ثم يجد حديثًا صحيحًا بخلاف مذهبه[8].

---

(١) (ف): «يجزئ».

(٢) (ب، ق، ف): «وله جواب».

(٣) (ب، ق): «صلاحها».

(٤) لعلها ما في «مجموع الفتاوى»: (١/ ١٢ ـ ١٧).

(٥) في «جامع المسائل-السابعة»: (٧/ ٢٩٧ ـ ٣٠٥) بعنوان: «مسألة في الرمي بالنشاب».

(٦) انظر «مجموع الفتاوى»: (٢٢/ ٢١٧-٢٥٨).

(٧) في «جامع المسائل-الخامسة»: (٥/ ٢٦٩-٢٧٩) رسالة بعنوان: «المسألة الخلافية في الصلاة خلف المالكية».

(٨) ستطبع قريبًا ضمن «جامع المسائل-الثامنة». ورسالة أخرى في «مجموع الفتاوى»: (٢٠/ ٢١٠ ـ ٢٣٠).

وجواب فيمن[1] يقول: أنا مذهبي غير موافق للأربعة.

وجواب لمن[2] يقول: من لا شيخَ له فشيخُه الشيطان.

وجواب في[3] المخلوقة من ماء الزّاني هل له أن يتزوَّج بها؟

وجواب في صلاة[4] الركعتين جالسًا بعد الوتر[5].

وجواب في القنوت في الصبح والوتر[6].

وجواب عن المرازقة وما يفعلونه من أعمال، والردّ عليهم فيما أخطأوا فيه[7].

وقاعدة في الحمَّام والاغتسال.

وقاعدة في الصلاة بين الأذانين يوم الجمعة[8].

وجواب في قوله: «خير القبور[9] الدوارس»[10].

---

(١) (ب، ق): «من».

(٢) (ف، ك): «فيمن».

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) سقطت من (ف).

(٥) في «مجموع الفتاوى»: (٢٣/ ٩٢-٩٨).

(٦) في «مجموع الفتاوى»: (٢٣/ ٩٨-١١٦).

(٧) في «مجموع الفتاوى»: (٢٣/ ٣٥١-٣٥٦).

(٨) طبعت في «مجموع الفتاوى»: (١٢/ ١٨٨-١٩٦).

(٩) (ب): «النفور»، وفي المطبوعة: «القرون».

(١٠) قال العجلوني في «كشف الخفاء»: (١/ ٤٧٧): «هذا مشهور على الألسنة، وليس معناه بظاهره صحيحًا، فإنه يُسنّ أن يجعل على القبر علامة ليُعرف فيُزار...». وانظر «أحكام الجنائز»: (ص٢٠٩) للألباني.

وجواب في نصرانية ماتت وفي بطنها ولد من مسلم.

وجواب في امرأة مسلمة ماتت وفي بطنها إذ ذاك ولدٌ حيٌّ متحرِّك.

وجواب مبسوط في السجَّادة[1] التي تُفْرَش في المسجد قبل الجمعة قبل مجيء المصلي[2].

وجواب في ساعة الجمعة، هل هي[3] مقدَّرة بالدَّرَج؟

وله أجوبة في الوقف في مُنقطع الوسط وغيره[4].

وله مسألة تسمى «الواسطة»[5].

وله «إبطال الكيمياء».

ومسألة الشفاعة.

ومسألة الشهادة بالاستفاضة.

ومسألة في الإجازة على كتاب «المصابيح» للبغوي.

وأخرى على كتاب «المصابيح» أيضًا.

---

(١) (ف): «السجادات».

(٢) في «مجموع الفتاوى»: (٢٢/ ١٦٣-١٩٢).

(٣) «هي» سقطت من (ف، ك). و«الدَّرَج» جمع درجة، وهي في علم الفلك: جزء من ثلثمائة وستين جزءًا من دورة الفلك. «المعجم الوسيط»: (ص٢٨٧)، و«ألفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري»: (ص١٩٠).

(٤) في «مجموع الفتاوى»: (٣١/ ١٠٠-١٨٠) وهذا المجلد من أوله إلى ص٢٦٨ في مسائل الوقف.

(٥) (ب، ق): «الواسطية» خطأ. فالواسطية تقدم ذكرها (ص٨٧)، وهذه طبعت في «مجموع الفتاوى»: (١/ ١٢١ ـ ١٣٨) وتسمى «الواسطة بين الخلق والحق».

وله في الأحاديث وشرحها شيء[1] **كثير جدًّا، منها ما بُيّض ومنها ما لم يبيض، ولو بُيِّض لبلغ مجلدات عديدة.**

وكتب كثيرًا من «مسند الإمام أحمد» وغيره على أبواب الفقه.

وله مختصر في الكَلِم الطيّب، جمع فيه الأذكار المستعملة طَرَفي النهار وغير ذلك[2].

وشرح حديث أبي ذرٍّ الذي أوله: «**يا عبادي إني حَرَّمت الظلم على نفسي**»[3].

وحديث: «**الأعمال بالنيّات**»[4].

وحديث: «**بدأ الإسلام غريبًا**»[5].

وحديث: «**لا يرث المسلم الكافر**»[6].

وحديث الدعاء الذي علَّمه النبيُّ ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: «**اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا**»[7].

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) طبع مرات، من آخرها بتحقيق د. رفعت فوري عبد المطلب بدار الخانجي.

(٣) طبع في «مجموع الفتاوى»: (١٨/ ١٣٦-٢٠٩).

(٤) طبع في «مجموع الفتاوى»: (١٨/ ٢٤٤-٢٨٥).

(٥) طبع في «مجموع الفتاوى»: (١٨/ ٢٩١-٣٠٥).

(٦) الحديث أخرجه البخاري (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٧) ذكره ابن رشيّق (ص٣١١). طبع ضمن «جامع المسائل-الرابعة»: (٤/ ٢١-٦٩).

وحديث جبريل في الإيمان والإسلام[1]، غير كتاب «الإيمان» المتقدم، في مجلد لطيف[2].

وحديث: «**لا يزني الزَّاني حين يزني وهو مؤمن**» شرحه مرات عديدة[3].

وحديث: «**أنزلَ القرآنُ على سبعة أَحْرف**» شَرَحه غير مرَّة[4].

وحديث النزول، شرحه مرّات[5].

وحديث الأولياء الذي رواه البخاري[6] منفردًا به: «**من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة**». شرحه مرات. تارةً يُسأل عن مجموعه، وتارة يُسأل عن التردُّد المذكور فيه.

وحديث حكيم بن حزام: «**أسْلَمْت على ما أَسْلَفْت من خير**»[7].

وحديث ابن مسعود في درء الهمِّ.

---

(١) «والإسلام» من بقية النسخ.

(٢) طبع في «مجموع الفتاوى»: (٧/ ٤٦١-٦٢٢). وطبع مفردًا بتحقيق د. علي الزهراني في مجلد، عن دار ابن الجوزي عام ١٤٢٣هـ. ويسمى «الإيمان الأوسط».

(٣) طبع ضمن «جامع المسائل-الخامسة»: (٥/ ٢٣٩-٢٥٩).

(٤) طبع في «مجموع الفتاوى»: (١٣/ ٣٨٩-٤٠٣).

(٥) طبع في «مجموع الفتاوى»: (٥/ ٣٢١-٥٨٢). وحققه مفردًا د. محمد الخميس.

(٦) رقم (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) طبع في «مجموع الفتاوى»: (١١/ ٧٠١-٧٠٢). والحديث في مسلم (١٩٤).

وحديث معاذ وقول النبي ﷺ له[1]: «**لا تدعنَّ دُبُر كلِّ صلاة**».

وحديث بَرِيرة، وقول النبي ﷺ لعائشة[2]: «**اشترطي لهم الولاء**».

وحديث: «**فحجَّ آدمُ موسى**» شرحه مرَّات[3].

وحديث: «**لا يضرب أحدٌ[4] فوق عشرة أسواط إلا في حدٍّ من حدود الله**».

وحديث: «**من جُعِل قاضيًا فقد ذُبح بغير سِكِّين**»[5].

وحديث: «**اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم**»[6].

وشرحَ أحاديثَ كثيرة غير[7] ما ذُكِر.

---

(١) من الأصل فقط. وقد سُئل شيخ الإسلام عن هذا الحديث وغيره كما في «مجموع الفتاوى»: (٢٢/ ٤٩٢، ٥٠٠-٥٠٤).

(٢) ليست في (ق). وللشيخ فصل في هذا الحديث في «مجموع الفتاوى»: (٢٩/ ٣٣٧-٣٥٦).

(٣) منها في «مجموع الفتاوى»: (٨/ ٣٠٣-٣٣٦).

(٤) سقطت من (ك). والحديث أخرجه البخاري (٦٨٥٠)، ومسلم (١٧٠٨). من حديث أبي بردة الأنصاري رضي الله عنه.

(٥) هذا الكتاب سقط من (ك). والحديث أخرجه أبو داود (٣٥٧١)، والترمذي (١٣٢٥)، والنسائي (٥٨٩٢ ـ الكبرى)، وابن ماجه (٢٣٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) عند ابن رشيّق (ص٣٠٦): «رسالة في قوله: كما صليت على إبراهيم، وفي أن المشبه به أعلى من المشبَّه». وهو في «مجموع الفتاوى»: (٢٢/ ٤٥٤-٤٦٧).

(٧) الأصل: «على».

وشرح ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: نِعْم العبدُ[1] صُهيب لو لم يخفِ اللهَ لم يعْصِه. وتكلم على (لو)[2].

وشرح قول علي رضي الله عنه: لا يرجونَّ أحدٌ[3] إلا ربَّه ولا يخافنَّ إلا ذنبه[4].

وله أجوبة كثيرة في أحاديث يُسأل عنها، من صحيحٍ يشرحه، وضعيفٍ يبيّن ضعفه، وباطل ينبّه على بطلانه.

وله من الأجوبة والقواعد شيء كثير غير ما تقدَّم ذكره يشقّ ضبطُه وإحصاؤه، ويعسُر حصرُه واستقصاؤه.

وسأجتهد [ق٢٦] إن شاء الله تعالى في ضبط ما يمكنني من أسماء[5] مؤلفاته في موضع آخر غير هذا، وأبيّن ما صنَّفه منها[6] بمصر وما ألَّفه منها بدمشق، وما جمعه وهو في السجن، وأرتِّبه ترتيبًا حسنًا غير هذا الترتيب، بعون الله وقوَّته ومشيئته.

قال الشيخ أبو عبد الله[7]: لو أراد الشيخ تقي الدين رحمه الله أو غيره

---

(١) (ب، ق): «الرجل».

(٢) طبع في «جامع المسائل-الثالثة»: (٣/ ٣١٣-٣٢٠).

(٣) (ق، ف، ك): «عبدٌ».

(٤) طبع في «مجموع الفتاوى»: (٨/ ١٦١-١٨٠).

(٥) (ك): «من ضبط مؤلفاته». وسقط «ما يمكنني من أسماء» من (ف).

(٦) ليست في (ب، ق).

(٧) يعني: ابن رشيّق، انظر ما سبق (ص٤١).

حصرها ـ يعني مصنفات[1] الشيخ ـ لما قدروا[2]؛ لأنه ما زال يكتب، وقد مَنَّ الله عليه بسرعة الكتابة، ويكتب من حفظه من غير نقل.

وأخبرني غير واحد أنه كتب مجلدًا لطيفًا في يوم، وكتب غير مرة أربعين ورقة في جلسة وأكثر. وأحْصيتُ ما كتبه في يوم وبَيَّضتُه[3] في يوم فكان ثمان كراريس، في مسألة من أشكل المسائل.

وكان يكتب على السؤال الواحد مجلدًا. وأما جوابٌ يَكْتب فيه خمسين ورقة، وستين، وأربعين، وعشرين، فكثير.

ويكتبُ الجوابَ، فإن حضر من يبيّضه وإلا أخذ السائلُ خطَّه وذهب.

ويكتب قواعدَ كثيرة في فنونٍ من العلم؛ من[4] الأصول والفروع والتفسير وغير ذلك، فإن وُجِد من ينقله[5] من خطِّه وإلا لم يشتهر ولم يُعْرَف. وربما أخذه بعضُ أصحابه فلم[6] يقدر على نقله، ولا يردّه إليه فيذهب.

وكان كثيرًا ما يقول: قد كتبت في كذا وفي كذا.

ويُسأل عن الشيء، فيقول: قد كتبتُ في هذا، فلا يُدرى أين هو، فيلتفت

---

(١) (ق، ف، ك): «مؤلفات». وفي الهامش (الأصل وب): «مؤلفات» في نسخة.

(٢) (ب، ق): «قدر».

(٣) كذا في الأصل و(ق)، وتحتمل في (ب): «وبيضه». و(ف، ك): «ما كتبه وبيّضه في اليوم ...».

(٤) بقية النسخ: «في».

(٥) (ف، ك): «نقله».

(٦) (ك): «فلا».

إلى أصحابه ويقول: ردّوا خطي وأظهروه لينقل. فمِن حرصهم عليه لا يردُّونه، ومن عجزهم لا ينقلونه، فيذهب ولا يعرف اسمه ولا أين هو[١].

فلهذه الأسباب وغيرها تعذَّر إحصاءُ ما كتبه وما صنفه.

وما كفى هذا، إلا أنه لما حُبِس تفرَّقت[٢] أتباعُه، وتفرَّقت كتبُه، وخوَّفوا أصحابه من أن يُظهروا كتبه= ذهبَ كلُّ أحدٍ بما عنده وأخفاه ولم يظهروا كتبه[٣]، فبقي هذا يهرب بما عندَه، وهذا يبيعه أو يهبه[٤]، وهذا يخفيه ويودعه، حتى إن منهم من تُسْرَق كتبه أو تُجْحَد، فلا يستطيع أن يطلبها ولا يقدر على تحصيلها[٥]!! فبدون هذا تتمزق الكتب والتصانيف كلَّ تمزّق[٦]!

ولولا أنَّ الله تعالى لطفَ وأعان ومنَّ وأنعم، وخَرَق[٧] العادةَ في حِفْظ أعيان كتبه وتصانيفه لما أمكن أحدًا أن يجمعها.

ولقد رأيتُ من خَرْق العادة في حفظ كتبه وجمعها، وإصلاح ما فَسَد منها، وردّ ما ذهب منها= ما لو ذكرتُه لكان عجبًا، يعلم به كلُّ منصف[٨] أنَّ الله

---

(١) «ولا أين هو» ليست في (ك).

(٢) (ب، ق، ف): «وتفرق» ، (ك): «تفرق».

(٣) «ذهب كل ...كتبه» سقط من (ب).

(٤) «أو يهبه»سقط من (ب، ق).

(٥) بقية النسخ: «تخليصها».

(٦) «كل تمزق» ليست في (ك).

(٧) (ف، ك): «وجرت».

(٨) (الأصل وف): «مصنف» خطأ.

عنايةً به وبكلامه؛ لأنه يذب عن سنة نبيه ﷺ تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

قلت: ومن مؤلفاته أيضًا:

قاعدة في تقرير النبوات بالعقل والنقل(١).

وقاعدة في تبديل السيئات حسنات.

وقاعدة في المتشابهات.

وقاعدة في إبطال المجرّدات(٢).

وقاعدة في إثبات الرؤية والردّ على نُفاتها(٣).

وقاعدة [ق٢٧]في وجوب تقديم محبَّة الله ورسوله على النَّفْس والأهل والمال.

وقاعدة في لفظ الجسم، واختلاف الناس واصطلاحاتهم في هذا الاسم(٤).

وقاعدة في تحريم الحشيشة، وبيان حكم آكلها، وماذا يجب عليه(٥).

---

(١) لعله الكتاب المطبوع باسم «النبوات»، وأحسن طبعاته بتحقيق د. عبد العزيز الطويان في مجلدين ــ دار أضواء السلف. وفي «مجموع الفتاوى»: (١٠/ ٤٣٠-٤٥٣) رسالة بعنوان: «اتباع الرسول بطريق المعقول».

(٢) (ق): «وقاعدة المجردات». وهذا الكتاب مقدم على الذي يليه في (ب، ق).

(٣) وهي في «مجموع الفتاوى»: (٦/ ٤٠١ ـ ٤٦٠).

(٤) (ف): «الأصل».

(٥) في «مجموع الفتاوى»: (٣٤/ ٢١٣-٢١٤) سؤال وجوابه عن الحشيشة.

وقاعدة في الردِّ على من قال بفناء الجنة والنار[1].

وله «الحموية الكُبرى»[2].

و«الحموية الصُّغرى»[3].

فأما «الحموية الكبرى» فأملاها ما[4] بين الظهر والعصر، وهي جواب عن سؤال ورد من حماة سنة ثمان وتسعين وستمائة، وجرى بسبب تأليفها أمور و محن. وتكلَّم الشيخُ فيها على آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك، وقال في مقدَّمتها ـ وهي عظيمة جدًّا ـ:

«قولنا فيها ما قال[5] الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمة الهدى بعد[6] هؤلاء الذين

---

(١) قال ابن رشيّق (ص٢٨٧): «نحو عشرين ورقة» وذكر أنه ألفها في محبسه الأخير. وقد طبعت بتحقيق د. محمد السمهري عن دار بلنسية في (١١٨ص).

(٢) قال ابن رشيّق (ص٢٩٦): «الفتيا الحموية، ستون ورقة، كتبها بين الظهر والعصر». وهي في «مجموع الفتاوى»: (٥/ ٥-١٢٠). وطبعت مفردة بتحقيق حمد التويجري ـ دار الصميعي.

(٣) طبعت في الهند سنة ١٢٩٥هـ. والذي يظهر أن الشيخ أملى «الحموية الصغرى» أولًا، ثم بعد ذلك أضاف إليها كثيرًا من النصوص والاقتباسات عن المتكلمين والفلاسفة بما يعادل ثلث الكتاب، فصارت هذه النسخة المزيدة هي «الحموية الكبرى». والله أعلم.
قلت: وقد قابلنا ما ساقه المصنف من «الحموية» على مطبوعة الفتاوى ورمزت لها بـ(ط) وعلى مخطوطة تركية كتبت سنة ٧٣٠هـ ورمزت لها بـ(خ).

(٤) «ما» ليست في (ف، ك).

(٥) بقية النسخ وخ: «قاله».

(٦) (ف، ك): «من بعد».

أجمعَ المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره.

فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهد له بأنه بعثه داعيًا إليه[1] بإذنه وسراجًا منيرًا، وأمره أن يقول: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

ومن المُحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أَخرجَ[2] به الناسَ من الظلمات إلى النور، وأنزلَ معه الكتابَ بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمرَ الناسَ أن يردّوا ما تنازعوا فيه من[3] دينهم إلى ما بُعِثَ به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه[4] على بصيرة، وقد أخبر الله أنه أكمل له ولأمته دينهم وأتمَّ عليهم نعمته = محالٌ[5] مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به مُلتبسًا مشتبِهًا، ولم يميّز ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العُلى، وما يجوز عليه، وما يمتنع عليه. فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصَّلته النفوس وأدركته العقول.

---

(١) (ب، ق): «أنه بعثه ...». و «إليه» سقطت من (ف).

(٢) (ك) كتب فوقها بخط دقيق «الله».

(٣) في (ك) بخط دقيق مغاير: «من أمر».

(٤) (ب، ق): «بأنه». وكتبت في (ك) بخط دقيق مغاير. و «بإذنه» ليست في (خ).

(٥) (ف): «..نعمته عليهم و محال...».

فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلك الرسول، وأفضل خَلْق الله بعد النبيين لم يُحْكِموا هذا الباب اعتقادًا وقولًا.

ومن المحال أيضًا أن يكون النبي ﷺ قد علَّم أمته كلَّ شيء حتى الخِراءة[1].

وقال: «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[2].

وقال ـ فيما صح عنه أيضًا ـ: «**ما بعث الله من نبيّ إلا كان حقًّا عليه**[3] **أن يدلَّ أمته على خير ما يَعْلَمه لهم وينهاهم عن شرِّ ما يعلمه لهم**»[4].

وقال أبو ذرّ: لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلِّب جناحيه في السماء إلا ذَكَّرنا[5] منه علمًا[6].

---

(١) كما جاء في حديث سلمان الفارسي عند مسلم (٢٦٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وابن حبان (٤٥)، والحاكم: (١/ ٩٥-٩٦) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه. قال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه ابن حبان والحاكم والبزار وغيرهم.

(٣) ليست في (ب، ق).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٤٤) ضمن حديث طويل من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٥) هكذا في جميع النسخ و(خ) ومصادر التخريج، وغيّرها أحد المطالعين في (ف) إلى «ذكرلنا» وهي كذلك في طبعة الفتاوى: (٥/ ٨).

(٦) أخرجه أحمد (٢١٣٦١، ٢١٤٣٩) بنحوه، والطبراني في «الكبير»: (٢/ ١٥٥) من حديث أبي ذر. قال الهيثمي في «المجمع»: (٨/ ٢٦٣): «رجال الطبراني رجال الصحيح ...و في إسناد أحمد من لم يسمّ».

وقال [ق٢٨] عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا فذكر بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم. حفظ ذلك من حَفِظَه، ونَسِي ذلك[١] من نسيه. رواه البخاري[٢].

مُحال مع هذا ومع[٣] تعليمهم كلّ شيء لهم فيه منفعة في الدين ـ وإن دقَّت ـ أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم وقلوبهم[٤] في ربهم ومعبودهم رب العالمين، الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزُبْدة الرسالة الإلهية. فكيف يتوهَّم من في قلبه أدنى مُسْكَة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول ﷺ على غاية التمام؟!

ثم إذا كان قد وقع ذلك منه، فمن المُحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصَّروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه.

ثم من المُحال أيضًا أن تكون القرون الفاضلة؛ القرن الذي بُعِث فيهم رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كانوا غير عالمين[٥] وغير قائلين في هذا الباب بالحقِّ المبين؛ لأنّ ضدّ ذلك إما عدم العلم والقول، وإما

---

(١) (ب، ق، ف): «ونسيه من».

(٢) بعد رقم (٣١٩٢) معلقًا، وانظر «تغليق التعليق»: (٣/ ٤٨٦-٤٨٨) لابن حجر.

(٣) «مع» ليست في(ق، ف، ك) . (ب): «وبتعليمهم». و(خ): « محال مع تعليمهم».

(٤) (ف، ك): «ويعتقدونه بقلوبهم».

(٥) «ثم الذين يلونهم» ليست في (ق)، وكُتِب فوق «عالمين» في (ك): «لعله» وفي الهامش: «بدله: العالمين».

اعتقاد نقيض الحقّ وقول خلاف الصِّدْق، وكلاهما ممتنع.

أما الأول؛ فلأنَّ من في قلبه أدنى حياة، وطلبٍ للعلم، ونَهْمة في العبادة؛ يكون البحثُ عن هذا الباب والسؤالُ عنه ومعرفةُ[(١)] الحقّ فيه أكبر[(٢)] مقاصده وأعظم مطالبه[(٣)]. وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية[(٤)].

فكيف يتصوَّر مع قيام هذا المقتضي ـ الذي هو من أقوى المقتضيات ـ أن يتخلَّف عنه مقتضاه في أولئك[(٥)] السادة في مجموع عصورهم[(٦)]؟! هذا لا يكاد يقع في أَبْلَد الخلق، وأشدّهم إعراضًا عن الله، وأعظمهم إكبابًا على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله، فكيف يقع في أولئك؟

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه، فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عَرَف حالَ القوم.

ثم الكلام عنهم في هذا الباب أكثر من أن يمكن أن يُسَطَّر في هذه الفتيا أو أضعافها، يَعرف ذلك من طلبَه وتتبَّعه.

ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين، كما قد يقوله

(١) (ف): «عن معرفة».

(٢) (ف، خ): «أكثر».

(٣) في (خ، والفتاوى) زيادة: «أعني بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيفية الرب وصفاته».

(٤) في هامش (ك): «الوجدانية». و(خ): «الوجودية».

(٥) (ك): «مقتضاه لأولئك».

(٦) الأصل: «عمورهم» خطأ. و(ف، ك): «عصرهم».

بعضُ الأغبياء ممن لم يَقْدُر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها؛ من أنَّ طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

فإن هؤلاء المبتدعة الذين يُفضِّلون طريقة[1] الخَلَف[2] على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرَّد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقهٍ لذلك. بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة/ ٧٨] [ق٢٩] وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات.

فهذا الظنُّ الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك: اعتقادُهم أنه ليس [لله][3] في نفس الأمر صفة دلَّت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شَركوا[4] فيها إخوانهم من الكافرين.

---

(١) ليست في (ق).

(٢) بعده في هامش (ك) بخط مغاير: «من المتفلسفة ومن حذا حذوهم».

(٣) زيادة «لله» من (خ وط) وليست في الأصول.

(٤) في هامش (ن)، و(خ، ط): «شاركوا».

فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر، وكان ـ مع ذلك ـ لابدّ للنصوص من معنى، بقوا متردّدين بين الإيمان باللفظ، وتفويض المعنى، وهي التي يسمونها: طريقة السلف، وبين صرف اللفظ إلى معانٍ[1] بنوع تكلُّف، وهي التي يسمونها: طريقة الخلف؛ وصار هذا الباطل مركبًا من فساد العقل والكفر بالسمع، فإن النفي إنما اعتمدوا[2] فيه على أمور عقلية ظنوها بيِّنات وهي شبهات، والسمع حرَّفوا فيه الكَلِمَ[3] عن مواضعه.

فلما انْبَنى[4] أمرُهم على هاتين المقدِّمتين الكاذبتين الكُفْريتين، كانت النتيجة استجهال السابقين الأوّلين[5] واستبلاههم، واعتقاد أنهم كانوا قومًا[6] أميين، بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحَّروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطَّنوا لدقيق[7] العلم الإلهي، وأن الخَلَفَ الفضلاء حازوا قَصَب السَّبْق في هذا كله.

وهذا[8] القول إذا تدبَّره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة. كيف يكون هؤلاء المتأخِّرون ـ لاسيما والإشارة بالخَلَف إلى

---

(١) (أ، ب، ق): «معاني» وزاد في المطبوعة «أخرى».

(٢) الأصل: «اعتقدوا».

(٣) (خ): «حرفوا الكلام فيه».

(٤) (ب، ق): «انتهى». (ك): «ابتنى».

(٥) «الأولين» ليست في (ف، خ).

(٦) ليست في (ك).

(٧) (خ، ط): «لدقائق».

(٨) (خ): «فإن هذا»، (ط): «ثم هذا».

ضَرْب من المتكلمين ـ الذين كَثُر[1] في باب الدين اضطرابُهم، وغَلُظ عن معرفة الله حجابُهم، وأخبر الواقفُ على نهايات[2] إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم[3] حيث يقول:

لعمري لقد[4] طُفت المعاهد كلّها ... وسيّرت طَرْفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعًا كفَّ حائرٍ ... على ذَقَنٍ أو قارعًا سنَّ نادم[5]

وأقرُّوا على أنفسهم بما قالوه متمثِّلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم[6]، كقول بعض رؤسائهم:

نهاية إقدام العقولِ عقالُ ... وأكثرُ سَعْي العالمين ضلال
وأرواحُنا في وَحْشةٍ من نفوسنا[7] ... وحاصل دنيانا أذًى ووبال
ولم نستفد في[8] بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[9]

---

(١) الأصل: «كبر».

(٢) (ف، ك، ط): «نهاية».

(٣) (خ، ط): «أمرهم».

(٤) الاصل: «قد».

(٥) تنسب لابن سينا، وقيل للشهرستاني، ذكرهما الأخير في «نهاية الإقدام» (ص٣)، وانظر «وفيات الأعيان» (٢/ ١٦١، ٤/ ٢٧٤).

(٦) «من كتبهم» من بقية النسخ و(خ، ط).

(٧) بقية النسخ و(خ، ط): «جسومنا». وبعده في (خ): «غاية دنيانا».

(٨) (ك): «من». و(خ): «وما نالنا في...».

(٩) (ب، ق، ف، خ): «وقال». والأبيات للرازي، انظرها في «طبقات الأطباء»: (٢/ ٤٢ ـ ٤٣)، و«وفيات الأعيان»: (٤/ ٢٥٠).

لقد تأملت الطرق الكلامية(١)، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها(٢) تشفي عليلًا ولا تُرْوي غليلًا، ورأيتُ أقربَ الطرق طريقة القرآن؛ أقرأ في الإثبات: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. قال: ومن جَرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

ويقول الآخر منهم(٣): لقد خُضْت البحر الخِضَمّ(٤)، وتركتُ أهلَ الإسلام وعلومهم، وخضت في [ق٣٠] الذي نهوني(٥) عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته(٦) فالويل لفلان، وها أنذا(٧) أموت على عقيدة أمي.

ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب(٨) الكلام.

ثم هؤلاء المتكلِّمون(٩) المخالفون للسلف إذا حُقِّق عليهم الأمر، لم

---

(١) تحرفت في (ف) إلى: «الكلابية»!

(٢) (خ): «فلم أجدها». ثم قدم آيات النفي على الإثبات.

(٣) هو إمام الحرمين الجويني، انظر «السير»: (١٨/ ٤٧١).

(٤) سقطت من (ف). وكتبت في (ك) بخط دقيق مغاير.

(٥) (خ): «نهوا».

(٦) (ف): «يداركني...رحمته».

(٧) «ذا» ليست في (ب، ف، ك).

(٨) سقطت من (ب). وهذه المقولة نسبها شيخ الإسلام للغزالي، انظر «نقض المنطق» (ص٢٥).

(٩) سقطت من (ف).

يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله، وخالص المعرفة به خَبَر، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر.

= كيف يكون هؤلاء المحجوبون، المنقوصون، المسبوقون المفضولون[1]، الحيارى، المتهوِّكون[2] أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته، من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، من[3] ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدُّجى، الذين بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلًا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جُمِعَت حكمةُ غيرهم إليها لاستحيى من يطلب المقابلة؟!

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة، لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟!

أم كيف يكون أفراخُ المتفلسفة، وأتباع الهند واليونان، وورثة[4]

---

(١) (ق): «هؤلاء المحجبون..»، (ف): «...المسبوقون المفصلون»، و«المفضولون» ليست في (خ).

(٢) الأصل: «المهوكون»، (ب، ق): «المهتوكون».

(٣) «من» ليست في (خ).

(٤) (ف، ك): «ورثة».

المجوس والمشركين، وضُلَّال اليهود والنصارى[1] والصابئين، وأشكالهم وأشباههم، أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟!.

وإنما قدَّمت هذه المقدمة لأن من استقرت عنده هذه المقدمة[2] عَلِم طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره، وعلم أن الضلال والتهوُّك[3] إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عمَّا بعث الله به محمدًا ﷺ من البينات والهدى، وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين، والتماسهم عِلْم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه، وبشهادة[4] الأمة على ذلك، وبدلالات كثيرة. وليس غرضي واحدًا معيَّنًا وإنما أصفُ نوع هؤلاء ونوع هؤلاء[5].

وإذا كان كذلك، فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسول الله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة[6] مملوء بما هو إما نصّ وإما ظاهر في أن الله هو العليّ الأعلى[7]، وهو فوقَ كلّ شيء، وهو عالٍ على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، مثل قوله:

---

(١) سقطت من (ف).

(٢) «لأن...المقدمة» سقطت من (ف).

(٣) (ف): «والهتوك».

(٤) (ف، ق): «وشهادة».

(٥) «ونوع هؤلاء» ليست في (ب، ق، خ) وبعده في (خ) زيادة: «والعاقل يسير فينظر».

(٦) (ب، ق): «الأمة».

(٧) «هو العلي الأعلى» ليست في (خ).

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ [(١)] ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦-١٧]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [آل عمران: ١٥٨]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].[ق: ٣١]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] ، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في ستة مواضع ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[(٢)] [طه: ٥] ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ[(٣)] إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا[(٤)]﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٤]. إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يُحصى إلا بِكُلْفة.

وفي الأحاديث الصحاح ما لا يكاد يُحْصى إلا بكُلْفة[(٥)]، مثل قصة معراج الرسول ﷺ إلى ربه[(٦)]، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه،

---

(١) «فإذا هي تمور» سقطت من (ق، ف، ك، خ).

(٢) قوله: «في ستة مواضع» والآية سقطت من (ب، ق).

(٣) ضبطها في الأصل: (فأطَّلِعُ) بالضبطين، وكتب فوقها: (معًا)، وقراءة النصب قراءة حفص عن عاصم، وقرأ الباقون بالضم. انظر «المبسوط»: (ص٣٢٧) لابن مهران.

(٤) الآية في (ب، ق) إلى قوله: «إله موسى».

(٥) (ف، ك، خ، ط): «الصحاح والحسان ما لا يحصى...». و «وفي الأحاديث...بكلفة» سقط من (ب).

(٦) القصة أخرجها البخاري (٣٤٦)، ومسلم (١٦٣).

وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل[1] والنهار: «**فتعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم، فيسألهم وهو أعلم بهم...**»[2].

وفي «الصحيح»[3] في[4] حديث الخوارج: «**ألا تأمنوني وأنا أمين مَنْ في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً**».

وفي حديث الرُّقية الذي رواه أبو داود وغيره: «**ربنا الله[5] الذي في السماء تقدَّس اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رَحْمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حُوبنا وخطايانا، أنت ربّ الطيبين، أنزِلْ رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع[6]**»[7]. قال ﷺ: «**إذا اشتكى أحدٌ منكم أو اشتكى أخٌ له فليقل: ربّنا الله الذي في السماء...**» وذَكَره.

وفي حديث الأوعال: «**والعرش فوق ذلك، والله فوق عرشه، وهو يعلم**

---

(١) الأصل: «في الليل».

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٢٣)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) نسخ الكتاب: «من» والمثبت من (خ، ط).

(٥) من بقية النسخ و(خ، ط). وكذا في اللفظ الآتي.

(٦) كتب بين الأسطر في (ق): «فيبرأ». وهي واردة في مصادر الحديث.

(٧) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٨٠٩)، والحاكم: (١/ ٣٤٣-٣٤٤) وغيرهم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، ومداره على زياد بن محمد، وهو منكر الحديث، وقد تفرَّد به. وحسَّنه شيخ الإسلام في «الفتاوى»: (٣/ ١٣٩).

ما أنتم عليه» رواه أحمد وأبو داود وغيرهما[١].

وقوله في الحديث الصحيح[٢] للجارية: «**أين الله؟**» قالت: في السماء، قال: «**من أنا؟**». قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**».

وقوله في الحديث الصحيح: «**إنَّ الله لما خلق الخلق كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي**»[٣].

وقوله في حديث قَبْض الروح: «**حتى تعرج به[٤] إلى السماء التي فيها الله عز وجل**».

وقول عبد الله بن رَواحة الذي أنشده للنبي وأقرَّه عليه:

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٧٠)، وأبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢)، وابن ماجه (١٩٣) وغيرهم من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه. والحديث ضعيف انظر حاشية (المسند: ٣/ ٢٩٣). لكن قال شيخ الإسلام ـ في بعض نسخ الحموية (ص٢٢٢-٢٢٣ ـ ط الصميعي): «وهذا الحديث مع أنه قد رواه أهل السنن كأبي داود وابن ماجه والترمذي وغيرهم، فهو مرويّ من طريقين مشهورين، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر، وقد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» (١/ ٣٣٤) الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولًا إلى النبي ﷺ» اهـ. وانظر «تهذيب السنن»: (٤/ ٢١٥٨-٢١٦٣) لابن القيم. وفي (خ): «رواه أبو داود» فقط.

(٢) «في الحديث الصحيح» من بقية النسخ. والحديث في «صحيح مسلم» (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٢٢) بنحوه، ومسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهذا الحديث والذي قبله سقط من (خ).

(٤) (ف، ك): «يعرج إلى».

شهـدتُ بأنّ وعْـدَ الله حـقّ   وأنّ النارَ مثوى الكافريـــنا[1]
وأنَّ العرش فوقَ الماء طافٍ   وفوق العرش ربّ العالمينا[2]

وقول أمية بن أبي الصَّلْت الذي أنشده[3] للنبي ﷺ هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال: «**آمن شِعْرُه، وكفر قلبُه**».

مجّـدوا الله فهـو للمجـد أهـل   ربنـا في الـسماء أمـسى كبـيرا
بالبنـاء الأعـلى الـذي سبق النـ   ـاس[4] وسوّى فوق السماء سريرا
شرجعًـا مـا ينالـه بـصر الـ   ـعين تُرى دونه الملائكُ صورا[5]

وقوله في الحديث الذي في «السنن»: «**إن الله حيِيٌّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّهما صِفْرًا**»[6].

وقوله: «**يمدّ يديه إلى السماء يا ربّ يا ربّ**»[7].

---

(١) في النسخ عدا (ف): «الكافرين ـ العالمين»، والقافية بألف الإطلاق.

(٢) ذكر القصة والشعر ابن عبد البر في «الاستيعاب»: (٢/ ٢٩٦-٢٩٧-بهامش الإصابة) وقال: إنها رويت من وجوه صحاح. وأخرجها ابن عساكر في «تاريخه»: (٢٨/ ١١٢).

(٣) (ك): «أنشد».

(٤) (خ): «الخلق».

(٥) «ديوان أمية بن أبي الصلت»: (ص٤١).

(٦) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦). وابن ماجه (٣٨٦٥)، وابن حبان (٨٧٦)، والحاكم: (١/ ٤٩٧). وغيرهم من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه. قال الترمذي: «حسن غريب»، وصححه ابن حبان، والحاكم وقال: «هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين».

(٧) من حديث أخرجه مسلم (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إلى أمثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله، مما هو من أبلغ التواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علمًا يقينيًّا[1] من أبلغ العلوم الضرورية، أن الرسول المبلِّغ عن الله ألقى إلى أمته المَدْعوّين: أن الله سبحانه على العرش، وأنه [ق٣٢] فوق السماء، كما فَطَر[2] على ذلك جميع الأمم: عَرَبهم وعَجَمهم في الجاهلية والإسلام، إلا من اختالته[3] الشياطين عن فطرته.

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جُمِعَ لبلغ مئين و[4] ألوفًا. ثم ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولا عن أحدٍ من سلف الأمة، لا[5] من الصحابة، ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف = حَرْفٌ واحد[6] يخالف ذلك لا نصًّا ولا ظاهرًا، ولم يقل أحد منهم قط: إن الله ليس في السماء، ولا إنه ليس على العرش، ولا إنه بذاته في كل مكان[7]، ولا أنَّ جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه[8]

---

(١) (ف): «يقينا».

(٢) (ف، ك، خ، ط): «فطر الله».

(٣) (ف، ك، خ، ط): «اجتالته». يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٨٦٥): «خلقتُ عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين...». وقوله: «فاجتالتهم» بالجيم، وروي بالخاء المعجمة، أي أزالتهم وأذهبتهم. انظر «شرح النووي»: (١٧/ ١٩٧).

(٤) (ف، ق، خ، ط): «أو».

(٥) (ف): «ولا».

(٦) (ف، ك): «حرفًا واحدًا».

(٧) «ولا إنه بذاته في كل مكان» ليست في (خ).

(٨) (ف، ك): «وأنه لا».

لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، ولا أنه لا تجوز إليه الإشارة الحسية[1].

بل قد ثبت في «الصحيح»[2] عن جابر بن عبد الله أن النبيَّ ﷺ قال[3] لمَّا خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مَجْمع حَضَره رسول الله ﷺ جعل يقول: «**ألا هل بلَّغْت**». فيقولون: نعم، فيرفع إصبعه إلى السماء ويَنْكُتها[4] إليهم ويقول: «**اللهم اشهد**» غير مرة، وأمثال ذلك كثير.

فإن كان الحقُّ ما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة بالكتاب والسنة من هذه[5] العبارات ونحوها، دون ما يفهم من الكتاب والسنة إمّا نصًّا وإما ظاهرًا، فكيف يجوز على الله تعالى، ثم على رسوله ﷺ، ثم على خير الأمة = أنهم يتكلَّمون دائمًا بما هو[6] نصّ أو ظاهر في خلاف الحق! ثم الحقّ الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط، ولا يدلّون عليه لا نصًّا ولا ظاهرًا، حتى تجيء أنباطُ الفرس والروم، وفراخ اليهود[7] والفلاسفة،

(١) بعده في (خ، ط) و(ك) من هامشها: «للأصابع ونحوها».

(٢) «صحيح مسلم» (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) من الأصل فقط.

(٤) (ب، ف، ك): «وينكبها».

(٥) العبارة في (ق): «كان ما يقوله ... الثابتة فيما في الكتاب و السنة هذه» و(ب): «الحق مما يقوله ... الثابتة في الكتاب والسنة هذه».

(٦) زاد في (ك): «إما».

(٧) (ب، ق، ف، خ، ط): «وفروخ اليهود». وفي هامش (ك) بخط دقيق زيادة «والنصارى».

يبيّنون[1] للأمة العقيدة الصحيحة، التي يجب على كلِّ مكلَّف أو كلّ فاضل أن يعتقدها!

لئن كان الحقُّ ما يقوله هؤلاء المتكلّمون[2]، وهو الاعتقاد الواجب، وهم مع[3] ذلك أُحيلوا في معرفته على مجرَّد عقولهم، وأن يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دلَّ عليه الكتاب والسنة نصًّا أو ظاهرًا= لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير! بل كان وجود الكتاب والسنة ضررًا محضًا في أصل الدين!

فإنّ[4] حقيقة الأمر ـ على ما يقوله هؤلاء ـ: إنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله وما يستحقّه من الصفات نفيًا وإثباتًا، لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة، ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقًّا له من الصفات فصِفوه به، سواء كان موجودًا في الكتاب والسنة أو لم يكن، وما لم تجدوه مستحقًّا له في عقولكم فلا تصفوه به.

ثم هم ههنا فريقان؛ أكثرهم يقولون: ما لم تثبته عقولكم فانفوه. ومنهم من يقول: بل توقفوا فيه، وما نفاه قياسُ عقولكم ـ الذي أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافًا أكثر [ق٣٣] من جميع اختلافٍ على وجه الأرض ـ

---

(١) (خ): «يثبتون».

(٢) في (خ) زيادة: «المتكلمون». وهي في هامش (ك) بخط دقيق، وكتب فوقها: نسخة.

(٣) (ب، ق): «في».

(٤) (خ): «فإن كان ...».

فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعوا، فإنه الحق الذي تعبَّدتكم به[1]! وما كان مذكورًا في الكتاب والسنة مما[2] يخالف قياسكم هذا، أو يثبت ما لم تدركه عقولكم ـ على طريقة أكثرهم ـ فاعلموا أني امتحنتكم[3] بتنزيله، لا لتأخذوا الهدى منه، لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذِّ اللغة، ووَحْشيّ الألفاظ، وغرائب الكلام، أو أن[4] تسكتوا عنه مفوِّضين علمه إلى الله، مع نفي دلالته على شيء من الصفات! هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين.

وهذا الكلام قد رأيته صرَّح بمعناه طائفة منهم، وهو لازم لجماعتهم لزومًا لا محيدَ عنه.

ومضمونه: أنَّ كتابَ الله لا يُهتدَى به في معرفة الله، وأن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسلَه، وأن الناس عند التنازع لا يردُّون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية، وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء كالبراهمة والفلاسفة، وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين، وإن كان هذا الردّ[5] لا يزيد الأمر إلا شدَّة ولا يرتفع الخلافُ به؛ إذ لكلِّ فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا

---

(١) (خ): «يُعبد ربكم به».

(٢) ليست في (ك).

(٣) (خ، ط): «أمتحنكم».

(٤) (ب، ق، ك، خ): «و أن».

(٥) أي: إلى غير الكتاب والسنة.

إليهم، وقد أُمِروا أن يكفروا بهم[١].

وما أشبه حالَ هؤلاء المتكلِّفين بقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا إِلَى الطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا أَن يَكْفُرُوا[٢] بِهِۦ وَيُرِيدُ الشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٠-٦٢].

فإنَّ هؤلاء إذا دُعُوا إلى ما أنزل الله من الكتاب وإلى الرسول ـ والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته ـ أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إنا قصدنا الإحسان علمًا وعملًا بهذه الطريق التي سلكناها، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية.

ثم عامة هذه الشُّبهات التي يسمُّونها دلائل إنما تقلَّدوا أكثرها عن طاغوت[٣] من طواغيت المشركين والصابئين، أو بعض ورثتهم الذين أُمِروا أن يكفروا بهم، مثل فلان وفلان، أو عمن قال كقولهم لتشابه[٤] قلوبهم[٥]:

---

(١) كتب فوقها في (ق): «بها».

(٢) من قوله: «بهم وما أشبه ...» إلى هنا سقط من (ف).

(٣) (ب، ق): «طواغيت».

(٤) المطبوعة: «في تشابه».

(٥) بعده في (خ): «يعني: فلاسفة الهند واليونان كأرسطو ونحوه».

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ﴾(١) [البقرة: ٢١٣].

ولازم هذه المقالة: أن لا يكون الكتابُ هدىً للناس، ولا بيانًا ولا شفاءً لما في الصدور، ولا نورًا ولا مردًّا عند التنازع؛ لأنّا نعلم [ق٣٤] بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلِّفون أنه الحقّ الذي يجب اعتقاده= لم يدلّ عليه الكتابُ ولا السنةُ لا نصًّا ولا ظاهرًا، وإنما غاية المُتَحَذّق(٢) منهم أن يستنتج هذا من قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

وبالاضطرار يعلمُ كلُّ عاقل أنَّ من دلَّ الخلقَ على أنَّ الله ليس فوق العرش، ولا فوق السموات، ونحو ذلك بقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ لقد أبعد النُّجْعة، وهو إمَّا مُلْغز وإما مدلِّس، لم يخاطبهم بلسانٍ عربيّ مبين.

ولازم هذه المقالة: أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرًا لهم في أصل دينهم؛ لأن مَرَدَّهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وإنما الرسالة زادتهم عَمًى

(١) أكملَ الآيةَ في (ف).

(٢) (ف، ك، خ، ط): «المتحذلق». والمتحذّق: الذي يتظاهر بالحذق ويتكلّفه.

وضلالًا[1]!

يا سبحان الله! كيف لم يقل الرسولُ يومًا من الدَّهر، ولا أحدٌ من سلف الأمة: هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلَّت عليه، لكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم، واعتقدوا[2] كذا وكذا فإنه الحق. وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره وانظروا فيها، فما وافقَ قياسَ عقولكم فاعتقدوه، وما لا فتوقَّفوا فيه وانفوه[3]!

ثم الرسول ﷺ قد أخبر بأن أمته ستفترق ثلاثًا وسبعين فرقة[4]، فقد عَلِم ما سيكون، ثم قال: «**إني تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكْتم به لن تضلّوا: كتاب الله**»[5].

ورُوِي عنه أنه قال في صفة الفرقة الناجية: «**هو**[6] **من كان على مثل ما أنا**

---

(١) (خ، ط): «وضلالة».

(٢) (ق، ف، ك، خ، ط): «أو اعتقدوا».

(٣) (ب، ق، ط): «أو انفوه».

(٤) حديث الافتراق جاء عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، أقواها حديث أبي هريرة. أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٢)، وأبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، وابن حبان (٦٧٣١)، والحاكم: (١/ ١٢٨). قال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه ابن حبان، والحاكم على شرط مسلم، وصححه المصنف في «الفتاوى»: (٣/ ٣٤٥).

(٥) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر الطويل.

(٦) الأصل: «هي»

عليه اليوم وأصحابي[1]»[2].

فهلَّا قال: من تمسَّك بالقرآن، أو بدلالة القرآن، أو بمفهوم القرآن، أو[3] بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال، وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم، وما يُحْدِثه المتكلِّمون منكم بعد القرون الثلاثة!

وإن كان نَبَغَ[4] أصلُ هذه المقالة في أواخر عصر التابعين. ثم أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل للصفات ـ إنما هو مأخوذ من[5] تلامذة اليهود والمشركين، وضُلَّال الصابئين.

فإنَّ أول[6] من حُفِظَ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام[7]: هو الجَعْد بن درهم، وأخذها[8] عنه الجهم بن صفوان، وأظهرها فنُسِبَت مقالته[9] الجهمية إليه.

وقد قيل: إنَّ الجَعْد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان من

---

(١) (ب، ق): «عليه وأصحابي».

(٢) هذا اللفظ جزء من حديث الافتراق المتقدم.

(٣) «بالقرآن... أو» سقط من (خ).

(٤) الأصل: «تَبِعَ»، : (ف): «نبع».

(٥) (ف، ك، خ، ط): «عن».

(٦) (ف، ك): «فأول».

(٧) بعده في (خ): «أعني: أن الله ليس على العرش حقيقة، وإنما استوى بمعنى استولى، ونحو ذلك، أول ما ظهرت هذه المقالة من الجعد...».

(٨) (ب، ق): «واخذ».(ف، ك): «فأخذها».

(٩) (ب، ق، ك، خ، ط): « مقالة».

طالوت ابن أخت لَبيد بن أعْصَم، وأخذها طالوت من لبيد بن أعصم اليهودي الساحر، الذي سَحَر النبيَّ ﷺ».

ثم أطال الشيخ رحمه الله الكلامَ إلى أن قال: «والفتوى لا تحتمل البسطَ في هذا الباب، وإنما أُشير إشارةً إلى مبادئ الأمور، والعاقل يسير فينظر، وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة، لا يمكن أن نذكر هنا إلا قليلًا منه».

إلى أن قال: «وإذا كان أصلُ هذه المقالة ــ مقالة[1] التعطيل والتأويل ــ مأخوذًا[2] عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود، فكيف تطيبُ نفسُ مؤمن، بل نفس عاقل، أن يأخذ [ق٣٥] سبيلَ[3] هؤلاء المغضوب عليهم والضالين، ويدعَ سبيلَ الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟!».

قال: «ثمّ القول الشامل في جميع هذا الباب: أن يوصَفَ اللهُ بما وصف به نفسَه أو وصفَه به رسولُه، و[4] بما وصفه به السابقون الأوّلون، لا يتجاوز[5] القرآنَ والحديثَ[6].

(١) سقطت من (ف).

(٢) (ب، ق، ك): «مأخوذ».

(٣) سقطت من (ف).

(٤) (ك): «أو».

(٥) (ف): «لا يتجاوزون».

(٦) بعده في (ك) بخط دقيق وعليه علامة اللحق: «قال الإمام أحمد رضي الله عنه: لا يوصف =

ومذهب السلف: أنهم يصفون اللهَ بما وصف به نفسَه وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل».

ثم ذكر الشيخ رحمه الله جُملًا نافعةً وأصولًا جامعةً في إثبات الصفات والردِّ على الجهمية، وذَكَر من النقول عن سلف الأمة وأئمتها في إثبات العلوّ وغيره ما يضيق هذا الموضع عن ذكره.

ثم قال في آخر كلامه:

«وجِماع الأمر: أن الأقسامَ الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام، كلٌّ قسم عليه طائفة من أهل القبلة؛ قسمان يقولون[1]: تُجْرَى على ظاهرها، وقسمان يقولون: هي على خلاف ظاهرها، وقسمان يسكتون.

أما الأولون[2] فقسمان:

أحدهما: من يُجريها على ظاهرها، ويجعل ظاهرَها من جنس صفات المخلوقين. فهؤلاء هم المشبِّهة، ومذهبهم باطل أنكره السلف، وإليهم توجَّه الردُّ بالحق.

والثاني: من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى، كما يجري

= الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله لا يتجاوز القرآن والحديث». وهي موجودة في (خ، ط). والظاهر أن المصنف تركها اختصارًا.

(١) كذا في الأصول، وفي (خ، ط): «يقولان».

(٢) (ف): «الأولان».

اسم[1] العليم والقدير، والربّ والإله، والموجود والذات، ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى. فإنَّ ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين إما جوهر محدَث وإما عَرَض قائم به[2].

فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب، ونحو ذلك في حق العبد: أعْراض. والوجه واليد والعين في حقّه: أجسام.

فإذا كان الله موصوفًا عند عامة أهل الإثبات بأنَّ له علمًا وقدرة، وكلامًا ومشيئة، وإن لم تكن أعراضًا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين، جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجسامًا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين[3]. وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطَّابي وغيره عن السلف، وعليه يدلُّ كلامُ جمهورهم، وكلامُ الباقين لا يخالفه[4].

وهو أمر واضح، فإنَّ الصفات كالذات، فكما أنَّ ذاتَ الله ثابتةٌ حقيقةً من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين[5]، [فصفاته ثابتةٌ حقيقةً من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين][6].

---

(١) (خ، ط): «ظاهر اسم».

(٢) (خ): «حق المخلوق إما جوهر وإما عَرَض».

(٣) «جاز... المخلوقين» سقط من (خ).

(٤) «وكلام...يخالفه» سقطت من (ف).

(٥) (ف، ك، خ، ط): «جنس المخلوقات».

(٦) ما بينهما ساقط من الأصل و(ب، ق)، وهو انتقال نظر، وثابت في (ف، ك، خ، ط). وفي الأخيرتين «المخلوقات».

فمن قال: لا أعقل علمًا ويدًا إلا من جنس العلم واليد المعهودَين[1].

قيل له: فكيف تعقل ذاتًا من غير جنس ذوات المخلوقين؟! ومن المعلوم أن صفات كلِّ موصوفٍ تناسب ذاتَه وتلائمُ حقيقتَه، فمن لم يفهم من صفات الربّ الذي ليس كمثله شيء إلا ما يناسب المخلوق، فقد ضلَّ في عقله ودينه.

وما أحسن ما قال بعضُهم: إذا قال لك الجهميُّ: كيف استوى؟ أو كيف ينزل إلى سماء الدنيا؟ وكيف يداه؟ ونحو ذلك.

فقل له: كيف هو في نفسه؟

فإذا قال: لا يعلم ما هو [ق٣٦] إلا هو، وكُنْه الباري غير معلوم للبشر.

فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزم[2] للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن يُعْلَم[3] كيفية صفةٍ لموصوفٍ[4] لم تُعْلم كيفيته؟ وإنما تُعلم الذات والصفات من حيث الجملة، على الوجه الذي ينبغي لك.

بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «**ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء**»[5]. وقد أخبر الله تعالى أنه:

---

(١) الأصل: «المعهودتين».

(٢) الأصل: «يستلزم». و(خ): «الصفة مسبوق بكيفية».

(٣) (ك): «تعلم».

(٤) «فكيف...لموصوف» سقطت من (ب). و(ك): «أن تعلم».

(٥) أخرجه ابن جرير: (١/ ٤١٦) وغيره كما في «الدر المنثور»: (١/ ٨٢).

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧]. وقال النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلبِ بشر**»[١].

فإذا كان[٢] نعيم الجنة ـ وهو خلقٌ من خلق الله ـ كذلك، فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى؟!

وهذه الرُّوح التي في بني آدم، قد عَلِم العاقلُ اضطرابَ الناسِ فيها، وإمساك النصوص عن بيان[٣] كيفيتها، أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى؟ مع أنا نقطع أن الروح في البدن، وأنها تخرج منه وتعرج إلى السماء، وأنها تُسَلُّ منه وقت النَّزْع، كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة. لا نغالي[٤] في تجريدها غلوّ المتفلسفة ومن وافقهم، حيث نفوا عنها الصعود والنزول، والاتصال بالبدن والانفصال عنه، وتخبَّطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته. فعَدَم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها[٥] بحسبها، إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص، فيكونوا قد أخطأوا في اللفظ، وأنى لهم بذلك؟![٦]

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) بعده في (ف): «هذا».

(٣) «عن بيان» في (ف): «على».

(٤) (خ): «لا يقال».

(٥) ليست في (ب، ق).

(٦) بعده في (ط- الفتاوى) نص في أربعة أسطر ليس في نسخ العقود ولا (خ) ولا نسخ

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها ـ أعني[1] **الذين يقولون:** ليس لها في الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قطّ، وأنَّ الله لا صفةَ له ثبوتية، بل صفاته إما سلب وإما إضافة[2] وإمَّا مركَّبة منهما. أو يثبتون بعض الصفات، وهي السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر. أو يثبتون الأحوال دون الصفات، على ما قد عُرِف من مذاهب المتكلِّمين[3]؛ فهؤلاء قسمان:

قسم يتأوَّلونها ويعيّنون المراد، مثل[4] قولهم: «استوى» بمعنى «استولى»، أو بمعنى: علوّ المكانة والقدر[5]، أو بمعنى: ظهور نوره للعرش، أو بمعنى[6]: انتهاء الخلق إليه، إلى غير ذلك من معاني المتكلِّفين[7].

وقسم يقولون: الله أعلم بما أراد بها لكنَّا نعلم أنه لم يُرِد إثبات صفة خارجةٍ عما علمناه.

وأما القسمان الواقفان؛ فقسم يقولون: يجوز أن يكون المراد ظاهرها

الحموية الأخرى.

(١) الأصل: «عن»!

(٢) (ب، ق): «سلب وإضافة».

(٣) (خ): «من مذاهبهم».

(٤) (ف): «بمثل».

(٥) (خ): «مكانه والقدرة».

(٦) «علو...بمعنى» سقطت من (ف)، وهي لحق في هامش (ك) بخط دقيق مغاير.

(٧) الأصل: «المتكلمين» قراءة مرجوحة.

اللائق بالله تعالى، ويجوز أن لا يكون المراد[1] صفةً لله تعالى، ونحو ذلك. وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم.

وقوم[2] يمسكون عن هذا كلِّه، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات.

فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرجَ الرجلُ عن قسم منها.

والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها: القطع بالطريقة الثانية[3]؛ كالآيات والأحاديث الدالة على أنه [ق٣٧] سبحانه فوق عرشه، ويُعلم طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والإجماع على ذلك دلالةً لا تحْتمل[4] النقيض، وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض.

وتردُّد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والإيمان ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ومن اشتبه ذلك عليه أو غيره، فلْيَدْعُ بما رواه مسلم في «صحيحه»[5] عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يصلي يقول:

---

(١) «ظاهرها...المراد» سقط من (ب، ق).

(٢) المطبوعة: «وقسم».

(٣) (ب): «الثابتة».

(٤) (ق): «لا يشتمل النقيض...مع اشتمال..».

(٥) رقم (٧٧٠).

«اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطرَ السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اخْتُلِف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

وفي رواية لأبي[1] داود: أنه كان يكبِّر في صلاته ثم يقول ذلك.

فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه، وأدْمَن النظرَ في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين= انفتح له طريقُ الهدى.

ثم إن كان قد خَبَرَ نهايات[2] إقدام المتفلسفة والمتكلِّمين في هذا الباب، وعَلِم[3] غالبَ ما يزعمونه برهانًا وهو شُبهة[4]، ورأى أن غالبَ ما يعتمدونه يؤول إلى دعوى لا حقيقة لها، أو شبهة مركَّبة[5] من قياس فاسد، أو قضيَّة كُلّية لا تصحّ إلا جُزئية، أو دعوى إجماع لا حقيقة له، والتمسّك[6] في المذهب والدليل بالألفاظ المشتركة.

ثم إن ذلك إذا رُكِّب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم[7] يعرف

(١) (ب): «وفيما رواه أبو..». (ق): «رواية أبي..». والرواية في«السنن» رقم (٧٦٨).

(٢) (ف): «بنهايات».

(٣) بقية النسخ، خ، ط: «وعرف».

(٤) (ق): «شبه».

(٥) (ب، ق): «شبه مرة».

(٦) (ف، ك): «والتمثيل». (ط): «أو التمسك».

(٧) (خ): «غرّ من لم».

اصطلاحهم أو همَت الغِرَّ ما يوهم[1] السَّرابُ للعطشان= ازداد إيمانًا وعلمًا بما جاء به الكتاب والسنة. فإن الضدَّ يُظْهر حُسْنَه الضدُّ. وكلُّ من كان بالباطل أعلم كان للحق أشدَّ تعظيمًا وبقدره أعْرَف[2].

فأما المتوسِّط من المتكلّمين فيُخاف عليه ما لا يُخاف على من لم يدخل فيه، وعلى من قد أنهاه نهايته. فإنَّ من لم يدخل فيه هو في عافية، ومن أنهاه فقد عرف الغاية، فما بقي يخاف[3] من شيء آخر. فإذا ظهر له الحقّ وهو عطشان إليه قَبِلَه. وأمّا المتوسِّط فمتوهِّم بما تلقَّاه[4] من المقالات المأخوذة، تقليدًا لمعظِّمِه وتهويلًا.

وقد قال الناس: أكثر ما يفسدُ الدنيا: نصفُ متكلِّم، ونصف متفقِّه، ونصف متطبِّب، ونصف نحوي. هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان.

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة[5] وغيرهم ــ في الغالب ــ في قولٍ مختلف[6]، يؤفَكُ عنه من أُفِك، يعلم الذكيُّ منهم العاقلُ أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حُجَّته ليست بيّنة، وإنما هي كما قيل فيها:

---

(١) (ف، ك، خ، ط): «يوهمه».

(٢) بعده في (ط ـ الفتاوى): «إذا هُدي إليه».

(٣) (ف، ك): «يخاف عليه».

(٤) (ق، ف، ك، خ): «يلقاه». و(ط): «يتلقاه».

(٥) (ب، ق): «المتفلسفين».

(٦) (ب، ق، ف): «مؤتفك».

حُججٌ تَهافَتُ كالزّجاج تـخالها حقًّا وكـلٌّ كـاسِرٌ مكسـور[1]

ويعلمُ البصير العالم أنهم من وجه مستحقُّون ما قاله الشافعي رضي الله عنه حيث قال: «حُكْمي في أهل الكلام أن [ق٣٨] يضربوا بالجريد والنعال، ويُطاف بهم[2] في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام».

ومن وجه آخر إذا نظرتَ إليهم بعين[3] القدر ـ والحيرةُ مستوليةٌ عليهم، والشيطانُ مستحوذٌ عليهم ـ رَحِمْتَهم ورقَقْتَ لهم[4].

أوتوا ذكاءً وما أوتوا زكاء، وأُعطوا فهومًا وما أعطوا علومًا، وأعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدةً ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

ومن كان عالمًا[5] بهذه الأمور تبيَّن له بذلك حِذْق السلف وعلمهم

---

(١) ذكره الخطابي في «الغنية» (ص/ ٤١)، وقريب منه من أبيات لابن الرومي في «ديوانه»: (٣/ ١١٣٩):

لذوي الجدال إذا غدوا لجدالهم حجج تضلّ عن الهدى وتجورُ
وهنَّ كآنية الزّجاج تصادمت فهوَت وكلٌّ كاسرٌ مكسور
فالقاتل المقتول ثَمَّ لضعفه ولوَهْيه والآسرُ المأسور

(٢) (ف): «عليهم». وكلمة الشافعي أخرجها ابن عبد البر في «الجامع»: (٢/ ٩٤١).

(٣) سقطت من (ب، ق). (خ): «بعين العُذْر».

(٤) (ف، ك، ب، ق، خ): «عليهم». و(ك): «ورفقت».

(٥) (خ، ط): «عليمًا».

وخبرتهم، حيث حذَّروا عن[1] الكلام ونهوا عنه، وذموا أهله وعابوهم. وعَلِمَ أنّ من ابتغى الهدى من[2] غير الكتاب والسنة لم يزدد إلا بُعدًا. فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين».

هذا آخر «الحموية الكبرى» وهي في ستة[3] كراريس بقطع نصف البلدي، ألفها الشيخ رحمه الله قبل سنة سبعمائة، وعمره إذ ذاك دون الأربعين سنة، ثم انفتح له بعد ذلك من الردِّ على الفلاسفة والجهمية وسائر أهل الأهواء والبدع، ما لا يوصف ولا يعبَّر عنه. وجرى له من المناظرات العجيبة والمباحثات الدقيقة، في كتبه وغير كتبه، مع أقرانه وغيرهم، في سائر أنواع العلوم ما تضيق العبارة عنه.

وقد ذكرنا عن ابن الزَّمْلَكاني ـ فيما تقدم ـ أنه قال: ولا يعرف أنه[4] ناظر أحدًا فانقطع معه.



---

(١) (ف): «من».

(٢) (خ، ط): «في».

(٣) «في» ليست في (ف، ك). و(ب، ق، ف): «ست».

(٤) سقطت من (ك).

[مناظرة في الحمد والشكر مع ابن المرحِّل]

وقد رأيت بخطِّ بعض[1] أصحابه ما صورته:

«تلخيص مبحث جرى بين شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيميَّة رحمه الله وبين ابن المُرَحِّل[2]:

كان الكلام في الحَمْد والشكر، وأن الشكر يكون بالقلب[3] واللسان والجوارح[4]، والحمد لا يكون إلا باللسان.

فقال ابنُ المُرحِّل: قد نقل بعض المصنِّفين ـ وسمّاه ـ: أن مذهب أهل السنة والجماعة: أن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد، ومذهب الخوارج: أنه يكون بالاعتقاد والقول والعمل. وبنوا على هذا أن من ترك الأعمال يكون كافرًا؛ لأن الكفر نقيض الشكر، فإذا لم يكن شاكرًا كان كافرًا.

قال الشيخ تقي الدين: هذا المذهب المحكيُّ عن أهل السنة[5] خطأ،

---

(١) سقطت من (ف).

(٢) «المرحل» تكررت في (ك)، و«ابن» سقطت من (ف) وفي هامشها إشارة إلى التصحيح. وابن المرحِّل هو: محمد بن عمر بن مكي صدر الدين المعروف بابن الوكيل الشافعي (ت٧١٦). قيل: كان لا يقوم بمناظرة ابن تيمية أحد سواه. انظر «أعيان العصر»: (٥/ ٥-٣٣)، و«الدرر الكامنة»: (٤/ ١١٥-١٢٣). وهذا المبحث موجودٌ في «مجموع الفتاوى»: (١١/ ١٣٥-١٤٥) وهو مأخوذ من هنا.

(٣) (ف): «في القلب»

(٤) سقطت من (ب).

(٥) (ف): «السنة والجماعة».

والنقلُ فيه[1] عن أهل السنة خطأ، فإنّ مذهب أهل السنة: أن الشكر يكون بالاعتقاد والقول والعمل، قال الله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣]. وقام النبي ﷺ حتى تورَّمت قدماه، فقيل له: أتفعل هذا وقد غَفَر الله لك[2] ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**»[3].

قال ابن المُرحِّل: أنا لا أتكلَّم في الدليل، وأُسلِّم ضعف هذا القول، لكن أنا أنقل أنه مذهب أهل السنة.

قال الشيخ تقي الدين: نسبة هذا إلى أهل السنة خطأ، فإنَّ القول إذا ثبت ضعفه كيف يُنْسَب إلى أهل [ق٣٩] الحقِّ؟

ثم قد صرَّح من شاء الله من العلماء المعروفين بالسنة: أن الشكر يكون بالاعتقاد والقول[4] والعمل، وقد دلَّ على ذلك الكتابُ والسنة.

قلت: وباب سجود الشكر في الفقه[5] أشهر من أن يُذْكر، وقد قال النبي ﷺ عن سجدة (ص): «**سجدها داودُ توبةً ونحن نسجدها شكرًا**»[6]. ثم مَن

---

(١) «فيه» ليست في (ب، ق) وفي هامش (ق): لعله «والناقل له أو». و«والنقل فيه» سقطت من (ف).

(٢) (ف): «أتفعل ذلك وقد غُفِر لك».

(٣) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٤) ليست في (ب، ق).

(٥) «في الفقة» سقطت من (ب، ق).

(٦) أخرجه النسائي (٩٥٧)، وفي «الكبرى» (١٠٣١، ١١٣٧٤) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وأخرجه الشافعي في القديم كما في «معرفة السنن»: (٢/ ١٥٥-١٥٦) وفي =

الذي قال من أئمة السنة: إن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد؟

قال ابن المُرحِّل: هذا قد نُقل، والنقل لا يُمْنَع لكن يُسْتَشْكل، ويقال: هذا مذهبٌ مُشكل.

قال الشيخ تقيُّ الدين ابن تيميَّة: النقل نوعان:

أحدهما: أن يَنقل ما سَمِع أو رأى.

والثاني: ما يُنقل باجتهادٍ واستنباط.

وقول القائل: مذهب فلان كذا، أو مذهب أهل السنة كذا، قد يكون نسبَه إليه لاعتقاده[1] أن هذا مقتضى أصوله، وإن لم يكن فلانٌ قال ذلك. ومثل هذا يدخله الخطأ كثيرًا[2].

ألا ترى أن كثيرًا من[3] المصنِّفين يقول[4]: مذهبُ الشافعي أو غيره كذا، ويكون منصوصه بخلافه، وعُذْرهم في ذلك: أنهم رأوا أن أصولَه تقتضي ذلك القول، فنسبوه إلى مذهبه من جهة الاستنباط لا من جهة النص.

وكذلك هذا لمَّا كان أهل السنة لا يُكَفِّرون بالمعاصي، والخوارج

= القديم مرسلًا وموصولًا. قال البيهقي: والمحفوظ المرسل، والموصول ليس بالقوي. وكذا قال المنذري. انظر «البدر المنير»: (٤/ ٢٥٠-٢٥١).

(١) (ب، ق): «لاعتقاد».

(٢) سقطت من (ب، ق).

(٣) زاد في (ب): «المتعلمين».

(٤) (ف): «يقولون».

يكفِّرون بالمعاصي، ثم رأى المصنِّف أنَّ[1] الكفر ضد الشكر = اعتقدَ أنَّا إذا جعلنا الأعمال شكرًا لزم انتفاء الشكر بانتفائها، ومتى انتفى الشكر خَلَفه الكفر، ولهذا قال: إنهم بنوا على ذلك التكفير بالذنوب، فلهذا عزى إلى أهل السنة إخراج الأعمال عن الشكر.

قلت: كما أن كثيرًا من المتكلِّمين أخرج الأعمال عن الإيمان لهذه العلة.

قال: وهذا خطأ؛ لأن الكفر[2] نوعان؛ أحدهما: كفر النِّعمة، والثاني: الكفر بالله. والكفرُ الذي هو ضدّ الشكر إنما هو كفر النعمة لا الكفر بالله، فإذا زال الشكر خَلَفه كفر النّعمة لا الكفر بالله[3].

قلت: على أنه لو كان ضدّ[4] الكفر بالله، فَمَن ترك الأعمال شاكرًا بقلبه ولسانه فقد أتى ببعض الشكر وأصله، والكفرُ إنما يثبت إذا عُدِم الشكرُ بالكلية، كما قال أهل السنة: إن من ترك فروع الإيمان لا يكون كافرًا حتى يترك أصل[5] الإيمان، وهو الاعتقاد. ولا يلزم من زوال فروع[6] الحقيقة التي هي ذات شُعَب وأجزاء زوال اسمها، كالإنسان إذا قُطِعت يدُه، أو الشجرة إذا قُطِع بعض فروعها.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) (ف، ك): «التكفير».

(٣) عبارة «فإذا زال ...الله» تكررت في (أ، ف، والمطبوعة، والفتاوى).

(٤) (ف، ك): «ضده».

(٥) باقي النسخ: «أصول».

(٦) سقطت من (ب، ق).

قال الصَّدْر ابن المُرحِّل: فإن أصحابك قد خالفوا الحسن البصري في تسمية الفاسق «كافر النعمة»، كما خالفوا الخوارج في جعله كافرًا بالله[1].

قال الشيخ تقي الدين: أصحابي لم يخالفوا الحسن في هذا، فعمَّن تنقل من أصحابي هذا[2]؟ بل يجوز عندهم أن يسمَّى الفاسق «كافر النعمة» حيث أطلقته الشريعة[3].

قال ابن المُرحِّل: أنا ظننت أن أصحابك قد قالوا هذا [ق٤٠] لكن أصحابي قد خالفوا الحسن في هذا.

قال الشيخ تقي الدين: ولا أصحابك خالفوه، فإن أصحابك قد تأوَّلوا أحاديث النبي ﷺ التي أُطْلق فيها الكفر على بعض الفسوق، مثل ترك الصلاة، وقتال المسلمين، على أن المراد به كفر النعمة؛ فعُلِم[4] أنهم يطلقون على المعاصي في الجملة أنها كفر النعمة، فعُلِم أنهم موافقو[5] الحسن لا مخالفوه.

ثم عاد ابن المُرحِّل فقال: أنا أنقل هذا عن المصنف، والنقلُ ما يُمْنع لكن يُسْتَشكل.

---

(١) سقط من (ب، ق).

(٢) ليست في (ب).

(٣) (ق): «الشرع».

(٤) سقطت من (ب، ق).

(٥) (ف): «موافقون».

قال الشيخ تقي الدين: إذا دار الأمر بين أن يُنْسَب إلى أهل السنة مذهب باطل، أو يُنْسَب الناقلُ عنهم إلى تصرّفه في[1] النقل، كان نسبة الناقل إلى التصرُّف أولى من نسبة الباطل إلى طائفة الحق، مع أنهم قد صرَّحوا في غير موضع أن الشكر يكون بالقول والعمل والاعتقاد، وهذا أظهر من أن يُنْقَل عن واحدٍ بعينه.

ثم إنَّا نعلم بالاضطرار أنه ليس من أصول أهل الحق إخراج الأعمال أن تكون شكرًا لله، بل قد نصَّ الفقهاء على أن الزكاة شكر نعمة المال. وشواهد هذا أكثر من أن تحتاج إلى نقل.

وتفسير الشكر بأنه يكون بالقول والعمل في الكتب التي يُتكلَّم فيها على لفظ (الحمد والشكر) مثل[2] كتب التفسير واللغة وشروح الحديث، يعرفه آحاد الناس، والكتاب والسنة قد دلَّا على ذلك.

فخرج ابن المُرحِّل إلى شيء غير هذا فقال: الحَسَن[3] يسمِّي الفاسق منافقًا، وأصحابك لا يسمونه منافقًا.

قال الشيخ تقيُّ الدين له: بل يسمّونه منافقًا النفاق الأصغر لا النفاق الأكبر، والنفاقُ يطلق على النفاق الأكبر الذي هو إضمار[4] الكفر، وعلى النفاق الأصغر الذي هو اختلاف السرِّ والعلانية في الواجبات.

---

(١) (ب، ق): «إلى».

(٢) سقطت من (ب، ق).

(٣) (ف، ك) زيادة: «البصري».

(٤) الأصل: «إصرار».

قال له ابن المُرحِّل: ومن أين قلت: إن الاسم يُطلق على هذا وعلى هذا؟

قال الشيخ تقي الدين: هذا[1] مشهور عند العلماء، وبذلك فسَّروا قول النبيِّ ﷺ: **«آيةُ المنافق ثلاث: إذا حدَّث كَذَب، وإذا وَعَد[2] أخْلَف، وإذا ائتُمِنَ خان»**[3]. وقد ذكر ذلك الترمذيُّ وغيره، وحكوه عن العلماء[4].

وقال غير واحد من السلف: كفر دون كفر، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك.

وإذا كان النفاقُ جنسًا تحته نوعان، فالفاسق داخلٌ في أحد نوعيه.

قال ابن المُرحِّل: كيف تجعل النفاق اسم جنس، وقد جَعَلْته[5] لفظًا مشتركًا؟ وإذا كان اسم جنس كان[6] متواطئًا، والأسماء المتواطئة غير المشتركة، فكيف تجعله مشتركًا[7] متواطئًا؟

قال الشيخ تقي الدين: أنا لم أذكر أنه مشترك، وإنما قلت: يُطلق على هذا

---

(١) من قوله: «له: بل يسمونه ...» إلى هنا ساقط من (ق).

(٢) (ب): «أوعد».

(٣) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) قال الترمذي في «الجامع» عقب حديث (٢٦٣٢): «وإنما معنى هذا عند أهل العلم: نفاق العمل، وإنما كان نفاق التكذيب على عهد رسول الله ﷺ. هكذا روي عن الحسن البصري شيء من هذا أنه قال: النفاق نفاقان: نفاق العمل، ونفاق التكذيب»اهـ.

(٥) الأصل «جعله».

(٦) «إذا كان اسم جنس كان» سقط من (ف).

(٧) «وإذا كان ... مشتركًا» سقط من (ب، ق).

وعلى هذا، والإطلاق أعمّ.

ثم لو قلتُ: إنه مشترك لكان الكلام صحيحًا، فإن اللفظ الواحد قد يُطلق على شيئين[1] بطريق التواطؤ، وبطريق الاشتراك، فأطلقتُ لفظ النفاق على إبطان الكفر وإبطان المعصية، تارةً بطريق الاشتراك، وتارةً بطريق التواطؤ. كما أنَّ لفظ «الوجود» يطلق على الواجب والممكن، عند قوم باعتبار الاشتراك، وعند قومٍ باعتبار التواطؤ؛ ولهذا سمّي مشكّكًا.

قال ابن المُرحِّل: كيف يكون هذا؟ وأخذَ في كلامٍ[2] لا يَحْسُن ذِكْره!

قال[3] الشيخ تقي الدين: المعاني الدقيقة تحتاج إلى إصغاء واستماع وتدبر. وذلك أن الماهيَّتين إذا كان بينهما قدر مشترك وقدر مميز، واللفظ يُطلق على كلٍّ منهما، فقد يطلق عليهما باعتبار[4] ما به تمتاز كلُّ ماهيَّة عن الأخرى، فيكون مشتركًا الاشتراك اللفظي. وقد يكون مطلقًا باعتبار القَدْر المشترك بين الماهيَّتين، فيكون لفظًا متواطئًا.

قلت: ثم إنه في اللغة يكون موضوعًا للقدر المشترك، ثم يغلب عُرْف الاستعمال على استعماله في هذا تارةً وفي هذا تارة. فيبقى دالًّا بِعُرف الاستعمال على ما به الاشتراك والامتياز. وقد تكون قرينة مثل لام التعريف أو الإضافة تكون هي الدالَّة على ما به الامتياز.

---

(١) (ب، ق): «مشترك».

(٢) (ق، ف): «بكلام».

(٣) (ك): «قال له».

(٤) سقطت من (ف).

مثال ذلك: اسم الجنس إذا غلب في العُرْف على بعض أنواعه، كلفظ «الدابة» إذا غلب على الفَرَس، قد نُطلقه على الفَرَس باعتبار القَدْر المشترك بينها[1] وبين سائر الدواب، فيكون متواطئًا. وقد نُطلقه[2] باعتبار خصوصية الفَرَس، فيكون مشتركًا بين خصوص الفَرَس وعموم سائر الدواب، ويصير استعماله في الفَرَس تارةً بطريق التواطؤ[3]، وتارة بطريق الاشتراك.

وهكذا اسم الجنس إذا غلب على بعض الأشخاص وصار عَلَمًا بالغَلَبة، مثل ابن عُمر[4] والنجم، فقد نُطلقه عليه باعتبار القَدْر المشترك بينه وبين سائر النجوم وسائر بني عمر، فيكون إطلاقه عليه بطريق التواطؤ، وقد نطلقه[5] باعتبار ما به يمتاز عن غيره من النجوم، ومن بني عمر، فيكون بطريق الاشتراك بين هذا المعنى الشخصي، وبين المعنى النوعي.

وهكذا كلّ اسمٍ عامّ غلب على بعض أفراده، يصحّ استعماله في ذلك الفرد بالوضع الأول العام فيكون بطريق التواطؤ، وبالوضع[6] الثاني فيصير بطريق الاشتراك.

ولفظ «النفاق» من هذا الباب؛ فإنه في الشرع: إظهار الدين وإبطان

(١) (ف): «بينهما».

(٢) (ب، ق): «يطلقه». وكذا ما يأتي بعد خمسة أسطر.

(٣) «تارة بطريق التواطؤ» في (ب، ق، ف) بعد «الاشتراك».

(٤) (ك) في جميع المواضع: «عمرو».

(٥) (ف، ك) زيادة: «عليه».

(٦) (ف، ك): « بالوضع».

خلافه. وهذا المعنى الشرعيّ أخصّ من مسمّى النفاق في اللغة، فإنه في اللغة أعم من إظهار الدين.

ثم إبطان[1] ما يخالف الدين، إما أن يكون كفرًا أو فسقًا، فإذا[2] أظهر أنه مؤمن وأبطن التكذيب، فهذا هو النفاق الأكبر الذي أُوعِدَ صاحبه بأنه في الدَّرْك الأسفل من النار. وإن أظهر أنه صادق أو موف أو أمين، وأبطن الكذب والغدر والخيانة ونحو ذلك، فهذا هو النفاق الأصغر الذي يكون صاحبه فاسقًا. فإطلاق النفاق عليهما في الأصل بطريق التواطؤ.

وعلى هذا؛ فالنفاق اسم جنس تحته نوعان. ثمّ إنه قد يراد به النفاق في أصل الدين، مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، و﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]. والمنافق هنا[3]: الكافر.

وقد يراد به [ق٤٢] النفاق في فروعه، مثل قوله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث**»[4]، وقوله: «**أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا**»[5]. وقول ابن عمر فيمن يتحدث عند الأمراء بحديث[6]، ثم يخرج فيقول بخلافه: «كنّا نعدّ هذا

---

(١) (ف): «إبطال».

(٢) (ب، ق): «فإن».

(٣) (ب، ق): «هو».

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٦) ليست في (ب، ق).

على عهد النبيّ ﷺ نفاقًا»[1].

فإذا أردتَ به أحدَ النوعين، فإما أن يكون تخصيصه لقرينة لفظيّة، مثل لام العهد والإضافة، فهذا لا يخرجه عن أن يكون متواطئًا، كما إذا قال الرجل: جاء القاضي، وعنَى به: قاضي بلده، لكون اللام للعهد، كما قال سبحانه: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٦] أن اللام هي أوجبت قصْر الرسول على موسى، لا نفس لفظ «رسول».

وإما أن يكون لغلبة الاستعمال عليه فيصير مشتركًا بين اللفظ العام والمعنى الخاص، فكذلك قوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ فإن تخصيص هذا اللفظ بالكافر، إما أن يكون لدخول اللام التي تفيد العهد، والمنافق المعهود هو الكافر، أو تكون[2] لغلبة هذا الاسم في الشرع على نفاق الكفر. وقوله ﷺ: «**ثلاثٌ من كنَّ فيه كان منافقًا...**» يعني به[3] منافقًا بالمعنى العام، وهو إظهاره من الدين خلاف ما يُبْطن.

فإطلاق لفظ «النفاق» على الكافر وعلى الفاسق، إن أَطلَقْتَه باعتبار المعنى العام كان متواطئًا، وإن أَطْلَقْتَه على الكافر باعتبار[4] ما يمتاز به عن الفاسق كان إطلاقه عليه وعلى الفاسق باعتبار الاشتراك. وكذلك يجوز أن

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٧٨).

(٢) (ب، ق): «ويكون».

(٣) «يعني به» ليست في (ب).

(٤) «المعنى ...باعتبار » سقطت من (ف، ك)، و«باعتبار» ليست في (ب، ق) ومكانها في (ق): «بما».

يُراد به الكافر خاصة، ويكون متواطئًا إذا كان الدال على الخصوصية غير لفظ «منافق» بل لام التعريف.

وهذا البحث[1] الشريف جار في كلّ لفظ عام اسْتُعْمل في بعض أنواعه؛ إما لغلبة الاستعمال، أو لدلالة لفظية خصَّته بذلك النوع، مثل تعريف الإضافة، أو تعريف اللام؛ فإن كان لغلبة الاستعمال صح أن يقال: إن اللفظ مشترك[2]، وإن كان لدلالة لفظية كان اللفظ باقيًا على مواطأته.

فلهذا صحّ أن يقال: النفاق[3] اسم جنس تحته نوعان، لكون اللفظ في الأصل عامًّا متواطئًا.

وصحَّ أن يقال: هو مشترك بين النفاق[4] في أصل الدين، وبين مطلق النفاق في الدين، لكونه في عُرْف الاستعمال الشرعي غلب على نفاق الكفر.



(١) (ف): «اللفظ».

(٢) مكانها في الأصل علامة لحق، لكن لم يظهر على هامش النسخة.

(٣) (ف): «إن النفاق».

(٤) «بين النفاق» سقطت من (ب، ق).

بحثٌ ثانٍ جرى(١)

أَنَّ الحمد والشكر بينهما عموم وخصوص؛ فالحمد أعمّ من جهة أسبابه التي يقع عليها، فإنه يكون على جميع الصفات، والشكر لا يكون إلا على الإحسان. والشكر أعمُّ من جهة ما به يقع، فإنه يكون بالاعتقاد والقول والفعل، والحمد يكون بالفعل(٢) أو بالقول أو بالاعتقاد(٣).

أورد الشيخ الإمام زين الدين ابن المنجَّى الحنبلي(٤): أن هذا الفرق إنما هو من جهة مُتعلَّق الحمد والشكر؛ لأنَّ كونه يقع على كذا ويقع بكذا خارج عن ذاته، فلا يكون فرقًا في الحقيقة، والحدود إنما يتعرَّض فيها لصفات الذات، لا لما خرج عنها.

فقال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيميَّة:

المعاني على قسمين: مفردة ومضافة [ق٤٣] فالمعاني المفردة حدودها

---

(١) في نسخة (ب) في هذا الموضع ما نصه: «وذكر الشيخ شمس الدين بن عبد الهادي رحمة الله عليه مؤلف هذه الترجمة بحوثًا أخر تركتها اختصارًا»اهـ. ونهاية الاختصار في ص١٧٣. وهذا البحث في «مجموع الفتاوى»: (١١/ ١٤٦-١٥٥) وهو مأخوذ من هنا.

(٢) الأصل، (ف): «بالقول» سبق قلم.

(٣) «والقول ... بالاعتقاد» سقط من (ق).

(٤) هو: المنجَّى بن عثمان بن أسعد بن المنجَّى أبو البركات الدمشقي الحنبلي، عالم، مشارك في عدة فنون، وأحد شيوخ ابن تيمية، انتهت إليه رئاسة المذهب بالشام، (ت٦٩٥). «ذيل طبقات الحنابلة». (٤/ ٢٧١-٢٧٤)، و«المقصود الأرشد»: (٣/ ٤١-٤٢).

لا تؤخذ[1] عنها متعلَّقاتها[2]، وأما المعاني الإضافية فلا بد أن يوجد في حدودها تلك الإضافات، فإنها داخلة في حقيقتها ولا يمكن تصورها إلا بتصور تلك المتعلَّقات، فتكون المتعلَّقات[3] جزءًا من حقيقتها فيتعيَّن[4] ذكرها في الحدود.

والحمد والشكر معنيان متعلَّقان[5] بالمحمود عليه والمشكور عليه[6] فلا يتم ذكر حقيقتهما إلا بذكر متعلّقهما، فيكون متعلقهما داخلًا في حقيقتهما.

فاعترض الصدر ابن المُرحِّل[7] بأنه ليس للمتعلِّق من المتعلَّق صفة ثبوتية، فلا يكون للحمد والشكر من متعلقهما صفة ثبوتية، فإن التعلُّقَ[8] صفة نسبية[9]، والنِّسَب أمورٌ عدمية، وإذا لم تكن صفة ثبوتية لم تكن داخلة في الحقيقة؛ لأن العدم لا يكون جزءًا من الوجود.

---

(١) (ف، ك) في هذا الموضع: «توجد»، وفي الموضع الثاني (ف، ق): «توجد»، (ك): «يوجد».

(٢) (ف، ك): «فيها بتعلقاتها».

(٣) (ف): «التعليقات... للتعلقات».

(٤) (ق): «فتعين».

(٥) «متعلقان» ليست في (ف)، و(ق، ك): «معينان متعلقان» ووضع في (ك) خطًّا على «معينان» ثم كتب في الهامش: لعله متعلقان..

(٦) (ق): «والشكر...»، و «عليه» ليست في (ف).

(٧) تقدم التعريف به (ص١٤٥).

(٨) (ف، ك): «المتعلق».

(٩) (ف): «تشبيه».

فقال الشيخ تقي الدين: قولك: «ليس للمتعلِّق من المتعلَّق صفة ثبوتية»، ليس على العموم، بل قد يكون للمتعلِّق من المتعلَّق صفة ثبوتية[1]، [وقد لا يكون، وإنما الذي يقوله أكثر المتكلمين: ليس لمتعلق القول من القول صفة ثبوتية][2].

ثم الصفات المتعلِّقة نوعان:

أحدهما: إضافة محضة، مثل الأبوَّة والبنوَّة والفوقية والتحتية، ونحوها. فهذه الصفة التي[3] يقال فيها: هي مجرّد نسبة وإضافة، والنِّسَب أمور عدمية.

والثاني: صفة ثبوتية مضافة إلى غيرها كالحبّ والبغض، والإرادة والكراهة، والقدرة، وغير ذلك من الصفات، فإن الحبّ صفة ثبوتية متعلقة بالمحبوب. فالحب معروض للإضافة، بمعنى أن الإضافة صفة عرَضَتْ له، لا أنَّ[4] نفس الحبّ هو الإضافة. ففرقٌ بين ما[5] هو إضافة وبين ما هو صفة مضافة، فالإضافة يقال فيها: إنها عَدَمية، وأما[6] الصفة المضافة فقد تكون ثبوتية كالحب[7].

(١) «ليس على ... ثبوتية» سقط من (ف).

(٢) مابين المعكوفين سقط من الأصل، وهو انتقال نظر.

(٣) (ف، ك): «هي التي».

(٤) (ق): «لأن».

(٥) (ف، ك): «بينهما» وفي هامش (ك): لعله «بينهما» في الموضعين.

(٦) (ط): «قال: وأما».

(٧) «كالحب» ساقطة من (ق). وفي (ك) تكررت عبارة: «وأما الصفة ... كالحب».

قال ابن المُرحِّل: الحبُّ أمر عَدَميّ؛ لأن الحبّ نسبة، والنِّسَب[1] عدميّة.

قال الشيخ تقيّ الدين: كون الحب والبغض والإرادة والكراهة أمرًا عدميًا باطلٌ بالضرورة، وهو خلاف إجماع العقلاء. ثمّ هو مذهبُ بعض المعتزلة في إرادة الله؛ فإنه[2] زعم أنها صفة سلبية، بمعنى أنه غير مغلوب ولا مُسْتكره، وأطبق الناسُ على بطلان هذا القول. وأما إرادة المخلوق وحبّه وبُغْضه فلم نعلم أحدًا من العقلاء قال: إنه أمرٌ[3] عدميّ.

فأصرَّ ابنُ المُرحِّل على أن الحبّ الذي هو ميل القلب إلى المحبوب أمر عدمي، وقال: المحبة أمر وجودي.

قال الشيخ تقي الدين: المحبّة هي الحبّ، فإنه يقال: أحبّه وحبّه حبًّا و محبّةً، ولا فرق، وكلاهما مصدر.

قال ابن المُرحِّل: وأنا أقول: إنهما إذا كانا مصدَرين فهما أمرٌ عَدَميّ.

قال له الشيخ تقي الدين: الكلام إذا انتهى إلى المقدمات الضرورية فقد انتهى وتمّ، وكون الحبّ والبغض أمرًا وجوديًّا معلومٌ بالاضطرار، فإنّ كلَّ أحدٍ يعلم أن الحيَّ إن[4] كان خاليًا عن الحبّ كان هذا الخُلوّ[5] صفةً

---

(١) الأصل: «والنسبة».

(٢) تكررت في الأصل.

(٣) ليست في (ف، ك).

(٤) (ف): «إذا».

(٥) (ف، ك): «الخلق».

عدمية، فإذا صار محبًّا فقد تغير الموصوف وصار له صفة ثبوتية[1] زائدة على ما كان قبل أن يقوم به الحبّ، وهو[2] يحس ذلك من نفسه [ق٤٤]، يجده كما يجد شهوته ونُفْرته، ورضاه وغضبه، ولذَّته وألَمَه.

ودليل ذلك: أنك تقول: أحبَّ يُحب محبَّة، ونقيض «أحبّ»: لم يحب، و«لم يحب» صفة عدمية، ونقيض العدم الإثبات.

قال ابن المُرحِّل: هذا ينتقض بقولهم: امتنع يمتنع، فإنّ نقيض الامتناع: لا امتناع، [والامتناع][3] صفة عدمية.

قال الشيخ تقي الدين: الامتناع أمرٌ اعتباري عقلي، فإنّ الممتنع ليس[4] له وجود خارجي حتى تقوم به صفة، وإنما هو معلوم بالعقل باعتبار[5] كونه معلومًا له ثبوتٌ علمي. وسَلْب هذا الثبوت العلمي: عدم هذا الثبوت، فلم يَنْقُضْ هذا قولَنا: نقيض العدم ثبوت.

وأما الحبّ فإنه صفة قائمة بالمحبّ، فإنك تشير إلى عينٍ خارجةٍ وتقول: هذا الحيّ صار محبًّا بعد أن لم يكن محبًّا، فتخْبِر عن الوجود الخارجي بصفةٍ[6]، فإذا كان نقيضها عدمًا خارجيًّا، كانت وجودًا[7] خارجيًّا.

(١) ليست في (ق).
(٢) (ف، ك): «ومن».
(٣) سقطت من الأصل.
(٤) سقطت من (ق).
(٥) (ف، ك): «وباعتبار».
(٦) ليست في (ك).
(٧) (ف): «وجوديًّا».

وفي الجملة فكون الحبّ والبغض صفةً ثبوتيةً وجودية معلوم بالضرورة، فلا يُقبل فيه نزاع ولا يُناظَر صاحبه إلا مناظرة السّوفسطائية.

قلت: وإذا كان الحبُّ والبغض ونحوهما من الصفات المضافة المتعلقة بالغير صفاتٍ وجودية، وظهر الفرقُ بين الصفات التي هي إضافة ونسبة، وبين الصفات التي هي مضافة منسوبة، فالحمد والشكر من القسم الثاني. فإن الحمد أمر وجوديّ متعلِّق بالمحمود عليه، وكذلك الشكر أمر وجودي متعلق بالمشكور عليه، فلا يتم فهم حقيقتهما إلا بفهم الصفة الثبوتية لهما التي هي متعلقة بالغير، وتلك الصفة داخلة في حقيقتهما. فإذا كان متعلَّق أحدهما أكبر[1] من متعلَّق الآخر، وذلك التعلق إنما هو[2] عارض لصفة ثبوتية لهما = وجبَ ذكر تلك الصفة الثبوتية في ذكر حقيقتهما.

والدليل على هذا: أن من لم يفهم الإحسان امتنع أن يفهم الشكر، فعُلِم أن تصوّر متعلَّق الشكر داخل في تصوّر الشكر.

قلت: ولو قيل: إنه ليس هذا إلا أمرًا عدميًّا فالحقيقة إن كانت مركَّبة من وجودٍ وعدم، وجب ذكرهما في تعريف الحقيقة، كما أنَّ من عرَّف الأبَ من حيث هو أب، فإنّ تصوّره موقوف على تصوّر الأبوَّة التي هي نسبة وإضافة، وإن كان الأبُ أمرًا وجوديًّا.

فالحمد والشكر متعلِّقان بالمحمود عليه والمشكور عليه، وإن لم يكن

---

(١) (ق): «أكثر».

(٢) سقطت من (ف، ك).

هذا التعلُّق عارضًا[1] لصفة ثبوتية، فلا يُفهم الحمد والشكر إلا بفهم هذا التعلّق، كما لا يُفهَم معنى الأب إلا بفهم معنى الأبوَّة، الذي هو التعلق. وكذلك الحمد والشكر أمران متعلّقان بالمحمود عليه والمشكور عليه.

وهذا التعلُّق جزء من هذا المسمى، بدليل أن من لم يفهم الصفات الجميلة لم يفهم الحمد، ومن لم يفهم الإحسان لم يفهم الشكر.

فإذا كان فهمهما موقوفًا على فهم متعلَّقهما، فوقوفه على فهم التعلّق أولى، فإن التعلّق فرع على المتعلّق وتبع[2] له، فإذا توقَّف فهمهما على فهم المتعلّق الذي هو أبعد عنهما من التعلق، فتوقّفه على فهم المتعّلق[3] أولى، وإن كان المتعلّق أمرًا عدميًّا، والله سبحانه أعلم.

[ق٤٥] مبحث ثالث

ادّعى مُدّعٍ أن قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥] عامٌّ[4] في كلِّ ما يسمّى بيعًا.

قال له الشيخ تقي الدين ابن تيميَّة: قوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ قد أُتْبع بقوله: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ وعامة أنواع الربا يسمى بيعًا، والربا إنْ كان اسمًا مجملًا فهو مجهول، واستثناء المجهول من المعلوم يوجب جهالة

---

(١) (ف، ك): «المتعلق» وكذا مابعدها، و (ك): «عارض».

(٢) الأصل: «ومنع»!

(٣) (ف، ك): «التعلق» وكذا ما بعدها.

(٤) «عام» ليست في (ب، ق).

المستثنى[1]، فيبقى المراد إحلال[2] البيع الذي ليس بربًا. فما لم يثبت أن الفرد المعيّن ليس بربًا لم يصحّ إدخاله في البيع الحلال، وهذا يمنع دعوى العموم. وإن كان الربا اسمًا عامًّا فهو مستثنًى من البيع أيضًا، فيبقى البيع لفظًا مخصوصًا، فلا يصح ادعاء العموم على الإطلاق فيه[3].

قال ابن المُرحِّل: هذا من باب التخصيص، وهنا عمومان تعارضا، وليس من باب[4] الاستثناء، فإنّ صِيَغ الاستثناء معلومة، وإذا كان هذا تخصيصًا لم يُمنع ادعاء العموم فيه.

قال الشيخ تقي الدين: هذا كلام متصل بعضه ببعض، وهو من باب التخصيص المتصل، وتسميه الفقهاء: استثناء، كقوله: له هذه الدار ولي منها هذا البيت، فإن هذا بمنزلة[5]: إلا هذا البيت، وكذلك لو قال: أكرم هؤلاء القوم ولا تكرم فلانًا، وهو منهم، كان بمنزلة قوله: إلا فلانًا، وإذا كان كذلك صار بمنزلة قوله: أحلَّ[6] الله البيع إلا ما كان منه ربًا. فمن ادعى بعد هذا أنه عامّ في كلّ ما يسمى بيعًا فهو مخطئ.

قال ابن المُرحِّل: أنا أسلِّم أنه إنما هو عامّ في كل بيع لا يسمى ربًا.

---

(١) (ق، ف، ك): «المستبقى».

(٢) (ق): «حلال».

(٣) ليست في (ك)

(٤) «التخصيص ... من باب» سقط من (ف).

(٥) (ق، ف، ك) زيادة: «قوله».

(٦) (ف، ك): «وأحل».

قال له الشيخ تقي الدين: وهذا كان المقصود، لكن[1] بطل بهذا دعوى عمومه على الإطلاق، فإن دعوى العموم على الإطلاق تنافي[2] دعوى العموم في بعض الأنواع دون بعض، وهذا كلام بيِّن.

وادعى مدّع أن فيه قولين، أحدهما: أنه عام مخصوص، والثاني: أنه عموم مراد.

فقال الشيخ تقي الدين: فإنَّ دعوى أنه عموم مراد، باطل قطعًا، فإنّا نعلم أن كثيرًا من أفراد البيع حرام.

فاعترض ابنُ المُرحِّل بأن تلك الأفراد حُرِّمت بعد ما أُحِلّت، فيكون نسخًا.

قال الشيخ تقي الدين: فيلزم من هذا أن لا نحرم شيئًا من البيوع بخبر واحد ولا بقياس، فإنّ نسخ القرآن لا يجوز بذلك، وإنما يجوزتخصيصه به، وقد اتفق العلماء[3] على التحريم بهذه الطريقة.

قال ابن المُرحِّل: رجعتُ عن هذا السؤال، لكن أقول: هو عموم مراد في كلِّ ما يسمى بيعًا في الشرع، فإن البيع من الأسماء المنقولة إلى كل بيع صحيح شرعي.

قال الشيخ تقي الدين: «البيع» ليس من الأسماء المنقولة، فإن مسماه في الشرع والعرف هو المسمى اللغوي، لكنَّ الشارع اشترط لِحِلّه وصحته

---

(١) (ف، ك): «ولكن».

(٢) (ق، ف، ك): «ينافي».

(٣) (ك): «الفقهاء».

شروطًا، كما قد كان أهلُ الجاهلية لهم شروط[1] أيضًا بحسب اصطلاحهم، وهكذا سائر أسماء العقود، مثل الإجارة والرهن والهبة والقرض والنكاح، إذا أريد به العقد وغير ذلك هي باقية على مسمّياتها، والنقل إنما يُحْتاجُ إليه إذا أحدث الشارعُ معاني لم تكن العربُ [ق٤٦] تعرفها مثل الصلاة والزكاة والتيمم، فحينئذٍ يحتاج إلى النقل، ومعاني هذه العقود ما زالت معروفة.

قال ابن المُرحِّل: أصحابي قد قالوا: إنها منقولة.

قال الشيخ تقي الدين: لو كان لفظ البيع في الآية المراد به البيع الصحيح الشرعي لكان التقدير: أحلّ الله البيع الصحيح الشرعي، أو أحل الله البيع الذي هو عنده حلال. وهذا مع أنه تكرر[2] فإنه يمنع الاستدلال بالآية، فإنا لا نعلم دخول بيع من البيوع في الآية حتى نعلم أنه بيع صحيح شرعي، ومتى علمنا ذلك استغنينا عن الاستدلال بالآية.

قال ابن المُرحِّل: متى ثبت أنَّ هذا الفرد يسمى بيعًا في اللغة قلتُ: هو بيع في الشرع؛ لأن الأصل عدم النقل، وإذا كان بيعًا في الشرع دخل في الآية.

قال الشيخ تقي الدين: هذا إنما يصح لو لم يثبت أن الاسم منقول، أما إذا ثبت[3] أنه منقول، لم يصحّ إدخال فردٍ فيه حتى يثبت أن الاسم[4] المنقول

(١) (ك): «شروطًا».

(٢) (ق، ف، ك): «تكرير».

(٣) (ق): «ثبتت».

(٤) « منقول ... أن الاسم» سقط من (ق).

واقع عليه، وإلا فيلزم من هذا أن كلَّ ما سمي في اللغة صلاة وزكاة وتيممًا وصومًا وبيعًا وإجارةً ورهنًا أنه يجوز إدخاله في المسمى الشرعي بهذا الاعتبار، وعلى هذا التقدير فلا يبقى فرقٌ بين الأسماء المنقولة وغيرها، وإنما يقال: الأصل عدم النقل إذا لم يثبت، بل متى ثبت النقل فالأصل[1] عدمُ دخول هذا الفرد في[2] الاسم المنقول حتى يثبت[3] أنه داخل فيه بعد النقل.

قلت: أصل[4] هذه الأبحاث الثلاثة، وكل ما فيها (قلت) فإنه من كلام الشيخ تقي الدين قرَّره بعد المناظرة[5].



(١) الأصل: «والأصل».

(٢) (ف، ك): «في هذا».

(٣) الأصل: «ثبت».

(٤) (ق): «فليتأمل»، (ف، ك): «فلتُتامل»، والمثبت من الأصل.

(٥) هنا نهاية الاختصار في نسخة (ب) وبدايته ص١٦٢.

[عودة إلى ترجمة شيخ الإسلام]

وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي[١] ـ في أثناء كلامه في ترجمة الشيخ رحمه الله ـ: وله باعٌ طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين، وقلَّ أن يتكلَّم في مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب[٢] الأربعة، وقد خالف الأربعة في مسائل معروفة، وصنَّف فيها واحتجَّ لها بالكتاب والسنة.

ولما كان مُعتقلًا بالإسكندرية التمسَ منه صاحب سَبْتة أن يجيز له مرويَّاته، وينصّ[٣] على أسماء جملة منها، فكتب في عشر ورقات جملةً من ذلك بأسانيدها من حفظه، بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر مُحَدِّث[٤].

وله الآن عدة سنين لا يفتي بمذهب معيَّن، بل بما قام الدليلُ عليه عنده. ولقد نَصَر السُّنةَ المَحْضة، والطريقةَ السلفية، واحتجَّ لها ببراهين ومقدّمات وأمور لم يُسْبَق إليها.

وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا، وجَسَر[٥] هو عليها، حتى قام عليه خلقٌ من علماء مصر والشام قيامًا لا مزيدَ عليه، وبدَّعوه وناظروه وكابروه[٦]، وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي، بل يقول الحقَّ المرَّ

---

(١) في «الدرة اليتيمية»: (ص٤٠ ـ تكملة الجامع).

(٢) «الصحابة ... مذاهب» سقط من (ف).

(٣) (ق، ف): «ويبض».

(٤) (ق، ف، وجزء الذهبي) زيادة: «يكون».

(٥) في الأصل «وحسر» والحاء عليها علامة الإهمال تحتها حاء صغيرة.

(٦) (ب، ق): «وكاتبوه».

الذي أدّاه إليه اجتهادُه، وحِدَّة ذهنه، وسَعَة دائرته في السنن والأقوال.

مع ما اشتهر عنه[1] من الورع، وكمال الفكر، وسرعة الإدراك، والخوف من الله العظيم[2]، والتعظيم لحرمات الله.

فجرى بينه وبينهم [ق٤٧] حَمَلات حربية، ووقائع شامية ومصرية، وكم من نوبةٍ قد رموه بها[3] عن قوسٍ واحدة، فينجِّيه الله! فإنه دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، قويُّ التوكُّل، ثابت الجأش، له أورادٌ وأذكار يُدْمِنها بكيفيَّةٍ[4] وجمعيّة.

وله من الطرف الآخر محبُّون من العلماء والصلحاء، ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء. وسائر العامةِ تحبُّه؛ لأنه منتصب لنفعهم ليلًا ونهارًا، بلسانه وقلمه.

وأما شجاعته؛ فبها تُضرب الأمثال، وببعضها يتشبَّه[5] أكابر الأبطال. فلقد أقامه الله في نوبة[6] غازان، والتقى أعباء الأمر بنفسه، وقام وقعد، وطلع

---

(١) (ب، ق، ف): «ومنه».

(٢) ليست في (ف، ك، وجزء الذهبي).

(٣) من الأصل.

(٤) الأصل: «بكفية»!

(٥) بقية النسخ: «تتشبّه».

(٦) (ف): «ولقد أقامه الله نوبة».

وخرج، واجتمع بالملك[1] مرتين، وبخطلوشاه[2] وببولاي[3]. وكان قَبْجَق[4] يتعجَّب من إقدامه وجرأته على المغول.

وله حِدّة قوية تعتريه في البحث، حتى كأنَّه ليثٌ حَرِب[5].

وهو أكبر من أن ينبِّه مثلي على نعوته، فلو حُلِّفْتُ بين الرُّكن والمقام لحَلَفتُ أنِّي ما رأيت بعيني مثله، ولا والله رأى[6] هو مثل نفسه في العلم!

قلت: ما فعله الشيخ رحمه الله في نوبة غازان من جميع أنواع الجهاد، وسائر أنواع الخير؛ من إنفاق الأموال، وإطعام الطعام، ودفن الموتى، وغير

---

(١) هو ملك التتار غازان ـ والعامة تقول: قازان ـ محمود بن أرغون، سار سيرة جده الأعلى جنكيزخان، وهو صاحب الحملات المتكررة على بلاد المسلمين، آخرها معركة شقحب التي مُني فيها بالهزيمة، وتوفي على إثرها سنة (٧٠٣). انظر «أعيان العصر»: (٤/ ٥-١٨)، و«الدرر الكامنة»: (٣/ ٢١٢-٢١٤).

(٢) خطلوشاه ـ ويقال: قطلوشاه بالقاف ـ من كبار أمراء التتار، وهو مقدّمهم في وقعة شقحب المشهورة سنة (٧٠٢) التي شارك فيها ابن تيمية، وهُزم فيها التتر هزيمة نكراء. قتل سنة (٧٠٧). انظر «أعيان العصر»: (٢/ ٣٢١-٣٢٢)، و«الدرر الكامنة»: (٢/ ٨٥).

(٣) بولاي: أحد مقدمي التتار الذين حضروا مع غازان لغزو الشام. قال الصفدي: اسمه الصحيح «مولاي» وإنما الناس يُحرّفونه تهكّمًا به وبأمثاله. انظر «أعيان العصر»: (٢/ ٧٠-٧١).

(٤) قبجق المنصوري، أصله من المغل، وتذبذب أمره في الالتحاق بالمغول أو بالمسلمين، إلى أن استقر أمره على قتال المغول فأبلى حسنًا، وكان شجاعًا مقدامًا ت(٧١٠). انظر «أعيان العصر»: (٤/ ٦١-٧٢)، و«الدرر الكامنة»: (٣/ ٢٤١-٢٤٣).

(٥) قيدها في الأصل: «ليثُ حرب»، وفي (ف): «حُرِب».

(٦) (ف، وجزء الذهبي) والمطبوعة: «ما رأى». وبهذه الفقرة ينتهي كلام الذهبي.

ذلك، معروف مشهور.

ثم بعد ذلك بعام سنة سبعمائة، لما قدم التتار إلى أطراف البلاد، وبقي الخلق في شدَّة عظيمة، وغَلَب على ظنّهم أن عسكر مصر قد ارتحلوا[1] عن الشام = ركب الشيخ، وسار[2] على البريد إلى الجيش المصري في سبعة أيام، ودخل القاهرة في اليوم الثامن، يوم الاثنين حادي عشر جمادى الأولى، وأطْلابُ المصريين داخلة، وقد دخل السلطان الملك الناصر.

فاجتمع بأركان الدولة، واسْتَصْرخ بهم، وحضَّهم على الجهاد، وتلا عليهم الآيات والأحاديث، وأخبرهم بما أعدَّ الله للمجاهدين من الثواب، فاستفاقوا وقويت هممهم، وأبدَوا له العذر في رجوعهم مما قاسوا من المطر والبرد بيد عرش[3] ونودي بالغزاة، وقَوي العزمُ، وعظَّموه وأكرموه، وتردد الأعيان إلى زيارته.

واجتمع به في هذه السنة الشيخ تقيّ الدين ابن دقيق العيد وسمع كلامه، وذُكِر أنهم سألوه عنه[4] بعد انقضاء المجلس فقال: هو رجل حُفَظَة[5].

---

(١) كذا في الأصل، وفي (ب، ق، ف، ك): «تخلوا».

(٢) الأصل و(ب، ق): «وساق».

(٣) (ب): «مد غرش»، (ف): «نيد عرس» ومهملة النقط في (ك)، و (ح): «يشد عرس». و(ط): «منذ عشرين»! والذي في المصادر «بَدْعَرش». انظر «ذيل مرآة الزمان»: (١/ ٤٥٧) و«تاريخ الإسلام»: (٥٢/ ١٠٠)، و«أعيان العصر»: (١/ ٤٧٢)، غيرها. ويفهم من المصادر أنها قرية بقرب قاقون، إحدى محافظات طولكرم في فلسطين. انظر على الشبكة: www.palestineremembered.com

(٤) ليست في (ك).

(٥) يعني: كثير المحفوظ. وفي مصادر أخرى أنه قال لما اجتمع به: «رأيت رجلًا كل العلوم =

قيل له: فهلَّا تكلَّمتَ معه؟ فقال: هذا رجل يحبُّ الكلام، وأنا أحبّ السكوت.

ولقد أخبرني الذهبيّ عن الشيخ رحمه الله أنه أخبره أنّ ابنَ دقيق العيد قال له بعد سماع كلامه: ما كنت أظنُّ أن الله بقي(١) يخلق مثلك(٢)!

وفي اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى المذكور، وصل(٣) الشيخ إلى دمشق على(٤) البريد.



= بين عينيه، يأخذ ما يريد ويدع ما يريد». «الجامع»: (ص ٣٢٠، ٣٣٥، ٥١٤).

(١) ليست في (ف).

(٢) والمعنى: ما كنت أظن أن سيأتي مثلك في العلم والحفظ، وهي نحو كلمة المزي وغيره: إنه لم ير مثله من نحو خمسمائة سنة. وهذه الكلمة جاءت في عدة مصادر بمثل سياق المؤلف، وأقربها إلى المعنى الذي ذكرته لفظ ابن كثير: «ما أظن بقي يُخلَق مثلك». انظر «الجامع»: (ص٤١٧، ٤٧٠، ٤٨٤، ٦٠٣، ٦٧١، ٧٢٢). وإن كان الأولى ترك هذا اللفظ لما يوهم ظاهره. انظر «معجم المناهي اللفظية» (ص ٤٨٨ ـ ٤٨٩).

(٣) (ك): «وفي يوم...»، و(ب): «... والعشرين وصل».

(٤) (ف، ك): «على باب».

[كتاب الشيخ في حادثة غزو التتار لبلاد الشام]

وكتب في هذه الحادثة كتابًا(1) وصورته(2):

إلى من يصل إليه من المؤمنين والمسلمين.

سلامٌ(3) عليكم ورحمة الله [ق48] وبركاته، فإنَّا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أَهْل، وهو على كل شيء قدير، ونسأله أن يصلي على صفوته من خلقه(4)، وخِيرته من بَرِيَّته محمد عبده ورسوله، وعلى آله وأصحابه(5) وسلم تسليمًا.

أما بعد، فقد صدق الله وعدَه، ونصر عبدَه، وأعزَّ جندَه، وهزم الأحزابَ وحدَه، ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: 25] والله تعالى يحقِّق لنا تمامَ الكلام(6) بقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى

(1) من هنا إلى ص233 مختصر في (ب) وقال ناسخها: «وذكر الشيخ شمس الدين رحمه الله مؤلف هذه الترجمة الكتاب بطوله حذفته من هذه النسخة للاختصار».

(2) بعده في (ف، ك): «بسم الله الرحمن الرحيم [هذا (من ف وفي ك قبل البسملة)] صورة كتاب كتبه شيخ الإسلام علامة الزمان تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه».

(3) (ك): «سلام الله».

(4) (ف، ك): « خليقته».

(5) ليست في (ق، ك)، و(ف): «وصحبه».

(6) (ق): «لنا التمام».

قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٧].

فإنَّ هذه الفتنة التي ابتلي بها المسلمون مع عدُوِّهم[١]، العدوّ المفسد الخارج عن شريعة الإسلام، قد جرى فيها شبيهٌ بما جرى للمسلمين مع عدوّهم على[٢] عهد رسول الله ﷺ في المغازي التي أنزل الله فيها كتابه، وابتلى بها نبيَّه والمؤمنين مما[٣] هو أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا إلى يوم القيامة، فإنَّ نصوص الكتاب والسنة اللذين هما دعوة محمد ﷺ يتناولان[٤] عموم الخلق بالعموم اللفظيّ والمعنويّ، أو بالعموم المعنويّ. وعهودُ الله في كتابه وسنة رسوله تنال آخرَ هذه الأمة كما نالت أوَّلها.

وإنما قصَّ الله علينا قَصَص مَن قبلنا من الأمم، لتكون عبرةً لنا فنشبِّه حالنا بحالهم، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المستأخرين شَبَه بما كان للمؤمن[٥] من المستقدمين[٦]، ويكون للكافر والمنافق من المستأخرين شَبَهٌ بما كان للكافر والمنافق من المستقدمين[٧]، كما قال تعالى

---

(١) (ف، ك): «مع هذا»، وسقطت «هذا» من (ق).

(٢) (ق): «جرى شبيه ... للمسلمين على ...».

(٣) (ف): «والمؤمنون ما»، و(ك): «ما».

(٤) (ف): «نبينا ولان» تحريف.

(٥) (ق): «للمؤمنين».

(٦) (ك): «المتقدمين».

(٧) (ك): «المتقدمين».

ـ لمَّا قصَّ قصة يوسف مفصَّلةً وأجمل ذكر قصص الأنبياء[1]: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ [يوسف: ١١١] أي هذه القصص المذكورة في الكتاب ليست بمنزلة ما يفترى من القصص المكذوبة، كنحو ما يُذْكر في الحروب في[2] السِّيَر المكذوبة.

وقال تعالى لما ذكر قصة فرعون: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٥-٢٦].

وقال في سيرة نبينا محمد ﷺ مع أعدائه ببدرٍ وغيرها: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣].

وقال تعالى في محاصرته لبني النضير: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

فأمرنا أن نعتبر بأحوال المستقدمين[3] علينا من هذه الأمة، وممن[4]

---

(١) بعده في (ف، ك): «ثم قال».

(٢) (ف): «وفي».

(٣) (ك): «المتقدمين».

(٤) (ق، ف): «ومن».

قبلها [ق٤٩] من الأمم.

وذكر في غير موضع أن سنته في ذلك سنة مُطَّرِدة وعادته مستمرة؛ فقال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ... ﴾ إلى قوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٠ - ٦٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفتح: ٢٢-٢٣].

وأخبر سبحانه أنَّ دأب الكافرين من المستأخرين كدأب الكافرين من المستقدمين. فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عباده، ودأب الأمم وعاداتهم، لا سيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طَبَّقَ الخافقين خَبَرُها، واستطار في جميع ديار المسلمين[1] شَرَرُها، وأطلع فيها النفاقُ ناصيةَ رأسه، وكَشَر فيها الكفرُ عن أنيابه وأضراسه، وكاد فيه[2] عمود الكتاب أن يُجْتَثَّ ويُخْتَرم، وحَبْل الإيمان أن يُقْطَع[3] ويُصْطَلم، وعُقْر دار المؤمنين أن يحلّ بها البوار، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفَجَرة التتار، وظنَّ المنافقون والذين في قلوبهم مرض أنْ ما وعدهم الله ورسولُه إلا غرورًا، وأن لن ينقلب حزبُ الله ورسوله إلى أهليهم أبدًا، وزُيِّن ذلك في قلوبهم، وظنوا ظنَّ السَّوء وكانوا

---

(١) (ك): «الإسلام».

(٢) (ف، ك): «فيها».

(٣) (ف، ك): «ينقطع».

قومًا بورًا.

ونزلت فتنةٌ تركت الحليمَ[1] فيها حيران، وأنزلت الرجلَ الصاحي منزلةَ السَّكْران، وتركت الرجلَ اللبيبَ لكثرة الوَسْواس ليس بالنائم ولا اليقظان، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان، وبقي[2] للرجل بنفسه شُغل عن أن يُغيث اللهفان.

ومَيَّز الله فيها أهلَ البصائر والإيقان، مِنَ الذين في قلوبهم مرض أو نفاق وضعف إيمان. ورفع بها أقوامًا إلى الدرجات العالية، كما خفض بها أقوامًا إلى المنازل الهاوية، وكفَّر بها عن آخرين أعمالَـهُم الخاطئة. وحَدَث من أنواع البلوى ما جعلها قيامةً مُختصرةً[3] من القيامة الكبرى، فإنَّ الناسَ تفرَّقوا فيها ما بين شقيٍّ وسعيد[4]، كما يتفرقون كذلك في اليوم الموعود. وفرَّ الرجلُ فيها من[5] أخيه وأمّه وأبيه؛ إذ كان لكلّ امرىء منهم[6] شأنٌ يغنيه، وكان من الناس من أقصى همته النجاةُ بنفسه، لا يَلْوي على ماله ولا ولده ولا غرسه[7]، كما أنَّ فيهم[8] من فيه قوة على تخليص الأهل والمال، وآخرُ فيه

(١) (ق): «الحكيم».

(٢) (ق، ف، ك): «حتى بقي».

(٣) (ك): «محتضرة».

(٤) في هامش الأصل: في نسخة «ومسعود» صح.

(٥) (ق، ف، ك): «عن».

(٦) (ق): «لكل منهم». (ف): «منهم يومئذٍ».

(٧) (ك): «عرسه».

(٨) (ق، ف): «منهم».

زيادةُ معونةٍ لمن هو منه ببال، وآخر منزلتُه منزلة الشفيع المطاع، وهم درجات عند الله في المنفعة والدفاع.

ولم تنفع المنفعة الخالصة من الشكوى إلا الإيمان والعملُ الصالح[1]، والبرّ والتقوى، وبُلِيَت فيها السرائر، وظهرت الخبايا التي كانت تُكِنُّها[2] الضمائر، وتبيّن أنَّ البَهْرج من الأقوال والأعمال، يخون صاحبه أحوجَ ما كان إليه في المآل. وذمَّ سادتَه وكبراءَه من أطاعهم فأضلّوه السبيلا[3]، كما حمدَ ربَّه من صَدَق في إيمانه فاتخذ مع الرسول[ق٥٠] سبيلًا، وبان صدقُ ما جاءت به الآثارُ النبوية من الإخبار بما يكون، وواطأتها قلوبُ الذين هم في هذه الأمة محدَّثون، كما تواطأت عليه[4] المبشِّرات التي أُرِيَها المؤمنون، وتبيّن فيها الطائفة المنصورة الظاهرة على الدين، الذين لا يضرُّهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى يوم القيامة.

حيث تحزَّب الناس ثلاثة أحزاب: حزب مجتهد في نصر الدين، وآخر خاذلٌ له، وآخر خارج عن شريعة الإسلام. وانقسم الناسُ ما بين مأجور ومعذور، وآخر قد غرَّه بالله الغَرور، وكان هذا الامتحانُ تمييزًا من الله وتقسيمًا، ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

---

(١) (ق): «الخالص».

(٢) (ف): «ظهرت فيها...»، (ق): «وظهرت الجنايا»، (ف، ك): «كانت تكتمها».

(٣) (ق): «السبيل».

(٤) (ف): «علم».

ووجه الاعتبار في هذه الحادثة العظيمة: أن الله سبحانه وتعالى بعث محمدًا بالهدى ودين الحق ليُظْهِره على الدين كلِّه، وشرع له الجهاد إباحةً[1] أولًا ثم إيجابًا ثانيًا؛ لمَّا هاجر إلى المدينة وصار له فيها أنصار ينصرون الله ورسولَه، فغزا بنفسه ﷺ مدَّة مُقامه بدار الهجرة ـ وهو نحو عشر سنين ـ بضعًا وعشرين غزوة، أوّلها بدر وآخرها غزوة[2] تبوك.

أنزل الله في أول مغازيه سورة الأنفال، وفي آخرها سورة براءة، وجمع بينهما في المصحف ليشابه[3] أول الأمر وآخره، كما قال أمير المؤمنين عثمان لما سُئل عن القِران بين السورتين من غير فصل بالبسملة[4].

وكان القتال منها في تسع غزوات.

فأوَّل غزوات القتال بدر، وآخرها حُنَين والطائف. وأنزل الله فيهما[5] ملائكته، كما أخبرَ به القرآن، ولهذا[6] صار الناس يجمعون بينهما في القول، وإن تباعَدَ ما بين الغزوتين مكانًا وزمانًا. فإنَّ بدرًا كانت في شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة، ما بين المدينة ومكة، شاميَّ مكة. وغزوة حنين في آخر شوال من السنة الثامنة. وحنين وادٍ قريب من الطائف شرقيّ مكة.

---

(١) بعدها في (ق، ف، ك): «له»، وكذا بعد «إيجابًا».

(٢) ليست في (ك).

(٣) (ف، ك): «لتشابه».

(٤) أخرجه أحمد (٣٩٩)، وأبو داود (٧٨٦)، والترمذي (٣٠٨٦)، والحاكم: (٢/ ٢٢١)، وابن حبان (٤٣). وحسنه الترمذي وصححه الحاكم وابن حبان.

(٥) (ق): «معه فيها»، (ف، ك): «فيها».

(٦) (ف): «بهذا».

ثم قَسَم النبي ﷺ غنائمها[1] بالجِعِرَّانة، واعتمر عمرة الجِعِرّانة. ثم حاصر الطائف فلم يقاتله أهلُ الطائف زحفًا وصفوفًا[2]، وإنما قاتلوه من وراء جدار.

وآخر[3] غزوةٍ كان فيها القتال زحفًا واصطفافًا هي غزوة حُنَين.

وكانت غزوة بدر أول غزوة ظهر فيها المسلمون على صناديد الكفار، وقتَل[4] الله وأَسَر رؤوسَهم مع قلة المسلمين وضعفهم، فإنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، ليس معهم إلا فَرَسان، وكان يَعْتَقِب الاثنان والثلاثة على البعير الواحد، وكان عدوّهم بقدرهم أكثر من ثلاث مرات في قوَّة وعُدّة وهيبةٍ[5] وخُيَلاء.

فلما كان من العام المقبل غزا الكفارُ المدينةَ وفيها النبي ﷺ وأصحابهُ فخرج [ق٥١] إليهم النبي ﷺ وأصحابه[6] في نحوٍ من ربع الكفار، وتركوا عيالهم بالمدينة لم ينقلوهم إلى موضع آخر. وكانت أولًا الكَرَّة للمسلمين عليهم، ثم صارت للكفار[7]، فانهزم عامة عسكر المسلمين إلا نفرًا قليلًا حول النبي ﷺ منهم من قُتِل، ومنهم من جُرِح. وحَرَصوا على قتل النبي

---

(١) (ف): «غنائمًا».

(٢) (ف): «ولا صفوفًا».

(٣) (ق، ف، ك): «فآخر».

(٤) (ق): «وقتلهم».

(٥) (ف): «وهيئة».

(٦) «فخرج... وأصحابه» سقط من (ف).

(٧) (ك): «الكفار».

ﷺ[1] حتى كسروا رَباعيته، وشجّوا جبينه، وهشموا البيضةَ على رأسه، وأنزل الله فيها نحوًا من شطر سورة آل عمران، من قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] إلى أن قال فيها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وقال فيها: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، وقال فيها: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وكان الشيطان قد نَعَق في الناس: أنّ محمدًا قد قُتل، فمنهم من تزلزل لذلك فهرب، ومنهم من ثبت فقاتل، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وكان[2] هذا مثل حال المسلمين لما انكسروا في العام الماضي، وكانت هزيمة المسلمين في العام الماضي بذنوبٍ ظاهرة وخطايا واضحة؛ مِن فساد

---

(١) «منهم... ﷺ» سقطت من (ق).

(٢) (ق): «فكان».

النيّات، والفخر والخيلاء، والظلم والفواحش، والإعراض عن حكم الكتاب والسنة، وعن المحافظة على فرائض الله، والبغي على كثير من المسلمين الذين بأرض الجزيرة[1] والروم.

وكان عدوُّهم في أول الأمر راضيًا منهم بالموادعة والمسالمة، شارعًا في الدُّخول في الإسلام. وكان مبتدئًا في الإيمان والأمان، وكانوا هم قد أعرضوا عن كثير من أحكام الإيمان = فكان من حكمة الله ورحمته بالمؤمنين أن ابتلاهم بما ابتلاهم به ليُمَحِّص[2] الله الذين آمنوا ويُنيبوا إلى ربِّهم، وليظهر من عدوِّهم ما ظهر منه[3] من البَغْي والمكْر والنَّكْث، والخروج عن شرائع الإسلام، فيقوم بهم ما يستوجبون به النصر وبعدوِّهم ما يستوجب به الانتقام.

فقد كان في نفوس كثير من مقاتلة المسلمين ورعيَّتهم من الشرِّ الكبير ما لو يقترن[4] به ظَفَرٌ بعدوِّهم ـ الذي هو على الحال المذكورة ـ لأوجب لهم ذلك من فساد الدِّين والدنيا مالا يوصف.

كما أن نَصْر الله للمؤمنين يومَ بَدْر كان رحمةً ونعمة[5]، وهزيمتهم يوم أُحدٍ كان باطنها رحمةً ونعمةً[6] على المؤمنين.

---

(١) أي: جزيرة ابن عمر التغلبي، وهي بلدة فوق الموصل، انظر «معجم البلدان»: (٢/ ١٣٨). تقع الآن بجمهورية تركيا جنوب شرق الأناضول، على الحدود السورية.

(٢) (ق): «أن ابتلاهم به فيمحص».

(٣) ليست في (ق).

(٤) (ق): «اقترن».

(٥) (ك): «للمسلمين يوم ...»، (ق): «كان من رحمة الله ونعيمه».

(٦) (ف، ك): «نعمة ورحمة»، و«باطنها» ليست في (ك).

فإن النبي ﷺ قال: **«لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيرًا له، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سرَّاءُ فشكر الله كان خيرًا له، وإن أصابته ضراء [ق٥٢] فصبر كان خيرًا له»**(١).

فلما كانت حادثةُ المسلمين عامَ أوَّل شبيهةً بأحدٍ، وكان بعد أُحد بأكثر من سنة ـ وقيل بسنتين ـ قد ابتلي المسلمون بغزوة الخندق= كذلك في هذا العام ابتُلي المسلمون(٢) بعدوِّهم، كنحو ما ابتُلي المسلمون مع النبي ﷺ عام الخندق، وهي غزوة الأحزاب التي أنزل الله فيها سورة الأحزاب.

وهي سورة تضمَّنت ذِكْر هذه الغَزَاة التي نصر الله فيها عبدَه ﷺ وأعزَّ فيها جندَه المؤمنين(٣)، وهزم الأحزاب الذين تحزَّبوا عليهم وَحْدَه(٤) بغير قتال، بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوِّهم.

ذُكِرَ فيها خصائصُ رسول الله ﷺ وحقوقُه وحُرْمتُه(٥)، وحُرمة أهل بيته؛ لمَّا كان هو القلبُ الذي نصره الله فيها بغير قتال، كما كان ذلك في غزوتنا هذه سواء(٦). وظهر فيها سرّ تأييد(٧) الدين كما ظهر في غزوة الخندق، وانقسم الناس فيها كانقسامهم عام الخندق.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه بنحوه.

(٢) (ف، ك): «المؤمنون».

(٣) (ف، ك): «المؤمنون»، وصححها في الهامش من (ك).

(٤) (ك): «عليه»، و«وحده» ليست في (ق).

(٥) (ق): «ورحمته».

(٦) فوقها في الأصل حرف(حد)ينظر

(٧) (ف): «سواء، وأهل ظهر... تأييد».

وذلك أن الله تعالى منذ[1] بعثَ محمدًا وأعزَّه بالهجرة والنُّصرة؛ صار الناس ثلاثة أقسام:

قسمًا مؤمنين، وهم الذين آمنوا به ظاهرًا وباطنًا.

وقسمًا كفَّارًا، وهم الذين أظهروا الكفر به.

وقسمًا منافقين، وهم الذين آمنوا به ظاهرًا لا باطنًا.

ولهذا افتتح الله[2] سورة البقرة بأربع آيات في صفة المؤمنين، وآيتين في صفة الكافرين، وثلاث عشرة آية في صفة المنافقين.

وكلٌّ واحد من الإيمان والكفر والنفاق له دعائم وشُعَب، كما دلت عليه دلائل الكتاب والسنة، وكما فسَّره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الحديث المأثور عنه في الإيمان ودعائمه وشُعَبه[3].

فمن النفاق ما هو أكبر، يكون صاحبه في الدَّرْك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أبيّ وغيره، بأن يظهر تكذيب الرسول، أو جحودَ بعض ما جاء به أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه، أو المسرَّة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدوًّا لله ورسوله.

---

(١) (ق): «مذ».

(٢) لفظ الجلالة ليس في (ك).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح الاعتقاد» رقم (١٥٧٠)، وابن عساكر في «تاريخه»: (٤٢/ ٥١٥). تفرد به سليمان بن الحكم وهو ضعيف، وذكره الذهبي في «الميزان»: (٢/ ٣٨٩) من منكراته.

وهذا القَدْر كان موجودًا في زمن رسول الله ﷺ وما زال بعده[1]، بل هو بعده أكثر منه على عهده[2]؛ لكون موجبات الإيمان على عهده أقوى. فإذا كانت مع قوَّتها كان النفاق[3] موجودًا، فوجوده فيما دون ذلك أولى.

وكما أنه ﷺ كان يعلم بعضَ المنافقين ولا يعلم بعضهم، كما بيَّنه قوله: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠١] كذلك خلفاؤه بعده وورثته قد يعلمون بعضَ[4] المنافقين ولا يعلمون بعضًا[5].

وفي المنتسبين إلى الإسلام من عامة الطوائف منافقون كثيرون في الخاصة والعامة، ويسمّون الزنادقة.

وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم في الظاهر، لكون ذلك لا يعلم، إذ هم دائمًا يُظهِرون الإسلام، وهؤلاء يَكْثُرون في المتفلسفة [ق٥٣] من المنجِّمين ونحوهم، ثم في الأطباء، ثم في الكتّاب أقل من ذلك. ويوجدون في المتصوِّفة والمتفقِّهة و[6] المقاتلة والأمراء، وفي العامة أيضًا.

ولكن يوجدون كثيرًا في نِحَل أهل البدع لاسيما الرافضة، ففيهم من

---

(١) ليست في (ق).

(٢) تحرفت في (ق): «هذه».

(٣) بعده في (ف، ق): «معها».

(٤) الأصل: «بعض»، و(ق): «ببعض».

(٥) الأصل: «بعضَ»، و(ف، ك، ح): «بعضهم». وسقطت من (ق).

(٦) (ف، ق، ك): «وفي».

الزنادقة والمنافقين، ما ليس في أحدٍ من أهل النِّحَل، ولهذا كانت الخُرَّمِيّة والباطنية والقرامطة والإسماعيلية والنُّصيرية، ونحوهم من المنافقين الزنادقة منتسبةً إلى الرافضة.

وهؤلاء المنافقون ـ في هذه الأوقات ـ لكثيرٍ[1] منهم مَيل إلى دولة هؤلاء التتار؛ لكونهم لا يلزمونهم شريعة الإسلام، بل يتركونهم وما هم عليه. وبعضهم إنما ينفرون عن التتار لفساد سيرتهم في الدنيا، واستيلائهم على الأموال، واجترائهم على الدِّماء والسبي، لا لأجل الدين. فهذا ضربُ النّفاق الأكبر.

وأما النفاق الأصغر: فهو النفاق في الأعمال ونحوها، مثل أن يكذب إذا حدَّث، أو[2] يُخْلِف إذا وعد، ويخون إذا ائتمن، أو يَفْجُر إذا خاصم، ففي «الصحيحين»[3] عن النبي ﷺ أنه[4] قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كَذَب، وإذا وعَدَ أخْلَف، وإذا ائتمن خان**». وفي رواية صحيحة: «**وإن صام وصلَّى وزعم أنه مسلم**».

وفي «الصحيحين»[5] عن عبد الله بن عَمْرو عن النبي ﷺ قال: «**أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خَصْلة منهن كانت فيه خَصْلة من**

---

(١) (ف): «كثير».

(٢) (ك): «و».

(٣) البخاري رقم (٣٣)، ومسلم رقم (٥٩) وقد تقدم. ووقع في (ك): «وإن صلى وصام».

(٤) ليست في (ق، ف، ك).

(٥) البخاري(٣٤)، ومسلم(٥٨). وقد تقدم.

النفاق حتى يدعها: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد[1] أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فَجَر».

ومن هذا الباب: الإعراض عن الجهاد، فإنه من خصال المنافقين، قال النبي ﷺ: **«مَنْ مات ولم يغز ولم يحدِّث نفسَه بالغزو مات على شعبةٍ من نفاق»** رواه مسلم[2].

وقد أنزل الله سورة براءة التي تسمى «الفاضحة» لأنها فضحت المنافقين. أخرجاه في «الصحيحين»[3] عن ابن عباس قال: هي الفاضحة، ما زالت تنزل (ومنهم، ومنهم) حتى ظنوا أن لا يبقى أحدٌ إلا ذكر فيها.

وعن المقداد بن الأسود قال: هي سورة البحوث؛ لأنها بحثت عن سرائر[4] المنافقين.

وعن قتادة قال: هي المثيرة؛ لأنها أثارت مخازي المنافقين.

وعن ابن إسحاق[5] قال: هي المُبَعْثرة. والبعثرة والإثارة متقاربان.

وعن ابن عمر: أنها المُقَشْقِشَة؛ لأنها تبرىء من مرض النفاق. يقال: تَقَشْقَش المريضُ إذا برأ.

وقال الأصمعي: وكان يقال لسورتي الإخلاص: المُقَشْقِشتان؛ لأنهما

---

(١) الأصل: «عاهد»، سبق قلم، والمثبت من النسخ الأخرى ومن مصادر الحديث.

(٢) رقم(١٩١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) البخاري كتاب التفسير، باب الجلاء، ومسلم (٣٠٣١).

(٤) (ق): «سائر».

(٥) الأصل: «أبي» خطأ، (ك): «ابن عباس».

يُبْرِئان من النفاق[1].

وهذه السورة نزلت في آخر مغازي النبي ﷺ ـ غزوة تبوك ـ عام تسع من الهجرة، وقد عزَّ الإسلامُ وظهر، فكشف الله فيها أحوالَ المنافقين، ووصفهم فيها بالجُبْن وترك الجهاد، ووصفهم[2] بالبخل عن النفقة في سبيل الله، والشحِّ على المال. وهذان داءان[3] عظيمان: البُخْل والجُبْن[4].

قال النبي ﷺ [ق٥٤] : «**شرُّ ما في المرء شحٌّ هالع وجُبْن خالع**»[5] حديث صحيح. ولهذا قد يكونان من الكبائر الموجبة للنار كما دل عليه قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦].

وأما[6] وصفهم بالجبن والفزع؛ فقال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ

---

(١) انظر لهذه الأسماء «الدر المنثور»: (٣/ ٣٧٦-٣٧٧).

(٢) (ف): زيادة «فيها».

(٣) الأصل: «رذءان»

(٤) (ك): «الجبن والبخل».

(٥) أخرجه أحمد (٨٠١٠، ٨٢٦٣)، وأبو داود (٢٥١١)، وابن حبان (٣٢٥٠)، والبيهقي: (٩/ ١٧٠)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) (ق، ف، ك): «فأما».

﴿مَغَـٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٦-٥٧].

فأخبر سبحانه أنهم وإن حلفوا أنهم من المؤمنين، فما هم منهم، ولكن يفزعون من العدوِّ فـ ﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا﴾ يلجأون إليه مثل[1] المعاقل والحصون التي يفرُّ إليها من يترك الجهاد ﴿أَوۡ مَغَـٰرَٰتٍ﴾ وهي جمع مغارة[2]، سُمّيت بذلك لأن الداخل يغور فيها أي: يستتر، كما يغور الماء. ﴿أَوۡ مُدَّخَلٗا﴾ وهو الذي يُتكَلَّف الدخول إليه إما لضيق بابه أو غير[3] ذلك أي: مكانًا يدخلون إليه[4] ولو كان الدخول بِكُلْفة ومشقَّة ﴿لَّوَلَّوۡاْ﴾ عن الجهاد ﴿إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ﴾ أي: يسرعون إسراعًا لا يردُّهم شيء، كالفرس الجَمُوح الذي إذا حمل لا يردُّه اللجام.

وهذا وصف منطبق على أقوامٍ كثيرين في حادثتنا، وفيما قبلها من الحوادث وبعدها.

وكذلك قال في سورة محمد ﷺ: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ أي: فبُعدًا[5] لهم ﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ

---

(١) (ك): «من».

(٢) سقطت (أو مغارات) من (ف)، و(ف، ك): «مغارة ومغارات سميت...».

(٣) (ق، ف، ك): «لغير».

(٤) (ف): «فيه».

(٥) (ف): «بعدًا».

صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾ [محمد: ٢٠-٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥] فحَصَر المؤمنين فيمن آمن وجاهد.

وقال تعالى: ﴿ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: ٤٤-٤٥].

فهذا إخبارٌ من الله بأنّ المؤمن لا يستأذن الرسول في ترك الجهاد، وإنما يستأذنه الذي لا يؤمن. فكيف بالتارك من غير استئذان؟ ومن تدبر القرآن وجد نظائر هذا متضافرة على هذا المعنى.

وقال في وصفهم بالشحّ: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤].

فهذه حال من أنفق كارهًا، فكيف من(١) ترك النفقة رأسًا؟!

وقال: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴾ [التوبة: ٥٨].

---

(١) (ف، ك): «بمن».

وقال: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٦].

[ق٥٥] وقال في السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

فانتظمت هذه الآية حالَ من أخذ المال بغير حقِّه، أو منعه عن مستحقِّه من جميع الناس؛ فإنَّ الأحبار هم العلماء، والرُّهبان هم العُبَّاد. وقد أخبر أنَّ كثيرًا منهم يأكلون أموالَ الناس بالباطل، ويَصدُّون أي: يُعرضون ويَمنعون، يقال: صدَّ عن الحق صدودًا وصدَّ غيره صدًّا[1].

وهذا يندرج فيه ما يؤكل بالباطل، مِنْ وَقْفٍ أو عطيَّة على الدين، كالصِّلات[2] والنذور التي تُنْذَر لأهل الدين، ومن الأموال المشتركة كأموال بيت المال ونحو ذلك.

فهذا فيمن يأكلُ المال بالباطل بشُبْهَة دين.

---

(١) لسيت في (ك).

(٢) (ف): «كالصلاة».

ثـم قـال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ﴾ فهـذا ينـدرج فيـه مَـن كَنَـز المـال عـن النفقـة الواجبـة في سـبيل الله، والجهادُ أحقُّ الأعمال باسم «سبيل الله» سـواءً كـان مَلِكًـا أو مقـدَّمًا أو غنيًّـا أو غير ذلك.

وإذا دَخَل في هذا ما كُنِز مـن المـال[1] المـوروث والمكسـوب، فـما كُنِـز من الأموال المشتركة التـي يسـتحقُّها عمـومُ الأمـة، ويسـتحقُّها[2] مـصالحهم أَوْلى وأحْرى.

***

فصل

فإذا تبيَّن بعضُ معنى المؤمن والمنافق، فإذا قرأ الإنسان سورة الأحـزاب، وعَرَف من المنقولات في الحديث والتفسير والفقه والمغـازي كيـف كانـت صفةُ الواقعة التي نزل بها القرآن، ثمَّ اعتبر هذه الحادثة بتلك = وجـد مـصداق ما ذكرنـا[3]، وأن النـاس انقسموا في هـذه الحادثـة إلى الأقسام الثلاثـة، كـما انقسموا في تلك، وتبيَّن له كثير من المتشابهات.

افتتح الله السورة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] وذكر في أثنائها قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا

---

(١) (ق): «في هذا الباب».

(٢) (ق، ف، ك): «ومستحقها».

(٣) (ق، ف): «ما ذكرناه».

﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٧-٤٨] ثم قال: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢-٣].

فأمره باتباع ما أُوحِي إليه من الكتاب والحكمة ـ التي هي سُنَّته ـ وبأن يتوكل على الله.

فبالأول[1] تحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وبالثانية تحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ومثل ذلك قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وهذا وإن كان مأمورًا به في جميع الدين، فإنَّ ذلك في الجهاد أَوْكَد؛ لأنه يحتاج إلى أن يُجاهد الكفار والمنافقين، وذلك لا يتمّ إلا بتأييد قويّ من الله، ولهذا كان الجهادُ سنام العمل، وانتظم سنام جميع الأحوال الشريفة.

ففيه سنام المحبة كما في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ [ق٥٦] وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

وفيه سنام التوكُّل وسنام الصبر، فإنّ المجاهدَ أحوجُ الناس إلى الصبر والتوكل، ولهذا قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا

---

(١) الأصل: «فبأول» وهو سهو، وفي (ف، ك): «فبالأولى»، ومابعدها «الثانية».

﴿حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٤١ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤١-٤٢] و﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوا إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ولهذا كان الصبر واليقين ـ الذي هو[1] أصل التوكّل ـ يوجبان الإمامة في الدين، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ[2] أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

ولهذا كان الجهاد موجبًا للهداية التي هي مُحِيْطة بأبواب العلم، كما دلَّ عليه قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فجعل لمن جاهد فيه هدايته جميع سُبله[3] تعالى، ولهذا قال الإمامان عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما: إذا اختلف الناس في شيء فانظروا ما عليه أهل الثغر، فإنَّ الحقّ معهم؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[4].

وفي الجهاد أيضًا: حقيقة الزُّهد في الحياة الدنيا[5].

---

(١) كذا في جميع الأصول.

(٢) الأصول: «وجعلناهم..».

(٣) (ق): «سبيله».

(٤) «فجعل لمن ... سبلنا» سقط من (ف، ك).

(٥) بعده في (ق، ف، ك): «وفي الدار الدنيا».

وفيه أيضًا: حقيقة الإخلاص، فإنَّ الكلام فيمن جاهد في سبيل الله لا في سبيل الرِّياسة، ولا سبيل المال، ولا سبيل الحَمِيَّة، وهذا لا يكون إلا لمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدِّين كلّه لله(١).

وأعظم مراتب الإخلاص: تسليم النفس والمال للمعبود، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١].

والجنةُ اسمٌ للدار التي حَوَت كلَّ نعيم، أعلاه النظر إلى الله، إلى ما دون ذلك مما تَشْتهيه الأنفس وتَلَذُّ الأعين مما قد نعرفه وقد لا نعرفه، كما قال الله تعالى فيما رواه عنه رسوله: «**أعْدَدْت لعباديَ الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَر على قلب بشر**»(٢).

فقد تبيَّن بعضُ أسباب افتتاح هذه السورة بهذا.

ثم إنه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

وكان مختصر(٣) القصة:

أن المسلمين تحزَّب عليهم(٤) عامَّةُ المشركين الذين حولهم، وجاءوا

---

(١) (ق): «ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة...»، وفي (ف، ك) تقديم وتأخير في الكلام.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هرير رضي الله عنه.

(٣) (ق): «مختصر هذه».

(٤) ليست في (ف).

بجموعهم إلى المدينة ليستأصلوا المؤمنين، فاجتمعت قريشٌ وحلفاؤها ومواليها من كنانة وأهل نجد والأحابيش، واجتمعَتْ غَطَفان وحلفاؤها[(١)] من بني أسد وأشْجَع وفَزارة وغيرهم من قبائل نجد.

واجتمعت أيضًا اليهودُ من قُرَيظة والنضير، فإنّ بني النضير كان النبي ﷺ قد أجلاهم قبل ذلك، كما ذكره الله في سورة الحشر، فجاءوا في الأحزاب إلى قُرَيظة، وهم متعاهدون[(٢)] للنبي ﷺ و مجاورون له قريبًا من المدينة، فلم يزالوا بهم[(٣)]، [ق٥٧] حتى نَقَضت قريظةُ العهد ودخلوا في الأحزاب، فاجتمعت هذه الأحزاب العظيمة، وهم بِقَدْر المسلمين مرَّات متعددة، فرفع النبي ﷺ الذرية من النساء والصبيان في آطام المدينة، وهي مثل الجواسق، ولم ينقلهم إلى مواضع أُخر، وجعل ظهرهم[(٤)] إلى سَلْع وهو الجبل القريب من المدينة من ناحية الغرب والشام، وجعل بينه وبين العدو خندقًا، والعدوُّ قد أحاط بهم من العالية والسافلة، وكان عدوًّا شديد العداوة، لو تمَكَّن من المؤمنين لكانت نكايتُه فيهم أعظمَ النِّكايات.

* وفي هذه الحادثة تحزَّب هذا العدوّ من مُغل وغيرهم من أنواع الترك، ومن فُرْس ومُسْتَعربة، ونحوهم من أجناس المُرْتدَّة، ومن نصارى من الأرمن وغيرهم، ونزل هذا العدوُّ[(٥)] بجانب ديار المسلمين، وهو بين الإقدام

---

(١) «ومواليها... وحلفاؤها» سقطت من (ف، ك)..

(٢) (ق، ف، ك): «معاهدون».

(٣) ليست في (ف، ك).

(٤) (ف): «موضع آخر»، (ق): «جعل ظهورهم».

(٥) «من فعل ...العدو» سقطت من (ف).

والإحْجام، مع قِلَّة مَنْ بإزائهم من المسلمين، وقصدهم[1] الاستيلاء على الدار، واصطلام أهلها.

كما نزل أولئك بنواحي المدينة بإزاء المؤمنين[2]. ودامَ الحصارُ على المسلمين عام الخندق ـ على ما قيل ـ بضعًا وعشرين ليلة، وقيل: عشرين ليلة.

وهذا العدوُّ عَبَر الفراتَ سابع عشر ربيع الآخر، وكان أول انصرافه راجعًا عن حلب، لما رجع مُقَدَّمهم الكبير غازان بمن معه يوم الاثنين حادي أو ثاني عشر جمادى الأولى[3] يوم دخل العسكر ـ عسكر[4] المسلمين ـ إلى مصر المحروسة، واجتمع بهم الداعي، وخاطبهم في هذه القضية.

وكان الله سبحانه وتعالى لما ألقى في قلوب المؤمنين ما ألقى، من الاهتمام والعزم= ألقى في قلوب عدوِّهم الرَّوعَ والانصراف.

وكان عامَ الخندقِ بردٌ شديد، وريح شديدة منكرة، بها صَرَف الله الأحزاب عن المدينة، كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

وهذا[5] العام أكْثَرَ الله فيه الثلجَ والمطر والبَرْد، على خلاف أكثر

---

(١) (ف، ك): «ومقصودهم».

(٢) (ق): «أولئك بضواحي المدينة ودام...».

(٣) الأصل و(ق): «ثاني جمادى»

(٤) (ق): «دخل عسكر».

(٥) (ق، ف، ك): «وهكذا هذا».

العادات، حتى كره أكثر الناس ذلك، وكنّا نقول لهم: لا تكرهوا ذلك، فإن لله فيه حكمةً ورحمة.

وكان ذلك من أعظم الأسباب التي صرف الله به[1] العدوَّ، فإنه كَثُر عليهم الثلج والمطر والبرد، حتى هلك من خيلهم ما شاء الله، وهلك أيضًا منهم من شاء الله، وظهر فيهم وفي بقية خَيلهم الضَّعْفُ[2] والعَجْزُ بسبب البرد والجوع = ما رأوا أنهم[3] لا طاقة لهم معه بقتال. حتى بلغني عن بعض كبار المقدَّمين في أرض الشمال[4] أنه قال: لا بيَّض الله وجوهنا، عدوُّنا في الثلج إلى شعره، ونحن نعودُ ولا نأخذهم![5].

وحتى علموا أنهم كانوا صيدًا للمسلمين لو يصطادونهم، لكن كان لله في تأخير[6] اصطيادهم حكمةٌ عظيمة.

وقال الله في شأن الأحزاب: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١٠-١١].

---

(١) (ق): «بها».

(٢) كذا في الأصل، وبقية النسخ: «من الضعف».

(٣) (ف): «أنه».

(٤) (ف، ك): «الشام».

(٥) (ك): «ونحن قعود ولا نأخذهم»، و(ق) مثلها لكن بدون الواو في «ولا نأخذهم»، (ق) كما هو مثبت، لكن شاركت (ف) في حذف الواو.

(٦) (ق): «لكن لله في تأخير ...»، (ف): «لكن لله في تأخير الله»، (ك): «لكن في تأخير الله...».

* وهكذا هذا العام؛ جاء العدوُّ من ناحيتي علوّ الشام، وشمالي[(١)] الفرات، وقِبْلي[(٢)] الفرات؛ فزاغت الأبصارُ زيغًا عظيمًا [ق٥٨] وبلغت القلوب الحناجرَ لعظم البلاء، لاسيّما لما استفاض الخبر بانصراف العسكر إلى مصر، وبِقُرْب[(٣)] العدوِّ، وتوجُّهه إلى دمشق، وظنَّ الناس بالله الظنون[(٤)]:

هذا يظنُّ أنه لا يقف قُدَّامهم أحد من جند الشام، حتى يصطلموا أهل الشام.

وهذا يظن أنهم لو وقفوا لكسروهم شرَّ كِسْرة، وأحاطوا بهم إحاطةَ الهالة بالقمر.

وهذا يظنُّ أن أرض الشام ما بقيت تُسْكَن، ولا بقيت تكون تحت مملكة الإسلام.

وهذا يظن أنهم يأخذونها، ثم يذهبون إلى مصر فيستولون عليها، فلا يقف قُدّامهم أحد، فيحدِّث نفسَه بالفرار إلى اليمن ونحوها.

وهذا ـ إذا أحسن ظنَّه ـ قال: إنهم[(٥)] يملكونها العام، كما ملكوها عام هولاكو سنة سبع وخمسين. ثم قد يخرج العسكر من مصر فيستنقذها منهم، كما خرج ذلك العام. وهذا[(٦)] ظنُّ خيارِهم.

---

(١) (ف، ك): «وهو شمالي».

(٢) (ف، ك): «وهو قبلي».

(٣) بقية النسخ: «وتقرب».

(٤) بقية النسخ: «الظنونا».

(٥) (ق): «وهذا أحسن... إنهم لا ...».

(٦) (ق): «هكذا».

وهـذا يظـنّ أنَّ مـا أخـبره بـه أهـل الأثـارة[1] النبويـة، وأهـل التحـديث والمبشِّرات أمانيّ كاذبة، وخرافات لاغية[2].

وهذا قد استولى عليه الرُّعب والفَزَع، حتى يمرُّ الظنُّ من فؤاده[3] مرَّ السَّحاب[4]، ليس له عقلٌ يتفهَّم ولا لسانٌ يتكلَّم.

وهذا قد تعارَضَت عندَه الأمارات، وتقابلت عنده[5] الإرادات، لاسيما وهو لا يفرِّق من المبشِّرات بين الصادق والكاذب، ولا يميّز في التحديث بين المخطئ والصائب، ولا يعرف النصوصَ الأثرية معرفة العلماء، بل إما أن يكون جاهلًا بها أو قد سمعها سماعَ الغبراء[6]. ثم قد لا يتفطَّن لوجوه دلالتها الخفيَّة، ولا يهتدي[7] لدفع ما يتخيَّلُ أنه معارض لها في بادِئ[8] الرويَّة.

فلذلك استولت الحيرةُ على مَن كان مُتَّسِمًا بالاهتداء، وتراجمت به الآراءُ تراجمَ الصبيان بالحصباء= ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا

---

(1) كذا بالأصل و(ق) ويشهد له ما سيأتي في الصفحة التالية من قوله: «... أهل الوراثة النبوية»، وفي (ف، ك): «الآثار». وتحتمل: «الإيالة» يعني: السياسة. وقد استخدمه شيخ الإسلام في مواضع، انظر «السياسة الشرعية» (ص٤ - بتحقيقي)، و«مجموع الفتاوى»: (٢٢/ ٤٦٣).

(2) الأصل: «لاعبة» والمثبت من باقي النسخ.

(3) بقية النسخ: «بفؤاده».

(4) الأصل: «من السخاف» تحريف.

(5) «الأمارات...عنده» سقط من (ق).

(6) (ق): «العيرا»، (ف): «وقد... العبرا»، (ك): «العبر».

(7) (ق): «يهدي».

(8) في الأصل و(ق): «نادي» والمثبت من باقي النسخ.

﴿ شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ١١] ابتلاهم الله بهذا البلاء[1] الذي يُكَفِّر به خطيئاتهم[2]، ويرفع به درجاتهم، وزُلْزِلوا بما حصل[3] لهم من الرَّجَفات، ما استوجبوا به أعلى[4] الدرجات.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢].

* وهكذا قالوا في هذه الفتنة فيما وعدهم أهل الوراثة النبوية، والخلافة الرِّسالية، وحزب الله المُحَدَّثون عنه، حتى حصل لهؤلاء التأسِّي برسول الله ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فأما المنافقون فقد مضى التنبيه عليهم.

وأمّا الذين في قلوبهم مرض فقد تكرَّر ذكرُهم في هذه السورة، فذُكِروا هنا وفي قوله: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ [الأحزاب: ٦٠]، وفي قوله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وذكر الله مرَض القلب في مواضع، فقال تعالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

(١) (ف، ك): «الابتلاء».

(٢) (ق): «خطاياهم».

(٣) (ك): «يحصل».

(٤) (ف): «عليّ».

﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، وقال تعالى[1]: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩].

والمرض في القلب كالمرض في الجَسَد، فكما أنَّ هذا هو ما أحالَه[2] عن الصِّحَّة والاعتدال من غير [موت، فكذلك قد يكون في القلب مرض يحيله عن الصحة والاعتدال من غير][3] أن يموت القلب، سواءٌ أفْسَدَ[4] إحساسَ [ق٥٩] القلبِ وإدراكَه، أو أفْسَدَ عملَه وحركَتَه.

وذلك ـ كما فسّره هو[5] ـ من ضعف الإيمان؛ إمّا يُضْعِف[6] علم القلب واعتقاده، وإما يُضْعِف عملَه وحركته، فيدخل فيه مَنْ ضَعُفَ تصديقه ومَنْ غلب عليه الجُبْن والفزع، فإنَّ أدواء القلب؛ من الشهوة المحرَّمة والحسد والجبن والبخل وغير ذلك، كلها أمراض. وكذلك الجهل والشّكوك[7] والشبهات التي فيه.

وعلى هذا فقوله: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] هو إرادة الفجور، وشهوة الزنا ـ كما فُسِّرَ به[8] ـ ومنه قولُ النبيِّ ﷺ: «وأيُّ داءٍ أدوى

---

(١) «في قلوبهم... تعالى» ليست في (ف، ك).

(٢) «ما» ليست في (ف، ك)، و (ف): «حاله».

(٣) ما بينهما ساقط من الأصل.

(٤) (ق): «فسد»، وكذا التي تليها.

(٥) (ق): «فسّروا به»، (ف، ك): «فسّروه».

(٦) الأصل: «إنّما»، وبقية النسخ: «بضعف» وكذا ما بعده.

(٧) الأصل و(ق): «الشكوى». والمثبت من باقي النسخ.

(٨) بقية النسخ: «فسّروه به».

من البُخل»[1]، وقد جعل الله كتابَه شفاءً لما في الصدور[2].

وقال النبيُّ ﷺ: «**إنما شِفاءُ العِيِّ السؤال**»[3]، وكان يقول في دعائه: «**اللهمَّ إني أعوذُ بك من منكرات الأخلاق والأهْواء والأدْواء**»[4].

ولن يخاف الرجلُ غيرَ الله إلا لمرضٍ في قلبه، كما ذكروا أن رجلًا شكا إلى أحمد بن حنبل خَوفَه من بعض الوُلاة، فقال: لو صَحَحْتَ لم تخَفْ أحدًا[5]. أي: خوفُك من أجل زوال الصِّحة من قلبك.

ولهذا[6] أوجبَ الله على عباده أن لا يخافوا حِزْبَ الشيطان، بل لا يخافوا[7] غيره، فقال: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. أي: يُخَوِّفكم أولياءَه.

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٦) من حديث جابر بن عبد الله، والحاكم في «المستدرك»: (٣/ ٢١٩) من حديث أبي هريرة، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) الورقة (٩٣ب) من نسخة (ق) مشوشة الكتابة غير ظاهرة، ومثلها (ق٩٦ب-٩٧أ).

(٣) أخرجه أحمد (٣٠٥٧)، وأبو داود (٣٣٧)، وابن ماجه (٥٧٢)، والدارمي (٧٧٩)، وابن حبان (١٣١٤)، وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٩١)، والحاكم: (١/ ٥٣٢)، والطبراني في «الكبير»: (١٩/ ١٩)، وغيرهم من حديث قُطبة بن مالك رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الحاكم على شرط مسلم.

(٥) ذكر القصة عن أحمد شيخُ الإسلام في عدد من كتبه، انظر «الفتاوى»: (١٠/ ١٠٠، ٢٨/ ٣٦، ٤٤٩)، وابن مفلح في «الآداب الشرعية»: (٢/ ٣٢ ـ الرسالة).

(٦) ليست في (ف).

(٧) (ف، ك): «يخافون».

وقال لِعموم بني إسرائيل تنبيهًا لنا: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال[١]: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]، وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٣]، وقال: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وقال: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ ...﴾ إلى قوله: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ﴾ [التوبة: ١٣].

فدلَّت هذه الآية، وهي[٢] قوله تعالى: ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأنفال: ٤٩] على أنَّ المرضَ والنفاقَ في القلب يوجب الرَّيبَ في الأنْباءِ الصادقة التي توجِبُ أمْنَ[٣] الإنسانِ من الخوف، حتَّى يظنوا أنها كانت غُرورًا لهم، كما وقع في حادثتنا هذه سواء.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مَقَامَ[٤] لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْ﴾

---

(١) (ف، ك): «قال لنا».

(٢) (ف، ك»: «وهو».

(٣) (ف، ك»: «كفر».

(٤) قرأ عامة القراء بالفتح (مَقام)، وقرأ حفص عن عاصم وحده بالضم (مُقام). انظر =

[الأحزاب: ١٣].

وكان النبيُّ ﷺ قد عَسْكَرَ بالمسلمين عند سَلْعٍ، وجعل الخَنْدَق بينه وبين العدوِّ، فقالت طائفةٌ منهم: لا مَقَامَ لكم هنا لكثرة العدوِّ، فارجعوا إلى المدينة.

وقيل: لا مَقام لكم على دين محمد فارجعوا [إلى دين الشرك وقيل: لا مَقام لكم على القتال](١) فارجعوا إلى الاستيمان والاستجارة(٢) بهم.

وهكذا لما قَدِمَ(٣) العدوُّ؛ مِنَ المنافقينَ مَنْ قال: ما بقيتِ الدَّولة الإسلامية تقوم، فينبغي الدُّخول في دولةِ التتار. وقال بعضُ الخاصَّة: ما بقيت أرضُ(٤) الشام تُسْكَنُ، بل ننتقل(٥) عنها إما إلى الحجاز واليمن، وإما إلى مصر. وقال بعضهم: بل المصلحةُ الاستسلام لهؤلاء، كما قد استسلم لهم أهلُ العراق، والدخولُ تحت حُكمهم.

* فهذه [ق٦٠] المقالات الثلاث قد قيلت في هذه النازلة، كما قيلت في تلك. وهكذا قال طائفة من المنافقين والذين في قلوبهم مرض لأهل دِمَشْق خاصَّة والشام عامَّة: لا مُقام لكم بهذه الأرض.

= «المبسوط في القراءات العشر»: (ص٣٠٠) لابن مِهران. وقراءة الفتح هي التي ذكرها المؤلف كما هو واضح مما سيأتي.

(١) ما بينهما ساقط من الأصل.

(٢) الأصل: «الاستيمار» وبعده في (ف): «والاستخارة».

(٣) بقية النسخ: «قدم هذا...».

(٤) ليست في (ق).

(٥) (ق): «يُنْتقل».

ونفي المَقام بها أبلغ من نفي المُقام، وإن كانت[1] قد قُرئت بالضَّمِّ أيضًا[2]. فإنَّ من لا[3] يقدرُ أنْ يقومَ بالمكان فكيف يُقيم فيه[4]؟

قال الله: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣].

كان قومٌ من هؤلاء المذمومين يقولون ـ والناسُ مع النبيِّ ﷺ عند سَلْع داخل الخندق، والنساء والصبيان في آطام المدينة ـ: يا رسول الله إنّ بيوتنا عورة، أي مكشوفة، ليس[5] بينها وبين العدوّ حائل.

وأصل العورة: الخالي الذي يحتاج إلى حفظ وسَتْر، يقال: اعورَّ مجلسك إذا ذهب ستره، أو سقط جداره. ومنه: عورة العدوّ.

وقال مجاهد والحسن: أي ضائعة، نخشى[6] عليها السُّرَّاق. وقال قتادة: قالوا: بيوتنا ممّا يلي العدوّ، ولا نأمن على أهلنا، فأْذَنْ لنا لنذهب إليها[7]، لحفظ النساء والصِّبيان[8].

---

(١) (ف، ك): «كان».

(٢) انظر الصفحة السابقة حاشية (٣).

(٣) (ق): «لم».

(٤) (ك): «به».

(٥) (ف، ك): «فليس».

(٦) (ك): «يخشى».

(٧) (ف، ك): «فلا نأمن... أن نذهب...».

(٨) أخرجها ابن جرير: (١٩/ ٤٤)، وانظر «الدر المنثور»: (٥/ ١٥٩).

قال الله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾؛ لأنَّ الله يحفظها ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾، فهم يقصدون الفرار من الجهاد، ويحتجُّون بحجَّة العائلة.

* وهكذا أصاب كثيرًا من الناس في هذه الغَزاة، صاروا يفرُّون من الثغر إلى المعاقل والحصون، وإلى الأماكن البعيدة، كمصر، ويقولون: ما مقصودنا إلاّ حفظ العيال، وما يمكن إرسالهم مع غيرنا، وهم يكذبون في ذلك. فقد كان يمكنهم جعلهم في حِصْن دمشق لو دنا العدوُّ، كما فعل المسلمون على عهد رسول الله ﷺ. وقد كان يمكنهم إرسالهم والمقام للجهاد، فكيف بمن فرَّ بعد إرسال عياله[1] ؟

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٤].

فأخبر أنه لو دُخِلَت عليهم المدينة من جوانبها، ثم طُلِبَت منهم الفتنة ـ وهي الافتتان عن الدين بالكفر، أو[2] النفاق ـ لأعطَوا الفتنةَ، ولجاءوها من غير توقُّف.

* وهذه حالة[3] أقوام لو دَخَل عليهم هذا العدوُّ المنافق المجرم، ثم طُلب منهم موافقته على ما هو عليه من الخروج عن شريعة الإسلام ـ وتلك فتنةٌ عظيمة ـ لكانوا معه على ذلك، كما ساعدهم[4] في العام الماضي أقوام

---

(١) (ف): «إرساله».

(٢) (ق، ف): «و».

(٣) بقية النسخ: «حال».

(٤) (ق): «ساعدوهم».

بأنواعٍ من الفتنة في الدين والدنيا، ما بين ترك واجباتٍ، وفعل محرَّمات، إمّا في حقِّ الله، وإمّا[1] في حق العباد؛ كترك الصلاة، وشُرب الخمور، وسبِّ السَّلف، وسبِّ جنود المسلمين، والتجسُّس لهم على المسلمين، ودلالتهم على أموال المسلمين وحريمهم، وأخذ أموال الناس وتعذيبهم، وتقوية دولتهم الملعونة، وإرجاف قلوب المسلمين[2] منهم، إلى غير ذلك من أنواع الفتنة.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا[3] عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ [الأحزاب: ١٥].

* وهذه حالة[4] أقوام عاهدوا ثم نكثوا قديمًا وحديثًا في هذه [ق٦١] الغزوة؛ فإنّ العام الماضي وفي هذا العام ـ في أوّل الأمر ـ مِنَ الناس[5] من أصنافِ الناس مَنْ عاهد على أن يُقاتل ولا يفرَّ، ثم فرَّ منهزمًا لما اشتدّ الأمرُ.

ثمَّ قال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦].

فأخبر الله أنّ الفرار لا ينفع لا من[6] الموت ولا من القتل، فالفرار

---

(١) «في حق الله وإما» سقطت من (ف).

(٢) (ف): «المؤمنين».

(٣) «كانوا» سقطت من الأصل.

(٤) بقية النسخ: «حال».

(٥) كذا في جميع الأصول، وغيِّر «من الناس» في المطبوع إلى «كان».

(٦) (ف): «لا ينفع من».

من الموت كالفرار من الطاعون، ولذلك[1] قال النبي ﷺ: «**إذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**»[2]. والفرارُ من القتل كالفرار من الجهاد.

وحرف «لن» ينفي الفعل في الزمن المستقبل، والفعلُ نكرة، والنكرةُ في سياق النفي تعمُّ جميع أفرادها، فاقتضى ذلك: أنّ الفرار من الموت أو القتل ليس فيه منفعة[3] أبدًا. وهذا خبر الله الصادق، فمن اعتقد أنّ ذلك منفعة فقد كذَّبَ الله في خبره.

* والتَّجربة تدلُّ على مثل ما دلّ عليه القرآن، فإنَّ هؤلاء الذين فرُّوا في هذا العام لم ينفعهم فرارُهم، بل خسروا الدِّين والدنيا، وتفاوتوا في المصائب. والمرابطون الثابتون نفعهم ذلك في الدِّين والدنيا، حتَّى الموت الذي فرُّوا منه كَثُرَ فيهم، وقلَّ في المقيمين، فمات مع الهرب مَن شاء الله. والطالبون للعدوِّ والمعاقبون لهم لم يمت منهم أحد ولا قُتِل، قلَّ الموتُ جدًّا في البلد[4] من حين خرج الفارُّون[5]. وهكذا سُنَّة الله قديمًا وحديثًا.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، يقول: لو كان الفرار ينفعكم لم ينفعكم إلا حياةً قليلة ثم تموتون، فإنّ الموت لا بُدَّ منه.

وقد حُكِيَ عن بعض الحمقى أنَّه قال: فنحن نريد ذلك القليل!

---

(١) (ف، ق): «وكذلك».

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٢٢١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في هامش (ك): نسخة «ينفعه».

(٤) (ك): «بل الموت قل في البلد»، و(ف): «بل الموت جدًّا بالبلد».

(٥) الأصل: «الغازون» خطأ.

وهذا جهلٌ منه بمعنى الآية، فإنّ الله لم يقل: إنّهم يُمتَّعون بالفرار قليلًا، لكن[1] ذكر أنه لا منفعة فيه أبدًا.

ثم ذكر جوابًا ثانيًا: أنه لو كان ينفع لم يكن فيه إلا متاع قليل[2].

ثم إنّه ذكر جوابًا ثالثًا: وهو أنّ الفارَّ يأتيه ما قُضِي له من المضرَّة، ويأتي الثابت ما قُضِي له من المسرَّة، فقال: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٧].

ونظيره قوله في سياق آيات الجهاد: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

فمضمون الأمر: أنّ المنايا محتومة، فكم ممّن حضر الصفوف فسلم، وكم ممَّن[3] فرَّ من المنيَّة فصادفته. كما قال خالد بن الوليد لمّا احْتُضِر: «لقد حضرتُ كذا وكذا صفًّا[4]، وإنّ ببدني[5] بضعًا وثمانين، ما بين ضَرْبة بسيف،

---

(١) (ف، ك): «لكنه».

(٢) بهامش (ك): «لعله قليلًا».

(٣) «حضر... ممن» سقط من (ف).

(٤) «صفًّا» ليست في (ق)

(٥) في هامش الأصل: «نسخة: جسدي».

وطَعْنة برمح، ورَمْية بسهم. وهأنذا أموت[1] على فراشي كما يموت العَيْرُ[2]. فلا قرَّت أعينُ الجبناء»[3].

ثم قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨].

قال العلماء: كان من المنافقين من يرجع من الخندق [ق٦٢] فيدخل المدينة، فإذا جاءهم أحدٌ قالوا له: ويحك، اجلس فلا تخرج. ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين بالعسكر: أنِ ائتونا بالمدينة فإنّا ننتظركم، يُثبِّطونهم عن القتال. وكانوا لا يأتون العسكر إلا أن لا يجدوا بُدًّا، فيأتون العسكر ليرى الناسُ وجوهَهم، فإذا غُفِلَ عنهم عادوا إلى المدينة. فانصرف بعضهم من عند النبي ﷺ، فوجد أخاه لأبيه وأمه وعنده شواء ونبيذ، فقال له[4]: أنت ههنا، ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف؟! فقال: هلُمَّ إليَّ، فقد أُحيط بك وبصاحبك.

فوصف المثبِّطين[5] عن الجهاد وهم صنفان؛ لأنّهم إمّا أن[6] يكونوا في بلد الغُزاة أو في غيره، فإن كانوا فيه عَوَّقوهم عن الجهاد بالقول أو بالعمل أو

---

(١) (ف): «وها أموت».

(٢) (ف): «العنز»، (ك): «الغز» وفسرها في الهامش: هو «حمار الوحش».

(٣) أخرجه الدينوري في «المجالسة»: (٣/ ١٩٤)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (١٦/ ٢٧٣).

(٤) «له» ليست في (ف، ك).

(٥) الأصل: «المتثبطين»، والمثبت من باقي النسخ.

(٦) (ف): «لإنهم إنما» (ك): «إنما أن».

بهما. وإن كانوا في غيره راسلوهم و[1] كاتبوهم بأن يخرجوا إليهم من بلد الغُزاة؛ ليكونوا معهم بالحصون أو بالبُعد، كما جرى في هذه الغزاة.

فإنَّ أقوامًا في العسكر والمدينة وغيرهما[2] صاروا يُعوِّقون من أراد الغزو، وأقوامًا بعثوا من المعاقل والحصون أو غيرها إلى إخوانهم: هلُمَّ إلينا.

قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾.

أي: بخلًا[3] عليكم بالقتال معكم، والنفقة في سبيل الله. وقالوا: بخلًا عليكم بالخير والظَّفَر والغنيمة[4].

وهذه حال من بخل على المؤمنين بنفسه وماله، أو شحَّ عليهم بفضل الله؛ من نَصْره ورزقه الذي يجُريه بفعل غيره. فإنَّ أقوامًا يَشُحُّون بمعروفهم، وأقوامًا يشُحُّون بمعروف الله وفضله، وهم الحُسَّاد.

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩] من شدة الرُّعب الذي في قلوبهم يُشْبِهون المُغْمى عليه وقت النّزْع، فإنَّه يخاف ويذهل عقله، ويَشْخَص بصره ولا يَطْرِف، فكذلك هؤلاء؛ لأنّهم يخافون القتل.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾.

---

(١) (ف، ك): «أو».

(٢) بقية النسخ: «وغيرها».

(٣) (ق): «قالوا: بخلًا»، (ف، ك): «بخلاء» وكذا ما بعدها في (ك).

(٤) انظر تفسير الطبري: (١٩/ ٥١-٥٢).

ويقال في اللغة: «صلقوكم» وهو رفع الصوت بالكلام المؤذي. ومنه: «الصالقة» وهي التي ترفع صوتها بالمصيبة. يقال: سَلَقه، وصَلَقه[1] ـ وقد قرأ طائفة من السَّلف بها، لكنها خارجةٌ عن المصحف[2] ـ إذا خاطبه خطابًا شديدًا قويًّا. ويقال: «خطيب مِسْلاق»، إذا كان بليغًا في خطبته. لكنَّ الشدَّة هنا في الشرِّ لا في الخير، كما قال: ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾.

وهذا السَّلق بالألسنة الحادّة[3] يكون بوجوه:

تارةً يقول المنافقون للمؤمنين[4]: هذا الذي جرى علينا بشؤمكم، فإنّكم أنتم الذين دعوتم الناس إلى هذا الدين وقاتلتم عليه وخالفتموهم. فإنَّ هذه[5] مقالةُ المنافقين للمؤمنين من الصحابة.

وتارةً يقولون: أنتم الذين أشرتم علينا بالمُقام هنا، والثبات بهذا بالثَّغْر إلى هذا الوقت، وإلاّ فلو كنَّا سافرنا قبل هذا لما أصابنا هذا.

وتارة يقولون: أنتم مع قِلَّتكم وضَعْفكم تريدون أن تكسروا العدوَّ، وقد غرَّكم دينكم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ [ق٦٣] دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩].

---

(١) (ك): «صلقه وسلقه».

(٢) انظر «معاني القرآن»: (٢/ ٣٣٩) للفراء، وتفسير القرطبي: (١٤/ ١٠١).

(٣) بعده في (ف، ك): «وهذا».

(٤) ليست في (ف).

(٥) بقية النسخ: «هذا».

وتارةً يقولون: أنتم مجانين لا عقل لكم! تريدون أن تُهلِكُوا أنفسكم والناسَ معكم.

وتارةً يقولون أنواعًا من الكلام المؤذي الشديد، وهم مع ذلك أشحَّةٌ على الخير، أي: حِراص على الغنيمة والمال الذي قد حصل لكم.

قال قتادة: إذا[1] كان وقت قِسْمة الغنيمة، بسطوا ألسنتهم فيكم، يقولون: أعطونا، فلستم بأحقَّ بها منَّا. فأمَّا عند البأس[2] فأجْبَنُ قومٍ وأخذلهم للحقّ. وأما عند الغنيمة فأشحُّ قومٍ.

وقيل: ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي: بُخلاء به، لا ينفعون، لا بنفوسهم ولا بأموالهم.

وأصلُ الشُّحِّ: شدّة الحرص الذي يتولَّد عنه البخل والظلم؛ من مَنْع الحقِّ، وأخذ الباطل، كما قال النبي ﷺ: **«إيّاكم والشحَّ، فإنَّه[3] أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالبُخل فبَخِلوا، وأمرهم بالظُّلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا»**[4].

فهؤلاء أشحَّاءُ على إخوانهم، أي: بُخلاءُ عليهم، وأشحَّاءُ على الخير،

---

(١) (ف، ك): «إن».

(٢) الأصل: «الناس» تصحيف، والمثبت من النسخ.

(٣) (ف، ك): «فإن الشح».

(٤) أخرجه أحمد (٦٤٨٧)، وأبو داود (١٦٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥١٩)، والدارمي (٢٥١٦)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وروي أيضًا من حديث جابر وأبي هريرة.

أي: حِراصٌ عليه فلا يُنْفقونه، كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

ثم[١] قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠].

فوصفهم بثلاثة[٢] أوصاف:

الأول[٣]: أنَّهم لِفَرْطِ خوفهم يحسبون الأحزاب لم ينصرفوا عن البلد، وهذه حالُ الجَبان الَّذي في قلبه مَرض، فإنَّ قلبَه يُبادرُ[٤] إلى تصديق الخبر المَخُوف، وتكذيبِ خبر الأمْن.

الوصف الثاني: أنَّ الأحزابَ إذا جاءوا تمَنَّوا أن لا يكونوا بينكم، بل يكونون في البادية بين الأعراب، يسألون عن أنبائكم: أيْشٍ خَبَرُ المدينة؟ وأيْشٍ جرى للناس؟

والوصف الثالث: أن الأحزابَ إذا أتوا وهم فيكم، لم يقاتلوا إلا قليلًا.

* وهذه الصفات الثلاث منطبقةٌ على كثير من الناس في هذه الغزوة، كما يعرفونه من أنفسهم، ويعرفه[٥] منهم مَنْ خَبَرَهم.

---

(١) الأصل: «كما».

(٢) (ف): «فوصفهم الله ثلاثة».

(٣) (ف، ك): «أحدها».

(٤) (ق): «مبادر».

(٥) (ف، ك): «ويعرفونه».

ثـم قـال تعـالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فأخبر ـ سبحانه ـ أنَّ الذين يُبتلون بالعدوِّ، كما ابْتُلِي به[1] رسـول الله ﷺ، فلهم فيه إِسْوة حسنة، حيث أصـابهم مثل مـا أصـابه، فليتأسَّـوا بـه في التوكُّـل والصَّبر، ولا يظنُّوا أنّ هذه المصائب نقمة لصاحبها[2] وإهانة له، فإنـه لـو كـان كذلك ما ابتُلِي بها خير الخلائق، بل بها تُنالُ الدَّرجات العاليـة، وبهـا يُكَفِّـرُ الله الخطايا لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا. وإلاّ فقد ابـتُلِيَ بـذلك من ليس كذلك، فيكون في حقِّه عذابًا، كالكفار والمنافقين.

ثــمّ قــال تعــالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

قال العلماء: كان الله قد أنزل في [ق٦٤] سورة البقرة: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

فبيّن الله سبحانه ـ منكرًا على من حَسِب خلاف ذلك ـ أنهـم لا يـدخلون الجنّة إلاّ بعد أن يُبتلوا مثل هذه الأمم قبلهم بـ«البأساء» وهي الحاجـة والفاقـة؛ و«الضراء» وهي الوجع والمرض، و«الزلزال» وهي زلزلة العدوّ.

---

(١) ليست في (ك).

(٢) «به... لصاحبها» سقط من (ف). و (ك): «هذه نقم لصاحبها».

فلمّا جاء الأحزابُ عام الخندق فرأوهم[1] قالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾، وعلموا أنَّ الله قد ابتلاهم بالزلزال. وأتاهم مَثَل الذين من قبلهم، وما زادهم إلّا إيمانًا وتسليمًا لحكم الله وأمره.

* وهذا حالُ أقوامٍ في هذه الغزوة قالوا ذلك.

وكذلك قوله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أي: عهده الذي عاهد الله عليه، فقاتل حتى قُتِل أو عاش.

«والنَّحبُ»: النَّذرُ والعهد ـ وأصله من النَّحِيْب[2]، وهو الصوت. ومنه: الانتحاب في البكاء ـ وهو الصوت الذي تكلَّم به في العهد.

ثمّ لمّا كان عهدهم هو نَذْر[3] الصِّدق في اللقاء ـ ومن صَدَق في الِّلقاء فقد يُقتَل ـ صار يُفْهَمُ من قوله: ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ أنه استُشْهِد، لاسيّما إذا كان النَّحْب[4] نَذْر الصّدق في جميع المواطن، فإنّه لا يقضيه إلّا بالموت.

وقضاءُ النَّحْب هو الوفاء بالعهد، كما قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ أي: أكمل الوفاء، وذلك لمن

---

(١) الأصل: «فزادهم».

(٢) (ف): «التنحب».

(٣) (ف، ك): «نذره».

(٤) (ق): «النحيب».

كان عهده مطلقًا بالموت أو القتل. ومنهم من ينتظر قضاءه إذا كان قد وفَّى البعضَ. فهو ينتظر إتمام[1] العهد.

وأصل القضاء: الإكمال والإتمام[2].

﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٤].

بيّن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنّه أتى بالأحزاب ليجزي[3] الصادقين بصدقهم، حيثُ صدقوا في إيمانهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

فحصر الإيمان في المؤمنين المجاهدين، وأخبر أنهم هم الصادقون في قولهم: آمنَّا. لا كما[4] قالت الأعراب: (آمنّا)، والإيمانُ لم يدخل في قلوبهم، بل انقادوا واستسلموا.

وأمّا المنافقون فهم بين أمرين: إما أن يعذِّبهم، وإمّا أن يتوب عليهم.

فهذا حالُ الناس في الخندق وفي هذه الغزاة[5].

---

(١) (ف، ك): «تمام».

(٢) (ف): «الإتمام والإكمال».

(٣) (ف ، ك): «ليجزي الله». ومثلها في (ف) فيما يأتي بعد أسطر.

(٤) بقية النسخ: «لا من قال كما».

(٥) (ف): «الغزوة».

وأيضًا: فإنَّ الله ابتلى الناس بهذه الفتنة؛ ليجزي الصادقين بصدقهم، وهم الثابتون[1] الصابرون، لينصروا الله ورسوله، ويعذِّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم.

ونحن نرجو من الله أن يتوب على خلقٍ كثير من هؤلاء المذمومين[2]، فإنّ منهم من ندم، والله سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وقد «فتح الله للتوبة بابًا من قِبَل المغرب عرضُه أربعون سنةً، لا يُغلقه حتى تطلع الشمس من قِبَله»[3].

وقد ذكر [ق٦٥] أهل المغازي ـ منهم ابن إسحاق ـ أنّ النّبي ﷺ قال في الخندق: «**الآن نغزوهم ولا يغزونا**»[4] فما غزت[5] قريشٌ ولا غطفانُ ولا اليهودُ المسلمين بعدها، بل غزاهم المسلمون ففتحوا[6] خيبر، ثم فتحوا مكة.

كذلك إن شاء الله هؤلاء الأحزابُ من المُغْلِ وأصناف التُّرْك، ومن الفُرس، والمُستَعْرِبة، والنصارى، ونحوهم من أصناف الخارجين عن شريعة

---

(١) (ق، ف): «التايبون».

(٢) (ك): «ومن هذه المذمومين» وأشار في هامشه إلى نسخة فيها: «على خلق كثير من هؤلاء المؤمنين كذا». و(ف): «من هذه الفرقة».

(٣) هذا لفظ حديث أخرجه أحمد (١٨١٠٠)، والترمذي (٣٥٣٦) وغيرهما من حديث صفوان بن عسّال رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٤١٠٩) من حديث سليمان بن صُرَد رضي الله عنه.

(٥) (ف): «عبرت».

(٦) (ف، ك): «ففتح».

الإسلام = الآن نغزوهم ولا يغزونا. ويتوب الله على من يشاء[1] من المسلمين، الذين خالط قلوبَهم مرضٌ أو نفاق، بأن يُنيبوا إلى ربهم ويحسن ظنُّهم في الإسلام، وتقوى عزيمتهم على جهاد عدوِّهم.

فقد أراهم الله من[2] الآيات ما فيه عبرةٌ لأُولي الأبصار، كما قال: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

فإنّ الله صَرَف الأحزابَ عام الخندق بما أرسل عليهم من ريح الصَّبا ـ ريحٍ شديدةٍ باردةٍ ـ وبما فرَّق به بين قلوبهم، حتَّى شَتَّت شَمْلهم، ولم ينالوا خيرًا، إذ كان هِمَّتُهم فتح المدينة والاستيلاء على الرسول والصحابة، كما كان همة هذا العدوِّ فتح الشَّام والاستيلاء على من بها من المؤمنين= فرَدَّهم الله بغيظهم، حيث أصابهم من الثَّلج العظيم، والبرد الشديد، والرِّيح العاصف، والجزع[3] المزعج، ما الله به عليم.

وقد كان بعض الناس يكره تلك الثلوج والأمطار العظيمة التي وقعت في هذا العام، حتَّى طلبوا الاستصحاء غير مرَّة، وكنا نقول لهم: هذا فيه خِيْرَةٌ عظيمة، وفيه لله حكمة وسرٌّ فلا تكرهوه، وكان[4] من حكمته أنه ـ فيما قيل ـ أصاب غازان وجنودَه حتّى أهلكهم. وهو كان ـ فيما قيل ـ سبب رحيلهم،

---

(١) (ف، ك): «شاء».

(٢) (ك): «أراهم من».

(٣) كذا بالأصل، وفي (ق، ف، ك): «الجوع».

(٤) (ق): «تكرهونه...»، (ف): «فكا»، (ك): «فكان».

وابتلي به المسلمون ليتبين من يصبر على أمر الله وحكمه[1] ممّن يفرّ عن طاعته وجهاد عدوِّه.

وكان مبدأُ رحيل غازان فيمن معه من أرض الشام وأراضي[2] حلب يوم الاثنين، حادي عشر جمادى الأولى، يوم دخلت مصر[3] واجتمعت بالسلطان وأمراء المسلمين، وألقى الله في قلوبهم من الاهتمام بالجهاد ما ألقاه، فلمّا ثبَّت الله قلوبَ المسلمين صرف العدوَّ، جزاءً ومنَّةً[4]، وبيانًا أنّ النية الخالصة والهمَّة الصَّادقة ينصر الله بها، وإن لم يقع الفعل، وإن تباعدت الدِّيار.

وذكر أنَّ الله تعالى فرَّق بين قلوب هؤلاء المُغْل والكرْج وألقى بينهم تباغضًا وتعاديًا، كما ألقى سبحانه عام الأحزاب بين قريش وغطفان، وبين اليهود. كما ذكر ذلك أهل المغازي[5]. فإنّه لم[6] يتَّسع هذا المكان لأنْ نَصِفَ فيه قصة الخندق، بل من طالعها علم صحة ذلك، كما[7] ذكره أهل المغازي، مثل عروة بن الزبير، والزُّهريِّ، وموسى بن عُقبَة، وسعيد بن يحيى الأموي، و محمد بن عائذ، و محمد بن إسحاق، والواقدي، وغيرهم.

---

(١) (ق): «وحكمته».

(٢) (ك): «أراضي»، (ف): «إلى أراضي».

(٣) بعده في (ف): «عقيب الأسكر»، و(ك): «عقيب العسكر».

(٤) في غير الأصل: «جزاءً مِنْه...».

(٥) انظر «السيرة النبوية»: (ق٢/ ٣/ ٢٣٠-٢٣١) لابن هشام.

(٦) سقطت من (ف).

(٧) (ف، ك): «كما قد».

ثم تبقّى بالشام[1] بقايا، سار إليهم من عسكر دمشق أكثرهم، مضافًا إلى عسكر حماة وحلب، وما هنالك. وثبت المسلمون بإزائهم، وكانوا أكثر من المسلمين بكثير، لكن في ضعف شديد، وتقرّبوا [ق٦٦] إلى حماة وأذلّهم الله تعالى، فلم يَقْدموا على المسلمين قط، وصار من المسلمين من يريد الإقدام عليهم، فلم يوافقه غيره، فجرت مناوشات صغار، كما كان قد جرى[2] في غزوة الخندق، حيث قَتَل عليٌّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فيها عَمْرو بن عبد وُدٍّ العامريَّ لما اقتحم الخندق هو ونفرٌ قليل من المشركين.

كذلك صار يتقرَّبُ بعضُ العدوّ فيكسرهم المسلمون، مع كون العدوِّ المتقرِّب أضعافَ من قد يسري[3] إليه من المسلمين، وما من مرّة إلا وقد كان المسلمون مستظهرين[4]، وساق المسلمون خلفهم في آخر النوبات، فلم يدركوهم إلا عند عبور الفرات، وبعضهم في جزيرةٍ فيها، فرأوا أوائلَ المسلمين فهربوا منهم وخالطوهم، وأصاب المسلمون بعضَهم[5] .

وكان عبورهم وخلوّ الشام منهم في أوائل رجب، بعد أن جرى ما بين عبور غازان أوّلًا وهذا العبور رَجَفات ووَقَعات صغار، وعزمنا على الذهاب إلى حماة غير مرّة لأجل الغزاة، لمّا بلغنا أنّ المسلمين يريدون غَزْوَ الذين

---

(١) (ق، ف): «تبقى منهم...»، (ك): «تبقى بالشام منهم».

(٢) (ق ، ك): «كما قد كان يجري».

(٣) (ف، ك): «سرى».

(٤) (ف، ك): «مستظهرون». وكتب في هامش (ك): لعله «مستظهرين».

(٥) بعده في بقية النسخ: «وقيل: إنه غرق بعضهم».

بقوا، وثبت بإزائهم المقدَّم الذي بحماة ومن معه من العَسْكر، ومن أتاه من مَدَد[1] دمشق، وعزموا على لقائهم، ونالوا أجرًا عظيمًا. وقد قيل: إنهم كانوا عدة طمانات[2]، إما ثلاثة، أو أربعة، وكان من المقدَّر أنه إذا عزم الأمر وصدق المؤمنون الله يُلْقِي في قلوب عدوِّهم الرُّعبَ فيهربون، لكن أصابوا من البُلَيدَات[3] بالشَّمال مثل تيزين[4]، والفُوعة، ومعرَّة مَصْرِين، وغيرها ما لم يكونوا وَطِئوه في العام الماضي.

وقيل: إنَّ كثيرًا من تلك البلاد كان فيهم مَيلٌ إليهم بسبب الرَّفض، وأنَّ عند بعضهم قرابين[5] منهم، لكن هؤلاء ظَلَمة، ومَنْ أعان ظالمًا بُلي به، والله تعالى يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

وقد ظاهروهم[6] على المسلمين: الذينَ كفروا من أهل الكتاب، من أهل سيس[7] والإفرنج. فنحن نرجو من الله أن يُنْزِلَهم من صياصيهم ـ وهي

---

(١) ليست في (ف، ك).

(٢) كذا بالأصل، وفي (ق): «ظمانات»، و(ك): «لحمانات»، وفي «الفتاوى»: (٢٨/ ٤٦٥): «كمانات».

(٣) (ف): «البلدان».

(٤) بالأصل: «تبريز»، و(ق): «نرامين» كلاهما تحريف. وكلّها من قرى حلب. انظر «معجم البلدان»: (٢/ ٦٦، ٤/ ٢٨٠، ٥/ ١٥٥) على التوالي.

(٥) كذا في الأصل و(ق)، وفي (ف، ك): «فرامين» ولعله الأنسب، والفرامين جمع فرمان، وهو المرسوم السلطاني. انظر «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (ص٣٣٨).

(٦) (ف، ك): «ظاهرهم».

(٧) سيسة وعامة أهلها يقولون: سيس. كانت من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية =

الحصون، ويقال للقرون: الصياصي ــ ويقذفَ في[1] قلوبِهم الرُّعبَ، وقد فعل. ويفتح[2] الله تلك البلاد، ونغزوهم إن شاء الله تعالى، فَنَفْتَح[3] أرض العراق وغيرها، وتعلو كلمةُ الله ويظهر دينُه.

فإنّ هذه الحادثة كان فيها أمورٌ عظيمة جازت حدَّ القياس. وخَرَجت عن سَنَن العادة، وظهر لكلِّ ذي عقلٍ من تأييد الله لهذا الدين، وعنايته بهذه[4] الأمة، وحفظه للأرض[5] التي بارك فيها للعالمين، بعد أن كاد الإسلام أن[6]،

= وطرسوس. «معجم البلدان»: (٣/ ٢٩٧). وقال شيخ الإسلام ــ عن طرسوس وهي بأرض سيس ــ في «مجموع الفتاوى»: (١٣/ ١٨٣): «وكانت إذ ذاك أعظم ثغور بغداد ومن أعظم ثغور المسلمين، يقصدها أهل الدين من كل ناحية ويرابطون بها، رابط بها الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، والسَّرِيّ السقطي، وغيرهما، وتولى قضاءها أبو عبيد، وتولى قضاءها أيضًا صالح بن أحمد بن حنبل، ولهذا ذُكِرت في كتب الفقه كثيرًا، فإنها كانت ثغرًا عظيمًا».

(١) «في» سقطت من (ك).

(٢) (ف، ك): «الرعب وقد فتح».

(٣) (ف، ك): «فيفتح».

(٤) (ف، ك): «لهذه».

(٥) (ق): «الأرض».

(٦) بعده في (ف، ك) بياض بمقدار كلمة، وكذا بعد قوله: «يلووا على» في (ف). وهذا اجتهاد من النسّاخ ظنًّا منهم أن كلمةً سقطت من النص، وإلى ذلك أشار ناسخ (ك) في هامش نسخته. وليس كذلك، بل هو من باب حذف الخبر إذا كان معلومًا، وهو أبلغ في الكلام، ليذهب في تقديره كلّ مذهب. كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. انظر: «خزانة الأدب»: (١١/ ٤٦). فتقدير =

وكرَّ[1] العدوُّ كرَّةً فلم يَلْوِ عن، وخُذِلَ الناصرون فلم يلووا على، وتحيَّر السائرون فلم يدروا مِنْ ولا إلى، وانقطعت الأسبابُ الظاهرة، وأهطعت الأحزابُ القاهرة، وانصرفت الفئةُ الناصرة، وتخاذلت القلوب المتناصرة، وثبتت الفئة الصابرة، وأيقنت[2] بالنصر القلوبُ الطاهرة، واستنجزت من الله وعدَه للعصابة[3] المنصورة الظاهرة. ففتحَ الله أبوابَ سماواته لجنوده القاهرة، وأظهر على الحقّ آياته الباهرة، وأقام عمود الكتاب بعد ميله. وثبّت لواء الدين بقوّته وحوله، وأرغم معاطس أهل الكفر [ق٦٧] والنفاق، وجعل ذلك آيةً للمؤمنين إلى يوم التلاق.

فالله تعالى يُتمُّ هذه النعمة بجمع قلوب أهل الإيمان على جهاد أهل الطُّغْيان، ويجعل هذه المِنَّة الجسيمة مَبْدأً لكلِّ منحةٍ كريمة، وأساسًا[4] لإقامةِ الدعوة النبوية القويمة، ويشفي صدور المؤمنين من أعدائهم[5]، ويمكِّنهم من دانيهم وقاصيهم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على[6] محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا[7].

= الكلام: بعد أن كاد الإسلام أن يضعف أو يضمحل... ومثلها في التقدير ما بعدها.

(١) كذا في النسخ، ورسمها في الأصل «ركز».

(٢) (ف، ك): «الناصرة وأيقن»، (ق): «وأيقن».

(٣) (ك): «العصابة».

(٤) (ق): «وأمنًا شاملًا».

(٥) (ف، ك): «أعاديهم».

(٦) (ف، ك): «على سيدنا».

(٧) ليست في (ف).

قال الشيخ[1] رحمه الله: كتبتُ أوّل هذا الكتاب بعد رحيل قازان وجنوده، لما رجعت من مصر في جمادى الآخرة، وأشاعوا أنه لم يبق منهم أحد، ثمّ لما بقيت تلك الطائفة اشتغلنا بالاهتمام بجهادهم، وقصد الذهاب إلى إخواننا بحماة، وتحريض الأمراء على ذلك، حتّى جاءنا الخبرُ بانصراف المتبقين منهم، فكملته في رجب[2].

***

قلتُ: وفي أول شهر رمضان من سنة اثنتين وسبعمائة كانت وقعة شَقْحَب[3] المشهورة، وحصل للناس شدَّة عظيمةٌ، وظهر فيها من كرامات الشيخ، وإجابة دعائه، وعظيم جهاده، وقوّة إيمانه، وفَرْطِ[4] نصحه للإسلام، وفرط شجاعته، ونهاية كرمه، وغير ذلك من صفاته= ما يفوق النعت، ويتجاوز الوصف.

ولقد قرأتُ بخطٍّ بعض أصحابه ـ وقد ذكر هذه الوَقْعة[5]، وكثرة من حَضَرها من جيوش المسلمين ـ قال: واتفقت كلمة إجماعهم على تعظيم الشيخ تقيّ الدين و محبته، وسماع كلامه ونصيحته، واتّعظوا بمواعظه، وسأله بعضُهم مسائل في أمر الدِّين، ولم يبق من ملوك الشام تركيٌّ ولا عربيٌّ إلا

---

(١) (ف، ك): «قال المؤلف» أي ابن تيمية.

(٢) بعده في (ف، ك): «والله أعلم، والحمد لله وحده، وصلى الله على أشرف خلقه (ك: الخلق محمد) وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين».

(٣) شقحب: قرية جنوب غربي دمشق، على بعد ٤٠ كيلًا تقريبًا.

(٤) (ف، ك): «وشدة».

(٥) (ك): «الواقعة». وكلام هذا الصاحب من هنا إلى (ص٢٣٣).

واجتمع بالشيخ في تلك المدّة[1]، واعتقد خيرَه وصلاحَه ونصحَه لله ولرسوله وللمؤمنين.

قال: ثم ساق الله ـ سبحانه ـ جيش الإسلام العَرَمْرَم المصريِّ، صحبةَ أمير المؤمنين والسلطان الملك الناصر، وولاة الأمر[2]، وزعماء الجيش، وعظماء المملكة، والأمراء المصريين عن آخرهم، بجيوش الإسلام= سَوقًا حثيثًا للقاء التتار المخذولين، فاجتمع الشيخ المذكور بالخليفة والسلطان، وأرباب الحلِّ والعقد، وأعيان الأُمراء عن آخرهم[3]. وكلُّهم[4] بمَرْجِ الصُّفَّر قِبْليَّ دمشق المحروسة، وبينهم وبين التتار أقل من مقدار ثلاث ساعات مسافةً.

ودار بين الشيخ المذكور وبينهم ما دار بينه وبين الشاميين، وكان منهم وبينهم كأحد[5] أعيانهم. واتفق له من اجتماعهم ما لم يتفق لأحد قبله من أبناء جنسه، حيث اجتمعوا بجملتهم في مكانٍ واحدٍ في يومٍ واحد، على أمرٍ جامعٍ لهم وله، مهمٍّ عظيمٍ يحتاجون[6] فيه إلى سماع كلامه. هذا توفيقٌ عظيمٌ كان من الله تعالى له، لم يتفق لمثله.

---

(١) (ق): «تلك هذه المدة»!

(٢) (ب، ق): «والأمراء» بدل «ولاة الأمر».

(٣) «بجيوش... آخرهم» سقط من (ف).

(٤) (ق): «وكلمهم».

(٥) «وبينهم» من بقية النسخ. (ك): «ما دار بين الشاميين وبينه، وكان بينهم ومعهم كأحد...». (ب، ق): «وكان معهم...».

(٦) (ق): «منهم يحتاجون».

وبقي الشيخ المذكور هو وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائمًا بظهوره وجهاده ولأْمَةِ حَرْبه، يوصي الناس بالثبات، ويَعِدُهم النصرَ(١)، ويُبشِّرهم بالغنيمة والفوز بإحدى الحُسنيين، إلى أن صدق الله وعدَه، وأعزَّ جندَه، وهزمَ التتارَ وحدَه، ونصر المؤمنين، وهُزِمَ الجمعُ وولَّوا الدُّبر، وكانت(٢) كلمة الله العُليا، وكلمة الكفار السُّفلى، وقُطِع دابرُ [ق٦٨] القوم الكفار، والحمد لله ربِّ العالمين.

ودخل جيشُ الإسلام المنصور إلى دمشق المحروسة ، والشّيخُ في أصحابه شاكًّا(٣) في سلاحه، داخلًا معهم، عاليةً كلمتُهُ، قائمةً حُجَّتُه، ظاهرةً ولايتُه، مقبولةً شفاعتُه، مجابةً دعوتُه، مُلْتَمَسَةً بركتُه، مُكرَّمًا مُعَظّمًا، ذا سلطانٍ وكلمةٍ نافذةٍ. وهو مع ذلك يقول للمدّاحين(٤) له: أنا رجلُ مِلَّةٍ، لا رجُلُ دولةٍ.

ولقد أخبرني حاجبٌ من الحُجّاب الشاميين، أميرٌ من أمرائهم، ذو دينٍ متين، وصدق لهجةٍ، معروفٌ في الدولة قال: قال لي الشيخ يوم اللقاء، ونحن بمَرْج الصُّفَّر، وقد تراءى الجمعان: يا فلان الدِّين(٥)، أوقِفْني موقفَ(٦) الموت.

---

(١) (ف، ك): «بالنصر».

(٢) (ب، ق): «وكان».

(٣) (ب، ق): «والشيخ وأصحابه»، وفي هامش (ك): «شاكيًا».

(٤) (ب، ق): «للمداخلين».

(٥) (ب، ق): «فلان» بدون «يا». و (ط) حذف «الدين» لظنه أنها لا معنى لها، وليس كذلك.

(٦) (ق): «في موقف».

قال: فسُقْتُه إلى مقابلة العدوّ، وهم مُتحدّرون[1] كالسّيل، تلوحُ أسلحتُهم[2] من تحت الغبار المنعقد عليهم.

ثم قلت له: يا سيدي! هذا موقف الموت، وهذا العدوّ قد أقبل تحت هذه الغَبَرة المنعقدة، فدونك وما تريد.

قال: فرفع طَرْفَه إلى السماء، وأشخصَ بصرَه[3]، وحرّك شفتيه طويلًا، ثم انبعثَ وأقدم على القتال. وأما أنا فخُيِّل إليَّ[4] أنّه دعا عليهم، وأنّ دعاءه استُجيب منه في تلك الساعة.

قال: ثم أحال[5] القتال بيننا والالتحام، وما عدتُ رأيتُه، حتى فتح الله ونصر، وانحاز التتار إلى جبل صغير، عصموا نفوسهم به من سيوف المسلمين تلك الساعة، وكان آخر النهار.

قال: وإذا أنا بالشيخ وأخيه يصيحان بأعلى صوتيهما، تحريضًا على القتال، وتخويفًا للناس من الفرار.

فقلت له: يا سيدي! لك البشارةُ بالنصر، فإنّه قد فتح الله ونصر، وهاهم التتار محصورون بهذا السّفْح، وفي غدٍ ــ إن شاء الله ــ يُؤخَذون عن آخرهم.

---

(١) (ب، ق): «منحدرون»، (ف، ك): «متحدون».

(٢) (ق): «أسلاحتهم».

(٣) (ب، ق): «ببصره».

(٤) (ف): «لي».

(٥) كذا في النسخ، ولعلها: «حال» أي: منع. أما «أحال» فمعناها: تحوّل.

قال: فحمد الله تعالى، وأثنى عليه بما هو أهله، ودعا لي في ذلك الموطن دعاءً[1] وجدت بركته في ذلك الوقت وبعده.

هذا[2] كلام الأمير الحاجب.

قال[3]: ثمّ لم يزل الشيخ بعد ذلك على زيادةٍ في الحال والقال والجاه، والتعمُّق[4] والتحقيق في العلم والعرفان، حتّى حرَّك الله عَزَمات نفوس ولاةِ الأمر لقتال أهل جبل كسروان. وهم الذين بَغَوا وخرجوا على الإمام، وأخافوا السَّبيل[5]، وعارضوا المارّين بهم من الجيش بكلِّ سوء.

فقام الشيخ في ذلك أتمّ قيام[6]، وكتبَ إلى أطراف الشام في الحثّ على قتال المذكورين، وأنها غَزاةٌ في سبيل الله.

ثم تجهّز هو بمن[7] معه لغزوهم بالجبل، صُحْبَةَ وليّ الأمر نائب المملكة[8] المعظّمة ـ أعزّ الله نصره ـ والجيوش الشامية المنصورة، وما زال

---

(١) (ب، ق): «بدعاء».

(٢) (ف): «فهذا».

(٣) ليست في (ك). والقائل هو صاحب الشيخ تقي الدين الذي بدأ كلامه (ص٢٢٨).

(٤) ليست في (ك).

(٥) (ف، ك): «السبل».

(٦) «أتمّ قيام» ليست في (ف).

(٧) (ق): «ومن».

(٨) (ب، ق): «السلطنة»، وفي (ق) كتب فوق «نائب»: (الأفرم). وكان نائب السلطنة آنذاك: جمال الدين آقُش الأفرم الجركسي، تولى عدّة مناصب منها نيابة دمشق، وحُمِدت فيها =

مع وليِّ الأمر في حصارهم وقتالهم، حتّى فتح الله الجبل وأجلى أهله. وكان من أصعب الجبال مسلكًا، وأشقِّها[1] ساحة. وكانت الملوكُ المتقدِّمة لا تُقْدِم على حصاره، مع علمها بما أهله عليه من البغي والخروج على الإمام والعصيان[2]، وليس إلاّ لصعوبة المسلك، ومشقّة النزول عليهم.

وكذلك لما حاصرهم بَيْدَرَا[3] بالجيش رحلَ عنهم، ولم ينل منهم[4] منالًا، لذلك السبب ولغيره، وذلك عقيب [ق٦٩] فتح قلعة الروم، ففتحه[5] الله على يدي وليّ الأمر، نائب الشام المحروس ـ أعزّ الله نصره ـ.

وكان فتحُه أحدَ المكرمات والكرامات المعدودة[6] بسببين[7] ـ على ما يقوله الناس ـ:

أحدهما: لكون أهل هذا الجَبَل بُغاةً رافضة[8] سبّابة، تَعَيّن قتالُهم.

ولايته، (ت بعد ٧٢٠). انظر «أعيان العصر»: (١/ ٥٦١-٥٧٢)، و«الدرر الكامنة»: (١/ ٣٩٦-٣٩٨).

(١) «مسلكًا» ليست في (ك). و «أشقها» تحتمل في (ق) «وأمنعها».

(٢) «والعصيان» من بقية النسخ.

(٣) بَيْدَرا: بفتح الباء الموحّدة وسكون الياء آخر الحروف ودال مهملة وبعدها راء وألف مقصورة. الأمير سيف الدين العادلي، وكان من الأمراء بدمشق (ت ٧١٤). انظر «أعيان العصر»: (٢/ ٩٧)، و«الدرر الكامنة»: (١/ ٥١٣).

(٤) (ف): «ولم منهم».

(٥) (ف): «فتحه».

(٦) بعده في بقية النسخ «للشيخ».

(٧) (ب، ق): «بشيئين».

(٨) (ب، ق): «ورافضة».

والثاني: لأنّ أهل[1] جبل الصالحية لمّا استولت الرافضةُ عليه[2] ـ في حال استيلاء الطاغية غازان ـ أشار بعض كُبرائهم بنهب الجبل، وسَبْي أهله وقَتْلهم وحَرْق[3] مساكنهم، انتقامًا منهم لكونهم سُنّة، وسمّاهم ذلك المُشير: نواصب[4]. فكان[5] ما كان من أمر جبل الصالحية بذلك القول، وتلك الإشارة.

قالوا: فكوفىء الرافضةُ بمثل ذلك، بإشارةِ كبير من كبراء أهل السنة، وزنًا بوزنٍ، جزاءً على يد وليِّ الأمر وجيوش الإسلام، والمشير المذكور هو[6] الشيخُ المشارُ إليه.

ولمّا فُتِحَ الجبلُ، وصار الجيشُ بعد الفتح إلى دمشق المحروسة، عكف خاصُّ الناس وعامُّهم على الشيخ بالزيارة له، والتسليم له[7]، والتهنئة بسلامته، والمسألة له منهم عن كيفية الحِصار للجبل، وصورة قتالِ أهله، وعمّا وقع بينهم وبين الجيش من المراسلات وغيرها؟

فحكى الشيخ ذلك.

---

(١) «أهل» ليست في (ف، ك).

(٢) «عليه» ليست في (ق، ف، ك).

(٣) (ق، ف، ك): «وحريق».

(٤) (ق): «انتقامًا لكونهم... وسماهم نواصب»، (ك): «انتقامًا لكونهم سنية...».

(٥) الأصل: «كان»، و(ب): «وكان».

(٦) (ف، ك): «وهو».

(٧) (ب، ق): «وعامتهم...»، وفي بقية النسخ: «والتسليم عليه».

وحكى أيضًا أنّه تجادل معه[1] كبيرٌ من كبراءِ أهلِ جبل كسروان، له[2] اطلاع على مذهب الرافضة.

قال: وكان الجدلُ والبحثُ في عصمة الإمام وعدم عصمته، وفي أنّ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ معصومٌ من الكبائر والصغائر[3]، في كلِّ قولٍ وفعل ـ هذه[4] دعوى الجَبَلي ـ وأنَّ الشيخَ حاجَّه في أنَّ العصمة لم تثبُت إلاّ للأنبياء ـ عليهم السلام ـ .

قال: وإنّني قلتُ له: إنَّ عليًّا وعبدالله بن مسعود اختلفا في مسائل وقعت، وفتاوى أفتيا[5] بها، وأنّ تلك الفتاوى والمسائل عُرضت على النبي ﷺ، فصوَّب فيها قولَ ابنِ مسعود ـ رضي الله عنه ـ .

هذا معنى كلام الشيخ في حديثه عن المجادلة مع الرافضيِّ الجبليِّ، وإن اختلفت العبارة. انتهى ما ذكره.

وكان توجُّه الشيخِ تقيِّ الدِّين إلى الكسروانيين في مُسْتَهَلِّ ذي الحجة من سنة أربعٍ وسبعمائة، وصحبته الأمير قراقوش[6]، وتوجَّه نائبُ السلطنة

---

(١) (ف): «مع».

(٢) (ب): «وأنّ له».

(٣) (ك): «الصغائر والكبائر».

(٤) (ف): «كل وقت»، (ف، ك): «وهذه».

(٥) (ف، ك): «أفتى».

(٦) هو: بهاء الدين قراقوش المنصوري. له ترجمة مقتضبة في «أعيان العصر»: (٤/ ١٠٠-١٠١) للصفدي.

الأميرُ جمالُ الدين الأفرم بمن تأخَّر من عسكر دمشق إليهم، لغزوهم واستئصالهم في ثاني شهر المحرَّم من سنة خمسٍ وسبعمائة[1]. وكان قد توجّه قبله العَسْكَرُ، طائفة بعد طائفة في ذي الحجة.

في[2] يوم الخميس سابع عشر صَفَر[3] وصَلَ النائبُ والعسكرُ معه إلى دمشق، بعد أن نصرهم الله على حزب الضُّلاَّل من الروافض والنُّصَيرية وأصحاب العقائد الفاسدة، وأبادهم اللهُ من تلكَ الأرض، والحمدُ لله ربِّ العالمين.



(١) «وسبعمائة» ليست في (ب، ق، ف).

(٢) «في» من بقية النسخ.

(٣) ليس في (ك).

[رسالة الشيخ إلى الملك الناصر][1]

ثمّ إنّ الشيخ ـ رحمه الله ـ بعد وقعة جبل كسروان أرسل رسالة إلى السلطان الملك الناصر، يذكر فيها ما أنعم الله على السلطان وعلى أهل الإسلام، بسبب فتوح الجبل المذكور. وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الداعي أحمد ابن تيمية إلى سلطان المسلمين، ومن أيّد الله في دولته الدين، وأعزّ[2] بها عباده المؤمنين، وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين، نصره الله ونصر به الإسلام، وأصلح له وبه أمور الخاص والعام، وأحيا به معالم الإيمان، وأقام به شرائع القرآن، وأذلّ به أهل الكفر والفسوق والعصيان.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فإنّا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كلّ شيء قدير. ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين، وإمام المتقين محمد عبده ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا.

أمّا بعد، فقد صدق الله وعده، ونصر عبدَه، وأعزَّ جُندَه، وهزم الأحزابَ

---

(١) هذه الرسالة ليست في الأصل و (ب، ق)، بل هي ملحقة في آخر نسخة الأصل. وهي في (ف، ك، ح، د). والعنوان من هامش(ف). وقد أشار إليها المؤلف (ص٨٥). وهي ضمن «مجموع الفتاوى»: (٢٨/ ٣٩٨-٤٠٩).

(٢) (ك): «أعز».

وحده. وأنعم الله على السلطان، وعلى المؤمنين في دولته نعمًا لم تُعهد في القرون الخالية. وجُدِّد الإسلام في أيامه تجديدًا بانت فضيلته على الدول الماضية. وتحقّق في ولايته خبر الصادق المصدوق، أفضل الأولين والآخرين، الذي أخبر فيه عن تجديد الدين في رؤوس المئين، والله تعالى يُوزِعُهُ والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة في الدنيا والدين، ويُتِمُّها بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين.

وذلك أنّ السلطان ـ أتمَّ الله نعمته ـ حصل للأمة بيُمنِ ولايته وحُسْن نيته، وصحة إسلامه وعقيدته، وبركة إيمانه ومعرفته، وفضل همته، وشجاعته، وثمرة تعظيمه للدّين وشرعته، ونتيجة اتباعه لكتاب الله وحكمته = ما هو شبيه بما كان يجري في أيام الخلفاء الراشدين وما كان يقصده أكابر الأئمة العادلين، من جهاد أعداء الله المارقين من الدين، وهم صنفان:

أهل الفجور والطغيان، وذوو الغَيِّ والعدوان، الخارجون عن شرائع الإيمان، طلبًا للعلوّ في الأرض والفساد، وتركًا لسبيل الهدى والرشاد. وهؤلاء هم التتار، ونحوهم من كل خارج عن شرائع الإسلام وإن تمسَّك بالشهادتين، أو ببعض سياسة الأنام[1].

والصنف الثاني[2]: أهل البدع المارقون، وذوو الضلال المنافقون، الخارجون عن السنة والجماعة، المفارقون للشِّرْعَة والطاعة. مثل هؤلاء الذين غُزُوا بأمر السلطان من أهل الجبل، والجرد، والكسروان. فإنّ ما منَّ الله

---

(١) (ط): «الإسلام».

(٢) (ف، ك): «الباقي»، وفي هامش (ف): «الثاني».

به من الفتح والنصر على هؤلاء الطَّغَام، هو من عزائم[1] الأمور التي أنعم الله بها على السلطان وأهل الإسلام.

وذلك أنَّ هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين في أمر الدنيا والدين، فإن اعتقادهم: أنَّ أبا بكر وعمر وعثمان، وأهل بَدْر وبَيْعة الرِّضوان، وجمهور المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وأئمة الإسلام وعلماءَهُم، أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، ومشايخ الإسلام وعُبَّادهم، وملوك المسلمين وأجنادهم، وعوامَّ المسلمين وأفرادهم. كل هؤلاء عندهم كُفَّار مرتدُّون، أكفر من اليهود والنصارى؛ لأنهم مُرتدّون عندهم، والمرتدُّ شَرٌّ من الكافر الأصلي. ولهذا السبب يُقدِّمون الفرنج والتتار على أهل القرآن والإيمان.

ولهذا لمّا قَدِم التتار إلى البلاد، فعلوا[2] بعسكر المسلمين ما لا يحصى من الفساد، وأرسلوا إلى أهل قُبْرُس[3] فملكوا بعض الساحل، وحملوا راية الصَّليب، وحملوا إلى قبرس من خيل المسلمين وسلاحهم وأسْراهم ما لا يُحصي عَدَدَه إلا الله، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يومًا يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرس، وفرحوا بمجيء التتار، هم وسائر أهل هذا المذهب الملعون، مثل أهل جِزِّين[4] وما حواليها، وجبل

---

(١) (ف): «عظائم».

(٢) (ف): «وفعلوا».

(٣) قُبْرُس: جزيرة في شرق حوض البحر الأبيض المتوسط، بها دولة قائمة الآن، أغلب سكانها من اليونان والأتراك. وانظر «معجم البلدان»: (٤/ ٣٠٥).

(٤) أحد أقاليم مدينة صيدا في لبنان، أهلها مشهورون بالرفض. انظر «نزهة المشتاق»: (ص١١٩)، و«توضيح المشتبه»: (٣/ ٢٣٧).

عاملة[1] ونواحيه.

ولما خرجت العساكر الإسلامية من الديار المصرية، ظهر فيهم من الخزي والنكال ما عرفه الناس منهم. ولما نصر الله الإسلام النُّصرة العظمى عند قدوم السلطان، كان بينهم شبيه بالعزاء.

كل هذا، وأعظم منه، عند هذه الطائفة التي كانت من أعظم الأسباب في خروج جَنكِخان إلى بلاد الإسلام، وفي استيلاء هُولاكو على بغداد، وفي قدومه إلى حلب، وفي نَـهْب الصَّالحية[2]، وفي غير[3] ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله؛ لأن عندهم أَنّ كلّ من لم يوافقهم على ضلالهم فهو كافر مرتد. ومن استحلّ الفُقَّاع[4] فهو كافر. ومن مسح على الخُفّين فهو عندهم كافر. ومن حَرَّم المتعة فهو عندهم كافر. ومن أحبَّ أبا بكْر أَو عمر، أَو عثمان، أو ترضَّى عنهم أو عن[5] جماهير الصحابة، فهو عندهم كافر. ومن لم

(١) جبل عاملة أو عامل بحذف تاء التأنيث تخفيفًا، وعاملة نسبة إلى قبيلة عاملة بن سبأ اليمانية: جبل كبير قرب صيدا في جنوب لبنان، فيه بلدات وقرى عديدة، وغالب من يسكنه من الشيعة الإمامية. انظر «خطط جبل عامل» لمحسن الأمين.

(٢) انظر «تاريخ الإسلام»: (٥٢/ ٨١-٨٢) للذهبي، و«البداية والنهاية»: (١٧/ ٧٣٠)، وما سبق (ص٢٣٣).

(٣) (ف): «وغير».

(٤) «الفُقَّاع» كرُمَّان. شراب يُتخذ من الشعير يخُمّر حتى تعلوه فقاعاته. انظر «لسان العرب» (٨/ ٢٥٦). وانظر جواب الشيخ في جواز شربها لأنها غير مسكرة في «الفتاوى»: (٣٥/ ٢١٠).

(٥) (ف): «وعن».

يؤمن بمنتظرهم فهو عندهم كافر[1]!

وهذا المنتظر صبيٌّ[2] عمره سنتان، أو ثلاث، أو خمس. يزعمون أنه دخل السِّرداب بسامرَّاء من أكثر من أربعمائة سنة. وهو يعلم كلّ شيء، وهو حجّة الله على أهل الأرض، فمن لم يؤمن به فهو عندهم كافر. وهو شيء لا حقيقة له. ولم يكن هذا في الوجود قط.

وعندهم من قال: إن الله يُرى في الآخرة فهو كافر. ومن قال: إن الله تكلَّم بالقرآن حقيقة فهو كافر. ومن قال: إن الله فوق السموات فهو كافر، ومن آمن بالقضاء والقدر وقال: إن الله يهدي من يشاء ويُضِلُّ من يشاء، وأن الله يُقلِّب قلوب عباده، وأن الله خالقُ كلِّ شيء فهو عندهم كافر. وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبر بها في كتابه وعلى لسان رسوله فهو عندهم كافر.

هذا هو المذهب الذي تُلقِّنُهُ لهم أئمتهم، مثل بني العُود. فإنهم شيوخ أهل هذا الجبل. وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين. ويُفتونهم بهذه الأمور.

وقد حصل بأيدي المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العُود[3]

(١) انظر «منهاج السنة»: (٣/ ٢٦٩).

(٢) تكررت في (ف).

(٣) هو: أبو القاسم بن الحسين بن العود الحلّي المتكلم شيخ الشيعة (ت ٦٧٧أو بعدها). قال الذهبي في «تاريخه»: (٥٠/ ٣٣٧) : «قدم حلب وتردد إلى الشريف عز الدين مرتضى نقيب الأشراف، فاسترسل معه يومًا، ونال من أصحاب رسول الله ﷺ، فزبره=

وغيره. وفيها هذا وأعظم منه. وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علَّموهم وأمروهم، لكنهم مع هذا يُظهرون التّقيَّة والنفاق، ويتقرَّبون ببذل الأموال إلى من يقبلها منهم. وهكذا كان عادة هؤلاء الجَبَلِيَّة، فإنما أقاموا بجَبَلهم لما كانوا يظهرونه من النفاق ويبذلونه من البِرْطِيل[1] لمن يقصدهم.

والمكان الذي لهم في غاية الصعوبة. ذكر أهل الخبرة أنهم لم يروا مثله؛ ولهذا كثر فسادُهم؛ فقتلوا من النفوس وأخذوا من الأموال ما لا يعلمه إلا الله.

ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرها معهم في أمر لا يُضْبط شرُّه، كل ليلة تنزل[2] عليهم منهم طائفة، ويفعلون من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد. وكانوا في قطع الطرقات وإخافة سكان البيوتات على أقبح سيرة عُرِفت من أهل الجنايات، يرد إليهم النصارى من أهل قبرس فيضيفونهم

= النقيب وأمر بجرّه بين يديه، وأُرْكِب حمارًا مقلوبًا، وصُفع في الأسواق. فحدثني أبو الفضل بن النحاس الأسدي: أن فاميًّا نزل من حانوته وجاء إلى مزبلة، فاغترف غائطًا ولطخ به ابن العود. وعظم النقيب عند الناس، وتسحب ابن العود من حلب. ثم إنه أقام بقرية جزين مأوى الرافضة، فأقبلوا عليه وملكوه بالإحسان». وانظر «البداية والنهاية»: (١٧/ ٥٥٦).

(١) البرطيل: الرشوة. وقد شرحه شيخ الإسلام في «السياسة الشرعية»: (ص٩١-بتحقيقي) قال: «وأصل البرطيل هو الحجر المستطيل، سميت به الرشوة لأنها تلقم المرتشي عن التكلم بالحق كما يلقمه الحجر الطويل، كما قد جاء في الأثر: إذا دخلت الرشوة من الباب خرجت الأمانة من الكُوَّة. يعني الطاقة». وانظر في تعليقي فائدة في أول من أظهر البرطيل بالشام.

(٢) (ف): «ينزل».

ويعطونهم سلاح المسلمين، ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين؛ فإما أن يقتلوه أو يسلبوه، وقليل[1] منهم من يفلت منهم بالحيلة.

فأعان الله ويَسَّرَ، بحسن نية السلطان، وهِمَّته في إقامة شرائع الإسلام، وعنايته بجهاد المارقين أن غزوا غزوة شرعية، كما أمر الله ورسوله، بعد أن كُشِفَت أحوالهم، وأُزِيحَت عللهم، وأُزِيلَت شُبْهتهم[2]، وبُذل لهم من العدل والإنصاف ما لم يكونوا يطمعون به، وبُيِّن لهم أن غزوهم اقتداء بسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قتاله الحروريَّة المارقين، الذين تواتر عن النبي ﷺ الأمر بقتالهم، ونَعْت حالهم من وجوه متعددة. أخرج منها أصحاب الصحيح عشرة أوجه: من حديث علي بن أبي طالب، وأبي سعيد الخُدْري، وسَهْل بن حُنَيف، وأبي ذَرٍّ الغِفَاري، ورافع بن عَمرو، وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ.

قال فيهم: «**يحْقِر أحدُكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرأون القرآن لا يُجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرُق السهم من الرَّميَّة، لئن أدْرَكتُهم لأقتلنَّهم قتلَ عاد، لو يعلم الذين يُقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد ﷺ لاتَّكلوا[3] عن العمل، يقتلون أهل الإسلام ويَدَعون أهل الأوثان، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم،**

(١) سقطت من (ف).

(٢) سقطت من (ف).

(٣) (ك): «للتكّلوا»، (ف): «لتكلوا» وكتب فوقها: كذا.

شرُّ قتلى[1] تحت أديم السَّماء، ـ خير قتلى من قتلوه»[2].

وأوّل ما خرج هؤلاء زمن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وكان لهم من الصلاة والصيام والقراءة والعبادة والزَّهادة ما لم يكن لعموم الصحابة، لكن كانوا خارجين عن سنّة رسول الله ﷺ، وعن جماعة[3] المسلمين. وقتلوا من المسلمين رجلًا اسمه عبد الله بن خبَّاب وأغاروا على دوابِّ المسلمين[4].

وهؤلاء القوم كانوا أقلّ صلاةً وصيامًا، ولم نجد في جَبَلهم مصحفًا، ولا فيهم قارئ للقرآن، وإنّما عندهم عقائدهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة، وأباحوا بها دماء المسلمين، وهم مع هذا قد سفكوا من الدماء، وأخذوا من الأموال ما لا يحصي عددَه إلاّ الله تعالى.

فإذا كان علي بن أبي طالب قد أباح لعسكره أن ينهبوا ما في عسكر الخوارج، مع أنّه قتلهم جميعهم، كان هؤلاء أحقَّ بأخذ أموالهم. وليس هؤلاء بمنزلة المتأوِّلين الذين نادى فيهم علي بن أبي طالب يوم الجمل: «أنّهُ لا يقتل مُدْبِرهم، ولا يُجْهَز على جريحهم، ولا يُغنم لهم مال[5] ولا يُسْبى لهم ذرية»[6]؛ لأنّ مثل أولئك لهم تأويل سائغ، وهؤلاء ليس لهم تأويل

---

(١) (ف): «قتل».

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) (ف): « جماعة من».

(٤) (ك): «للمسلمين».

(٥) سقطت من (ف).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٨٩٣٣)، وابن سعد في «الطبقات»: (٧/ ٩٤-٩٥).

سائغ، ومثل أولئك إنّما يكون خارجًا[1] عن طاعة الإمام، وهؤلاء خرجوا عن شريعة رسول الله ﷺ وسنته، وهم شرٌّ من التَّتار من وجوه متعدّدة، لكن التتر أكثر وأقوى، فلذلك ظهر شرُّهم.

وكثير من فساد التتر هو لمخالطة هؤلاء لهم، كما كان في زمن قازان وهولاكو وغيرهما، فإنهم أخذوا من أموال[2] المسلمين أضعاف ما أخذوا من أموالهم، وأرضهم فيءٌ لبيت المال.

وقد قال كثيرٌ من السلف: إنّ الرّافضة لا حقَّ لهم من الفيء؛ لأنّ الله إنّما جعل الفيء للمهاجرين والأنصار ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، فمن لم يكن قلبه سليمًا لهم، ولسانه مستغفرًا لهم، لم يكن من هؤلاء[3].

وقطعت أشجارهم؛ لأنَّ النبي ﷺ لمّا حاصر بني النضير قطع أصحابُه نخْلَهم وحرَّقوه، فقال اليهود: هذا فساد، وأنت يا محمد تنهى عن الفساد، فأنزل الله في القرآن: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥].

وقد اتّفق العلماء على جواز قطع الشجر، وتخريب العامر عند الحاجة

---

(١) تكررت «يكون» في (ف)، وفي (ط): «يكونون خارجين».

(٢) سقطت من (ف).

(٣) انظر «الدر المنثور»: (٦/ ٢٩٣-٢٩٤).

إليه، فليس ذلك بأولى من قتل النفوس.

وما أمكن غير ذلك؛ فإنّ القوم لم يحضروا كلّهم من الأماكن التي اختفوا فيها، وأيسوا من المقام في الجبل إلا حين قُطعت الأشجار، وإلاّ كانوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم، وما أمكن أن يسكن الجبل غيرهم؛ لأن التركمان إنّما قصدُهم الرَّعي، وقد صار لهم مرعى، وسائر الفلَّاحين لا يتركون عمارة أرضهم و يجيئون إليه.

فالحمد لله الذي يسَّر هذا[1] الفتح في دولة السلطان بهمته وعزمه وأمره، وإخلاء الجبل منهم، وإخراجهم من ديارهم.

وهم يشبهون ما ذكره الله في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [الحشر: ٢ـ ٥].

وأيضًا فإنَّه بهذا قد انكسر من أهل البدع والنفاق بالشام ومصر والحجاز واليمن والعراق ما يرفع الله به درجات السلطان، ويُعِزُّ به أهل الإيمان.

---

(١) (ك): «بهذا».

فصل

تمام هذا الفتح وبركته تقدُّم مراسم[1] السلطان بحسم مادّة أهل الفساد، وإقامة الشريعة في البلاد، فإنَّ هؤلاء القوم لهم من المشايخ والإخوان في قُرى كثيرة مَنْ يقتدون به وينتصرون[2]، وفي قلوبهم غلٌّ عظيم، وإبطان معاداة شديدة، لا يُؤمَنون معها على ما يمكنهم، ولو أنَّه مباطنة العدوّ، فإذا أمسك رؤوسهم الذين يُضِلونهم ـ مثل بني العُود ـ زال بذلك من الشرّ ما لا يعلمه إلا الله.

ويُتقدَّم إلى قُراهم، وهي قُرى متعدّدة بأعمال دمشق، وصَفَد، وطرابلس، وحماة، وحمص[3]، وحلب= بأن يُقام فيهم شرائع الإسلام: الجمعة والجماعة وقراءة القرآن، ويكون لهم خطباء ومؤذِّنون، كسائر قرى المسلمين، وتُقرأ فيهم الأحاديث النبوية، وتُنشر فيهم المعالم الإسلامية، ويُعاقب من عُرِفَ منه البدعة[4] والنفاق بما توجبه شريعة الإسلام.

فإنَّ هؤلاء المحاربين[5] وأمثالهم قالوا: نحن قوم جهال، وهؤلاء كانوا يعلمونا ويقولون لنا: أنتم إذا قاتلتم هؤلاء تكونون مجاهدين، ومن قُتل منكم فهو شهيد.

---

(١) (ف): «مراسيم».

(٢) (ط): «بهم وينتصرون لهم».

(٣) (ف): «حمص وحماة».

(٤) (ط): «منهم بالبدعة».

(٥) يعني: التتار.

وفي هؤلاء خلقٌ كثير لا يقرُّون بصلاة، ولا صيام، ولا حجّ ولا عمرة، ولا يحُرِّمون الميتة، والدم، ولحم الخنزير، ولا يؤمنون بالجنّة والنّار، من جنس الإسماعيلية، والنُّصيرية[1]، والحاكميّة، والباطنيّة، وهم كفّار أكفر من اليهود والنصارى بإجماع المسلمين.

فتقدُّمُ المراسيم السلطانية بإقامة شعائر الإسلام: من الجمعة، والجماعة، وقراءة القرآن، وتبليغ أحاديث النبي ﷺ في قُرى هؤلاء من أعظم المصالح الإسلامية، وأبلغ الجهاد في سبيل الله.

وذلك سبب لانقماع من يُباطن العدوَّ من هؤلاء، ودخولهم في طاعة الله ورسوله، وطاعة أولي الأمر من المسلمين. وهو من الأسباب التي يعين الله بها على قمع الأعداء.

فإنَّ ما فعلوه بالمسلمين في أرض «سيس»[2] نوع من غدرهم الذي به ينصر الله المسلمين عليهم. وفي ذلك لله حكمة[3] عظيمة، ونصرة للإسلام جسيمة. قال ابن عباس: «ما نقض قومٌ العهد إلا أُديل عليهم العدوّ»[4].

ولولا هذا وأمثاله ما حصل للمسلمين من العزم بقوّة الإيمان، وللعدوّ من الخذلان، ما ينصر الله به المؤمنين، ويُذلُّ به الكفار والمنافقين.

---

(١) (ف): «النصرانية» خطأ.

(٢) انظر ما سبق (ص٢٣٣). وانظر بعض الأحداث التي جرت في سيس «تاريخ الإسلام»: (٤٣/ ١٢، ٤٩/ ٦) للذهبي.

(٣) (ف): «ذلك حكمة».

(٤) أخرجه البيهقي في «الكبرى»: (٣/ ٣٤٦) بنحوه.

والله هو المسئول أن يُتمَّ نعمته على سلطان الإسلام خاصة، وعلى عباده المؤمنين عامّة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

عنوان الكتاب ظاهره:

سلطان المسلمين، ومن أيَّد في دولته الدِّين، وقمع الكفَّار والمنافقين، أَيَّد الله به الإسلام، ونشر عدله في الأنام.



[مناظرة الشيخ مع الأحمدية]

وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى[1] من هذه السنة ــ سنة خمسٍ ــ اجتمعَ جماعةٌ من الأحمدية الرِّفاعية[2] عند نائب السلطنة بالقصر، وحضر الشيخ تقيُّ الدِّين، وطلبوا أن يُسَلِّم إليهم حالهم، وأنَّ الشَّيخ تقيَّ الدِّين لا يُعَارضهم ولا يُنكر [ق٧٠] عليهم، وأرادوا أن يُظْهروا شيئًا ممَّا يفعلونه، فانتدبَ لهم الشيخ، وتكلّم باتباع الشريعة، وأنَّه لا يسعُ أحدًا[3] الخروج عنها بقولٍ ولا فعلٍ[4]، وذكر أنَّ لهم حيلاً يتحيَّلون بها في دخول النَّار، وإخراج الزّبدة من الحلوق.

وقال لهم: من أراد دخول النار فليغسل جَسَدَه في الحمام، ثمّ يَدْلكه بالخَلِّ، ثم يدخل[5]، ولو دخل لا يُلتفت إلى ذلك، بل هو نوعٌ من فعل الدجَّال عندنا.

وكانوا جمعًا كثيرًا.

وقال الشيخ صالح شيخ المُنَيبع[6]: نحن أحوالنا تَنْفُقُ عند التتار ما تنفق

(١) (ب، ق): «الأول».

(٢) (ف): «والرفاعية».

(٣) (ب، ق، ف): «أحد».

(٤) (ب، ق): «عنها ولا يفعل».

(٥) «ثم يدخل»: ليست في (ب، ق).

(٦) الأصل: «الينبع»، و(ب): «المنيع»، و(ف): «المينبيع»، و(ك): «المنيبيع». والمثبت من (ق) والمصادر. وهي قرية بقرب دمشق، وهي ما كان يعرف بـ «صنعاء دمشق»، ومكانها اليوم جامعة دمشق. انظر «توضيح المشتبه»: (٤/ ٩٤)، و«خطط دمشق» (٤٤٣) للعُلَبي. =

قُدَّام الشَّرْع.

وانفصلَ المجلسُ على أنَّهم يخلعون أطواقَ[1] الحديد، وعلى أنَّ من خرج عن الكتاب والسُّنَّة ضُرِبَت عُنُقه[2]، وحَفِظ هذه الكلمة الحاضرون من الأمراء والأكابر وأعيان الدولة. وكتب الشيخُ عقيب هذه الواقعة جزءًا في حال الأحمدية ومبدئهم، وأصل طريقتهم[3]، وذِكْرِ شيخهم، وما في طريقهم من الخير والشرّ، وأوضح الأمرَ في ذلك.

[ملخص محنة الشيخ بسبب الحموية وما جرى له في مصر]

وقال الذهبيُّ في أثناء كلامه في ترجمة الشيخ[4]: ولمّا صنَّف «المسألة الحموية» في الصفات سنة ثمان وتسعين، تحزَّبوا له، وآل بهم الأمرُ إلى أن طافوا بها[5] على قصبة من جهة القاضي الحنفي، ونُودي عليه بأن لا يُسْتَفتى. ثم قام بنصره طائفةٌ آخرون، وسلَّم الله.

= والشيخ صالح هو الأحمدي الرفاعي، شيخ المنيبع. قال ابن كثير: «كان التتار يكرمونه لما قدموا دمشق، ولما جاء قطلوشاه نائب ملك التتار نزل عنده..» ثم ذكر عبارته هذه. توفي سنة (٧٠٧). انظر «البداية والنهاية»: (١٨/ ٧٧). و«الدرر الكامنة»: (٢/ ٢٠١-٢٠٢).

(١) (ب، ق، ف): «الأطواق».

(٢) (ف، ك): «رقبته».

(٣) (ف): «طريقهم».

(٤) «في ترجمة الشيخ» سقطت من(ف)، وتكرر قوله: «في أثناء كلامه». وكلام الذهبي في «الدرة اليتيمية - ضمن تكملة الجامع»: (ص٤٢).

(٥) (ف، ك): «به».

فلمّا كان سنة[1] خمس وسبعمائة جاء الأمر من مصر بأن يُسأل عن مُعْتقده، فجُمِعَ له القُضاةُ والعلماءُ بمجلس نائب دمشق الأفرم.

فقال: أنا كنتُ سُئِلْتُ عن مُعتقد السنَّة[2]، فأجبتُ عنه في جزءٍ من سنين، وطَلَبه من داره، فأُحضِرَ، وقرأه.

فنازعوه في موضعين أو ثلاثة منه، وطال المجلس، فقاموا واجتمعوا مرَّتين أيضًا لتتمة الجزء، وحاققوه، ثم وقع الاتفاقُ على أنَّ هذا مُعْتَقدٌ سلفيٌّ جَيِّد. وبعضُهم قال ذلك كُرْهًا.

وكان المصريُّون قد سَعَوا في أمر الشيخ، ومالأوا الأمير رُكن الدين الشاشنكير[3] ـ الذي تَسَلْطن ـ عليه، فطُلِب إلى مصر على البريد.

فثاني يوم دخوله اجتمعَ القُضاة والفقهاء بقلعة مصر، وانتصبَ ابنُ عَدْلان[4] له خصمًا، وادَّعى عليه عند القاضي ابن مخلوفٍ[5] المالكي: أنَّ

---

(١) (ق، ف، والدرة): «في سنة».

(٢) (ق، ف، ك، والدرة): «كنت قد ..». و(ف، ك): «معتقد أهل السنة».

(٣) هو: بيبرس بن عبد الله المنصوري، ركن الدين. كان من أمراء المماليك، تسلطن بعد خلع الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٨، ولم يطل أمره في الملك فلم يكمل السنة، وأمسكه الملك الناصر وأُحْضِر بين يديه وخَنَقه بوترٍ كان بيده سنة (٧٠٩). انظر «أعيان العصر»: (٢/ ٧١-٧٥)، و«مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة»: (٢/ ٥٩-٦٣).

(٤) هو: محمد بن أحمد بن عثمان، الكناني المصري الشافعي، من الفقهاء، كان مقربًا من الجاشنكير، له شرح على مختصر المزني ـ مخطوط. توفي سنة(٧٤٩) عن نحو تسعين عامًا. انظر «أعيان العصر»: (٤/ ٢٩٧-٢٩٩). و«الدرر الكامنة»: (٣/ ٣٣٣-٣٣٤).

(٥) (ك): «ابن مخلوف القاضي». وهو: علي بن مخلوف بن ناهض النُّويري المالكي، ولي =

هذا يقول: إنَّ الله تكلَّم بالقرآن بحرفٍ وصوتٍ، وأنَّه تعالى على العرش بذاته، وأنَّ الله يُشارُ إليه الإشارة الحِسِّيَّة.

وقال: أطلبُ عقوبته على ذلك.

فقال القاضي: ما تقول يا فقيه؟

فحمد الله وأثنى عليه. فقيل له: أَسْرِع، ما أحضرناك لتخْطُب!

فقال: أُمْنَع من الثناء على الله؟!

فقال القاضي: أَجِبْ، فقد حمدتَ اللهَ.

فسكتَ، فألحَّ عليه.

فقال: مَن الحاكم فيَّ[1]؟

فأشاروا له إلى القاضي ابن مخلوف.

فقال: أنت خَصْمي، كيف تحكمُ فيَّ؟ وغضبَ وانزعجَ، وأُسْكِتَ القاضي.

فأقيمَ الشيخُ وأخواه، وسُجنوا بالجُبِّ بقلعة الجبل، وجرت أمورٌ طويلة.

وكُتِبَ إلى الشام كتابٌ سلطانيٌّ بالحطِّ[2] عليه، فقرئ بالجامع، وتألَّم

= القضاء، وعيب عليه قلة العلم، والتسرّع في الأحكام (ت٧١٨). انظر «رفع الإصر»: (٢/ ٤٠٥-٤٠٦)، و«أعيان العصر»: (٣/ ٥٤٣-٥٤٥). وقد قال عنه شيخ الإسلام: إنه قليل العلم والدين. «مجموع الفتاوى»: (٣/ ٢٣٥).

(١) (ب، ق، ف): «فمن الحاكم...»، و «فيّ» سقطت من (ب، ق).

(٢) (ك): «بالخط».

الناسُ له. ثم بقي سنةً ونصفًا، وأُخرج، وكتب لهم ألفاظًا اقترحوها عليه، وهُدِّد أو[1] تُوُعِّد بالقتل إن لم يكتبها[2].

وأقام بمصر يُقرئ العلمَ ويجتمع خلقٌ[3] عنده، إلى أن تكلَّم في الاتحادية القائلين بوحدة الوجود، وهم ابنُ سبعين وابنُ عربي والقُونَويُّ وأشباههُم[4]، فتحزَّب عليه صوفيَّةٌ وفقراءُ، وسعوا فيه، وأنَّه تكلَّم[5] في صفوة الأولياء. فعُمِل له محفل، ثم أخرجوه على البريد، ثم ردُّوه على مرحلةٍ من مصر، ورأوا مصلحَتهم في اعتقاله، فسجنوه في حبس القُضاة سنةً ونصفًا.

---

(١) بقية النسخ: «وهُدّد وتُوعد».

(٢) في تفصيل هذه الحادثة، وتحرير ما وقع فيها انظر مقدمة «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ ط الثالثة»: (ص٣٩-٤٧).

(٣) (ك): «عنده خلق».

(٤) ابن سبعين هو: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد الأشبيلي، من متصوّفة الفلاسفة القائلين بوحدة الوجود، له تصانيف في التصوف والفلسفة(ت٦٦٩). انظر «تاريخ الإسلام»: (١٥/ ١٦٨).

وابن عربي هو: محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الأندلسي، محيي الدين الحاتمي، يلقب بالشيخ الأكبر، من كبار المتصوّفة القائلين بوحدة الوجود، له تصانيف كثيرة.(ت٦٣٨). انظر «تاريخ الإسلام»: (١٤/ ٢٧٣).

والقونوي هو: محمد بن إسحاق بن محمد، صدر الدين القونوي الرومي، من كبار تلاميذ ابن عربي، تزوّج ابنُ عربيّ أمَّه وربّاه، وله مصنفات كثيرة في التصوف(ت٦٧٣). انظر «تاريخ الإسلام»: (١٥/ ٢٦٦).

(٥) (ب، ق): «يتكلم».

فجعل أصحابُه يدخلون إليه في السِّرِّ، ثم تظاهروا، فأخرجته الدولة على البريد إلى الإسكندرية، وحُبِس ببرج منها، وشِيْع[1] بأنه قتل، وأنَّه غرق، غيرَ مرَّةٍ.

فلما عادَ السلطانُ ـ أيَّده الله ـ من الكَرْك، وأبادَ أضْدَادَه، بادر باستحضار الشيخ إلى القاهرة مكرَّمًا. واجتمعَ به وحادَثَه، وسارَّه بحضرة القضاة والكبار، وزادَ في إكرامه.

ثم نزلَ وسكنَ في دارٍ، واجتمع بعد ذلك بالسلطان، ولم يكن الشيخ من رجال الدُّوَل، ولا يسلك معهم تلك النواميس، فلم[2] يعد السلطانُ يجتمع به، فلما قَدِمَ السلطانُ لكشف العدو عن الرَّحَبة جاء الشيخُ إلى دمشق سنة اثنتي عشرة وسبعمائة[3]. ثم جَرَت أمورٌ ومِحَن. انتهى كلامه.

[مفصَّل محنة الشيخ بسبب «الحموية»]

وقال الشيخُ عَلَمُ الدين: وفي شهر ربيع الأول من سنة[4] ثمان وتسعين وستمائة وقع بدمشق محنة للشيخ الإمام تقيِّ الدين ابن تيميّة، وكان الشروع فيها من أول الشهر، وظهرت يومَ الخامس منه، واستمرَّت إلى آخر الشهر.

وملخَّصُها: أنه كان كتَب جوابًا سُئل عنه من حماة في الصفات، فذكر فيه مذهبَ السلف، ورجَّحَه على مذهبِ المتكلِّمين، وكان قبل ذلك بقليل أنكرَ

---

(١) في الأصول: «وشنع»، والتصحيح من «الدرة اليتيمية – ضمن تكملة الجامع» (ص٤٤).

(٢) «الشيخ ... فلم» سقطت من (ف، ك).

(٣) «وسبعمائة» ليست في بقية النسخ.

(٤) (ب، ق): «وفي سنة..». وانظر «المقتفى»: (٢/ ٥٧٠).

أمر المنجِّمين، واجتمع بسيف الدين جاغان[1] في ذلك، في[2] حال نيابته بدمشق وقيامه مقام[3] نائب السلطنة. وامتثلَ أمرَه وقَبِلَ قولَه، والتمس منه كثرةَ الاجتماع به.

فحصلَ بسبب ذلك ضيقٌ لجماعة، مع ما كان عندهم قبل ذلك[4] من كراهية الشيخ، وتألُّمِهم[5] لظهوره وذِكْره الحَسَن.

فانضافَ شيءٌ إلى أشياء، ولم يجدوا مساغًا إلى الكلام فيه، لزهده وعدمِ إقباله على الدنيا، وتركِ المزاحمة على المناصب، وكثرةِ علمه، وجودةِ أجوبته وفتاويه، وما يظهرُ فيها من غزارة العلم[6] ، وجَوْدَةَ الفهم.

فعَمَدوا إلى الكلام في العقيدة؛ لكونهم يرجِّحُون مذهبَ المتكلِّمين في الصفات والقرآن على مذهب السلف، ويعتقدونه الصواب.

فأخذوا الجوابَ الذي كتبه، وعملوا عليه أوراقًا في ردِّه، ثم سَعَوا السَّعيَ الشديدَ إلى القضاة والفقهاء[7] واحدًا واحدًا. [ق٧٢] وأَغْرَوا به[8] خواطرَهم،

---

(١) جاغان: هو الأمير سيف الدين جاغان المنصوري الحسامي. قال الذهبي: كان فيه دين وعقل.(ت٧٠٠). انظر «تاريخ الإسلام»: (٥٢/ ٣٩٦) للذهبي.

(٢) ليست في (ف).

(٣) (ف، ك): «فقام».

(٤) «قبل ذلك» ليس في (ب، ق).

(٥) (ب): «وتأملهم».

(٦) سقطت من (ق).

(٧) ليست في (ب).

(٨) «به» من الأصل فقط.

وحَرَّفوا الكلامَ، وكذبوا الكذب الفاحش، وجعلوه يقول بالتجسيم ــ وحاشاه من ذلك ـ وأنَّه قد أوعز[1] ذلك المذهب إلى أصحابه، وأنَّ العوامَّ قد فسدت عقائدُهم بذلك، ولم يقع من ذلك شيء والعياذ بالله! وسَعَوا في ذلك سعيًا شديدًا، في أيامٍ كثيرة المطر والوَحْل والبرد[2].

فوافقهم جلالُ الدِّين الحنفيُّ ـ قاضي الحنفية يومئذٍ ـ على ذلك، ومشى معهم إلى دار الحديث الأشرفيَّة، وطلب حضورَه، وأرسل إليه، فلم يحضر.

وأرسل إليه[3] في الجواب: إنَّ العقائد ليس أمرُها إليك، وإن السلطان إنّما ولاَّك لتحكمَ بين الناس، وإن إنكار المنكرات ليس ممَّا[4] يختصُّ به القاضي.

فوصلت إليه هذه الرسالة، فأوْغَروا[5] خاطرَه، وشوَّشوا قلبَه، وقالوا: لم يحضر، وردَّ عليك. فأمرَ بالنِّداء على بطلان عقيدته في البلدة، فأجيب[6] إلى ذلك، فنودي في بعض البلد[7].

ثم بادرَ سيفُ الدِّين جاغان، وأرسل طائفةً، فضُرِبَ المنادي و جماعةٌ

(١) (ق): «أوغر».

(٢) «في أيام... والبرد» ليست في (ف)، وفي (ك) تكررت عبارة: «وسعوا... شديدًا».

(٣) «وأرسل... إليه» سقطت من(ب).

(٤) (ف): «من لم».

(٥) (ب): «فأوعزوا»، (ف ، ك): «فأغروا».

(٦) المثبت من(ب)، وبقية النسخ: «فأجاب».

(٧) انظر «الدرة اليتيمية ـ تكملة الجامع»: (ص٤٢)، و«تاريخ الإسلام»: (٥٢/ ٦١).

ممن حولَه، وأخْرَق بهم، فرجعوا مضروبين في غاية الإهانة!

ثم طلب سيفُ الدين جاغانُ من قام في ذلك وسعى فيه، فدارت الرسلُ والأعوانُ عليهم في البلد، فاختفوا، واحتمى مُقدَّمهم ببدر الدِّين الأتابكي، ودخل عليه في داره، وسأل منه أن يجيره[1] من ذلك. فترفَّق في أمره، إلى أن سكن غضب[2] سيفُ الدّين جاغان.

ثُمَّ إنّ الشيخ جلس يوم الجمعة على عادته ثالث عشر الشهر، وكان تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وذَكَر الحِلْمَ، وما ينبغي استعمالُه، وكان ميعادًا جليلًا.

ثُمّ إنّه اجتمع بالقاضي إمام الدين الشافعي[3]، وواعده لقراءة جُزئه الذي أجابَ فيه، وهو المعروف بـ «الحموية».

فاجتمعوا يوم السبت رابع عشر الشهر، من بُكرة النهار إلى نحو الثلث من ليلة الأحد، ميعادًا طويلًا مستمرًّا، وقُرِئت[4] جميع العقيدة، وبَيَّن مرادَه من مواضع أشكلت، ولم يحصل إنكارٌ عليه من الحاكم ولا ممَّن حضر المجلس، بحيثُ انفصل منهم والقاضي يقول: كلُّ من تكلَّم في الشيخ فأنا

---

(١) رسمها في الأصل: «يجيره». وفي (ف): «يخبره».

(٢) من بقية النسخ.

(٣) هو: عمر بن عبد الرحمن بن أحمد أبو المعالي القزويني الشافعي قاضي القضاة بدمشق (ت٦٩٩). قال ابن كثير: «وكان القاضي إمام الدين معتقده حسنًا ومقصده صالحًا». انظر: «أعيان العصر»: (٣/ ٦٣٣-٦٣٤)، و«البداية والنهاية»: (١٧/ ٧١١-٧١٢).

(٤) (ق، ف، ك): «وقرئت فيه».

خصمه. وقال أخوه جلالُ الدِّين ـ بعد هذا الميعاد ـ : كلُّ من تكلَّم في الشيخ نُعَزِّره[1]. وانفصلَ عنهم عن طيبةٍ.

وخرج والناس ينتظرون ما يسمعون من طَيِّب أخباره، فوصل إلى داره في ملأ كثيرٍ من الناس، وعندهم استبشارٌ وسرورٌ به، وهو في ذلك كلِّه ثابتُ الجأش، قويُّ القلب، واثقٌ بالنصر[2] الإلهيِّ، لا يلتفتُ إلى نصر مخلوق، ولا يُعَوِّل عليه.

وكان سَعْيهم في حقِّه أتَمَّ السَّعْي، لم يُبْقُوا ممكنًا من الاجتماع بمن يرجون[3] منه أدنى نصرٍ لهم، وتكلَّموا في حقِّه بأنواعِ الأذى، وبأمورٍ يستحي الإنسانُ من الله سبحانه أن يحكيها، فضلاً عن أن يختلقها ويُلفِّقها، فلا حول ولا قوَّة إلاّ بالله.

والذين سعوا فيه معروفون عندنا وعند كلِّ أحدٍ، قد اشتهر عنهم هذا الفعل الفظيع، وكذلك من ساعدهم [ق٧٣] بقول، أو تشنيع، أو إغراء، أو إرسال رسالة، أو إفتاءٍ، أو شهادة، أو أذىً لبعض أصحاب الشيخ ومن يلوذُ به، أو شَتْم، أو غيبة، أو تشويش باطنٍ. فإنَّه وقع من[4] ذلك شيءٌ كثير من جماعة كثيرة.

ورأى جماعةٌ من الصالحين والأخيار في هذه الواقعة وعقيبها للشيخ

---

(١) «فأنا خصمه... الشيخ» سقط من(ف، ك)، وفيهما: «يعزره».

(٢) (ك): «بالنصرة».

(٣) (ف، ك): «يرتجون».

(٤) (ق): «في».

مرائي حسنةً جليلةً، لو ضُبطَت كانت مجلّدًا تامًّا. انتهى ما ذكره.

ثمَّ بعد هذه الواقعة بمُدَّةٍ كثيرةٍ، وذلك يوم الاثنين ثامن رجب من سنة خمس وسبعمائة، طُلِبَ القضاةُ والفقهاءُ، وطُلِبَ الشيخُ تقيُّ الدين إلى القصر، إلى مجلس نائب السلطنة الأفرم، فلما اجتمعوا[1] عنده سأل الشيخَ تقيَّ الدِّين وحدَه عن عقيدته، وقال له: هذا المجلس عُقِدَ لك، وقد وردَ مرسومُ السلطان أن أسألك عن اعتقادك.

فأحضر الشيخُ عقيدَته «الواسطية»، وقال: هذه كتبتُها من نحو سبع سنين، قبل مجيء التتار إلى[2] الشام.

فقُرِئت في المجلس، وبُحِثَ فيها، وبقي مواضع أُخِّرت إلى مجلسٍ آخر.

ثمَّ اجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر رجب المذكور، وحضر المخالفون، ومعهم الشيخ صفيُّ الدين الهندي[3]، واتفقوا على أنَّه يتولَّى

---

(١) (ف، ك): «فاجتمعوا».

(٢) «التتار إلى» سقطت من(ق).

(٣) هو: محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي أبو عبد الله الشافعي المعروف بالهندي، له تصانيف في الأصول وغيره (ت٧١٥). وذكروا في ترجمته أنه لما ناظر شيخ الإسلام قال له: أنت مثل العصفور تنط من هنا إلى هناك. قال الشوكاني معلقًا: «ولعله قال ذلك لما رأى من كثرة فنون ابن تيمية وسعة دائرته في العلوم الإسلامية. والرجل ليس بكفءٍ لمناظرة ذلك الإمام إلا في فنونه التي يعرفها، وقد كان عريًّا عن سواها» اهـ.
انظر «أعيان العصر» (٤/ ٥٠١-٥٠٥)، و«الدرر الكامنة»: (٤/ ١٤-١٥)، و«البدر=

المناظرة مع الشيخ تقي الدين، فتكلَّم معه.

ثم إنهم رجعوا عنه، واتفقوا على الشيخ كمال الدين ابن الزَّمْلَكانيّ، فناظرَ الشيخَ وبحثَ معه، وطال الكلامُ، وخرجوا من هناك والأمرُ قد انفصل.

وأَظهر اللهُ من قيام[1] الحجَّة ما أَعَزَّ به أهلَ السنة. وانصرفَ الشيخُ تقيُّ الدين إلى منزله.

واختلفت نقول المخالفين للمجلس[2]، وحَرَّفوه، ووضعوا مقالةَ الشيخ على غير موضعها، وشنَّع ابنُ الوكيل وأصحابه بأن الشيخَ قد رجع عن عقيدته، فالله المستعان[3].

والذي حمَل نائب السَّلْطنة على هذا الفعل: كتابٌ ورَدَ عليه من مصر في هذا المعنى، وكان القائمُ في ذلك بمصر: القاضي ابن مخلوف المالكي، والشيخ نَصْر المَنْبِجيُّ، والقَرَوي[4]، واستعانوا بركن الدين الششنكير.

= الطالع»: (٢/ ١٨٧-١٨٨).

(١) بقية النسخ: «وقد أظهر..»، و «من» سقطت من(ب، ق).

(٢) ليست في(ب، ق).

(٣) أشاع أعداء الشيخ أنه أشهد على نفسه أنه شافعي المذهب، وأشاع بعضُ أصحابه أنه انتصر. انظر: «ذيل مرآة الزمان ــ ضمن التكملة»: (ص١٩-٢٠)، و«الدرر الكامنة» (ص٥٣٤- ضمن الجامع).

(٤) الأصل: «القزويني»، و(ب، ق): «القونوي»، والمثبت من (ف، ك). وهو شمس الدين أبو عبد الله المغربي المالكي (ت٧٠٦). والقَرَوي نسبةً إلى القيروان. ترجمته في «ذيل مرآة الزمان»: (٢/ ١١٤٩)، وقد ذكره ضمن من ألّب على الحنابلة بمصر أيام مقدم شيخ الإسلام إليها انظر المصدر السالف: (٢/ ٨٥٣).

ثم بعد ذلك عَزَّرَ بعضُ القضاة بدمشق شخصًا يلوذُ بالشيخ تقي الدين، وطُلِبَ جماعةٌ، ثم أُطْلِقوا، ووقع هَرْج في البلد، وكان الأمير نائب السلطنة قد خرج للصيد وغابَ[1] نحو جمعةٍ ثم حضر.

وكان الحافظُ جمالُ الدين المِزِّي يقرأ «صحيح البخاري» لأجل الاستسقاء[2]، فقرأ يوم الاثنين الثاني والعشرين من رجب في أثناء ذلك فصلاً في الردِّ على الجَهْمية، وأنَّ اللهَ فوقَ العرش، من «كتاب أفعال العباد»، تأليف البخاري، تحت النَّسْر[3]، فغضبَ لذلك بعضُ الفقهاء الحاضرين، وقالوا[4]: نحن المقصودون بهذا، ورفعوا الأمر إلى قاضي القضاة الشافعية[5]، فطلبه ورَسَم بحبسه.

فبلغ ذلك الشيخَ تقيَّ الدين، فتألَّمَ له، وأخْرجه من الحبس بيده، وخرج إلى القصر إلى ملك الأمراء، وتخاصَمَ هو والقاضي هناك، وأثنى على الشيخ جمال الدين.

---

(١) ليست في(ف).

(٢) انظر مقالًا في نقد ظاهرة قراءة البخاري لدفع النوازل وتفريج الكربات في «مجلة المنار»: (٥/ ٤٧٤ ـ ٤٧٧) وعنه القاسمي في «قواعد التحديث» (ص٢٦٣ ـ ٢٦٧).

(٣) يعني: تحت قبة النسر في الجامع الأموي.

(٤) (ق): «وقال».

(٥) (ف، ك): «الشافعي». والقاضي هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سالم نجم الدين ابن صَصْرى الدمشقي الشافعي ت(٧٢٣). انظر «أعيان العصر»: (١/ ٣٢٧ ـ ٣٣٣)، و«الدرر الكامنة»: (١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤).

وغضبَ القاضي وانزعج وقال: لئن لم يُرَدَّ إلى حبسي[1] عزلتُ نفسي. فأرضاه ملك الأمراء بأن أعاد الشيخ جمال الدين إلى حبسه، فاعتقله بالقوصيَّة أيَّامًا.

وذكر الشيخُ تقيُّ الدين للنائب ما وقع في غَيْبته في حقِّ بعض أصحابه من الأذى، فرسَمَ بحبس جماعةٍ من أصحاب ابن الوكيل، وأمر فنودي في البلد: إنه من تكلَّم في العقائد حلَّ ماله ودمه، ونُهِبَت[2] دارُه وحانوته. وقَصَدَ بذلك تسكين الشرِّ والفتن[3].

وفي يوم الثلاثاء سابع شعبان عُقِدَ للشيخ تقي الدين مجلسٌ ثالث بالقصر، ورضي الجماعة بالعقيدة.

وفي هذا اليوم عَزلَ قاضي القُضاة نجم الدين بن صَصْرى نفسَه عن الحكم بسببِ كلامٍ سمعه من الشيخ كمال الدين بن الزّمْلكاني لا أحبُّ حكايتَه[4].

وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان وردَ كتابُ السلطان إلى القاضي بإعادته إلى الحكم، وفيه: إنا كنَّا رَسَمْنا بعَقْدِ مجلس للشيخ تقيّ الدين، وقد بلغنا ما عُقِدَ له من المجالس، وأنه على مذهب السلف. وما قَصَدْنا بذلك إلّا براءة ساحته.

---

(١) (ف): «حبس».

(٢) (ف، ك): «دمه وماله»، و(ف): «ونهب».

(٣) (ك): «الفتن والشر».

(٤) انظر «مجموع الفتاوى»: (٣/ ١٧٢-١٧٤) ففيه حكاية ما جرى بالتفصيل. و«الجامع ـ نهاية الأرب»: (ص١٧٤-١٧٥)، و«تكملته ـ ذيل المرآة»: (ص٢١).

[مجالس المناظرة في العقيدة]

وقد ذكر الشيخ رحمه الله صورةَ ما جَرَى في هذه المجالس ملخَّصًا، وعلَّق في ذلك شيئًا مختصرًا[1] فقال[2]:

الحمد لله ربِّ العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ظهيرَ ولا مُعين، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، الذي أرسلَه إلى الخلقِ أجمعين. صلى الله عليه وعلى آله وسلم[3] وعلى سائر عباد الله الصَّالحين.

أما بعد؛ فقد سُئلت[4] أن أكتبَ ما حضرني ذِكْرُه مما جرى في المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة في أَمْر الاعتقاد، بمقتضى ما وردَ به كتابُ السلطان من الديار المصريَّة إلى نائبه أمير البلاد، لما سعى إليه قومٌ من[5]

---

(١) «مختصرًا» ليست في (ب، ق).

(٢) بعده في (ف، ك): «بسم الله الرحمن الرحيم». أقول: كتب الشيخ ما جرى في هذه المجالس عدة مرات في أوقات مختلفة، وفي كل واحدة ما ليس في الأخرى، وهذه النسخة الثابتة هنا من أتمّ ما كتب الشيخ، ومثلها النسخة التي في «مجموع الفتاوى»: (٣/ ١٦٠-١٩٣)، وأخرى مختصرة نقلها البرزالي، ورابعة مختصرة حكاها عبد الله بن تيمية، وكلها في «الفتاوى». وهناك نسخة أخرى بخط الشيخ ضمن مجموع في الظاهرية (ق٢٦١أ-٢٦٦ب). وسأرمز لطبعة الفتاوى عند المقارنة بـ (طف).

(٣) (ب، ق، ف) زيادة: «تسليمًا». (ط): «كثيرًا».

(٤) (ف، ك، طف) زيادة: «غير مرة».

(٥) بعده في (ف، ك، طف) زيادة: «الجهمية والاتحادية والرافضة وغيرهم».

ذوي الأحقاد. فأَمَرَ الأميرُ بجمع القضاة[1] والمشايخ ممن له حُرْمة وبه اعتداد. وهم لا يدرون ما[2] قُصِد بجمعهم في هذا الميعاد، وذلك يوم الاثنين ثامن رجب المبارك عام خمس وسبعمائة.

فقال لي: هذا المجلس عُقِد لك، وقد[3] وردَ مرسومُ السلطان: أن أسألكَ عن اعتقادك، وعما كتبتَ به إلى الديار المصرية من الكتب التي تدعو بها[4] الناسَ إلى الاعتقاد.

وأظنُّه قال: وأنْ أَجْمَعَ القضاةَ والفقهاءَ، ويتباحثون[5] في ذلك.

فقلتُ: أما الاعتقادُ فلا[6] يُؤْخَذ عنّي ولا عمَّن هو أكبرُ منِّي، بل يؤخذُ عن الله ورسوله [ق٧٥] وما أجمعَ عليه سلفُ الأمة؛ فما كان في القرآن وجبَ اعتقادُه، وكذلك ما ثبتَ في الأحاديث الصحيحة، مثل «صحيح البخاري ومسلم».

وأما الكتب؛ فما كتبتُ إلى أحدٍ كتابًا ابتداءً أدعو[7] به إلى شيءٍ من ذلك،

---

(١) بعده في (ف، ك، طف) زيادة: «الأربعة: قضاة المذاهب الأربعة، وغيرهم من نوابهم والمفتين».

(٢) (ب، ق، ف): «فيما».

(٣) (ف، ق، طف): «فقد».

(٤) (ك): «تدعونها».

(٥) (ف، ك، طف): «وتتباحثون».

(٦) (ف): «فإنه لا».

(٧) (ط): «أدعوه».

ولكن[1] كتبتُ أجوبةً أجبتُ بها مَن يسألني من أهل الديار المصرية وغيرهم.

وكان قد بلغني أنه زُوِّرَ عليَّ كتابٌ إلى الأمير رُكْن الدين الجاشنكير أستاذِ دارِ[2] السلطان، يتضمَّن ذكرَ عقيدةٍ محُرَّفة، ولم أعلم بحقيقتهِ، لكن علمتُ أنَّ هذا مكذوب[3].

وكان يَردُ عليَّ من مصرَ وغيرها مَنْ يسألني مسائل في الاعتقاد أو غيره، فأُجيبه[4] بالكتاب والسنة وما كان عليه سلفُ الأمة.

فقال: نريدُ أن تكتبَ لنا عقيدتك.

فقلتُ: اكتبوا.

فأَمرَ الشيخُ كمالُ الدين[5] أن يكتب.

فكُتِبَتْ[6] له جُمَلُ الاعتقاد في أبواب الصفاتِ، والقَدَرِ، ومسائل الإيمان، والوعيد، والإمامة[7]، والتفضيل. وهو أنَّ اعتقاد أهل السنة والجماعة: الإيمانُ بما وصف الله به نفسَه، وبما وصفه به رسولُه ﷺ، من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تمثيل. وأنَّ القرآن كلامُ الله غير

(١) (ف، ك): «ولكنني». (طف): «ولكني».

(٢) (ب، ق): «استدار».

(٣) (ط): «أنه مكذوب».

(٤) (ف ، ك، طف): «عن مسائل...»، (ق، ف، طف): «وغيره»، (ب، ق، ف): «فأجبته».

(٥) هو ابن الزملكاني.

(٦) (ط): «فكتب».

(٧) (ب، ق): «الأمانة» تحريف.

مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. والإيمانُ بأنَّ الله خالقُ كلِّ شيءٍ من أفعال العباد وغيرها. وأنَّه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. وأنَّه أمر بالطاعة وأحبَّها ورضيها[١]، ونهى عن المعصية وكرهها. والعبدُ فاعل حقيقةً، واللهُ خالقُ فعله. وأنَّ الإيمان والدِّين قولٌ وعملٌ يزيدُ وينقص. وأن لا يُكَفَّر أحدٌ[٢] من أهل القبلة بالذنوب، ولا يُخلَّد في النار من أهل الإيمان أحدٌ[٣]. وأنَّ الخلفاء بعدَ رسول الله ﷺ أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليٌّ، مرتبتهم في الفضل كَرُتْبَتِهم[٤] في الخلافة، ومن قدَّم عليًّا على عثمان فقد أزْرى بالمهاجرين والأنصار. وذكرت[٥] هذا ونحوه، فإنّي الآن قد بَعُدَ عهدي، ولم أحفظ لفظ ما أمليته إذ ذاك[٦].

ثم قلتُ للأمير والحاضرين: أنا أعلم أنَّ أقوامًا يكذبون عليَّ، كما قد كذبوا عليّ[٧] غير مرَّةٍ، وإن أمليتُ الاعتقاد من حفظي[٨] ربما يقولون: كتم بعضَه، أو داهن وداري، فأنا أُحضِر عقيدةً مكتوبةً من نحو سبع سنين، قبل

(١) (ف، ك): «شاء الله... ورضيها وأحبها».

(٢) (ف، ك، طف): «نكفر أحدًا».

(٣) (ط): «نخلّد... أحدًا».

(٤) (ف، ك): «رضي الله عنهم، ومرتبتهم... كمرتبتهم». (طف): «وأن مرتبتهم في الفضل كترتيبهم».

(٥) الأصل و(ب): «وذكر».

(٦) (طف): «ما أمليته لكنه كتب إذ ذاك».

(٧) «كما.... عليّ» سقط من(ف).

(٨) (ب، ق): «خطي» خطأ.

مجيء التتر إلى الشام.

وقلتُ قبل حضورها كلامًا قد بَعُدَ عهدي به، وغضبت غضبًا شديدًا، لكن[1] أذكر أنّي قلتُ: أنا أعلمُ أنَّ أقوامًا كذبوا عليَّ، وقالوا للسلطان أشياء[2].

وتكلّمتُ بكلامٍ احتجتُ إليه، مثل أن قلتُ: من قام بالإسلامِ أوقات[3] الحاجة غيري؟ ومن الذي أوضحَ دلائلَه وبيَّنه، وجاهد أعداءَه، وأقامه لمَّا مال؟ حين[4] تخلّى عنه كلُّ أحدٍ ولا[5] أحدٌ ينطقُ بحجَّته، ولا أحدٌ يجاهدُ

---

(١) (ق، ف، ك، ط): «لكني».

(٢) لعل الشيخ أراد أنهم وشوا به عند السلطان أنه يريد الملك، كما قال نصر المنبجي لابن مخلوف: «قل للأمراء بأنّ ابن تيمية يُخشى على الدولة منه، كما جرى لابن تومرت في بلاد المغرب». انظر «الجامع»: (ص٣٢٢، ٥٠٥، ٥٤٤).
وقد زَوّر عليه بعض الصوفية كتابًا سنة (٧٠٢هـ) فيه أنه يريد قلب الملك مع بعض العلماء والأمراء، فأُمسك المزَوِّر وعوقب عقوبةً بليغة. انظر «الجامع»: (ص٤١٤)، و«تكملته» (ص٩-١٠).
ثم حاولوا محاولة ثالثة، فقد نقل أبو حفص البزار في «الأعلام العلية» (ص٧٨٣ ـ ملحق بكتابنا هذا) أنه وُشي بالشيخ إلى الملك الناصر فأحضره بين يديه وقال: إنني أُخبرتُ أنك أطاعك الناس، وأن في نفسك أخذ الملك؟ فلم يكترث به، بل قال له بنفسٍ مطمئنة وقلب ثابت وصوت عال ـ سمعه كثير ممن حضر ـ: أنا أفعل ذلك! والله إن ملكك وملك المغل لا يساوي عندي فَلْسين! فتبسّم السلطان لذلك. وانظر بقية الخبر هناك.

(٣) (ف، ك): «في أوقات».

(٤) (ب، ق): «حتى».

(٥) بقية النسخ: «فلا».

عنه، وقمتُ مُظْهِرًا لحجَّته، مجاهدًا عنه، مُرَغِّبًا فيه. فإذا كان هؤلاء يطمعون في الكلام فيَّ، فكيف يصنعون بغيري؟!

ولو أنّ يهوديًّا طلب من السلطان الإنصاف، لوجبَ عليه أن يُنصفه، وأنا قد أغفر عن حقِّي وقد لا أغفر[1]، بل قد أطلبُ الإنصاف[2] منه، وأن يُحْضَر هؤلاء الذين يكذبون [ق٧٦]، ليُحاقُّوا[3] على افترائهم.

وقلتُ كلامًا أطولَ من هذا[4]، من هذا الجنس، لكن بَعُدَ عهدي به.

فأشار الأميرُ إلى كاتب الدَّرْج[5]: محيي الدين بأن يكتب ذلك[6].

وقلتُ أيضًا: كلُّ من خالفني في شيءٍ ممَّا كتبتُه فأنا أعلمُ بمذهبه منه.

وما أدري، هل قلتُ هذا قبل حضورها أو بعدها؟ لكنِّي[7] قلتُ ـ أيضًا ـ بعد حضورها وقراءتها: ما ذكرتُ فيها فصلاً إلا وفيه مخالفٌ من المنتسبين إلى القبلة، وكلُّ جملةٍ فيها خلافٌ لطائفةٍ من الطوائف.

---

(١) (ف، ك، طف): «قد أعفو... لا أعفو»

(٢) كذا في جميع النسخ، ولعل صوابها: «الانتصاف».

(٣) (ك، ح): «ليحاققوا». (ف): «ليخافوا».

(٤) «من هذا» سقطت من (طف).

(٥) كاتب الدَّرْج: من يكتب الأحكام والفتاوى في الورق المسمى دَرْجًا. انظر «تكملة المعاجم العربية»: (٤/ ٣١٥-٣١٦). ومحيي الدين هو: يحيى بن فضل الله أبو المعالي العمري، ولي كتابة السر وديوان الإنشاء وكثر الثناء عليه ت(٧٣٨هـ). انظر «الدرر الكامنة»: (٤/ ٤٢٤).

(٦) (ب، ق) زيادة «كله».

(٧) (ف، ك، طف): «لكنني».

ثمَّ أرسلتُ من أحضرها، ومعها[1] كراريس بخطِّي من المنزل، فحضرت «العقيدة الواسطية».

وقلتُ لهم: هذه كان[2] سببُ كتابتها أنَّه قَدِمَ من أرض واسط بعضُ قُضاة نواحيها، شيخٌ يُقال له: رضيُّ الدين الواسطي[3]، قَدِمَ علينا حاجًّا، وكان من أهل الخير والدين، وشكا ما الناسُ فيه بتلك البلاد وفي دولة التتر[4] من غَلَبَةِ الجهل والظلم، ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتبَ له عقيدةً تكونُ عمدةً له ولأهل بيته. فاستعفيت[5] من ذلك، وقلت: قد كتبَ الناسُ عقائد أئمة السنة[6].

فألحَّ في السؤال، وقال: ما أحبُّ إلا عقيدةً تكتبها أنت. فكتبتُ له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر. وقد انتشرت[7] بها نُسَخ كثيرة في مصر والعراق وغيرهما.

فأشار الأميرُ بأن لا أقرأها أنا ــ لدفع[8] الرِّيبة ــ وأعطاها لكاتبه الشيخ كمال الدين، فقرأها على الحاضرين حرفًا حرفًا، والجماعةُ الحاضرون

---

(١) (ق): «ومعه».

(٢) (ب، ق): «كانت».

(٣) لم أعثر على ترجمته.

(٤) (الأصل، ف، ك): «الططر».

(٥) (ب، ق): «فاستعففت».

(٦) في (ف، ك، طف): «عقائد متعددة فخذ بعض عقائد...».

(٧) (ف): «انتشر».

(٨) (ك، طف): «لرفع».

يسمعونها[1] . ويُوْرِدُ الموردُ منهم ما شاء، ويُعَارض ما[2] شاء. والأميرُ أيضًا سأل[3] عن مواضع فيها.

وقد علم الناسُ ما كان في نفوس طائفة من الحاضرين من الخلاف والهوى[4] .

ولا يمكن ذِكْر ما جرى من الكلام والمناظرات في هذه المجالس، فإنَّه كثير[5] ، لكن أكتب ملخَّصَ ما حضرني من ذلك مع بُعْدِ العهد بذلك. ومع أنه كان يجري رَفْعُ أصواتٍ ولَفْظٌ[6] لا ينضبط.

فكان ممَّا اعترضَ عليه[7] بعضُهم لما ذُكِرَ في أولها: «ومن الإيمان بالله: الإيمانُ بما وصفَ به نفسَه، ووصفَه به رسولُه[8]؛ من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ولا تكييفٍ ولا تمثيل».

فقال: ما المراد بالتحريف والتعطيل؟

---

(١) (ب، ق): «يقرؤها على... حرفًا وهم يسمعونها».

(٢) (ق، ف، ك، طف): «فيما».

(٣) بقية النسخ: «يسأل».

(٤) (ف، ك، طف) زيادة: «ما قد علمَ الناسُ بعضَه، وبعضه بسبب الاعتقاد، وبعضه بغير ذلك».

(٥) (ف، ك، طف) زيادة: «ولا ينضبط».

(٦) كذا بالأصول، وفي (ط): «لغط».

(٧) (طف): «عليَّ».

(٨) بعده في (ف، ك): « محمد ﷺ».

ومقصودُه: أنَّ هذا ينفي التأويل الذي يثبته أهلُ التأويل، الذي هو صرفُ اللفظِ عن ظاهره؛ إمَّا وجوبًا وإمَّا جوازًا.

فقلت: تحريفُ الكَلِمِ عن مواضعه، كما ذمَّه الله في كتابه، وهو إزالة اللفظ عما دلَّ عليه من المعنى، مثل تأويل بعض الجهْمِيَّة لقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] أي: جرَّحَه بأظافير الحكمة تجريحًا. ومثل تأويلات[(١)] القَرامِطة والباطنية، وغيرِهم من الجَهْمِية والرافضة والقَدَرية وغيرهم[(٢)]. فسكت وفي نفسِه ما فيها.

وذكرتُ في غير هذا المجلس: أني عَدَلْتُ عن لفظ «التأويل» إلى لفظ «التحريف»؛ لأن التحريفَ اسمٌ جاءَ القرآنُ بذمِّه. وأنا تحرَّيتُ في هذه العقيدة اتباعَ الكتاب والسنة، فنفيتُ ما ذمَّهُ الله من التحريف، ولم أذكر فيها لفظَ التأويل بنفيٍ ولا إثبات؛ لأنه لفظٌ له عِدَّة معانٍ، كما بَيَّنتُه في موضعه من القواعد. فإنَّ معنى لفظ «التأويل» في كتاب الله غير[(٣)] [ق٧٧] لفظ التأويل في اصطلاح المتأخِّرين من أهل الأصول والفقه، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف[(٤)]، ولأنّ من المعاني التي قد تُسَمَّى تأويلاً ما هو[(٥)] صحيحٌ منقول عن بعض

---

(١) (ف): «تأويل».

(٢) ليست في (ب، ق).

(٣) في (ك) زيادة: «معنى».

(٤) ليست في (ب، ق).

(٥) الأصل و(ب، ق): «ولأن المعاني» و(طف): «لأن من...»، و(ب، ق): «... تأويلًا قد يكون فيها ما [سقطت من ق] هو».

السلف[1]. فلم أنفِ ما تقومُ الحجّةُ على صِحَّته؛ إذ ما قامت الحجةُ على صحته، وهو منقولٌ عن السَّلف، فليس من التحريف.

وقلتُ لهم[2] أيضًا: ذكرتُ في النفي «التمثيل» ولم أذكر «التشبيه»؛ لأنَّ التمثيل نفاه الله بنصِّ كتابه حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] كان[3] أحبَّ إليَّ من لفظٍ ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسوله[4]، وإن كان قد يُعنى بنفيه معنىً صحيح، كما قد يُعنى به معنىً فاسد.

ولما ذكرتُ: «أنهم لا ينفون عنه ما وصفَ به نفسَه، ولا يحرِّفون الكَلِم عن مواضعه، ولا يُلحدون[5] في أسماء الله وآياته».

جعل بعضُ الحاضرين يمتعِضُ من ذلك؛ لاستشعاره ما في ذلك من الردِّ لِـمَا[6] هو عليه، ولكن لم[7] يتوجَّه له ما يقوله، وأرادَ أن يدور عليَّ بالأسولة[8] التي أعلمها، فلم يتمكَّن[9].

---

(١) (ب، ق): «عن السلف».

(٢) (ف، ك): «له».

(٣) (ف، ك): «فكان»، (طف): «وكان».

(٤) (ف، ك، طف): «رسول الله ﷺ».

(٥) وقع في الأصل و(ب، ق، ف): «ويحرفون... ويلحدون» وهو خطأ.

(٦) جميع النسخ: «ولما»، و(طف): «من الرد الظاهر عليه».

(٧) (ف): «ولم».

(٨) (طف): «يدور بالأسئلة».

(٩) (ف، ك، طف) زيادة: «لعلمه بالجواب».

ولما ذكرتُ آية الكرسِّي، أظنُّ سألَ الأميرُ عن قولنا: «لا يقربه شيطانٌ حتَّى يصبح». فذكرتُ حديثَ[1] أبي هريرة في الذي كان يسرق صدقةَ الفطر، وذكرتُ أنَّ البخاريَّ رواه في «صحيحه»[2].

وأخذوا يذكرون نفيَ التشبيه والتجسيم، ويُطنبون في هذا ويُعَرِّضون بما ينسبه بعضُ الناس إلينا من ذلك.

فقلتُ: قولي[3]: «من غير تكييف ولا تمثيل» ينفي كلَّ باطل، وإنَّما اخترتُ[4] هذين الاسمين؛ لأنَّ «التكييف» مأثورٌ نفيه عن السَّلَف، كما قال ربيعةُ، ومالكٌ، وابن عُيينة وغيرهم ـ المقالةَ التي تلقَّاها العلماءُ بالقبول ـ: «الاستواءُ معلوم، والكيفُ مجهول، والإيمانُ به واجب، والسؤال عنه بدعة».

واتَّفق[5] هؤلاء السَّلف على أن الكيف غير معلومٍ لنا، فنفيتُ ذلك اتّباعًا لسلفِ الأُمَّة، وهو أيضًا منفيٌّ بالنَّصِّ. فإنَّ تأويلَ آياتِ الصفات يدخلُ فيها حقيقةُ الموصوف وحقيقةُ صفاته، وهذا من التأويل الذي لا يعلمُه إلاَّ الله. كما قد قرَّرْتُ ذلك في قاعدةٍ مفردة ذكرتها في «التأويل، والمعنى، والفَرْق بين عِلْمِنا بمعنى الكلام، وبين عِلْمِنا بتأويله».

---

(١) (ك): «له حديث».

(٢) رقم(٢٣١١).

(٣) (ب): «قوله».

(٤) (ف، ك): «أخذت».

(٥) بقية النسخ: «فاتفق».

وكذلك «التمثيل» منفيٌّ[1] بالنصِّ والإجماع القديم، مع دلالة العقل على نفيه ونفي التكييف، إذ كُنْهُ الباري غير معلومٍ للبشر، وذكرتُ في ضمن ذلك كلامَ الخطَّابي الذي نقل أنه مذهبُ السَّلف، وهو: إجراءُ آيات الصِّفات وأحاديثها على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، إذ الكلام في الصِّفات فرعٌ عن[2] الكلام في الذَّات، يُحْتَذَى[3] فيه حذوه، ويُتَّبَعُ فيه مثالُه. فإذا كان إثباتُ الذَّاتِ إثباتَ وجودٍ لا إثباتَ تكييف= فكذلك إثباتُ الصِّفات[4] إثبات وجود لا إثبات تكييف.

فقال أحدُ كبراء المخالفين[5]: فحينئذٍ يجوز أن يُقال: هو جسم، لا[6] كالأجسام!

فقلتُ له أنا وبعضُ الفضلاء[7]: إنَّما قيل: إنَّه يوصَفُ الله بما وصفَ به نفسَه، وبما وصفه به رسوله، وليس في الكتاب والسنَّة [ق٧٨] أنَّ الله جسم، حتَّى يلزم هذا السؤال.

---

(١) (ف، ك): «ينفي».

(٢) الأصل و(ب، ق، ك): «على».

(٣) (ف): «محتذى».

(٤) (ب، ق): «إثبات كيفية فكذلك...»، (ف): «فكذلك الصفات».

(٥) (ب، ق): «المجلس» بدل «المخالفين»، (طف): «كبار».

(٦) «لا» ليست في (ف).

(٧) (ب، ق): «فقلت له وبعض..»، (ف، ك، طف): «الفضلاء الحاضرين».

وأخذَ بعضُ القضاةِ[1] المعروفين بالدِّيانة يريد إظهار أنَّ ينفي عنّا ما يقوله[2]، فجعل يزيد في المبالغة[3] في نفي التشبيه والتجسيم.

فقلتُ: قد ذُكِرَ[4] فيها في غير موضع «من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييف ولا تمثيل».

[وقلتُ في صدرها: «ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف الله به نفسَه في كتابه، وبما وصفه به رسولُه محمد ﷺ، من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل».

ثمَّ قلتُ: «وما وصف الرسول به ربَّه من الأحاديث الصحاح التي تلقَّاها أهلُ المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك».

إلى أن قلت: «إلى أمثال هذه الأحاديث الصحاح التي يخبر فيها رسول الله ﷺ بما يخبر به، فإنَّ الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. بل هم][5] الوسط في فرق الأمة، كما أنَّ الأمة هي

---

(١) بعده في (ف، ك، طف): «الحاضرين و».

(٢) الأصل: «ينفي عنه»، و(طف): «عنا ما يقول وينسبه البعض إلينا».

(٣) الأصل: «يريد المبالغة».

(٤) (طف): «ذكرت».

(٥) ما بين المعكوفين ليس في الأصل و(ب، ق)، وهو من (ف، ك، طف). وأثبته ليستقيم السياق. وفي الأصل حتى يستقيم السياق: «وفيها: فهم الوسط...».

الوسط في الأمم، فهم وسطٌ في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبِّهة».

ولمَّا رأى هذا الحاكمُ العَدْلُ تمالُؤَهم وتعصُّبَهم، ورأى قلَّة العارف الناصر[1]، وخافهم، قال: أنتَ قد صنَّفت اعتقاد الإمام أحمد، فنقول: هذا اعتقادُ أحمد.

يعني: والرجلُ يصنِّفُ على مذهبه، فلا يُعتَرَضُ عليه، فإنَّ هذا مذهبٌ متبوع. وغرضُهُ بذلك: قطعُ مخاصمة الخصوم.

فقلتُ: ما خرَّجتُ[2] إلاّ عقيدةَ السلف الصالح جميعهم، ليس للإمام أحمد اختصاصٌ بهذا، والإمامُ أحمد إنَّما هو مبلِّغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ. ولو قال أحدٌ[3] من تلقاء نفسه ما لم يجئ به الرسول لم نقبله. وهذه عقيدة محمد ﷺ.

وقلتُ مرَّاتٍ: قد أمهلتُ من[4] خالفني في شيءٍ منها ثلاث سنين، فإن جاء بحرفٍ واحدٍ عن القرون الثلاثة التي أثنى عليها رسول الله ﷺ، حيث قال: «**خيرُ القرونِ القرن الذي بُعِثتُ فيهم، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين**

---

(١) المثبت من الأصل و(طف)، وفي(ف، ك): «قلة المعاون»، وفي(ف): «منهم والناصر».

(٢) (ف، ك، طف): «ما جمعتُ».

(٣) كذا في الأصول، وفي(ط، طف): «أحمد».

(٤) (ف، ك، طف): «كل من».

يلونهم»[1]= يخالفُ ما ذكرتُه فأنا أرجع عن ذلك. وعليَّ أن[2] آتي بنقولِ جميع الطوائف من القرون الثلاثة يوافقُ[3] ما ذكرتُه؛ من الحنفيّة، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، والأشعرية، والصوفية، وأهل الحديث، وغيرهم.

وقلتُ ـ أيضًا في غير هذا المجلس ـ: الإمامُ أحمد ـ رضي الله عنه ـ لمَّا انتهى إليه من السنَّة ونصوص رسول الله ﷺ أكثرُ ممَّا انتهى إلى غيره، وابتُلي بالمحنة والرَّدِّ على أهل البدع أكثر من غيره[4]= فصار إمامًا في السنة أظهر من غيره. وإلاَّ فالأمرُ كما قاله بعضُ شيوخ المغاربة العلماء[5]، قال: المذهبُ لمالك والشَّافعي، والظهور لأحمد بن حنبل[6].

يعني: أنَّ الذي كان عليه أحمد عليه جميعُ أئمة الإسلام، وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان، وإظهار الحقِّ، ودفع الباطل، ما ليس

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٦١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حُصين رضي الله عنه، وأخرجاه عن ابن مسعود أيضًا.

(٢) (ب، ق): «وأنا» بدلًا من «وعليَّ أن».

(٣) (ف): «توافق». و(طف، ط): «من القرون».

(٤) بعده في (ف، ك، ط، طف) زيادة: «كان كلامه وعمله [طف: علمه] في هذا الباب أكثر من غيره».

(٥) (ف، ك): «العلماء الصلحاء».

(٦) ذكر هذه العبارة شيخ الإسلام أيضًا في «منهاج السنة»: (٢/ ٣٦٥)، وفي «درء التعارض»: (٥/ ٥) ونسبَها لبعض أكابر الشيوخ.

لبعض[١].

ولمَّا جاء حديثُ أبي سعيد المتفق عليه في «الصحيحين»[٢] عن النبي ﷺ: «**يقولُ اللهُ[٣]: يا آدم! فيقول: لبَّيك وسَعْدَيْك. فينادَى بصوتٍ: إنَّ الله يأمُرُكَ أنْ تبعثَ بعثًا إلى النار...**» الحديث.

سألهم الأميرُ: هل هذا الحديث صحيح؟

فقلتُ: نعم، هو في «الصحيحين»، ولم يخالفوا في ذلك، واحتاجَ المنازعُ إلى الإقرار به[٤].

وطلبَ الأميرُ الكلامَ في مسألة الحرف والصوت؛ لأنَّ ذلك طُلِبَ منه.

فقلتُ: هذا الذي يُحكى عن أحمد[٥] وأصحابه: أنَّ صوت القارئين ومِدَاد المصاحف قديمٌ أزليٌّ[٦]= كَذِبٌ مُفترى، لم يقل ذلك أحمد ولا أحدٌ من علماء المسلمين[٧]. وأخرجتُ كُرَّاسًا كان قد أُحْضِرَ[٨] مع العقيدة،

---

(١) (ب، ق): «لبعضهم».

(٢) البخاري رقم (٤٧٤١)، ومسلم رقم (٢٢٢).

(٣) (ب، ق، ك، ط، طف) زيادة: «يوم القيامة».

(٤) في (طف): «ولم يخالف في ذلك أحد» وزاد في آخر العبارة «ووافق الجماعةُ على ذلك».

(٥) في(ف، ك، ط، طف): «يحكيه [ف: يحكي] كثير من الناس عن الإمام أحمد...».

(٦) (طف) زيادة: «كما نقله مجد الدين [كذا، ولعله: فخر الدين] بن الخطيب وغيره».

(٧) زاد في (طف): «لا من أصحاب أحمد ولا غيرهم».

(٨) (ف): «حضر»، (طف): «قد أحضرته».

وفيه[1] ما ذكره الشيخ أبو بكر الخلَّال في «كتاب السُّنَّة» عن الإمام أحمد، وما جمعه صاحبه أبو بكر المرُّوْذي من كلام أحمد، وكلام أئمة زمانه[2]، في أنَّ من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جَهْمي. ومن قال: غيرُ مخلوق، فهو مبتدع[3].

قلتُ: فكيف بمن يقول: لفظي[4] قديمٌ أزليّ؟ [فكيف بمن يقول: صوتي غير مخلوق][5]؟ فكيف بمن يقول: صوتي قديم[6]؟!

وأحضرتُ جواب مسألةٍ كنتُ سُئلتُ قديمًا عنها، فيمن حلف بالطلاق في مسألة الحَرْفِ والصَّوت، ومسألة الظَّاهر في العرش[7]. وقلتُ: هذا جوابي.

وكانت هذه المسألة قد أرْسَلَ بها طائفةٌ من المعاندين المتجهِّمة، ممَّن

---

(١) (طف): «فيه ألفاظ أحمد مما ذكره».

(٢) (طف) زيادة: «وسائر أصحابه».

(٣) بعده في (طف): «قلت: وهذا هو الذي نقله الأشعري في كتاب «المقالات» عن أهل السنة، وأصحاب الحديث، وقال: إنه يقول به».

(٤) «بالقرآن... لفظي» سقطت من (ف).

(٥) «أزلي» ليست في (ك، ط، طف)، وقوله: «فكيف... مخلوق» من (ف، ك، ط، طف).

(٦) (طف) زيادة: «ونصوص الإمام أحمد في الفرق بين تكلم الله بصوت وبين صوت العبد، كما نقله البخاري صاحب الصحيح في كتاب «خلق أفعال العباد» وغيره من أئمة السنة».

(٧) (طف) زيادة: «فذكرت من الجواب القديم في هذه المسألة وتفصيل القول فيها، وأن إطلاق القول أن القرآن هو الحرف والصوت، أو ليس بحرف ولا صوت= كلاهما بدعة حدثت بعد المائة الثالثة».

كان بعضُهم حاضرًا في المجلس، فلمَّا وصل إليهم الجوابُ أَسْكَتَهم.

وكانوا قد ظنُّوا إن أُجِيْب[1] بما في ظنهم أنَّ أهل السُّنَّة تقوله= حَصَلَ مقصودُهم من الشناعة، وإن أجبتُ بما يقولونه[2]= حَصَل مقصودُهم من الموافقة.

فلمَّا أُجيبوا بالفرقان الذي عليه أهلُ السُّنَّة، وليس هو ممَّا[3] يقولونه هم، ولا ما ينقلونه عن أهل السُّنَّة، أو قد[4] يقولُه بعضُ الجُهَّال= [بُهِتُوا لذلك][5].

وفيه: «إنَّ القرآن[6] كلامُ اللهُ حروفه ومعانيه، ليس القرآنُ اسمًا لمجرَّد الحروف، ولا لمجرَّد المعاني»[7].

ولمَّا جاءت مسألةُ القرآن، «وأنَّ القرآنَ[8] كلامُ الله غيرُ مخلوق، منه

---

(١) كذا في الأصل و(ب، ق)، وفي(ف، ك): «ظنوا أنه إن»، و(ح): «أنه إذا» وفي(ط، طف): «ظنوا أني إن أجبت».

(٢) (ف، ك، ط، طف): «يقولونه هم».

(٣) (ف، ك، ط، طف): «ما».

(٤) (ط، طف، ف، ك): «إذ».

(٥) من(ف، ك، ط، طف).

(٦) (طف): «القرآن كله...».

(٧) بعده في (طف) كلام طويل للشيخ نحو صفحتين، فيه شرح ما جرى مع صدر الدين ابن الوكيل من النقاش، وخصومة ابن الوكيل مع كمال الدين ابن الزملكاني، وما وقع بين ابن الزملكاني وابن صصرى. «طف»: (٣/ ١٧٢-١٧٤).

(٨) (ف، ك، ط، طف): «القرآن ومن الإيمان به الإيمان بأن القرآن...». وقوله بعده «ونازع.. =

بدأ وإليه يعود»= نازَع بعضُهم في كونه منه بدأ وإليه يعود، وطلبوا تفسيرَ ذلك.

فقلتُ: أمَّا هذا القول فهو المأثور الثابت عن السَّلف، مثل ما نقله عَمْرو بن دينار قال: «أدركتُ النَّاسَ منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق وما سواه مخلوق، إلاَّ القرآن، فإنَّه كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود»[1]. وقد[2] جمع غيرُ واحدٍ ما في ذلك من الآثار عن النَّبيِّ ﷺ والصحابة والتابعين[3].

وأمَّا معناه: فإنَّ قوله[4]: «منه بدأ» أي: هو المتكلِّم به، وهو الذي أنزله من لدنه، ليس هو كما تقوله الجهميَّة: إنَّه خُلِقَ في الهواء أو غيره[5]، وبدأ من عند غيره.

وأمَّا «إليه يعود» فإنَّه يُسْرَى به في آخر الزَّمان[6] من المصاحف والصدور، فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف.

ووافقَ على ذلك غالبُ الحاضرين، وسكت المنازعون.

= يعود» سقطت من(ف).

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»: (٢/ ٢٣٤).

(٢) الأصل: «قد».

(٣) (طف) زيادة: «كالحافظ أبي الفضل بن ناصر، والحافظ أبي عبد الله المقدسي».

(٤) (ب): «فقوله»، (ف): «فأقول»، (طف): «قولهم».

(٥) (ف): «عبره».

(٦) (ف، ك): «في آخر الزمان به».

وخاطبتُ[1] بعضَهم في غير هذا المجلس، بأن أريتُه العقيدة التي جمعها الإمام القادرُ بالله[2]، [التي فيها]: «إنه[3] كلام الله خرج منه» فتوقَّف في هذا اللفظ.

فقلتُ: هكذا قال النبي ﷺ: **«وما تقرَّب العبادُ إلى الله بمثل ما خرجَ منه»**[4]. يعني: القرآن.

وقال خبَّاب بن الأرَتّ: «يا هَنَتَاه! تقرَّبْ إلى الله بما استطعتَ، فلن تتقرَّب[5] إليه بشيءٍ أحبَّ إليه ممَّا خرج منه»[6].

---

(١) (ب): «خاطب».

(٢) (طف): «القادري». وهو: أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر الخليفة الملقب «القادر بالله» (٣٣٦-٤٢٢هـ)، له اشتغال بالعلم، وصنف عدة تصانيف، محمود السيرة في دينه وحكمه. وعقيدته هذه ساقها ابن الجوزي في «المنتظم»: (٩/ ٣٠٣) حوادث سنة ٤٣٣هـ. انظر «سير أعلام النبلاء»: (١٥/ ١٢٧-١٣٧).

(٣) «التي فيها» من (ف، ك، ط، طف)، وبعده فيها: «إن القرآن».

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٣٠٦)، والترمذي (٢٩١١) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. قال الترمذي: «حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وبكر بن خُنَيس قد تكلم فيه ابن المبارك وتركه في آخر أمره». وقد روي عن جبير بن نُفير عن النبي ﷺ مرسلًا، أخرجه الترمذي (٢٩١٢)، والحاكم: (٢/ ٤٤١) وغيرهما. وصححه الحاكم.

(٥) (ب، ق): «يُتقرَّب».

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٧٢٢)، وأحمد في «الزهد» (ص٣٥)، والحاكم: (٢/ ٤٤١)، والخلال في «السنة»: (٦/ ١٠٤) وغيرهم. وفيها: «أحبّ إليه من كلامه»، ولم أجده بلفظ «خرج منه». وقد ذكره ابن تيمية كذلك في عدد من كتبه «الاستقامة»: (١/ ٣٤٥)، و«شرح الأصفهانية» (ص١٥).

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ــ لما قُرئ عليه قرآنُ مُسَيلمة[1] ــ: «إنَّ هذا كلام[2] لم يخرج من إلٍّ»[3]. يعني: رَبٍّ.

وممَّا فيها: «ومن الإيمان به: الإيمان بأنَّ القرآنَ كلامُ الله، مُنَزَّلٌ، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنَّ الله تكلَّم به حقيقةً، وأنَّ هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد ﷺ هو كلامُ الله حقيقةً، لا كلامُ غيره، ولا يجوزُ إطلاقُ القول بأنه [ق٨٠] حكاية عن كلام الله، أو عبارة، بل إذا قرأ الناسُ القرآنَ[4]، أو كتبوه في المصاحف، لم يخرج بذلك عن أن يكونَ كلامَ الله، فإنَّ الكلامَ إنما يُضاف حقيقةً إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مُبَلِّغا مؤدِّيًا».

فامْتَعَضَ بعضُهم من إثبات[5] كونه كلام الله حقيقة، بعد تسليمه أنَّ اللهَ تكلَّم به حقيقةً، ثمَّ إنه سلَّم ذلك لمَّا بُيِّنَ له أنَّ المجاز يصحّ نفيُه، وهذا لا يصحُّ نفيه، ولما بُيِّنَ له أنّ[6] أقوالَ المتقدِّمين المأثورة عنهم، وشِعْر الشعراء المضاف إليهم، هو كلامهم حقيقةً. [فلا يكون نسبة القرآن إلى الله

---

(١) بقية النسخ زيادة: «الكذاب».

(٢) (ب، ق): «الكلام».

(٣) ذكره أبو عبيد في «غريب الحديث»: (١/ ١٠٠)، وابن قتيبة في «غريب الحديث»: (١/ ٥٣٢) وغيرهما.

(٤) (طف): «قرأه الناس».

(٥) الأصل: «امتعض ...»، (طف): «فتمعض»، (ف، ك): «كونه إثبات».

(٦) «المجاز ... له أن» سقطت من(ف).

بأقلّ من ذلك][1].

ولما ذُكِرَ فيها: «أنَّ الكلامَ إنما يُضافُ حقيقةً إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مُبَلِّغا مؤديًا». استحسنوا هذا الكلام وعظَّموه، وأخذ أحدُ الخصوم[2] يُظْهِر تعظيمَ هذا الكلام، وأنه أزال عنه الشُّبهات، ويذكر أشياءَ من هذا النَّمط[3].

ولما جاء ما ذُكِرَ من الإيمان باليوم الآخر، وتفصيله ونَظْمه استحسنوا ذلك وعظَّموه.

وكذلك لما جاء ذِكْر الإيمان بالقَدَرِ، وأنه على درجتين، إلى غير ذلك ممَّا فيه من القواعد الجليلة.

وكذلك لما جاء الكلامُ في الفاسقِ المِلِّيِّ، وفي الإيمان؛ لكن اعترضوا على ذلك بما سأذكره.

وكان مجموع ما اعترض به المنازعون[4] ـ بعد انقضاء قراءة جميعها، والبحث فيها ـ [أربعة أسئلة:

السؤال الأول][5]: قولنا: «ومن أصولِ الفرقة الناجية: أنَّ الإيمان

---

(١) ما بين المعكوفين من (ف، ك، ط، طف).

(٢) (ف، ك): «كبراء الخصوم»، (طف): «أكبر الخصوم».

(٣) العبارة في (طف): «هذا الكلام، كابن الوكيل وغيره، وأظهر الفرح بهذا التلخيص، وقال: إنك قد أزلت عنا هذه الشبهة، وشفيت الصدور، ويذكر...».

(٤) (ف، ك، ط، طف) زيادة: «المعاندون».

(٥) زيادة من(ف، ك، ط، طف).

والدين: قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقصُ؛ قولُ القلبِ واللسان، [وعَمَلُ القلبِ واللسان][1] والجوارح».

قالوا: إذا قيل: إنَّ هذا من أصول الفرقة الناجية، خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل بذلك، مثل أصحابنا المتكلِّمين الذين يقولون: إنَّ الإيمانَ هو التصديق، ومن يقول: إنَّ الإيمانَ هو التصديق[2] والإقرار. وإذا لم يكونوا ناجين، لزمَ أن يكونوا هالكين[3].

وأما الأسولة الثلاثة ـ وهي التي كانت عمدتهم ـ فأوردوها على قولنا: «وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمانُ بما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسوله ﷺ، وأجمعَ عليه سلفُ الأُمة: من[4] أنه سبحانه فوقَ سمواته، على[5] عَرْشه، عليٌّ على خَلْقِه، وهو معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون. كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ[6] مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

---

(١) ما بين المعكوفين سقط من الأصل.

(٢) «ومن... التصديق» سقطت من (ب).

(٣) (ب): «من الهالكين».

(٤) الأصل و(ب، ق، ط): «ومن»، والمثبت من (ق، ك، طف) وهو الأولى في المعنى.

(٥) في (ب، ف، ك، ط): «وأنه على».

(٦) تبدأ الآية من هنا في الأصل و(ق).

«وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[1] أنَّه مختلطٌ بالخلق، فإنَّ هذا لا توجبه اللغة، وهو خلافُ ما أجمعَ عليه سلفُ الأُمة، وخلافُ ما فطَرَ الله عليه الخلق، بل القمر آيةٌ من آياتِ الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر[2] أينما كان، وهو سبحانه فوقَ العَرْش، رقيبٌ على خَلْقه، مُهَيْمنٌ عليهم، مُطَّلعٌ إليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.

وكلُّ هذا الكلام الذي ذكره الله، من أنَّه فوقَ العرش، وأنَّه معنا= حقٌّ على حقيقته، لا يحتاج[3] إلى تحريف، ولكن يُصان عن الظنون الكاذبة.

[والسؤال الأوّل][4] قال بعضهم: نُقِرُّ باللفظ الوارد، مثل حديث [ق٨١] العباس، حديث[5] الأوعال: «واللهُ فوقَ العرشِ»[6] ولا نقول: فوق السماوات، ولا نقول: على العرش. وقالوا أيضًا: نقول: على[7] العرش

(١) «أينما كنتم... معكم» سقط من(ف).

(٢) زاد في (ف، ك، ط، طف): «وغير المسافر».

(٣) (ف): «لا يحتاجون».

(٤) ما بينهما من(ف، ك، ط)، وفي (طف): «السؤال الثاني» وجعل الأسئلة التي بعدها الثالث والرابع. وفي باقي النسخ الثاني والثالث. والسبب في اختلاف العدّ هو اعتبار الأسئلة الثلاثة مستأنفة العد، أو تابعة للسؤال الأول. وبعده في(ب، ق): «فقال».

(٥) (ب، ق): «من حديث».

(٦) أخرجه أبو داود (٤٧٢٥)، والترمذي (٣٦٣٨) وغيرهما. قال ا لترمذي: «حسن غريب».

(٧) (ف، طف): «الرحمن على...».

استوى، ولا نقول: الله على العرش[1] استوى، ولا نقول: مستوٍ. وأعادوا هذا المعنى مرارًا= أنّ اللّفظ الذي ورد يقال[2] بعينه، ولا يُبدَّل بلفظٍ يرادفُه، ولا يُفهم له معنًى أصلًا، ولا يقال: إنَّه يدلُّ على صفة لله أصلًا.

وانبسط الكلامُ في هذا في[3] المجلس الثاني، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

والسؤال الثاني: قالوا: التشبيه بالقمر فيه تشبيه كونِ الله في السَّماء بكون القمر في السَّماء.

السؤال الثالث: قالوا: قولك: «حقٌّ على حقيقته»، الحقيقةُ هي المعنى اللغويُّ، ولا يُفهم من الحقيقة اللغوية[4] إلاَّ استواء الأجسام وفوقيَّتها[5]، ولم تضع العرب ذلك إلا لها. فإثبات الحقيقة هو محضُ التجسيم، ونفي التجسيم ـ مع هذا ـ تناقضٌ أو مُصانعة؟

فأجبتهم[6]:

بأنَّ قولي: «اعتقادُ الفِرْقة الناجية» هي الفرقة التي وصفها النبيّ ﷺ بالنجاة، حيثُ قال: «**تفترقُ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة، ثنتان وسبعون**

(١) «وقالوا أيضًا... العرش» سقط من الأصل.

(٢) (ب، ق): «وأعاد»، و(ف، ك، ط، طف): «مرارًا أي... يقال اللفظ...».

(٣) «في» من (ق، طف).

(٤) «اللغوية» ليست في(ك).

(٥) الأصل: «وتوفيته»، وفي(ق): «وفوقيته»، والمثبت من(ف، ك، ط، طف).

(٦) زاد في (ف، ك، ط، طف): «عن الأسئلة».

في النـار، وواحـدة في الجنَّـة، وهـي مـن كـان عـلى مِثْل مـا أنـا عليـه وأصحابي»[1].

فهذا الاعتقادُ هو المأثورُ عن النَّبي ﷺ وأصـحابه، وهـم ومـن اتَّـبعهم: الفرقةُ الناجية. فإنَّه قد ثبت عن غير واحدٍ مـن الـصحابة أنَّـه قـال: «الإيـمانُ يزيد وينقص»[2].

وكلُّ ما ذكرتُه في ذلك فإنَّه مأثورٌ عن الصحابة بالأسانيد الثابتـة، لفظُـه أو معناه[3]، وإذا خالفهم من بعدهم لم يضرّ في[4] ذلك.

قلت[5]: وليس كلُّ من خالف[6] في شيءٍ من هـذا الاعتقـاد يجـب أن يكون هالكًا. فإنَّ المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا، يغفـر اللهُ لـه[7] خطـأه. وقد لا يكون بَلَغه في ذلك من العلم ما تقوم عليه به الحجَّة، وقد يكـون لـه

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم: (١/ ٢١٨) من حديث عبد الله بـن عمـرو، قـال الترمذي: «حديث مفسر حسن غريب». ورُوي من حديث جماعـة مـن الـصحابة مـنهم: أنـس، ومعاويـة، وسـعد بـن أبي وقـاص وأبي هريـرة. قـال ابـن تيميـة: الحـديث صـحيح مشهور في السنن والمساند. وقال العراقي: أسـانيده جيـاد. وانظـر «السلسلة الـصحيحة» (٢٠٤) للألباني.

(٢) انظر «السنة»: (٤/ ٣٨ ـ ٣٩) للخلال.

(٣) (طف): «ومعناه».

(٤) كذا في الأصل و(طف)، وفي(ب، ق، ف، ك، ط): «يضرني». و «ذلك» ليست في(ف).

(٥) (ف، ك): «قلت لهم»، (ط، طف) بزيادة «ثم»..

(٦) (ف): «وليس مخالف في»، (ك): «وليس كل خالف...».

(٧) ليست في (ب، ق، طف).

من الحسنات ما يمحو[1] الله به سيئاته. وإذا كانت ألفاظُ الوعيد المتناولة [له][2] لا يجبُ أن يدخلَ فيها المتأوِّل، والتائب[3]، وذو الحسنات الماحية، والمغفور له، وغير ذلك= فهذا أولى. بل مُوجب هذا الكلام أنَّ من اعتقدَ ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضِدَّه فقد يكون ناجيًا، وقد لا يكون ناجيًا. كما يقال[4]: من صَمَتَ نجا.

وأمَّا السؤال الثاني: فأجبتهم أوَّلاً: بأنَّ كلَّ لفظٍ قلته فهو مأثور عن النبي ﷺ، مثل لفظ: «فوق السماوات» ولفظ: «على العرش»، و«فوق العرش».

وقلتُ: اكتبوا الجوابَ. فأخَذ الكاتبُ في كتابته.

ثمَّ قال بعضُ الجماعة: قد طال المجلسُ اليوم، فيؤخَّر هذا إلى مجلسٍ آخر، تكتبون[5] أنتم الجواب، وتُحضِرونه في ذلك المجلس.

وأشار بعضُ الموافقين بأن نُتِمَّ[6] الكلامَ بكتابةِ الجوابِ؛ لئلا تنتشر أسْوِلتهم واعتراضهم.

---

(١) (ب، ق): «يغفر».

(٢) زيادة يستقيم بها السياق من (ط، طف).

(٣) الأصل: «الثابت»، و(طف): «والقانت».

(٤) (ف، ك، ط): «قال».

(٥) (ف): «وتؤخرون»، (ك): «فتكتبون».

(٦) بقية النسخ: «يتمّم».

وكأنَّ الخصومَ كان[1] لهم غرضٌ في تأخير كتابةِ الجواب، ليستعدُّوا لأنفسهم، ويطالعوا، ويُحضروا من غابَ من أصحابهم، ويتأمَّلوا العقيدةَ فيما بينهم، ليتمكَّنوا من الطعن والاعتراض.

فحصلَ الاتفاقُ على أن يكون تمامُ الكلام يوم الجمعة، وقمنا على ذلك.

وقد أظهرَ الله من قيام الحُجَّة وبيانِ المحجَّة ما أعزَّ به [ق٨٢] أهل[2] السنة والجماعة، وأرغَم به أهل البدعة والضلالة، وفي نفوس كثيرٍ من الناس أمورٌ لما يحدث[3] في المجلس الثاني.

وأخذوا في تلك الأيام يتأمَّلونها، ويتأملون ما أجبتُ[4] به في مسائل تتعلَّق بالاعتقاد، مثل «المسألة الحموية في الاستواء والصفات الخبرية»، وغيرها.



(١) ليست في (ب، طف).

(٢) (ف، ك): «أعز الله..»، و «أهل» من الأصل فقط.

(٣) (ب، ق): «بُحِث».

(٤) (ك): «أجيب».

فصل[1]

فلمَّا كان المجلس الثاني، بعد صلاة الجمعة[2]، ثاني عشر رجب، وقد أحضروا أكبرَ[3] شيوخهم ــ ممن لم يكن حاضرًا ذلك المجلس[4] ــ وبحثوها فيما بينهم، واتفقوا وتواطأوا، وحضروا بقوَّة واستعداد غير ما كانوا عليه؛ لأنَّ المجلس الأول أتاهم بغتة، وإن كان أيضًا بغتةً للمخاطَب الذي هو المسؤول والمجيبُ والمناظرُ.

فلمَّا اجتمعنا ــ وقد أحضرتُ ما كتبته من الجواب على[5] أسولتهم المتقدِّمة التي طُلِبَ تأخيرها[6] إلى هذا اليوم ــ حمدتُ الله بخطبة الحاجة، خطبة ابن مسعود.

ثمَّ قلتُ: إنَّ الله أمرَنا بالجماعة والائتلاف، ونهانا عن الفُرقة والاختلاف، وقال لنا في القرآن: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ

---

(١) من (ف، ك).

(٢) في (ف، ك): «في المجلس الثاني يوم الجمعة بعد الصلاة».

(٣) (طف): «أكثر».

(٤) (ك): «اليوم». وفي (طف) زيادة: «وأحضروا معهم زيادة صفي الدين الهندي، وقالوا: هذا أفضل الجماعة وشيخهم في علم الكلام، وبحثوا...».

(٥) (ف، ك): «عن».

(٦) (ف، ك): «تأخيره»، (طف): «طلبوا تأخيره».

﴿ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ [آل عمران: ١٠٥]. وربُّنا واحد، وكتابنا واحد، ونبيّنا واحد، وأصولُ الدِّين لا تحتمل التفرُّقَ والاختلاف.

وأنا أقول ما يوجب الجماعةَ بين المسلمين، وهو متفقٌ عليه بين السلف، فإن وافق الجماعةُ فالحمد لله، وإلاَّ فمن خالفني بعد ذلك، كشفتُ له[1] الأسرار، وهتكت الأستار، وبيَّنتُ المذاهب الفاسدة، التي أفسدت الملل والدُّوَل.

وأنا أذهب إلى سلطان الوقت على البريد، وأُعرِّفه من الأمور ما لا أقوله في هذا المجلس، فإنَّ للسِّلم كلامًا، وللحرب كلامًا.

وقلتُ: لا شكَّ أنَّ الناس يتنازعون، فيقول هذا: أنا حنبليٌّ، ويقول هذا: أنا أشعريٌّ، ويجري بينهم تفرُّقٌ وفتنٌ[2] واختلاف على أمور لا يعرفون حقيقتها.

وأنا قد أحضرتُ ما يُبيِّن[3] اتفاقَ المذاهب فيما ذكرتُه، وأحضرتُ كتاب «تبيين[4] كَذِب المفتري فيما يُنسَب[5] إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري»، تأليف الحافظ أبي القاسم ابن عساكر.

---

(١) «له» ليست في (ف، ك).

(٢) ليست في (ك).

(٣) (ف، ك): «ما بين».

(٤) تحرف اسم الكتاب في (ب، ق): «بتبيين ـ يتبين»!

(٥) (ب): «نُسِبَ».

وقلتُ: لم يُصَنَّف في أخبار الأشعريِّ المحمودة كتابٌ مثل هذا، وقد ذكرَ فيه لفظَه الذي ذكره في كتاب «الإبانة».

فلمَّا انتهيتُ إلى ذكر المعتزلة، سأل الأميرُ عن معنى المعتزلة؟

فقلتُ: كان[1] الناسُ في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق المِلِّيِّ ـ وهو أوَّل اختلاف[2] حدث في الملَّة ـ هل هو كافرٌ أو مؤمن؟ فقالت الخوارج: إنَّه كافر، وقالت الجماعةُ: إنَّه مؤمن.

فقالت طائفةٌ: نقول: هو فاسقٌ، لا كافر ولا مؤمن، نُنْزِله منزلةً بين المنزلتين، وخلَّدوه[3] في النار، واعتزلوا حَلْقة الحسن البصري وأصحابه، فسُمُّوا معتزلةً.

فقال الشيخ الكبير ـ بِجَبَهٍ[4] وردٍّ ـ: ليس كما قلت، ولكن أول مسألة اختلف فيها المسلمون: مسألة الكلام، وسُمِّي المتكلمون [ق٨٣] متكلِّمين لأجل تكلُّمهم في ذلك، وكان أوَّلُ من قالها: عَمْرو بن عُبَيد، ثم خلفه بعد موته عطاءُ بن واصل.

---

(١) (ب، ق): «كانوا».

(٢) (ب، ق): «خلاف».

(٣) (ف، ط): «منزلتين»، (ف، ك): «وخلوده».

(٤) الأصل و (ف): «بحبه» بحاءٍ مهملة، و(طف): «بجبته و ردائه»! والمثبت من (ب، ق، ك) هو الصواب. قال في «تاج العروس»: (١٩/ ٢٨): «جَبَهَه، كَمَنَعَه، ومن المجاز: جَبَهَ الرجلَ يجْبَهُه جَبْهًا إذا ردَّه عن حاجته.. وفي المحكم: جَبَهتُه إذا استقبلته بكلامٍ فيه غلظة، وجبهتُه بالمكروه إذا استقبلته به» اهـ.

هكذا قال! وذكر نحوًا من هذا.

فغضبتُ[1] وقلتُ: أخطأتَ، وهذا كذبٌ مخالفٌ للإجماع. وقلتُ له: لا أدبَ ولا فضيلة، لا تأدَّبتَ معي في الخطاب، ولا أصبتَ في الجواب!

الناسُ[2] اختلفوا في مسألة الكلام في خلافة المأمون وبعدها في أواخر المئة الثانية، وأمَّا المعتزلة فقد كانوا قبل ذلك بكثير، زمن[3] عَمْرو بن عُبيد بعد موت الحسن البصريِّ، في أوائل المئة الثانية، ولم يكن أولئك قد تكلَّموا في مسألة الكلام، ولا تنازعوا فيها، وإنَّما أوَّل بدعتهم: تكلُّمُهم في مسائل الأسماء والأحكام[4] والوعيد.

فقال: هذا ذكره الشهرستاني في كتاب «الملل والنِّحل».

فقلتُ: الشهرستانيُّ ذكر ذلك في اسم المتكلِّمين لِمَ سُمُّوا متكلِّمين[5]، والأميرُ إنِّما سألَ عن اسم المعتزلة.

وأنكر الحاضرون عليه. وقال: غلطتُ[6].

وقلتُ في ضمن كلامي: أنا أعلمُ كلَّ بدعةٍ حدثت في الإسلام، وأوّل

---

(١) زاد في (ف، ك، ط، طف): «عليه».

(٢) (ف، ك): «قلت: الناس»، و (ط، طف): «ثم قلت...».

(٣) (ق): «من»، (ف، ك، ط، طف): «في».

(٤) (ف، ك، ط): «الأحكام والأسماء».

(٥) بعده في (ف، ك، ط، طف): «لم يذكره في اسم المعتزلة».

(٦) (طف): «وقالوا: غلطت».

من ابتدعها، وما كان سببُ ابتداعها[١].

وأيضًا: فما ذكره الشهرستانيُّ ليس بصحيح في اسم المتكلِّمين، فإنَّ المتكلّمين كانوا يُسَمَّون بهذا الاسم قبل تنازعهم في مسألة الكلام، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء: إنَّه متكلِّم، ويصفونه بالكلام، ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام.

وقلتُ أنا وغيري: إنَّما هو واصل بن عطاء[٢].

قلتُ: وواصل لم يكن بعد موتِ عَمْرو بن عُبيد، وإنَّما كان قرينَه[٣].

وقد رُوِيَ أنَّ واصلاً تكلَّم مرَّةً بكلام، فقال عَمْرو بن عُبيد: لو بُعِثَ نبيٌّ أكان[٤] يتكلّم بأحسن من هذا، وفصاحتُه مشهورة، حتى قيل: إنَّه كان ألثغ، فكان يحترز عن الرَّاء، حتَّى قيل له: أمرَ الأميرُ أن تُحْفَر بيرٌ[٥]. فقال: أوْعزَ القائدُ أن يُقْلَب قليبٌ[٦].

قال الشيخ المقدَّم فيهم[٧]: لا ريب أنَّ الإمام أحمد إمامٌ عظيم القدر،

---

(١) «وما كان سبب ابتداعها» سقطت من (ب).

(٢) (طف) زيادة: «أي: لا عطاء بن واصل كما ذكره المعترض».

(٣) (ك): «قريبه».

(٤) (ق، ف): «لكان»، (ط، طف): «ما كان»، (ف): «متكلم».

(٥) زاد في (ك): «في قارعة الطريق».

(٦) زاد في (ك، طف): «في الجادة».

(٧) (ك): «المتقدم»، و «فيهم» ليست في (ب، ق). وقبلها في (طف): «ولما انتهى الكلام إلى ما قاله الأشعري..».

ومن أكبر أئمة الإسلام، لكن قد انتسب إليه أناسٌ ابتدعوا أشياء.

فقلتُ: أمَّا هذا فحقٌّ، وليس هذا من خصائص أحمد، بل ما من إمامٍ إلَّا وقد انتسب[1] إليه أقوامٌ هو منهم بريءٌ، قد انتسبَ إلى مالك أقوامٌ هو منهم بريءٌ، وانتسب إلى الشافعيّ كذلك، وانتسب إلى أبي حنيفة كذلك. وقد انتسب إلى عيسى أُناسٌ هو منهم بريءٌ، وانتسب إلى موسى كذلك. وكذلك إلى علي بن أبي طالب[2]. ونبينا ﷺ قد انتسب إليه من القرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف المُلْحِدَة والمنافقين من هو بريءٌ منهم.

وذكر في كلامه أنَّه انتسبَ إلى أحمد أناسٌ من الحَشَوية والمشبِّهة. ونحو هذا الكلام.

فقلتُ: المشبِّهة والمجسِّمة في غير أصحاب الإمام[3] أحمد أكثر منهم فيهم، هؤلاء أصناف الأكراد كلهم شافعيَّة، وفيهم من التشبيه والتجسيم ما لا يوجد في صنفٍ آخر. وأهلُ جيلان، فيهم شافعيّة وحنبليَّة.[4] وأمَّا الحنبليةُ المَحْضةُ [ق٨٤] فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم.

---

(١) (ب، ق): «انتسبت».

(٢) النص في هذه الفقرة في (ف، ك، ط، طف) مغايرٌ لباقي النسخ، وهذا سياقه: «إلى مالك أناس مالك بريءٌ منهم، وانتسب إلى الشافعي أناس هو منهم بريءٌ، وانتسب إلى أبي حنيفة أناس هو بريءٌ منهم. وقد انتسب إلى موسى عليه السلام أناسٌ هو بريء منهم، وانتسب إلى عيسى عليه السلام أناس هو بريء منهم، وقد انتسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أناس هو بريءٌ منهم».

(٣) ليست في (ف، ك).

(٤) قبله في (ف، طف): «قلت».

وكان من تمام الجواب: أنَّ الكرَّاميَّة المجسِّمة كلَّهم حنفية. وتكلمتُ على لفظ الحشويَّة[1] فقلتُ: هذا اللّفظ أوّل من ابتدعه المعتزلة؛ فإنَّهم يسمُّون الجماعةَ والسواد الأعظم: الحَشْو، كما تسميهم الرافضةُ: الجمهور. وحَشْو الناسِ: هم[2] عموم الناس وجمهورُهم، وهم غير الأعيان المتميزين[3].

وأوَّل من تكلَّم بهذا: عَمْرو بن عُبَيد، وقال: كان عبد الله بن عمر حَشْويًّا. فالمعتزلة سموا الجماعة حَشْوًا[4].

وأوَّلُ من قال: إنّ الله جِسْم: هشامُ بن الحكم الرافضي.

وقلتُ لهذا الشيخ: مَنْ في أصحابنا[5] حَشْويٌّ بالمعنى الذي تريده؟ الأثرم، أبو داود، المرُّوذي، الخلاّل، أبو بكر عبد العزيز، أبو الحسن التميمي، ابن حامد، القاضي أبو يعلى، أبو الخطاب، ابن عقيل؟! ورفعتُ صوتي وقلتُ: سَمِّهم، قل لي مَنْ هم، مَن هم؟

أَبِكَذِبِ ابنِ الخطيب[6] وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطُلُ الشريعةُ،

---

(١) (ف، ك، ط، طف) زيادة «ما أدري جوابًا [ف: أجوابًا] على سؤال الأمير أو غيره، أو من غير جواب».

(٢) ليست في (ب، ق)، و(ف، ك): «هو».

(٣) (ك، طف) زيادة: «يقولون: هذا من حشو الناس كما يقال: هذا من جمهورهم».

(٤) «فالمعتزلة... حشوًا» سقط من (ب). وبعده في (ف، ك، ط، طف): «كما تسميهم الرافضة: الجمهور، وقلت ـ لا أدري في المجلس الأول أو الثاني ـ ..».

(٥) العبارة في (ف، ك، ط، طف): « من في أصحاب أحمد الإمام [ك: من] الأعيان».

(٦) يعني فخر الدين الرازي.

وتندرسُ معالم الدين؟ كما نقل هو وغيره عنهم أنَّهم يقولون: القرآنُ[1] القديمُ هو أصوات القارئين، ومدادُ الكاتبين، وأنَّ الصوتَ والمداد قديمٌ أزليٌّ؟ من قال هذا؟ أو في أيِّ كتابٍ وُجِدَ عنهم هذا[2]؟ قل لي.

وكما نقلَ عنهم: أنَّ الله لا يُرى في الآخرة، باللزوم الذي ادَّعاه، والمقدِّمة التي نقلها عنهم.

وأخذتُ أذكرُ ما يستحقّه هذا الشيخ؛ من أنَّه كبير الجماعة وشيخُهم، وأن فيه من العقل والدين، ما يستحقُّ أن يُعامل بموجبه[3].

وأمرتُ بقراءة العقيدة جميعها عليه، فإنّه لم يكن حاضرًا في المجلس الأوّل، وإنّما أحضروه في الثاني انتصارًا به.

وحدثني الثقةُ عنه بعد خروجه من المجلس، أنَّه اجتمعَ به، وقال له: أخبرني عن هذا المجلس؟

فقال: ما لفلانٍ ذنبٌ، ولا لي، فإنَّ الأمير سأل عن شيءٍ فأجابه عنه. فظننتُه سألَ عن شيءٍ آخر.

وقال: قلتُ لهم: ما لكم على الرجل اعتراضٌ، فإنَّه نَصَرَ تَرْكَ التأويل، وأنتم تنصرون قولَ التأويل، وهما قولان للأشعريِّ.

وقال: أنا أختارُ قولَ تركِ التأويل، وأخرج وصيَّته التي أوصى بها. وفيها:

---

(١) (ب، ف، ك، طف): «إنَّ القرآن».

(٢) (ك، ط، طف): «وفي... هذا عنهم».

(٣) في الأصل «بمذهبه» تحريف.

قولُ تركِ التأويل.

قال الحاكي لي: فقلتُ له: فبلغني عنك أنَّك قلتَ في آخر المجلس[1]، لما أشهدوا[2] الجماعةُ على أنفسهم بالموافقة: لا تكتبوا عنِّي نفيًا ولا إثباتًا. فلِمَ ذاك؟

فقال: لوجهين:

أحدهما: أنِّي لم أحضر قراءةَ جميع العقيدة في المجلس الأول.

والثاني: لأنَّ أصحابي طلبوني لينتصروا بي، فما كان يليق أن أُظْهِرَ مخالفتهم، فسكتُّ عن الطائفتين.

وأمرتُ غيرَ مرَّة أن تُعاد قراءة العقيدة جميعها على هذا الشيخ، فرأى بعضُ الجماعة أنَّ ذلك يطولُ[3]، وأنَّه لا يُقرأ عليه إلا الموضع الذي[4] لهم عليه سؤال، وأعْظَمُه لفظ «الحقيقة» فقرؤوه عليه. وذكر هو بحثًا حسنًا يتعلَّق بدلالة اللفظ.

فحسَّنته ومَدَحْتُه عليه، وقلتُ: لا ريبَ أنَّ الله حيٌّ حقيقة، [عليمٌ حقيقةً][5]، سميعٌ حقيقةً، بصيرٌ حقيقةً، وهذا متَّفقٌ عليه بين أهل [ق٨٥] السنَّة

---

(١) (ب، ق): «المجالس».

(٢) (ك، ط، طف): «بلغني...أشهد».

(٣) (طف): «تطويل».

(٤) (ف): «وأنه يقرأ..»، (الأصل، ب، ق): «المواضع»، (ب، ق): «التي».

(٥) ما بينهما ليس في الأصل.

والصِّفاتية من جميع الطوائف، ولو نازَع بعضُ أهل البدع في بعض ذلك، فلا ريبَ أنَّ الله موجودٌ، والمخلوقَ موجودٌ. ولفظ «الوجود» سواء كان مقولاً عليهما بطريق الاشتراك اللفظيِّ فقط، أو بطريق التواطُؤ المتضمِّن للاشتراك لفظًا ومعنًى، أو بالتشكيك الذي هو نوعٌ من التواطؤ= فعلى كلِّ قول، فالله موجود حقيقةً، والمخلوقُ موجودٌ حقيقة، ولا يلزمُ من إطلاق الاسم على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محذورٌ.

ولم أُرَجِّح في ذلك المقام قولاً من هذه الثلاثة على الآخر؛ لأنَّ غرضي يحصُل على كلِّ مقصود.

وكان مقصودي تقريرَ ما ذكرتُه على قولِ جميعِ الطوائف، وأن أُبيِّن اتفاقَ السلفِ ومن تَبِعَهم على ما ذكرتُه، وأنَّ أعيانَ المذاهبِ الأربعة، والأشعريَّ، وأكابر أصحابه على ما ذكرتُه.

فإنَّه قبل المجلس الثاني، اجتمعَ بي من أكابر الشافعية، والمنتسبين إلى الأشعرية والحنفية، وغيرهم، ممن عَظُم خوفُهم من هذا المجلس، وخافوا انتصارَ الخصوم فيه، وخافوا على نفوسهم أيضًا من تفرُّق[1] الكلمة، فلو أظْهَرتُ[2] الحُجَّةَ التي ينتصرُ بها ما ذكرته، ولم[3] يكن من أئمة أصحابهم من يوافقها= لصارت فُرقةً، ولصعُب[4] عليهم أن يُظْهِروا في المجالس

(١) (ق): «تفريق».

(٢) (ب، ق): «وظهرت».

(٣) (ط، طف): «أولم».

(٤) (ب، ق): «ويصعب».

العامة الخروج عن أقوال طوائفهم، لما في ذلك من تمكُّن أعدائهم من أغراضهم. فإذا كان من أئمة مذاهبهم من يقول ذلك، وقامت عليه الحجَّة، وبان أنَّه مذهب السلف= أمكنهم إظهارُ القول به، مع ما يعتقدونه [في الباطن][1] أنه الحق.

حتَّى قال لي بعض الأكابر من الحنفية ـ وقد اجتمع بي ـ: لو قلتَ: هذا مذهب أحمد بن حنبل، وثَبَتَّ على ذلك؛ لانقطع النزاع.

ومقصودُه أنَّه يحصل دفع الخصوم عنه[2] بأنَّه مذهبٌ متبوع، ويستريح المنتصر والمنازع من إظهار الموافقة.

فقلتُ: لا والله، ليس لأحمد بن حنبل بهذا اختصاصٌ، وإنَّما هذا اعتقادُ سلف الأمة، وأهل[3] الحديث.

وقلتُ أيضًا: هذا اعتقادُ رسول الله ﷺ، وكلُّ لفظٍ ذكرتُه فأنا أذكُر به آيةً أو حديثًا، أو إجماعًا سلفيًّا، وأذكر[4] من ينقل الإجماعَ عن السلف من جميع طوائف المسلمين؛ الفقهاء[5] الأربعةِ، والمتكلِّمين، وأهلِ الحديث، والصوفية.

---

(١) «في الباطن» ليست في الأصل.

(٢) كذا في الأصل، وفي بقية النسخ: «عنك».

(٣) (ف، ك، طف): «وأئمة أهل...».

(٤) (ف): «أو ذكر».

(٥) (ك): «أتباع الفقهاء»، (طف): «والفقهاء».

وقلتُ لمن خاطبني من أكابر الشافعية: لأُبينَنَّ[1] أنَّ ما ذكرتُه هو قولُ السَّلف، وقولُ أئمة أصحاب الشافعيِّ، وأذكرُ قولَ الأشعريِّ وأئمة أصحابه التي تَرُدُّ على هؤلاء الخصوم، ولينتصرنَّ كلُّ شافعيٍّ، وكلُّ من قال بقول الأشعريِّ الموافقِ لمذهب السَّلف، وأُبيِّنُ أنَّ القولَ المحكيَّ عنه في تأويل الصِّفات الخبريّة قولٌ لا أصلَ له في كلامه، وإنَّما هو قولُ طائفةٍ من أصحابه. فللأشعرية قولان، ليس للأشعريِّ قولان.

ولما ذكرتُ في المجلس أنَّ جميعَ أسماء الله التي يُسمَّى[2] بها المخلوق، كلفظ «الوجود» الذي هو مقولٌ بالحقيقة على الواجب والممكن[3]= تَنازَعَ كبيران[4]؛ هل هو مقولٌ بالاشتراك أو بالتواطؤ؟

فقال أحدهما: هو متواطئ، وقال الآخر: هو [ق٨٦] مشترك، لئلّا يلزم التركيب.

وقال هذا: قد ذكر فخر الدين أنَّ هذا النزاع[5] مبنيٌّ على أنَّ وجودَه هل هو عينُ ماهيَّته أم لا؟

فمن قال: إنَّ وجود كلِّ شيءٍ عينُ ماهيَّته، قال: إنَّه مَقُول بالاشتراك، ومن قال: إنَّ وجودَه قدرٌ زائد على ماهيَّته، قال: إنَّه مقولٌ بالتواطؤ.

---

(١) (ب، ف، ق، ط، طف): «لأبيّن».

(٢) (ف): «تسمى»، (طف): «سمى».

(٣) بعده في (ف، ك): «على الأقوال الثلاثة».

(٤) (ف): «كثيران».

(٥) (ف): «التزام».

فأَخذ الأوَّلُ يُرجِّحُ قولَ من يقول: إنَّ الوجود زائدٌ على الماهيَّة، لينصر أنَّه مقولٌ بالتواطؤ(١).

فقال الثاني: ليس(٢) مذهبُ الأشعريِّ وأهل السنة أنَّ وجودَه عينُ ماهيَّته.

فأنكر الأول ذلك.

فقلتُ: أمَّا متكلِّمو(٣) أهل السنة، فعندهم أنَّ وجود كلِّ شيءٍ عينُ ماهيَّته. وأمَّا القولُ الآخر فهو قول المعتزلة: إنَّ وجود كلِّ شيءٍ قدرٌ زائدٌ على ماهيَّته، وكلٌّ منهما أصاب من وجه. فإنَّ الصوابَ أنَّ هذه الأسماء مقولة بالتواطؤ، كما قد قرَّرْتُه في غير هذا الموضع. وأجبتُ عن شُبهة التركيب بالجوابين المعروفَين.

وأمَّا بناءُ ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيَّته أو ليس [عينه](٤) فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب، فإنَّا وإن قلنا: إنَّ وجودَ الشيءِ عينُ ماهيَّته، لا يجبُ أن يكون الاسم مقولاً عليه وعلى نظيره بالاشتراك(٥) اللفظيِّ فقط، كما في جميع أسماء الأجناس، فإنَّ اسم «السواد» مَقُولٌ على هذا السواد وهذا السواد بالتواطؤ، وليس عينُ هذا السواد هو عين هذا السواد؛

---

(١) «فأخذ الأول... بالتواطئ» سقط من (ف).

(٢) سقط من (ب، ق).

(٣) (ب، ق): «متكلمة».

(٤) من (طف)، و(ط): «عينها».

(٥) الأصل: «الاشتراك».

إذ[1] الاسم دالٌّ على القدر المشترك بينهما، وهو المطلق الكلّي، لكنَّه لا يوجد مطلقًا[2] بشرط الإطلاق إلا في الذِّهْن، ولا يلزم من ذلك نفي القَدْر المشترك بين الأعيان الموجودة في الخارج، فإنّه على ذلك تنتفي الأسماء المتواطئة، وهي جمهورُ[3] الأسماء الموجودة في اللُّغات[4]، وهي أسماء الأجناس اللغوية، وهو الاسم المطلق[5] على الشيء وعلى كلِّ ما أشبهه، سواء كان اسم عين أو اسم صفة، جامدًا أو مشتقًّا، وسواء كان جنسًا[6] منطقيًّا أو فقهيًّا أو لم يكن.

بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه[7] الأجناس والأصناف[8] والأنواع، ونحو ذلك، وكلُّها أسماء متواطئة، وأعيانُ مُسمياتها في الخارج متميزة.

وطلب بعضُهم إعادةَ قراءة الأحاديث المذكورة[9] في العقيدة، ليطعنَ

---

(١) (ب، ق): «و».

(٢) زاد في (ف، ك، ط): «كليًّا».

(٣) (ق): «جميع».

(٤) (طف): «في الغالب».

(٥) الأصل، (ف): «المعلّق».

(٦) الأصل: «اسمًا».

(٧) هنا انتهى الموجود من نسخة القدس(ق)، وأكمل بعض المطالعين ورقةً أخرى بخط مغاير.

(٨) (ب): «والأوصاف»، (ف ، ك): «الأصناف والأجناس».

(٩) ليست في (ف).

في بعضها[1].

فقلتُ: كأنّك استعددت للطعن في حديث الأوعال[2]، وكانوا قد تَعَنَّوا[3] حتَّى ظفروا بما تكلَّم به زكيُّ الدين عبد العظيم[4]، من قول البخاريِّ في «تاريخه»[5]: عبد الله بن عُميرة، لا يُعرَف له سماع من الأحنف.

فقلت: هذا الحديث مع أنه رواه أهل السنن، كأبي داود وابن ماجه والترمذي وغيرهم= فهو مرويٌّ من طريقين مشهورَين، فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر.

فقال: أليس مداره على ابن عُميرة، وقد قال البخاريّ: لا يُعرف له سماعٌ من الأحنف؟

فقلتُ: قد رواه إمام الأئمة ابن خُزيمة في «كتاب التوحيد»[6] الذي اشترط فيه أنه لا يحتجُّ فيه إلا بما نقله العدلُ عن العدل موصولًا إلى النبي ﷺ.

---

(١) في (ف، ك، ط، طف) زيادة: «فعرفتُ مقصودَه».

(٢) بعده في (ف، ك، ط، طف): «حديث العباس بن عبد المطلب».

(٣) (ك، طف): «تعنتوا».

(٤) يعني المنذري. والذي قاله تعليقًا على هذا الحديث في «مختصر سنن أبي داود»: (٧/ ٩٣): «ورواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب، وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك فوقفه. هذا آخر كلامه. وفي إسناده الوليد بن أبي ثور لا يحتج بحديثه» اهـ.

(٥) (٥/ ١٥٩).

(٦) (١/ ٢٣٥).

قلتُ: والإثبات مقدَّمٌ على النفي، والبخاريُّ إنَّما نفى معرفتَه بسماعه[1] من الأحنف، لم ينفِ معرفةَ الناس بهذا، فإذا عرف غيره ـ إمام الأئمة[2] ـ كانت معرفته وإثباته مقدَّمًا على نفي غيره وعدم معرفته. ووافقَ الجماعةُ على ذلك.

وأخذ بعضُ الجماعة يذكر من المدح ما لا يليق أن أحكيه.

وأخذوا يناظرون في أشياء لم تكن في العقيدة، ولكن لها تعلُّقٌ بما أجبتُ به في مسائل، ولها تعلُّقٌ بما قد يفهمونه من العقيدة.

وأحضر بعضُ أكابرهم[3] كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي، فقال: هذا فيه تأويل الوجه عن السَّلف.

فقلتُ: لعلك تعني قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[4] [البقرة: ١١٥].

فقال: نعم، قد قال مجاهد والشافعي: يعني قِبلَة الله.

فقلتُ: هذا صحيح عنهما وعن[5] وغيرهما، وهذا حقٌّ، وليست هذه الآية من آيات الصفات. ومن عدَّها في الصفات فقد غلط، كما فعل طائفة! فإنَّ سياق الكلام يدلُّ على المراد، حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا

---

(١) (ف، ك): «لسماعه».

(٢) (ف، ك): «كإمام الأئمة [ط، طف: ابن خزيمة] الإسناد».

(٣) (ب): «بعضهم».

(٤) (ف): «فلعلك تعني قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا ...﴾».

(٥) (ف، ك، ط، طف): «نعم هذا صحيح عن مجاهد والشافعي وغيرهما»

﴿تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ والمشرقُ والمغربُ الجهات. والوجه: هو الجهة، يقال: أيَّ وجهٍ تريد؟ أي: أيَّ جهةٍ، وأنا أريدُ هذا الوجه، أي هذه الجهة. كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨]، ولهذا قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾، أي: تستقبلوا وتتوجّهوا. والله أعلم.

هذا آخر ما علَّقه الشيخ ـ رحمه الله ـ فيما يتعلَّق بالمناظرة، بحضرة نائبِ السَّلطنة[1] والقضاة والفقهاء وغيرهم بالقصر.



(١) (ف): «السلطان».

[كتاب باستدعاء الشيخ إلى مصر]

وفي يوم الاثنين خامس شهر رمضان من سنة خمس وسبعمائة وصل كتابُ السلطان بالكشف عما[1] وقع للشيخ تقيّ الدين في ولاية سيف الدين جاغان، وفي ولاية القاضي إمام الدين[2]، وبإحضاره وإحضار القاضي[3] نجم الدين بن صَصْرى إلى الديار المصرية.

فَطَلَب نائبُ السلطنة الشيخَ وجماعةً من الفقهاء وسألهم عن تلك الواقعة وقُرئ عليهم المرسوم.

فأجابَ كلٌّ منهم بما كان عنده من تلك القضية، وكتبه عنهم صاحب الديوان محيي الدين ابن فضل الله[4].

وفي يوم الاثنين ثاني عشر رمضان توجه الشيخ تقي الدين[5]، والقاضي نجم الدين إلى مصر على البريد، وخرج مع الشيخ خَلْق كثير، وبكوا وخافوا عليه من أعدائه.

وأُخْبِرت أن نائب السَّلْطنة كان قد أشار على الشيخ بترك التوجُّه إلى مصر، وأنه يُكاتب في ذلك، فامتنع الشيخ من ذلك ولم يقبل، وذَكَر أن في توجُّهه إلى مصر مصالح كثيرة.

***

---

(١) (ف، ك): «عما كان».

(٢) سبق ذكر هذه الحادثة بالتفصيل فيما سبق (ص٢٦٣-٢٦٨) وكانت سنة (٦٩٨هـ).

(٣) ليست في (ف).

(٤) سبقت ترجمته (ص٢٦٧).

(٥) «ابن فضل الله...تقي الدين» سقط من (ف، ك).

وقرأت بخطٍّ بعض أصحاب الشيخ، قال:

ولمَّا توجَّه الشيخ في اليوم الذي توجّه فيه من دمشق المحروسة، كان يومًا مشهودًا غريبَ المثل في كثرة ازدحام الناس لوداعه ورؤيته، حتى انتشروا[1] من باب داره إلى قريب الجسورة[2] ــ فيما بين دمشق والكِسْوة[3] ـ التي هي أول منزلة منها، وهم ما بين باكٍ وحزين ومتعجِّب ومتنزِّه، ومزاحم متغالٍ فيه.

[ق٨٨] ودخل الشيخُ مدينة غزَّة يوم السبت، وعمل في جامعها مجلسًا عظيمًا.

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من رمضان وصل الشيخ والقاضي إلى القاهرة.

وفي ثاني يوم بعد صلاة الجمعة، جُمِع القضاةُ وأكابر الدولة بالقلعة لمَحْفِل الشيخ[4]، وأراد الشيخ أن يتكلَّم، فلم يمكَّن من البحث والكلام على عادته، وانتَدَب له الشمسُ ابن عَدْلان خَصْمًا احتسابًا، وادَّعى عليه عند القاضي ابن مخلوف المالكي[5] أنه يقول: إن الله فوق العرش حقيقة، وإن الله يتكلَّم بحرف وصوت، وسأل جوابه.

---

(١) (ف): «انتشر».

(٢) (ك): «للجسورة».

(٣) مدينة تقع الآن جنوب دمشق، سميت بذلك في الغالب لأنه كان يصنع بها كسوة الكعبة ويذهب به إلى مكة. انظر www.keswa.net، و«معجم البلدان»: (٤/ ٤٦١).

(٤) «الشيخ» ليست في (ف، ك).

(٥) سبق ترجمة ابن عدلان وابن مخلوف (ص٢٥٠ ـ ٢٥١).

فأخذ الشيخُ في حَمْد الله والثناء عليه، فقيل له: أجِبْ، ما جئنا بك لتخطب!

فقال: ومَنِ الحاكمُ فيَّ؟

قيل[1] له: القاضي المالكي.

قال: كيف يحكم فيَّ وهو خصمي؟! وغضب غضبًا شديدًا وانزعج.

فأُقيم مرسَّمًا عليه وحُبِس في برجٍ أيامًا. ثم نُقِل منه ليلة عيد الفطر إلى الحبس المعروف بـ «الجُبّ» هو وأخواه شرف الدين عبد الله، وزين الدين عبد الرحمن.

ثم إن نائب السلطنة: سيف الدين سلَّار[2]، بعدَ أكثر من سنةٍ، وذلك ليلة عيد الفطر من سنة ست وسبعمائة أحضر القضاة الثلاثة: الشافعي والمالكي والحنفي، ومن الفقهاء: الباجيّ والجَزَري والنمراوي، وتكلم في إخراجه[3] من الحبس.

فاتفقوا على أنه يُشْترط عليه[4] أمور، ويُلْزَم بالرجوع عن بعض العقيدة.

فأرسلوا إليه من يُحضره ليتكلَّموا معه في ذلك، فلم يُجِب إلى

---

(١) (ك): «فقيل».

(٢) (ك): «سلارا». (ت ٧١٠) ترجمته في «أعيان العصر»: (٢/ ٤٨٩)، و«الدرر الكامنة»: (٢/ ١٧٩).

(٣) (ف، ك): «إخراج الشيخ».

(٤) (ف): «على».

الحضور، وتكرَّر الرسولُ إليه في ذلك ست[1] مرات، وصمَّم على عدم الحضور، فطال عليهم المجلس، وانصرفوا عن غير شيء[2].

وفي اليوم الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة[3] ست وسبعمائة، أخبر نائبُ السلطنة بدمشق بوصول كتابٍ إليه من الشيخ تقيّ الدين من الجُبّ، وأعْلَمَ بذلك جماعةً ممن حضر مجلسه، وأثنى عليه وقال: ما رأيت مثله ولا أشجع منه!

وذَكَر ما هو عليه في السِّجْن من التوجُّه إلى الله تعالى، وأنه لم يقبل شيئًا من الكسوة السلطانية، ولا من الإدرار السلطاني، ولا تدنَّس بشيء من ذلك.

وفي هذا الشهر أيضًا شهر ذي الحجة في يوم الخميس اليوم السابع والعشرين منه طُلِب أخَوا الشيخ تقيّ الدين: شرف الدين[4]، وزين الدين من الحَبْس[5] إلى مجلس نائب السلطة سلَّار، وحضر القاضي زينُ الدين بن مخلوف المالكي، وجرى بينهم كلام كثير، وأُعِيدا إلى موضعهما بعد أن بحثَ الشيخُ شرف الدين مع القاضي المالكي[6]، وظهر عليه في النقل

---

(١) «ست» ليست في (ك)، و(ف): «سيرات»!

(٢) شرح شيخ الإسلام ما جرى في هذه الحادثة، وماذا طلبوا منه وبماذا أجابهم في أول كتابه «التسعينية»: (١/ ١٠٩-١١٩).

(٣) (ف): «من سنة».

(٤) (ف، ك): زيادة «عبدالله».

(٥) (ف، ك): زيادة «عبدالرحمن»، و(ف): «السجن».

(٦) «وجرى... المالكي» سقط من (ف).

والمعرفة، وخطَّأه في مواضع [٨٩] ادَّعى فيها الإجماع، وكان الكلام في مسألة العرش، وفي مسألة الكلام، وفي مسألة النزول.

وفي يوم الجمعة التالي لليوم(١) المذكور أُحْضِر الشيخ شرف الدين وحدَه إلى مجلس نائب السلطنة، وحضر ابن عَدْلان، وتكلَّم معه الشيخ شرفُ الدين، وناظره وبحثَ معه وظهرَ عليه(٢).

وفي اليوم الرابع والعشرين من صفر من سنة سبع وسبعمائة اجتمع القاضي بدر الدين بن جماعة(٣) بالشيخ تقيّ الدين في دار الأوحديّ بالقلعة بكرة الجمعة، وتفرَّقا قبل الصلاة، وطال بينهما الكلام.

[الأمير ابن مهنا وإخراج الشيخ من الجبّ]

وفي شهر ربيع الأول من سنة سبع دخل الأمير حُسام الدين مهنَّا ابن عيسى مَلِك العَرَب إلى مصر، وحضر بنفسه إلى الجبّ. فأخرجَ الشيخَ تقيّ الدين بعد أن استأذنَ في ذلك، فخرج يوم الجمعة الثالث والعشرين من الشهر المذكور(٤) إلى دار نائب السلطنة بالقلعة، وحضر بعضُ الفقهاء،

---

(١) (ف): «الثاني»، (ك): «ثاني اليوم».

(٢) في «ذيل مرآة الزمان ـ تكملة الجامع»: (ص٣٠): «فظهر عليه، ولكن ليس له مساعد. وقيل: إنه ظهر من نائب السلطنة تعصُّب على الشيخ وإخوته».

(٣) هو: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بدر الدين الكناني الشافعي، ولي القضاء بمصر والشام وغيرها (ت٧٣٣) وقد جاوز التسعين. انظر «أعيان العصر»: (٤/ ٢٠٨-٢١٣)، و«الدرر الكامنة»: (٣/ ٢٨١-٢٨٣).

(٤) ليست في (ب، ف، ك).

وحصل بينهم بحثٌ كثير، وفَرَّقت صلاةُ الجمعة بينهم، ثم اجتمعوا[١] إلى المغرب، ولم ينفصل الأمر.

ثم اجتمعوا يوم الأحد بعد يومين بمرسوم السلطان مجموعَ النهار، وحضرَ جماعةٌ أكثر من الأولين، حضر نجم الدين بن الرِّفْعة، وعلاء الدين الباجي، وفخر الدين ابن بنت أبي سعد، وعزّ الدين النَّمْراوي، وشمس الدين بن عَدْلان، وجماعة من الفقهاء[٢].

ولم يحضر القضاة، وطُلِبوا، فاعتذر بعضُهم بالمرض، وبعضهم بغيره، وقَبِل عذْرَهم نائبُ السلطنة[٣]. ولم يكلِّفهم الحضور، بعد أن رسم السلطان بحضورهم. وانفصلَ المجلس على خير.

وبات الشيخ عند نائب السلطنة.

وكتبَ كتابًا إلى دمشق بكرة الاثنين السادس والعشرين من الشهر، يتضمَّنُ خروجَه، وأنه أقام بدار ابن شُقَير بالقاهرة، وأنَّ الأمير سيف الدين سلَّار رَسَم بتأخُّرِه[٤] عن الأمير مهنًّا أيَّامًا، ليرى الناسُ فضله ويحصل لهم الاجتماع به.

---

(١) «بعض...اجتمعوا» سقط من (ف).

(٢) ذكر منهم اليونيني في «ذيل المرآة ـ تكملة الجامع»: (ص٣١): «شمس الدين الجزري الخطيب، وصهر المالكي».

(٣) قال ابن كثير عن سبب اعتذارهم عن الحضور: «لمعرفتهم بما ابن تيمية منطوٍ عليه من العلوم والأدلة، وأن أحدًا من الحاضرين لا يطيقه». «البداية والنهاية»: (١٨/ ٧٣-٧٦)، و«الجامع»: (ص٤٢٥).

(٤) (ف): «بتأخيره».

وكان[1] مُدَّة مقام الشيخ في الجبِّ ثمانية عشر شهرًا. وفرح خلقٌ كثير بخروجه، وسرُّوا بذلك سرورًا عظيمًا، وحَزِن آخرون وغضبوا.

وامتدحه الشيخ الإمام نجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي[2] بقصيدة، منها:

فاصبر ففي الصبر[3] ما يغنيك عن حِيَل ... وكلُّ صَعْب إذا صابرته هانا

ولستَ تَعْدَم من خطبٍ رُميتَ به ... إحدى اثنتين فأيقن ذاك إيقانا

تمحيصَ ذنب لتلقى الله خالصةً ... أو امتحانًا به تزدادُ قربانا

يا سعد، إنا لنرجو أن تكون لنا ... سَعْدًا ومرعاك للرّوّاد[4] سعدانا

وأن يَضرّ بك الرحمنُ طائفةً ... وَلَّت وينفعُ من بالودِّ والانا

يا أهل تيميَّة العالين مرتبةً ... ومنصبًا فَرعَ[5] الأفلاك تبيانا

جواهرُ الكون أنتم غيرَ أنكمُ ... في معشر أُشرِبوا في العقل نقصانا

لا يعرفون لكم فضلًا ولو عَقَلوا ... لصيَّروا لكم الأجفانَ أوطانا

[ق٩٠] يا من حوى من علوم الخلق ما قَصُرَتْ ... عنه الأوائل مُذْ كانوا إلى الآنا

---

(١) «الأمير ...وكان» سقط من (ف، ك).

(٢) الحنبلي (ت٧١٦). ترجمته في «أعيان العصر»: (٢/ ٤٤٥-٤٤٧)، و«الذيل على طبقات الحنابلة»: (٤/ ٤٠٤-٤٢٠).

(٣) (ب، ف) : «الغيب».

(٤) (ف): «للوراد».

(٥) الأصل و(ف، ب): ««قرع» والمثبت من (ك، ح)، ومعنى فرع: أي علا.

إن تُبْــتلى بلئــام النـــاس يــرفَعُهم عليـك دهـر[1] لأهـل الفـضلِ قـد خانـا

إني لأقــسم والإســلامُ مُعْتقــدي وإننـــي مـــن ذوي الإيـــمان أيمانـــا:

لم ألـــقَ قبلـــك إنـــسانًا أُسرُّ بـــه فـــلا بَرِحْـــتَ لعـــين المجـــد إنـــسانا

في أبيات كثيرة غير هذه يمدح فيها الشيخ ويذمُّ أعداءه.

***

وفي يوم الجمعة صلّى الشيخ في جامع الحاكم، وجلس فاجتمع إليه خلقٌ عظيم. وسأله بعضُهم أن يتكلَّمَ بشيء يسمعونه منه، فلم يجبهم إلى ذلك، بل كان يتبسَّم وينظر يَمْنةً ويَسْرةً.

فقال له رجل: قال الله في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فنهضَ[2] قائمًا، وابتدأ بخطبة الحاجة ـ خطبة ابن مسعود ـ ثم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، وقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ...﴾ [الفاتحة: ١-٢][3] إلى آخرها.

وتكلَّم على تفسير قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وفي معنى العبادة والاستعانة، إلى أن أذَّنَ مؤذِّن العصر.

---

(١) (ك، ح): «دهر عليك».

(٢) (ف، ك): «فنهض الشيخ».

(٣) (ك) زيادة: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، و(ط) أكمل السورة إلى آخرها.

وفي يوم الخميس السادس من شهر ربيع الآخر من سنة سبع عُقِد للشيخ مجلسٌ آخر بالمدرسة الصالحية بالقاهرة، واجتمع فيه القضاةُ وغيرهم.

وكان مما جرى في المجلس ـ فيما بلغني ـ أنه قيل للشيخ: تَسْتَغفر الله العظيم، وتتوب[1] إليه!

فقال الشيخ: كلُّنا نستغفر الله العظيم ونتوب إليه، والتفتَ إلى رجلٍ منهم، فقال له: اسْتَغْفر الله العظيم وتُبْ إليه!

فقال: أستغفرُ الله العظيم وأتوبُ إليه، وكذلك قال لآخر ولآخر، وكلُّهم يقول كذلك!

فقيل للشيخ: تُبْ إلى الله عز وجل من كذا وكذا ـ وذُكِر له كلامٌ[2] ـ.

فقال: إن كنتُ قلتُ كلامًا يستوجب التوبةَ فأنا تائبٌ منه.

فقال له قائل: هذه ليست توبة.

فردَّ عليه الشيخ، وجهَّلَه، ووقع كلامٌ يطول ذكره.

ووصل كتابُ الشيخ مؤرَّخًا بليلة الجمعة الرابع عشر من الشهر، يذكر فيه أنه عُقِد له مجلس ثالث بالمدرسة الصالحية بالقاهرة، بعد خروج مُهنَّا في يوم الخميس سادس الشهر، وأنه حَصَل فيه خير، وأن في إقامته مصالح وفوائد[3].

---

(١) (ك): «نستغفر...ونتوب» خطأ. لأن مقصودهم الطلب من الشيخ.

(٢) «وذكر له كلام» ليست في (ف).

(٣) انظر ما سبق (ص٢٦٢).

[كتاب من الشيخ إلى والدته وغيرها]

وقد وقفتُ على عدَّة كتبٍ بخط الشيخ، بعثها[1] من مصر إلى والدته، وإلى أخيه لأمه: بدر الدين، وإلى غيرهما.

منها: كتاب إلى والدته يقول فيه:

من أحمد ابن تيميَّة إلى الوالدة السعيدة، أقرَّ الله عينَها بنِعَمِه، وأسبغَ عليها جزيلَ كرمه، وجعلها من خيار إمائه وخَدَمِه.

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، فإنَّا نحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهْلٌ، وهو على كل شيء قدير. ونسأله أن يصلِّي على خاتم النبيين، وإمام المتقين محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا.

كتابي إليكم [ق٩١] عن نِعَم من الله عظيمة، ومِنَن كريمة، وآلاء جسيمة، نشكر الله عليها، ونسأله المزيدَ من فضله. ونِعَم الله كلَّما جاءت في نموٍّ وازدياد[2]، وأياديه جلَّت عن التَّعْداد.

وتعلمون أنّ مُقامنا الساعة في هذه البلاد، إنما هو[3] لأمور ضرورية، متى أهملناها فسَدَ علينا أمرُ الدين والدنيا. ولَسْنا والله مختارين للبعد عنكم، ولو حملتنا الطيورُ لسِرْنا إليكم، ولكنَّ الغائب عذرُه معه، وأنتم لو اطلعتم على باطن الأمور، فإنكم ـ ولله الحمد ـ ما تختارون الساعةَ إلا ذلك، ولم

---

(١) (ب): «بعينها».

(٢) (ب): «جاءت تنمو زيادة».

(٣) «إنما هو» ليست في (ب).

نعزم على المُقام والاستيطان شهرًا واحدًا، بل كلَّ يوم نستخير الله تعالى في السَّفَر إليكم، فاستخيروا الله[1] لنا ولكم، وادعوا لنا بالخِيَرة. فنسأل الله العظيم أن يَخِير لكم ولنا[2] وللمسلمين ما فيه الخِيَرة في خير وعافية.

ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة، والهداية والبركة، ما لم يكن يخطر بالبال ولا يدور في الخيال!

ونحن في كلّ وقت مُهتمُّون في السَّفَر[3]، مستخيرون الله سبحانه وتعالى. فلا يظن الظانُّ أنا نؤثِرُ على قربكم شيئًا من أمور الدنيا قط، بل ولا نؤثر من أمور الدين ما يكون قربُكم أرجح منه، ولكن ثَمَّ أمور كبار نخاف الضررَ الخاصَّ والعامَّ من إهمالها، والشاهدُ يرى ما لا يرى الغائب.

والمطلوبُ كثرة الدّعاء بالخيرة، فإنَّ الله يعلم ولا نعلم، ويقدر ولا نقدر، وهو علَّام الغيوب.

وقد قال النبي ﷺ: «**مِنْ سعادة ابن آدم استخارَتُه الله، ورضاه بما يقسم الله له، ومن شقاوة ابن آدم تركُ استخارته لله، وسَخَطه بما يقسم الله له**»[4].

---

(١) «تعالى...الله» سقطت من (ك، ط).

(٢) (ب): «يخير لنا».

(٣) (ف، ك): «مهمون بالسفر».

(٤) أخرجه بنحوه أحمد (١٤٤٤)، والترمذي (٢١٥١)، والحاكم: (١/ ٥١٣)، وغيرهم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. قال الترمذي: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حميد... وليس بالقويّ عند أهل الحديث». وصحح إسناده الحاكم.

والتاجر يكون مسافرًا، فيخاف ضياعَ بعضِ ماله، فيحتاج أن يقيم حتى يستوفيه، وما نحن فيه أمرٌ يَجِلُّ عن الوصف، ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كثيرًا كثيرًا، وعلى سائر من في البيت من الكبار والصغار، وسائر الجيران والأهل والأصحاب واحدًا واحدًا.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه[1] وسلَّم تسليمًا.

***

[كتاب الشيخ إلى أخيه لأمه بدر الدين][2]

ومنها: كتاب إلى أخيه لأمّه يقول فيه:

من أحمد ابن تيمية إلى الأخ الشيخ الإمام العالم بدر الدين، تولَّاه الله في جميع الأمور[3]، وصرف عنه كلَّ محذور، وأصلح له أمرَ الدّنيا والآخرة، وأسبغ عليه نِعَمَه باطنةً وظاهرة.

---

(١) ليست في الأصل.

(٢) هذا الكتاب ساقط من (ف، ك، ط). وأخوه لأمه هو: أبو القاسم بن محمد بن خالد الحرَّاني، بدر الدين، كان فقيهًا، ودرّس في عدّة مدارس (ت٧١٧) ودفن بجوار والدته. انظر «الذيل على طبقات الحنابلة»: (٤/ ٤٢١-٤٢٥)، و«المقصد الأرشد» (٣/ ١٦٣)، و«البداية والنهاية»: ضمن أحداث سنة ٧١٧: (١٨/ ١٦٦) ووقع اسمه فيه: القاسم، بلا كنية، خطأ.

(٣) (ب): «أموره».

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله [إلا] هو، وهو للحمد أهل، وهو على كلِّ شيء قدير، ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين، وإمام المتقين: محمدٍ عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم تسليمًا.

أما بعد؛ فقد وصل كتابكم المبشِّر بوصول الكتاب إليكم، وحَمِدْنا الله على ما أنعم به عليكم[1] من وصول أخبار السرور إليكم. ومن حين خرجنا لم نزل في آلاءٍ مترادفة ونِعَمٍ متزايدة، ومِنَنٍ جازت حدَّ الأماني، بحيث يقصر الخطاب والكتاب عن تفصيل مِعْشارها[2]، ونِعَم الله في زيادة، والله هو المسؤول أن يوزِعَنا وسائرَ المؤمنين شكرَها ويزيدنا من فضله.

وفي مُقامنا من حصول الخير والفوائد لأهل هذه البلاد ولكم ولسائر المؤمنين ما أوجبَ التأخُّر عن التعجيل إليكم [ق٩٢]. فتعلمون أن ذلك من تمام نِعَمة الله تعالى، فإنّ في ذلك من الخيرات ما لا يمكن وصفُه.

وقد كان عُقِد مجلسٌ بالمدرسة المنصوريّة يوم الخميس، وكان يومًا مشهودًا، كان فيه من رحمة الله ولطفه، وانتشار الدعاء المستجاب، والثناء المستطاب، واجتماع[3] القلوب على ما تحبونه وتختارونه فوق[4] ما كان

(١) (ب): «الله بما أنعم عليكم».
(٢) الأصل: «معاشرها» والمثبت من (ب).
(٣) (ب): «وإجماع».
(٤) ليست في (ب).

بالشام وأعظم منه، بحيث صار عند أهل[1] مصر من البِشْر بنعمة الله علينا ما لا يوصَف، وظَهَر الحقُّ للعامّة والخاصّة، ووصل الجماعةُ القادمون عقب[2] ذلك يوم الجمعة، فجمع الله الشمل بهم على أحسن حال، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي جمعَ قلوبَ المؤمنين، فأكْثِروا الشكر لله والثناء.

وعليكم بما يجمع قلوبَ المؤمنين ويؤلِّف بين قلوبهم[3]، وإيّاكم والبَطَر والتفريقَ بين المؤمنين، فالأصل الذي يُبْنى عليه الاعتصام بالسنة والجماعة هو[4]: اجتماع قلوب المؤمنين بحيث يُجْتنب التفرّق بينهم والاختلاف بحسب الإمكان. فإنّ الذي صنعه الله ويصنعه[5] في هذه القضية أمرٌ جاز[6] حدَّ الأوهام، وفات قُوى العقول.

والحمد لله ربِّ العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربنا ويرضى. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وتسلِّمون على جميع الإخوان والأصحاب[7] واحدًا واحدًا.

---

(١) «عند أهل» سقطت من (ب).

(٢) (ب): «عقيب».

(٣) «ويؤلف بين قلوبهم» سقط من (ب).

(٤) (ب): «السنة والجماعة، والجماعة هي...».

(٥) ليست في (ب).

(٦) في هامش الأصل: «في نسخة: جاوز».

(٧) ليست في (ب).

كتب[1] ليلة الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر.

***

[كتاب آخر للشيخ بعثه من مصر إلى دمشق]

ومنها: كتاب قال فيه ـ بعد حَمْد الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ ـ:

أما بعد؛ فإنَّ الله ـ وله الحمد ـ قد أنعم عليَّ من نعمه العظيمة، ومِنَنه الجسيمة، وآلائه الكريمة ما هو مستوجبٌ لعظيم الشكر، والثبات على الطاعة، واعتياد حُسْن الصبر على فعل المأمور، والعبدُ مأمور بالصبر[2] في السرَّاء أعظم من الصبر في الضرَّاء، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ[3] أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ٩-١١].

وتعلمون أنّ الله سبحانه منَّ في هذه القضية من المِنَن التي فيها من أسباب نَصْر دينه، وعلوِّ كلمته، ونَصْر جُنده، وعزّة أوليائه، وقوّة أهل السنة والجماعة، وذُلّ أهل البِدْعة والفُرْقة، وتقرير ما قُرِّر عندكم من السنة، وزيادات على ذلك بانفتاح أبواب من الهدى[4] والنصر والدلائل، وظهور

---

(١) (ب): «وكتب».

(٢) «على...بالصبر» ليست في (ب).

(٣) الأصل و(ب): «وإذا».

(٤) (ب): «أبواب الهدى».

الحق لأمم لا يُحْصي عددَهم إلا الله، وإقبال الخلائق إلى سبيل السنة والجماعة، وغير ذلك من المِنن، مما[1] لابدَّ معه من عظيم الشكر ومن الصبر، وإن كان صبرًا في سرَّاء.

وتعلمون أنَّ من القواعد العظيمة، التي هي من جِماع الدِّين: تأليفَ القلوب، واجتماع الكلمة، وإصلاحَ[2] ذات البَين، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]. ويقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وأمثالُ ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف، وتنهى[3] عن الفُرْقة [ق٩٣] والاختلاف.

وأهلُ هذا الأصل هم أهل الجماعة، كما أنَّ الخارجين عنه هم أهل الفُرْقة.

وجماع السنة: طاعةُ الرسول، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في «صحيحه»[4] عن أبي هريرة: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا، وأن**

---

(١) (ف، ك): «ما».

(٢) (ك): «وصلاح».

(٣) (ف، ك): «يأمر ... وينهى».

(٤) رقم (١٧١٥).

تُناصِحوا من ولّاه الله أمورَكم».

وفي «السنن»[1] من حديث زيد بن ثابت وابن مسعود ـ فَقيهَي الصحابة ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**نضَّر الله امرأً سمع مِنّا[2] حديثًا فبلَّغه إلى من لم يَسْمَعه، فرُبَّ حامل فقهٍ غير فقيه، وربّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه. ثلاثٌ لا يغلّ عليهنّ قلبُ مسلم: إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإنّ دعوتهم تُحِيط مَنْ وراءَهم**».

وقوله: «لايغلّ» أي: لا يحقد عليهنّ، فلا يبغضُ هذه الخصال قلبُ المسلم بل يحبهنّ ويرضاهنّ.

وأول ما أبدأ به من هذا الأصل: ما يتعلَّقُ بي[3]، فتعلمون ـ رضي الله عنكم ـ أني لا أحبُّ أن يؤذَى أحدٌ من عموم المسلمين ـ فضلًا عن أصحابنا ـ بشيء[4] أصلًا، لا باطنًا ولا ظاهرًا، ولا عندي عَتْب على أحد منهم ولا لوم أصلاً، بل لهم عندي من الكرامة والإجلال، والمحبَّة والتعظيم أضعافُ أضعافِ ما كان، كُلٌّ بِحَسَبه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، ابن ماجه (٢٣٠)، وأخرجه أحمد (٢١٥٩٠)، وابن حبان (٦٨٠). قال الترمذي: حديث حسن، وصححه ابن حبان، وله شاهد من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) (ف): «مني».

(٣) (ف): «في».

(٤) (ب): «بسببي».

ولا يخلو الرَّجل من[1] أن يكون مجتهدًا مصيبًا، أو مخطئًا، أو مذنبًا. فالأول: مأجور مشكور، والثاني: مع أجره على الاجتهاد فمعفوٌّ عنه مغفور له. والثالث: فالله يغفر لنا وله ولسائر المؤمنين.

فيُطْوَى[2] بساطُ الكلام المخالف لهذا الأصل؛ كقول القائل: فلانٌ قصَّر، فلانٌ ما عَمِل، فلانٌ أُوذِيَ الشيخُ بسببه، فلانٌ كان سبب هذه القضية، فلانٌ كان يتكلَّم في كذا[3]، فلانٌ، فلانٌ[4]. ونحو هذه الكلمات التي فيها مذمَّة لبعض الأصحاب والإخوان، فإني لا أسامح من آذاهم من هذا الباب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بل مثل هذا يعودُ على قائله بالملام، إلا أن تكون له نيَّة حسنة فيكون[5] ممن يغفرُ الله له إن شاء، وقد عفا الله عمَّا سلف.

وتعلمون أيضًا أن ما يجري[6] من نوع تغليظٍ أو تخشينٍ على بعض الأصحاب والإخوان، مما[7] كان يجري بدمشق، ومما جرى الآن بمصر، فليس ذلك غَضاضةً ولا نقصًا في حقِّ صاحبه، ولا حصل بسبب ذلك تغيّر

---

(١) (ف، ك): «إما».

(٢) (ف، ك): «فنطوي».

(٣) (ك): «كيد».

(٤) (ب، ك): «فلان» مرة واحدة.

(٥) العبارة في (ف، ك): «أن يكون له من [ف: نية] حسنة وممن».

(٦) (ب): «جرى».

(٧) (ف، ك): «ما».

منًّا ولا نقص[1]، بل هو بعد ما عُومِلَ به من التغليظ والتخشين أرفعُ قدرًا، وأنْبَه ذكرًا، وأحبّ وأعظم.

وإنما هذه الأمور هي من مصالح المؤمنين، التي يُصْلِحُ الله بها بعضَهم ببعض؛ فإن المؤمن للمؤمن كاليدين يغسل أحدُهما[2] الأخرى، وقد لا ينقلع الوسخُ إلا بنوعٍ من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما يُحْمَد[3] معه ذلك التخشين.

وتعلمون أنَّا جميعًا متعاونون على البرِّ والتقوى، واجبٌ علينا نصر بعضنا بعضًا أعظمَ مما كان وأشدّ، فمن رام أن يؤذي بعضَ الأصحاب أو الإخوان لِمَا قد يظنه من نوع تخشينٍ عُومل به بدمشق أو بمصر [ق٩٤] الساعة أو غير ذلك= فهو الغالط.

وكذلك من ظنَّ أن المؤمنين يتخلَّون[4] عمَّا أُمِروا به من التعاون والتناصر، فقد ظنَّ ظنَّ سوء، وإن الظنَّ لا يغني من الحقّ شيئًا، وما غاب عنَّا أحدٌ من الجماعة، أو قَدِم إلينا الساعة أو قبل الساعة، إلا ومنزلته عندنا اليوم أعظم مما كانت وأجلُّ وأرفع.

وتعلمون رضي الله عنكم: أن ما دون هذه القضية من الحوادث يقع فيها من اجتهاد الآراء، واختلاف الأهواء، وتنوّع أحوال أهل الإيمان، وما لا بدّ منه

---

(١) (ب): «تغير ما»، (ك): «ولا بغض».(ف): «ولا بعض».

(٢) (ف، ك): «تغسل إحداهما».

(٣) (ف): «موجب...تحمد». (ك): «نحمد».

(٤) (ك): «يبخلون».

من نزغات الشيطان= مالا يتصوّر أن يعتري[1] عنه نوع الإنسان، وقد قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

بل أنا أقول ما هو أبلغ من ذلك، تنبيهًا بالأدنى على الأعلى وبالأقصى على الأدنى، فأقول: تعلمون كثرة ما وقع في هذه القضية من الأكاذيب المفتراة، والأغاليط المظنونة، والأهواء الفاسدة، وأنَّ ذلك أمرٌ يجلّ عن الوصف، وكل ما قيل من كَذِبٍ وزور، فهو في حقّنا خيرٌ ونعمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ...﴾[2] [النور: ١١].

وقد أظهر الله من نور الحقِّ وبرهانه، ما ردَّ به إفكَ الكاذبِ وبُهتانه. فلا أحبُّ أن يُنْتَصر لي[3] من أحدٍ بسبب كذبه عليَّ أو ظلمه وعداوته[4]، فإني قد حلَّلتُ كلَّ مسلم، وأنا أحبُّ الخير لكلِّ المسلمين، وأريد لكلّ مؤمن من الخير ما أحبُّه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حلٍّ من جهتي.

وأما ما يتعلَّق بحقوق الله تعالى؛ فإن تابوا تابَ الله عليهم، وإلا فحُكم

---

(١) (ف، ح): «يعتزي»، (ط): «يعرى». والمثبت من (الأصل، ك).

(٢) الآية بتمامها في (ف، ك).

(٣) ليست في (ك).

(٤) (ف، ك): «عدوانه».

الله نافذٌ فيهم. فلو كان الرجل مشكورًا على سوء عمله لكُنْت[1] أشكر كلَّ من كان سببًا في هذه القضية؛ لما ترتَّب عليه من خير الدنيا والآخرة، لكنَّ الله هو المشكور على حُسْن نعمه وآلائه وأياديه التي لا يُقْضى للمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له.

وأهل القصد الصالح يُشْكَرون[2] على قصدهم، وأهل العمل الصالح يُشْكرون على عملهم، وأهل السيئات نسأل الله أن يتوب عليهم. وأنتم تعلمون هذا من خُلقي، والأمر أزْيَد مما كان وأوكد، لكن حقوق الناس بعضهم مع بعض، وحقوق الله عليهم= هم فيها تحت حكم الله.

وأنتم تعلمون أن الصدِّيق الأكبر في قضية الإفك ـ التي أنزل الله فيها القرآن ـ حلف لا يَصِلُ إلى[3] مِسْطَح بن أُثاثة؛ لأنه كان من الخائضين في الإفك، فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢] فلما نزلت قال أبو بكر: بلى أحبُّ[4] أن يغفر الله لي، فأعاد إلى مِسْطَح النفقة التي كان ينفق.

ومع ما ذكر من العفو والإحسان وأمثاله وأضعافه، فالجهادُ[5] على ما

---

(١) (ك): «لكتب»، وبهامشها: لعله: لكنت.

(٢) (ف، ك): «لا يشكرون»، وبهامش (ك) إشارة إلى أن الصواب حذف «لا».

(٣) «إلى» ليست في (ب، ك).

(٤) (ط): «بلى والله إني لأحب». وحديث الإفك أخرجه البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠).

(٥) (ف، ك): «والجهاد» خطأ.

بعثَ الله به رسولَه من الكتاب والحكمة أمرٌ لا بدَّ منه= ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ [ق٩٥] عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٤-٥٦].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليمًا(١).

***

وقد بعثَ الشيخُ ـ رحمه الله ـ إلى أقاربه(٢) وأصحابه بدمشق كتبًا غير هذه.

ولم يزل بمصر يُعلِّم الناسَ ويُفتيهم، ويذكِّرُ بالله ويدعو إليه، ويتكلَّم في الجوامع على المنابر بتفسير القرآن وغيره، من بعد صلاة الجمعة إلى العصر. إلى أن ضاقَ منه خلقٌ كثيرٌ(٣) وانحصروا، واجتمعَ خلقٌ كثيرٌ من أهل الخوانِقِ والرُّبط والزوايا، واتفقوا على أن يشتكوا(٤) الشيخَ إلى السلطان،

---

(١) العبارة في (ف، ك): «والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على [ك: سيدنا] محمد وآله [ف: وصحبه]...».

(٢) (ب): «أقرانه».

(٣) «كثير» من الأصل فقط. وسقطت «خلق كثير» من (ط).

(٤) (ف، ك): «يتشكوا».

فطَلَعَ منهم خلقٌ إلى القلعة، وكان منهم خلقٌ تحت القلعة= كانت[1] لهم ضَجَّةٌ شديدة، حتى قال السلطان: ما لهؤلاء؟

فقيل له: هؤلاء كلُّهم قد جاءوا من أجل الشيخ تقيّ الدين ابن تيميَّة يشكون منه، ويقولون: إنه يسبُّ مشايخهم، ويضعُ من قَدْرهم عند الناس! واستعاثوا[2] فيه، وأجلبوا عليه، ودخلوا على الأمراء في أمره، ولم يُبقوا ممكنًا.

وكان بعضُ الناس يأتون إلى الشيخ فيقولون له: إنَّ الناسَ قد جمعوا لك جمعًا كثيرًا.

فيقول: حَسْبُنا الله ونعم الوكيل.

وأمر أن يُعْقَد له مجلسٌ[3] بدار العدل. فعُقِد له مجلسٌ يوم الثلاثاء في العشر الأول من شوال من سنة سبعٍ وسبعمائة. وظهر في ذلك المجلس من علم الشيخ، وشجاعته وقوَّة قلبه، وصِدْق توكُّله، وبيان حُجَّته= ما يتجاوزُ الوَصْفَ. وكان وقتًا مشهودًا ومجلسًا عظيمًا.

وقال له كبيرٌ من المخالفين: من أين لك هذا؟

فقال له الشيخ: من أين لا تعلمه!

وذكر بعضُ من حضر ذلك المجلس: أنَّ الناسَ لما تفرَّقوا منه قام الشيخ

---

(١) باقي النسخ: «فكانت».

(٢) كذا في الأصل و(ب)، وفي (ف، ك، ح): «واستغاثوا»، و(ط): «واستغاثوا منه».

(٣) (ك): «وأمر من»، وكتب في الهامش أن (مجلس) لعلها: (مجلسًا).

ومعه جماعةٌ من أصحابه، قال: فجاء وجئتُ معه إلى موضعٍ ـ ذَكَره ـ في دار العدل، قال: فلما جلسنا استلقى الشيخُ على ظهره، وكان هناك حَجَر لأجل تثقيل الحصير، فأَخَذَه ووضعه تحت رأسه، فاضطجع قليلاً ثم جلس، وقال له إنسان: يا سيِّدي قد أكثرَ الناسُ عليك!

فقال: إنْ هُم إلَّا كالذُّباب، ورفع كفَّه إلى فيه ونفخَ فيه.

وقام، فقمنا[1] معه، حتَّى خرَجْنا، فأُتي بحصانٍ، فركِبَه وتحنَّك[2] بذؤابته، فلم أر أحدًا أقوى قلبًا منه[3] ولا أشدَّ بأسًا.

ولما[4] أكثروا الشِّكايَةَ منه والملام، [وأوسعوا من أجله الكلام][5]= رُسِم بتسفيره إلى بلاد الشام.

فخرج للسفر ليلة الخميس ثامن عشر[6] الشهر إلى جهة الشام، ثم رُدَّ في يوم الخميس المذكور، وحُبِس بسجن الحاكم بحارة الدَّيْلم، في ليلة الجمعة تاسع [عشر][7] شوال.

قال: [ق٩٦] ولما دخلَ الحبس وجد المحابيس مشتغلين بأنواعٍ من

---

(١) (ف، ك): «قال: وقام وقمنا».

(٢) (ك): «ويختل» تحريف.

(٣) تأخرت «منه» في غير الأصل إلى بعد «بأسًا».

(٤) (ف، ك): «قال: فلما».

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من (ف، ط).

(٦) غير الأصل: «ثاني عشر» خطأ بدليل ما بعده.

(٧) سقطت من الأصل و(ب).

اللَّعب يلتهون[1] بها عمَّا هم فيه، كالشِّطرنج والنَّرْدِ ونحو ذلك من تضييع الصلوات= فأنكر الشيخُ ذلك عليهم أشدَّ الإنكار، وأمرهم بملازمة الصلاة، والتوجُّه إلى الله بالأعمال الصالحة، والتسبيح والاستغفار والدُّعاء. وعلَّمهم من السُّنة ما يحتاجون إليه، ورغَّبهم في أعمال الخير، وحَضَّهم على ذلك، حتى صار الحبسُ بما[2] فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيرًا من كثير من[3] الزَّوايا والرُّبط والخوانق والمدارس، وصار خلقٌ من المحابيس إذا أُطْلقوا يختارون الإقامة عنده، وكثر المتردِّدون إليه حتَّى كان السِّجن[4] يمتلىء منهم.

فلما كَثُر اجتماعُ الناس به، وتردُّدُهم إليه، ساءَ ذلك أعداءَه، وحَصِرتْ صدورُهم. فسألوا نقله إلى الإسكندرية، وظنُّوا أنَّ قلوبَ أهلها عن محبَّته عَرِيَّة، وأرادوا أن يَبْعُد عنهم خبرُه، أو لعلهم يقتلوه[5] فينقطع أثرُه.

فأُرْسِل به إلى ثغر الإسكندرية، في ليلةٍ يُسْفر صباحُها[6] عن يوم الجمعة سلخ صفر من سنة تسع وسبعمائة.

---

(١) (ب): «يتلهون».

(٢) بقية النسخ: «مما».

(٣) «كثير من» سقطت (ك). و «من» من الأصل.

(٤) (ب): «إليه كان الحبس...».

(٥) بقية النسخ: «يقتلونه».

(٦) (ك): «صاحبها» تحريف.

[سجن الشيخ بالإسكندرية]

وذكر الشيخُ علم الدين[1] البرزاليُّ وغيره: أنَّ في شهر شوَّال من سنةِ سبعٍ وسبعمائة شكا شيخُ الصوفية بالقاهرة ـ كريم الدين الآملي[2]، وابنُ عطاءٍ[3]، وجماعةٌ نحو الخمسمائة ـ من الشيخ تقيِّ الدين وكلامه في ابن عربي وغيره إلى الدولة.

فرُدَّ[4] الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي.

وعُقِدَ له مجلسٌ وادَّعى عليه ابنُ عطاء بأشياءَ لم يثْبُت منها شيء[5]، لكنه قال: إنه لا يُستغاثُ إلَّا بالله، حتَّى لا يُستغاثُ[6] بالنبي ﷺ استغاثةً بمعنى العبادة، ولكن[7] يُتوسَّلُ به ويُتَشفَّع به إلى الله.

---

(١) في «المقتفي»: (٣/ ٣٧٩). و«علم الدين» ليست في (ف، ك).

(٢) هو: عبد الكريم بن الحسين أبو القاسم كريم الدين الآملي الصوفي، شيخ خانقاه سعيد السعداء، ثم عزل عنها بعد اتهام الصوفية له بأشياء قادحة. قال الذهبي: أثبت الصوفية فسقه من ستة عشر وجهًا. (ت ٧١٠)، انظر «أعيان العصر»: (٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤)، و«البداية والنهاية»: (١٨/ ٨٦، ١٠٨)، و«الدرر الكامنة»: (٢/ ٣٩٧).

(٣) هو: أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله تاج الدين أبو الفضل الشاذلي الصوفي، كان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه. (ت٧٠٩). انظر «الدرر الكامنة»: (١/ ٩٢)، و«المنهل الصافي»: (١/ ١٠٦).

(٤) (ف): «فردوا».

(٥) بقية النسخ: «شيء منها».

(٦) «إلا...يستغاث» سقطت من (ب).

(٧) (ف، ك): «ولكنه».

فبعضُ الحاضرين قال: ليس في هذا شيءٌ، ورأى قاضي القضاة بدر الدين أنَّ هذا فيه قلّة أدب.

فحضرتْ رسالةٌ إلى القاضي أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة[1] في ذلك، فقال القاضي: قد قلتُ له ما يُقال لمثله.

ثم إنَّ الدولةَ خيَّروه بين أشياء، وهي: الإقامة بدمشق، أو الإسكندرية بشروط، أو الحبس؟ فاختار الحبس.

فدَخَل عليه جماعةٌ في السفر إلى دمشق ملتزمًا ما شُرِط[2]، فأجابهم، فأرْكَبوه[3] خيلَ البريد ليلةَ الثامن عشر من شوَّال.

ثمَّ أُرْسِل خلْفَه من الغَدِ بريدٌ آخر، فرَدَّه، وحضر عند قاضي القضاة بحضور جماعة من الفقهاء، فقال بعضهم له: ما ترضى الدولة إلا بالحبس.

وقال قاضي القضاة[4]: وفيه مصلحةٌ له، واستناب شمس الدين التونسي[5] المالكي، وأَذِنَ له أن يحكم عليه بالحبس، فامتنع وقال: ما ثبت عليه شيءٌ.

---

(١) (ب): «الشرع».

(٢) (ب): «ملتزمًا بشرط».

(٣) (ف): «فأركبوهم».

(٤) «بحضور...القضاة» سقط من (ب).

(٥) الأصل: «التنوسي». وهو: محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام الربعي التونسي، كان مشاركًا في عدة فنون (ت٧١٥). انظر «الدرر الكامنة»: (٤/ ١٤٩-١٥٠)، و«الديباج المذهب»: (ص٣٢٣-٣٢٤).

فأذِنَ لنور الدين الزواوي المالكيّ[1]، فتحيَّر.

فقال الشيخ: أنا أمضي إلى الحبس وأتْبَع ما تقتضيه المصلحة.

فقال نور الدين ـ المأذون له في الحكم ـ: فيكون في موضعٍ يصلح لمثله.

فقيل له: ما ترضى الدولة إلا بمسمَّى الحبس، فأُرْسِلَ إلى حبس القاضي، وأُجْلِس [ق٩٧] في الموضع الذي أُجْلس فيه القاضي تقي الدين ابن بنت الأعزّ لما حُبِس[2]، وأُذِن في[3] أن يكون عنده من يخدمه.

وكان جميع ذلك بإشارة الشيخ نَصْر المنبجي ووجاهته في الدولة. واستمرَّ الشيخ في الحبس يُسْتَفْتى ويقصده الناس ويزورونه، وتأتيه الفتاوى المشكلة من الأمراء وأعيان الناس.

قال عَلَم الدين[4]: وفي ليلة الأربعاء العشرين من شوال من سنة ثمان

---

(١) «بالحبس... المالكي» سقط من (ف، ك). وهو: عيسى بن مسعود بن منصور المنجلاتي أبو الروح الحميري، تولى القضاء في عدة أماكن، وناب عن ابن مخلوف المالكي، ثم أقبل على التصنيف فألف في الحديث والفقه. (ت٧٤٣). انظر «الدرر الكامنة»: (٣/ ٢١٠-٢١١)، و«الديباج المذهب»: (ص١٨٢-١٨٤). وجاءت كنيته في المصادر «شرف الدين». وفي «نهاية الأرب ـ الجامع» للنويري (ص١٨٢) كما هنا.

(٢) هو: عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف العلَامي ـ بتخفيف اللام ـ الشافعي، ولي القضاء والوزارة، ووقعت له محنة كاد يتلف بسببها.. (ت٦٩٥). انظر «تاريخ الإسلام»: (٥٢/ ٢٦١-٢٦٢)، و«طبقات الشافعية»: (٨/ ١٧٠-١٧٣) للسبكي، وكان القاضي الأعزّ وزير الملك الكامل بن أيوب جده لأمه، فعُرِف بابن بنت الأعزّ.

(٣) ليست في(ف، ك).

(٤) في «المقتفي»: (٣/ ٤٠٣).

وسبعمائة طُلِب أخوا الشيخ تقيّ الدين، فوُجِد زين الدين وعنده جماعة، فرُسِّم عليهم، ولم يوجد شرف الدين، ثم أُطْلق الجماعةُ سوى زين الدين، فإنه حُمِل إلى المكان الذي فيه الشيخ، وهو قاعة الترسيم بالقاهرة، ثم إنه أُخْرِج في خامس صفر سنة تسع وسبعمائة.

قال[1]: وفي الليلة الأخيرة من شهر صفر هذا ـ وهي ليلة الجمعة ـ توجَّه الشيخُ تقيّ الدين من القاهرة إلى الإسكندريَّة مع أميرٍ مُقَدَّم، ولم يُمَكَّن[2] أحدٌ من جماعته من السفر معه. ووصل[3] الخبر إلى دمشق بعد عشرة أيام، فحصل التألّم لأصحابه ومحبِّيه. وضاقت الصدور، وتضاعف الدعاء له.

وبلغنا أنّ دخوله الإسكندرية كان يوم الأحد، دُخِل به[4] من باب الخوخة إلى دار السلطان، ونُقِلَ ليلًا إلى برجٍ في شرقي البلد.

ثم وصلت الأخبار أن[5] جماعةً من أصحابه توجَّهوا إليه بعد ذلك، وصار الناس يدخلون إليه، ويقرؤون عليه، ويبحثون[6] معه. وكان الموضع الذي هو فيه فسيحًا مُتَّسِعًا.

---

(١) في «المقتفي»: (٣/ ٤١٥).

(٢) الأصل و(ب): «يكن» خطأ.

(٣) (ف، ك): «ووصل هذا...».

(٤) «به» ليست في (ك).

(٥) (ب): «إلى».

(٦) (ف، ك): «ويتحدثون».

[كتاب شرف الدين ابن تيميّة إلى أخيه لأمه بدر الدين]

وقد رأيتُ كتابًا بخطِّ الشيخ[1] شرف الدين كتبه إلى أخيه بدر الدين بعد توجُّه الشيخ إلى الإسكندرية، يقول فيه:

من أخيه عبد الله ابن تيميَّة.

سلامُ الله[2] ورحمتُه وبركاته على الشيخ الإمام العالم الجليل[3] بدر الدين والى اللهُ عليه آلاءَه وأَتْبعها، وأسْبغَ عليه نعمَه ونَوَّعَها، وأباحَه مِنَنَه وأينعها[4]، وأيَّده بالقوَّة والتأييد لإقامة الحقّ على القريب والبعيد، غير مقصِّر ولا وانٍ، ولا مُفَتِّرٍ ولا متوانٍ بالرأي السديد، والعزم الوكيد. وجمعنا وإياه في هذه الدار على طاعته، وفي دار القرار في دار كرامته، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أهل ولايته، إنه ذو الفضل العظيم، والمنِّ الجسيم، والطَّوْل العميم.

أما بعد، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، وأصلِّي على سيِّد ولد آدم، وخيرِ خلقِ الله أجمعين، وسيِّد رُسُل ربِّ العالمين إلى الأسود والأحمر، والجنّ والإنس، بشيرًا للمؤمنين، ونذيرًا للكافرين= أتمَّ الصلاةِ وأفضلَها، وأشرَفَها وأكملَها، دائمةً إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) (ف) زيادة: «عليكم». و«ابن تيمية» ليست في (ب).

(٣) (ف، ك) زيادة: «الكبير».

(٤) (ط): «ومنحه..»، و(ف): «وأنبعها».

وبعد؛ فنحن والجماعة في نعم الله الكاملة، ومِنَنه الشاملة التي تفوق[1] العدَّ والإحصاء، وتعجزُ العقولُ عن تصوُّرها ودَرْكها، وتحسر[2] الألسنُ عن نعتها ووَصْفها فضلًا عن كتابتها. فنسأل الله [ق٩٨] العظيم أن يُوزِعَنا شكرَها، وأن يُدِيمها علينا وعلى جميع الإخوان والمؤمنين، إنه جوادٌ كريم[3].

فمنها: نزول الأخ الكريم بالثَّغْر المحروس، فإنَّ أعداءَ الله قصدوا[4] بذلك أمورًا يكيدون بها الإسلامَ وأهلَه، وظنوا أنَّ ذلك يحصل[5] عن قريب، فانقلبت عليهم مقاصدُهم الخبيثةُ المعلومةُ، وانعكست من كلِّ الوجوه، وأصبحوا وما زالوا عندَ الله وعند العارفين من المؤمنين سُوْدَ الوجوه، يتقطعون حسراتٍ وندمًا على ما فعلوه.

وأقبلَ أهلُ الثغر أجمعون إلى [الأخ] متقبِّلين[6] لما نذكره وننشره[7] من كتاب الله وسنة رسوله، والحطِّ والوقيعة في أعدائهما من أهل البدع والضلالات والكفر والجهالات. خصوصًا أخبث الملاحدة: الاتحادية[8] ثم الجهمية.

---

(١) (ك): «تفوت».

(٢) (ب): «وذكرها..»، و(ف، ك): «وتحصر».

(٣) (ب، ف، ك): «الجواد الكريم».

(٤) (ب): «فإنهم قصدوا».

(٥) (ب، ف) زيادة: «لهم».

(٦) «الأخ» سقطت من الأصل. وفيه و(ب): «منقلبين».

(٧) في غير الأصل: «يذكره وينشره».

(٨) (ف، ك): «والاتحادية».

واتفقَ أنه وجَدَ بها إبليس إلحادَهم قد باض وفرَّخ، ونصبَ بها عَرْشَه ودوَّخ، وأضلَّ بها فريقي السَّبْعينية والعربية[1]، فمزَّق الله بها بقدومه الثغرَ جموعَهم شَذَرَ مَذَرَ، وهتك أستارَهم وكشف رمزهم ـ الإلحاد والكفر ـ وأسرارَهم وفضحهم، واستتابَ جماعاتٍ منهم.

وتوَّبَ رئيسًا من رؤسائهم ـ وإن كان عند عباد الله المؤمنين حقيرًا ـ وصنَّف هذا التائبُ كتابًا في كشف كفرهم وإلحادهم، وكان من خواصِّ[2] اللعين عدوِّ الله ورسوله نُصَيْرٌ الملحِدُ[3]. واشتهر ذلك واستقرَّ عند عموم المؤمنين وخواصهم؛ من أمير وقاض وفقيه ومفتٍ[4] وشيخ وعموم المجاهدين، إلا من شذَّ من الأغمار الجهال مع الذلّة والصَّغار؛ حذرًا على نفسه من أيدي المؤمنين وألسنتهم.

وعَلَت كلمةُ الله بها على أعداء الله ورسوله، ولعِنوا لعنًا ظاهرًا في مجامع الناس بالاسم الخاصِّ، وصارَ بذلك عند نصيرٍ الملحدِ[5] المقيمُ المقعِدُ، ونزل به من الخوف والذُّلِّ ما لا يُعَبَّر عنه.

---

(١) يقصد بالسبعينية أتباع ابن سبعين (ت٦٦٩)، وبالعربية أتباع ابن عربي(ت٦٥٦). وتقدم التعريف بهما (ص٢٥٤).

(٢) (ف، ك): «خواص خواص».

(٣) (ف، ك، ح): «الملحدين». وفي هامش (ك): هو نصر المنبجي الاتحادي. وقد تقدمت ترجمته.

(٤) ضبطها في الأصل: «ومفتيٍّ».

(٥) في المطبوع: «الملحدين».

وهمَّ أن يكيد كيدًا آخر، فوقع ما وقع عندكم بالشام من الأمر المزعج، والكَرْب المقْلِق، والبلاء العظيم والذّلّ، واستعطاف[1] من كانوا لا يلتفتون إليه بالأموال والأنفس والتذلُّل، حتى رقَّ بعضُ الأصحابِ لهم، فزُجِر عن ذلك. وقيل له: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢] إلى أمور كثيرة من المِحَن والبلاء[2] مما لا يمكن وصفُه.

فنسألُ الله العظيم أن يعجِّل تمامَ النِّقْمة[3] عليهم، وأن يقطع دابرَهم، وأن يريح عبادَه وبلاده منهم، وأن ينصرَ دينَه وكتابَه ورسولَه وعبادَه المؤمنين[4] عليهم، وأن يُوزِعنا شكرَ هذه النعمة، وأن يتمَّها علينا وعلى سائر المؤمنين.

وغير خافٍ عنك سيرتُنا:

إذا أعجبتْكَ خصالُ امرئ ... فكُنْه يكن منك[5] ما يعجِبُك
فليسَ لدى المجد والمكرماتِ ... إذا جئتها حاجبٌ يحجُبُك[6]

---

(١) (ف): «واستضعاف».

(٢) سقطت من (ب).

(٣) (ك): «النعمة» وبهامشه: «لعله: النقمة». وهو الصواب.

(٤) ليست في (ف، ك).

(٥) سقطت من (ك)، وعلق في هامشها: لعله: (يكن منه) أو (فيه) أو ما يقاربه. أبو إسماعيل يوسف حسين، عُفي عنه.

(٦) البيتان لأبي العيناء «ديوانه»: (ص١٧)، وهو في «محاضرات الأدباء»: (١/ ٦١٠، ٦٣٧). ووقع في (ب): «فليس لذا»، و(ب، ف): «الحمد والمكرمات».

فأسأل الله العظيم أن يُغْنيك ويعينك[1]، ويمدَّك ويؤيدك بروح منه، وأن يُقرَّ بك أعينَ المؤمنين، وأن يُخْزيَ بك الكافرين[2] والمنافقين، وأن يوفقك لما يحبه ويرضاه، وأن يتولَّاك في جميع الأمور، ويعينك على القيام فيها بما يرضي اللهَ ورسولَه[3].

والسلام عليك[4] [ق٩٩] ورحمة الله وبركاته.

وعلى السَّعيدة الكريمة الطيبة التي رضي الله عنها وأرضاها، وجعل ـ بعد اجتماعنا بها ـ الجنةَ دارَها ومأواها[5]، وأراها وجْهَه الكريم في دار النعيم: الوالدةِ التي منحها الله في آخر عمرها هذه الكرامة العظيمة، والمنزلة الرفيعة، والدرجة العليَّة= أكمل[6] السلام وأنماه.

وعلى جميع الأهلِ والأصحابِ والإخوانِ[7]، والمعارفِ والجيرانِ، كبيرهم وصغيرهم، قريبهم وبعيدهم، كلِّ فردٍ فردٍ أتمُّ[8] السلام. وغير خافٍ عنهم العجزُ عن حصرهم. فالله تعالى يرضى عن جميعهم، ويجمعنا وإياهم ـ بعد نصر دين الله ورسوله ـ على ما يحبُّه ويرضاه.

---

(١) «يغنيك و» ليست في (ك).

(٢) بقية النسخ: «الكفار».

(٣) «بما يرضي الله ورسوله» ليست في (ب).

(٤) (ف): «عليكم».

(٥) (ب): «...الكريمة التي... الجنة مأواها..».

(٦) (ف، ك): «وأكمل».

(٧) بقية النسخ: «والإخوان والأصحاب».

(٨) (ف، ك) بدلًا منها: «له».

كُتِبَ والخاطرُ مشغولٌ بأمر المسلمين، لحدوثِ أمرٍ يذكره لكم الشيخ عبد الله[1].

والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا.

***

قلتُ: بقي الشيخُ بثغر الإسكندرية ثمانية أشهر، مقيمًا ببرجٍ مليحٍ نظيف له شُبَّاكان: أحدهما إلى جهة البحر، يدخلُ إليه من شاء، ويتردَّدُ[2] إليه الأكابرُ والأعيانُ والفقهاءُ، يقرأون عليه، ويبحثون معه، ويستفيدون منه.

[إحضار الشيخ إلى القاهرة ولقاؤه بالملك الناصر]

فلما دخل السلطانُ الملك[3] الناصر إلى مصر، بعد خروجه من الكرك، وقدومه إلى دمشق، وتوجّهه[4] منها إلى مصر ـ وكان دخوله[5] إليها يوم عيد الفطر، من سنة تسعٍ وسبعمائة ـ نفَّذ لإحضار الشيخ من الإسكندرية في اليوم الثامن من شوال.

وخرج الشيخُ منها متوجِّهًا إلى مصر، ومعه خلقٌ من أهلها يودِّعونه،

---

(١) كذا! وعبد الله هو كاتب هذه الرسالة، فلعله: عبد الرحمن. أو شخص آخر أرسلت معه الرسالة أو غيره.

(٢) (ب): «وتردد».

(٣) ليست في (ك).

(٤) (ب، ف، ك): «وتوجه».

(٥) (ط) : «قدومه».

ويسألون الله أن يردَّه إليهم، وكان وقتًا مشهودًا.

ووصل إلى القاهرة يومَ السبت ثامن عشر الشهر، واجتمع بالسلطان في يوم الجمعة الرابع والعشرين منه، وأكرمه وتلقَّاه في مجلس حَفِل[1]، فيه قضاةُ المصريين والشاميين والفقهاء، وأصلَحَ بينه وبينهم.

ولقد أخبرني بعضُ أصحابنا[2] قال: أخبرني القاضي جمالُ الدين بن القلانسي، قاضي العساكر المنصورة، فيما تذاكرتُ أنا وهو ذات ليلة؛ حينَ كان الشيخُ تقيّ الدين ـ رحمه الله ـ معتقلًا[3] في القلعة المنصورة[4]، وقد أشاع بعضُ الجهلة، وأرجفَ بعضُ المبغضين للسُّنَّة بأخبارٍ مُخْتَلَقَة[5] لا حقيقة لها، لكن وقعَ في نفوس أصحابِ الشيخ من ذلك ما يلقيه الشيطانُ في قلب الإنسان، وما ذاك إلا من شِدَّة الشَّفَقة والمحبّة.

فقلت له ـ فيما تحدَّثْنا به ـ : إنَّ الناسَ يقولون: كَيتَ وكَيتَ، وأنَّ الشيخَ ربّما يخرج من القلعة، ويُدَّعَى عليه، ويُعزَّر ويُطاف به.

فقال: يا فلان هذا لا يقع منه شيءٌ، ولا يسمحُ السلطان ـ خلَّد الله سعادته ـ

---

(١) (ف): «في حفل».

(٢) لعله الحافظ ابن كثير، انظر «البداية والنهاية»: (١٨/ ٩٢- ٩٥). والقلانسي هو: أحمد بن محمد بن محمد التميمي الدمشقي الشافعي، تُولي عدة مناصب منها قضاء العسكر، (ت٧٣١). انظر «أعيان العصر»: (١/ ٣٦١ ـ ٣٦٢)، و«البداية والنهاية»: (١٨/ ٣٤١)، و«الدرر الكامنة». (١/ ٣٠٠ ـ ٣٠١).

(٣) «رحمه الله» ليست في (ف، ك). و«معتقلًا» ليست في (ب).

(٤) (ف، ك) زيادة: «يعني في قلعة دمشق». وكتب فوقها في (ف): كذا.

(٥) في النسخ بالفاء «مختلفة» ولعل الصواب ما أثبت بدليل قوله: لاحقيقة لها.

بشيءٍ من ذلك، وهو أعلمُ بالشيخ من كلِّ هؤلاء، وبعلمه ودينه[(١)].

ثم قال: أُخبرك بأمرٍ عجيبٍ وقع من السلطان في حقِّ الشيخ تقيّ الدين، وذلك حين توجَّه السلطانُ إلى الديار المصرية ومعه القضاةُ والأعيان ونائبُ الشام الأفرم. فلما دخل الديار المصرية [ق١٠٠] وعاد إلى مملكته، وهربَ سلَّار والششنكير، واستقرَّ أمرُ السلطان= جَلَسَ يومًا في دَسْتِ السلطنة، وأُبَّهَةِ المُلْكِ[(٢)]، وأعيانُ الأمراءِ من الشاميين والمصريين حضورٌ عنده، وقضاة مصر عن يمينه، وقضاة الشام عن يساره، ـ وذكر لي كيفية جلوسهم منه بحسب[(٣)] منازلهم ـ.

قال: وكان من جملة من هناك ابن صَصْرى عن يسار السلطان، وتحته الصَّدْر علي قاضي الحنفية[(٤)]، ثم بعده الخطيب جلال الدين، ثم بعده ابن الزَّمْلَكاني.

قال[(٥)]: وأنا إلى جانب ابن الزَّمْلَكاني والناسُ جلوسٌ خلفه، والسلطانُ على مَقْعد مرتفعٍ، فبينما الناسُ كذلك[(٦)] جلوسٌ؛ إذ نهض السلطانُ قائمًا،

---

(١) (ف): «ويعلمه دينه» تحريف.

(٢) العبارة في (ك): «والشنكير ...جلسا يوم دست السلطنة..». ووقع في (الأصل، وب): «وأئمة الملك».

(٣) (ف، ك): «كحسب».

(٤) هو: علي بن أبي القاسم بن محمد صدر الدين أبو الحسن البصروي الحنفي (ت٧٢٧). ترجمته في «أعيان العصر»: (٣/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣)، و«الدرر الكامنة»: (٣/ ٩٦ ـ ٩٧).

(٥) من الأصل.

(٦) (ف): «على ذلك».

فقام الناسُ، ثم مشى السلطانُ، فنزل عن تلك المقعدة، ولا ندري[1] ما به، وإذا بالشيخ تقيّ الدين ابن تيميَّة ـ رحمه الله ـ مُقْبِل من الباب والسلطانُ قاصِدٌ إليه، فنزل السلطانُ عن الإيوان، والناسُ قيام[2] والقضاةُ والأمراءُ والدولةُ، فتسالم هو والسلطان وتكَارَشا[3]، وذهبا إلى صُفَّةٍ في ذلك المكان فيها شُبَّاك إلى بستان، فجلسا فيها حينًا، ثم أقبلا ـ ويدُ الشيخ في يد السلطان ـ فقام الناس، وكان قد جاء في غَيْبة السلطان تلك الوزيرُ فخرُ الدين ابن الخليلي[4]، فجلس عن يسار السلطان فوق ابن صَصْرى.

فلما جاء السلطانُ قَعَد على [مقعدته، وجاء الشيخُ تقيُّ الدين فجلسَ بين يدي السلطان على طرف][5] مقعدته متربِّعًا.

فشرعَ السلطانُ يُثْني على الشيخ عند الأمراء والقضاة بثناءٍ ما سمعتُه من

(١) (ب): «يدرى».

(٢) (ف، ك): «قاصد فنزل...والناس والقضاة».

(٣) في بعض المصادر «تعانقا وتكارشا» والتعانق معروف، والتكارش أو المكارشة: أن يلتقي المسافر بالشخص المستقبل له، فيلصق كل منهما بطنه ببطن الآخر بحركات رشيقة. وهي عادة معروفة في العصر المملوكي، على ما يفهم من بعض المصادر. انظر «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (ص١٤٣) لدهمان، و«معجم المصطلحات التاريخية» (ص٤٠٥) للخطيب، و«تكملة تاج العروس» (ص٢٨٤) لوهيب دياب. وذكر دهمان في معجمه وفي تعليقه على «إعلام الورى» (ص٤٠) لابن طولون: أنه شاهد اثنين من رجال الهند يلتقيان ويتكارشان، قال: وهذه العادة غير معروفة في بلادنا اليوم. اهـ. وانظر «الوافي بالوفيات»: (١٦/ ٢٩٢) للصفدي، و«عقد الجمان»: (١/ ٢٠٠) للعيني.

(٤) (ف، ك): «الخليل». وهو: عمر بن عبد العزيز بن الحسن الداري (ت٧١١). انظر «أعيان العصر»: (٣/ ٦٣٥-٦٣٨).

(٥) (ف، ك): «جلس على...». وما بين المعكوفين سقط من الأصل، وهو انتقال نظر.

غيره قطّ، وقال كلامًا كثيرًا، والناس يقولون[1] معه ومثله، والقضاةُ[2] والأمراءُ.
وكان وقتًا عجيبًا! وذلك مما يسوء كثيرًا من الحاضرين من أبناء جنسه.

وقال في الشيخ من الثناء والمبالغة مالا يقدر أحدٌ من أخصِّ أصحابه أن يقوله.

ثم إنَّ الوزير أنهى إلى السلطان: أنَّ أهلَ الذِّمّة قد بذلوا للديوان في كلِّ سنةٍ سبعمائة ألف درهم، زيادة على الجالية[3]، على أن يعودوا إلى لبس العمائم البيض المعلَّمة بالحُمرة والصُّفْرة والزُّرْقة، وأن يُعْفَوا من هذه العمائم[4] المصَبَّغة كلِّها بهذه الألوان، التي ألزمهم بها ركن الدين الشاشنكير.

فقال السلطان للقضاة ومَنْ هناك: ما تقولون؟

فسكت الناس!

فلما رآهم الشيخُ تقيُّ الدين سكتوا، جثا على ركبتيه، وشرع يتكلَّم مع السلطان في ذلك بكلامٍ غليظٍ، ويردُّ ما عرضَه الوزيرُ عنهم ردًّا عنيفًا، والسلطانُ يُسَكِّتُه بترفُّق وتُؤَدَة وتوقير. وبالغ[5] الشيخُ في الكلام، وقال مالا يستطيعُ أحدٌ أن يقوم بمثله ولا بقريبٍ منه، حتَّى رجع السلطانُ عن ذلك، وألزمهم بما هم عليه، واستمرُّوا على هذه الصِّفة.

---

(١) (ف، ك): «تقول».

(٢) (ف، ك): «ومثله القضاة».

(٣) الجالية: هو ما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية المقررة عليهم كل سنة. انظر «صبح الأعشى»: (٣/ ٤٥٨).

(٤) «البيض...العمائم» سقط من (ف).

(٥) (ف، ك): «فبالغ».

فهذه من حسنات الشيخ تقيّ الدين ابن تيميَّة رحمه الله[١].

قال: هذا مُلَخَّص ما أخبرني به رحمه الله.

وكنت جلستُ يومًا إلى قاضي القضاة صدر الدين، قاضي الحنفية، فقال لي وهو يضحك: تحبُّ الشيخَ تقيَّ الدين ابن تيميَّة؟

فقلت: نعم.

فقال: والله تحبُّ شيئًا مليحًا، وحكى لي قريبًا مما ذكر ابن القلانسي، لكن سياق ابنِ القلانسي أبْسَط وأتمّ.

***

[عفو شيخ الإسلام عمن ظلمه]

وسمعتُ الشيخَ تقيَّ الدين ابن تيميَّة رحمه الله يذكر أنَّ السلطانَ ـ لما جلسا[٢] بالشباك ـ أخرج[٣] فتاوى لبعض الحاضرين في قتله، واستفتاني[٤] في قتل بعضهم.

قال: ففهمتُ مقصودَه، وأنَّ عنده حَنَقًا شديدًا عليهم، لمَّا خَلعوه، وبايعوا الملكَ المظفَّرَ ركنَ الدين بيبرس الشاشنكير.

فشرعتُ في مدحهم والثناء عليهم وشكرهم، وأنَّ هؤلاء لو ذهبوا لم

---

(١) (ف، ك): «ورضي عنه آمين».

(٢) بقية النسخ: «جلسنا».

(٣) (ف، ك) زيادة: «من جيبه».

(٤) (ف): «واستفتا». (ك): «واستفتاء».

تجد مثلَهم في دولتك، وأنا[1] فَهُم في حلٍّ من حقِّي ومن جهتي، وسكَّنْتُ ما عندَه عليهم.

قال: فكان القاضي زينُ الدين ابنُ مخلوف ـ قاضي المالكية ـ يقولُ بعد ذلك: ما رأينا أفْتى[2] من ابن تيميَّة، لم نُبْقِ ممكنًا في السَّعْي فيه، ولما قَدَر علينا عفا عنَّا.

ثم إنَّ الشيخَ رحمه الله ـ بعد اجتماعه بالسلطان ـ نزلَ إلى القاهرة، وسكن بالقرب من مَشْهد الحسين، وعاد إلى بثِّ العلم[3] ونشره، والخلقُ يشتغلون عليه ويقرؤون، ويستفتونَه ويجيبهم بالكلام والكتابة، والأمراءُ والأكابرُ والناسُ يتردَّدون إليه، وفيهم من يعتذرُ إليه ويتنصَّل مما وقع، فقال: قد جعلتُ الكلَّ في حلٍّ مما جرى.

[كتاب الشيخ إلى أصحابه وأقاربه بدمشق]

وبعثَ الشيخُ كتابًا إلى أقاربه وأصحابِه بدمشق، يَذْكُر ما هو فيه من النعمة[4] العظيمة والخير الكثير، ويطلب فيه جملةً من كتبِ العلم يُرْسَل بها إليه.

وقال في هذا الكتاب:

تعلمون أنَّا بحمد الله في نِعَم عظيمة، ومِنَنٍ جسيمة، وآلاءٍ متكاثرة، وأيادٍ

---

(١) (ب): «وأما أنا»، (ك): «أو أنا».

(٢) من الفتوّة، وهي: الحرية والكرم. وغيَّرها في (ط) إلى: «أتقى».

(٣) سقطت من (ف).

(٤) (ف، ك): «النعم».

متظاهرة. لم تكن تخطر[1] لأكثر الخلق ببالٍ، ولا تدور لهم في خيال. والحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحبه ربنا ويرضاه ... إلى أن قال: والحقُّ دائمًا في انتصار وعلوٍّ وازدياد، والباطل في انخفاض وسَفال وَنَفاد. وقد أخضع الله رقابَ الخصوم وأذلَّهم غايةَ الذلِّ[2]، وطلب أكابرهم من السِّلم والانقياد ما يطولُ وصفُه.

ونحن ـ ولله الحمد ـ قد اشترطنا عليهم في ذلك من الشروط ما فيه عزُّ الإسلام والسُّنة، وانقماعُ الباطل والبدعة، وقد دخلوا في ذلك كلِّه؛ وامتنعنا حتى يَظْهَر ذلك إلى الفعل، فلم نثق لهم بقولٍ وعهد[3]، ولم نُجِبْهم إلى مطلوبهم حتى يصير المشروط معمولًا، والمذكور مفعولًا، ويظهر من عزِّ الإسلام والسنة للخاصَّة والعامَّة ما يكون من الحسنات التي تمحو سيئاتهم. وقد أيَّد[4] الله من الأسباب التي فيها عزُّ الإسلام والسنة، وقَمْع الكفر والبدعة، بأمورٍ يطولُ وصفُها في كتابٍ.

وكذلك جرى من الأمور التي فيها[5] عزُّ الإسلام وقمع اليهود والنصارى، بعد أن كانوا قد استطالوا وحصلت لهم شوكة، وأعانهم من أعانهم على أمرٍ فيه ذُلٌّ كبير من المسلمين[6]، فلطفَ الله باستعمالنا في

---

(١) (ف): «يكن يخطر».

(٢) (ب): «الذلة».

(٣) (ف، ك): «ولا عهد».

(٤) (ف، ك): «أمد».

(٥) بقية النسخ: «جرى من الأسباب»، (ف، ك): «التي هي».

(٦) (ب): «ذل كثير». (ف، ك، ح): «من الناس».

بعض ما أمرَ الله به ورسولُه. وجرى في ذلك مما فيه عزّ المسلمين، وتأليف قلوبهم، وقيامهم على اليهود والنصارى، وذلّ المشركين وأهل الكتاب، مما هو من أعظم نِعَم الله على عباده المؤمنين. ووَصْفُ هذا يطول.

وقد أرسلت إليكم كتابًا أطلبُ ما صنَّفْته في أمر الكنائس، وهي كراريس بخطي، قَطْعِ [ق١٠٢] النصف[١] البلدي، فترسلون ذلك إن شاء الله تعالى، وتستعينون على ذلك بالشيخ جمال الدين المِزِّي، فإنه يُقلِّبُ الكتبَ ويخرجُ المطلوب. وترسلون أيضًا من تعليق القاضي أبي يعلى الذي بخطِّ القاضي أبي الحسين، إنْ أمكنَ الجميع، وهو أحدَ عشر مجلدًا، وإلَّا فمن أوله مجلدًا، أو مجلَّدين[٢]، أو ثلاثة.

وذكر كُتُبًا أُخر[٣] يطلبها منهم.

ولم يزل الشيخُ مستمرًّا على عادته من إشغال الناسِ[٤] ونَفْعهم وموعظتِهم، والاجتهادِ في سَبِيْل[٥] الخير.

***

(١) (ف، ك): «نصف».

(٢) (ب): «مجلد أو مجلّدان».

(٣) «أخر» ليست في (ف، ك). وكان كتبها في الأصل «كتابا آخر» ثم أصلحا في الهامش.

(٤) (ك): «اشتغال». وأصلحها في (ط): «الاشتغال بتعليم».

(٥) (ف، ك): «سبل».

[قيام جماعة على أذية الشيخ وعفوه عنهم]

فلما كان في شهر[1] رجب من سنة إحدى عشرةَ وسبعمائة، جاءَ رجلٌ ـ فيما بلغني ـ إلى أخيه الشيخ شرف الدين، وهو في[2] مسكنه بالقاهرة، فقال له: إن جماعةً بجامع مصر قد تعصَّبوا على الشيخ، وتفرَّدوا به[3] وضربوه.

فقال: حسبُنا الله ونعم الوكيل! وكانَ بعضُ أصحابِ الشيخ جالسًا عند شرف الدين. قال: فقمتُ من عنده وجئتُ إلى مصر، فوجدتُ خلقًا كثيرًا من الحُسَيْنية[4] وغيرها رجالًا وفرسانًا يسألون عن الشيخ، فجئتُ فوجدْتُه بمسجدِ الفخر كاتب المماليك على البحر، واجتمعَ عندَه جماعةٌ، وتتابع الناسُ، وقال له بعضهم: يا سيِّدي! قد جاء خلقٌ من الحسينية، ولو أمرتهم أن يهدموا مصر كلَّها لفعلوا.

فقال لهم الشيخ: لأيِّ شيءٍ[5]؟

قالوا[6]: لأجلك.

---

(١) (ف، ط): «رابع شهر».

(٢) «في» ليست في (ف، ك).

(٣) «به» ليست في (ف، ك).

(٤) الحسينية: نسبة إلى طائفة من عبيد الشراء، وقيل إلى جماعة من الأشراف الحسينيين، سكنوا في عدة حارات بالقاهرة سميت بـ«الحسينية». انظر «خطط المقريزي»: (٢/ ٢٠-٢١).

(٥) (ب) زيادة: «جئتم».

(٦) (ف، ك): «قال».

فقال لهم: هذا ما يجوز.

قالوا: فنحنُ[1] نذهبُ إلى بيوت هؤلاءِ الذين آذوك، فنقتلهم ونخرِّب دورهم. فإنَّهم شَوَّشوا على الخلق، وأثاروا هذه الفتنة على الناس.

فقال لهم: هذا ما يحلّ.

قالوا: فهذا الذي قد فعلوه معكَ يحلّ؟ هذا شيءٌ لا نصبرُ عليه، ولا بدَّ أن نروح إليهم ونقاتلهم على ما فعلوا.

والشيخ ينهاهم ويزجرهم.

فلما أكثروا في القول قال لهم: إمَّا أن يكون الحقُّ لي أو لكم أو لله، فإنْ كانَ الحقُّ لي فهم في حلٍّ منه، وإن كان لكم، فإنْ لم تسمعوا منِّي ولا تستفتوني، فافعلوا ما شئتم[2]، وإنْ كان الحقُّ لله، فالله يأخذُ حقَّه كما يشاء إن شاء[3].

قالوا: فهذا الذي فعلوه معك هو حلال لهم؟!

قال: هذا الذي فعلوه قد يكونون مثابين عليه مأجورين فيه.

قالوا: فتكونُ أنتَ على الباطل وهم على الحقّ؟ فإذا كنتَ تقول: إنَّهم مأجورون فاسمع[4] منهم ووافقهم على قولهم!

---

(١) (ف، ك): «فقالوا نحن».

(٢) (ف، ك): «فلا تستفتوني». (ب): «وافعلوا».

(٣) (ف، ك): «إن شاء كما يشاء».

(٤) غير الأصل: «مأجورين». و(ف، ح): «فاستمع».

فقال لهم: ما الأمرُ كما تزعمون، فإنهم قد يكونون مجتهدين مخطئين، فَفَعَلوا ذلك باجتهادٍ[1]، والمجتهدُ المخطئ له أجرٌ.

فلما قال لهم ذلك. قالوا: فقُمْ واركب معنا، حتى تجيء[2] إلى القاهرة.

فقال: لا. وسأل عن وقت العصر؟ فقيل له: إنه قريب، فقام قاصدًا إلى الجامع لصلاة العصر.

فقيل له: يا سيّدي قد تواصَوا عليك ليقتلوك. وفي الجامع قد يتمكَّنون منك، بخلاف غيرِه، فصَلِّ حيثُ كان.

فأبى إلا المضيَّ إلى الجامع والصلاة فيه، فخرج وتبعه خَلْق كثير لا يرجعون عنه، فضاقت الطريق بالناس، فقال له من كان قريبًا منه: ادخل إلى هذا المسجد ـ مسجدٍ في الطريق ـ واقعد فيه حتَّى يخفّ الناسُ، لئلَّا يموتَ أحدٌ من الزحام.

فدخل ولم يجلس فيه، ووقف وأنا معه. فلما خفَّ الناسُ خرج يطلب الجامع العتيق، فمرَّ في طريقه على قوم يلعبون بالشِّطْرنج على مَسْطَبة بعض حوانيت الحدَّادين، فنفض الرُّقعة وقلبها، فَبُهِت[3] الذي يلعب بها والناسُ من فعله ذلك.

ثم مشى قاصدًا للجامع، والناسُ يقولون: هنا يقتلونه، الساعة يقتلونه.

---

(١) (ب، ك): «باجتهادهم».

(٢) (ف، ك): «نجيء».

(٣) ضبطها في الأصل «فبُهِتَ، فبَهَتَ» وكتب فوقها: معًا.

فلما وصل [ق١٠٣] إلى الجامع قيل: الساعة يُغْلَق الجامعُ عليه وعلى أصحابه ويُقْتَلون، فدخل الجامعَ ودخَلْنا معه، فصلَّى ركعتين، فلما سلَّم منها[١] أذَّن المؤذِّن بالعَصْر، فصلَّى العصرَ، ثم افتتح بقراءة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢]، ثم تكلَّم في المسألة التي كانت الفتنةُ بسببها إلى أذان المغرب.

فخرج أتباعُ خصومه وهم يقولون: والله لقد كُنَّا غالطين في هذا الرجل بقيامنا عليه، والله إنَّ الذي يقوله هذا هو الحق. ولو تكلَّم هذا بغير الحقِّ لم نُمهله إلى أن يسكت، بل كنَّا نبادر إلى قتله، ولو كان هذا يبطن[٢] خلافَ ما يظهر لم يَخْفَ علينا، وصاروا فرقتين يخاصمُ بعضُهم بعضًا.

قال: ورُحْنا مع الشيخ إلى بيت ابن عمه على البحر فبِتْنا عنده.

***

[أذيّة أخرى للشيخ]

وقال الشيخ عَلَم الدين[٣]: وفي العشر الأوسط من رجب من سنة إحدى عشرة[٤]، وقع أذًى في حقِّ الشيخ تقيّ الدين بمصر، وظَفِر به بعض المبغضين له في مكان خالٍ، وأساءَ عليه الأدب. وحضرَ جماعةٌ كثيرة من الجند وغيرهم إلى الشيخ بعد ذلك لأجل الانتصار له، فلم يُجِب إلى ذلك.

---

(١) بقية النسخ: «منهما».

(٢) «يبطن» سقطت من (ف).

(٣) في كتاب «المقتفي»: (٤/ ٣٢).

(٤) (ف): «وسبعمائة».

وكتبَ إليَّ المقاتلي[1] يذكُرُ أنَّ ذلك وقعَ من فقيهٍ[2] بمصر، يُعْرف بالبكري[3]، حصل منه إساءة أدب، ثم بعد ذلك طُلِبَ وتُودر[4]، وشَفَعَ فيه جماعةٌ، والشيخُ ما تكلَّم ولا اشتكى، ولو حصل منه شكوى أُهِيْن ذاك[5] غاية الإهانة، لكن قال: أنا ما أنتصرُ لنفسي.

وأقام الشيخُ بعد هذا مدةً بالديار المصرية.

---

(١) هو: عثمان بن بلبان فخر الدين الرومي المقاتلي الدمشقي (ت٧١٧) من أقران الذهبي ذكره في «معجم شيوخه»: (١/ ٤٣٣). وانظر «الدرر الكامنة»: (٢/ ٤٣٩).

(٢) «من فقيه» سقطت من (ف).

(٣) تحرفت في (ف، ك، ط): «بالمبدي». والبكري هو: علي بن يعقوب بن جبريل البكري نور الدين أبو الحسن المصري الشافعي (ت٧٢٤)، له رد على شيخ الإسلام في مسألة الاستغاثة، قال ابن كثير: «وما مثاله إلا مثال ساقية ضعيفة كَدِرة لاطمت بحرًا عظيمًا صافيًا، أو رملة أرادت زوال جبل. وقد أضحك العقلاء عليه». وقد ردّ عليه شيخ الإسلام في كتابه المعروف بـ«الرد على البكري» ويعرف بـ«الاستغاثة». وقد وقعت له حادثة أخرى مع السلطان همّ فيها بقتله. انظر «الدرر الكامنة»: (٣/ ١٣٩-١٤١)، و«البداية والنهاية»: (١٨/ ٢٤٦-٢٤٧).

(٤) هكذا في الأصل و(ب)، وفي (ف): «وتورّد»، و(ك، ط، والمقتفى): «وتودّد». ووجه ما في الأصل أنها من (ودَر) يقال: ودره توديرًا إذا أوقعه في مهلكة، ويقال: وُدِّر فلان إذا غُيِّب، وودّره الأمير وأمر به أن يودّر، إذا غرَّبه وطرده عن البلد. انظر «أساس البلاغة»: (ودر)، و «التاج»: (٧/ ٥٨٧). واقترح د. الإصلاحي أن تكون محرفة عن «نودي عليه» وسقطت «عليه».

(٥) (ف): «أهين على ذلك».

[عودة الشيخ إلى الشام]

ثم إنَّه توجَّه إلى الشام صحبةَ الجيش المصري قاصدًا الغزاة[1]. فلما وصل معهم إلى عسقلان توجَّه[2] إلى بيت المقدس، وتوجَّه منه إلى دمشق، وجعل طريقَه على عَجْلون وبعض بلاد السَّواد وزُرَع.

ووصل إلى دمشق[3] في أول يومٍ من شهر ذي القَعْدة سنة[4] اثنتي عشرة وسبعمائة، ومعه أخواه وجماعةٌ من أصحابه. وخرَجَ خلقٌ كثير لتلقِّيه، وسُرُّوا سرورًا عظيمًا بمقدَمه وسلامته وعافيته.

وكان مجموع غَيبته عن دمشق سبعَ سنين وسبعَ جُمَع.

وقد توفي في أثناء غيبة الشيخ عن دمشق غيرُ واحدٍ من كبار أصحابه وساداتهم.

منهم: الشيخُ الإمامُ القدوة الزاهد العابد[5] العارف عمادُ الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي، المعروف بابنِ شيخِ الحزَّامين[6]. توفي يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر من

---

(١) (ف): «القراه». (ك): «الفُراة» كلاهما تحريف.

(٢) (ب): «توجّه الشيخ».

(٣) «وجعل... دمشق» سقط من (ف).

(٤) (ف، ك): «من سنة».

(٥) ليست في (ف، ك).

(٦) الأصول: «الحزاميين». وصوابه ما أثبت. انظر «توضيح المشتبه»: (٣/ ١٦٥) لابن ناصر الدين. وترجمته في «معجم الشيوخ»: (١/ ٢٩-٣٠) للذهبي، و«المقتفى»: (٤/ ١٩-٢٠) للبرزالي، و«أعيان العصر»: (١١/ ١٥٣-١٥٤) للصفدي. وله مصنفات ورسائل =

سنة إحدى عشرة وسبعمائة.

وكان رجلًا صالحًا ورعًا، كبيرَ الشَّأْن، منقطعًا إلى الله، متوفِّرًا على العبادة والسلوك.

وكان قد كتَبَ رسالةً وبعثها إلى جماعةٍ من أصحاب الشيخ وأوصاهم فيها بملازمة الشيخ، والحثِّ على اتباع طريقه[1]، وأثنى فيها على الشيخ ثناءً عظيمًا.

وهذه نسخةُ الرسالة التي كتبها:

[التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار][2]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وسبحانَ الله وبحمده، وتقدَّس في علوِّه وجلالِه، وتعالى في صفاتِ كماله، وتعالى[3] في سُبُحات فَرْدانيته و جماله، وتكرَّم في إفضاله ونواله[4]، جلَّ أن يُمَثَّل بشيءٍ من مخلوقاته، أو يحاط[5] به، بل هو المحيط بمبتدعاته، لا تصوره الأوهام، ولا تُقِلُّه الأجرام، ولا تَعقل كُنْهَ ذاته

= عديدة تزيد على الخمسين، وقد اعتنى بها الأستاذ البحّاثة أبو الفضل القونوي يسّر الله طباعتها.

(١) (ف، ك): «طريقته».

(٢) هذه التسمية لمؤلف الرسالة كما نص عليه في آخرها. انظر (ص٣٨٩). وقد طبعت مرارًا مفردة، وطبعت ضمن «الجامع لسيرة شيخ الإسلام»: (ص١٠٩-١٣١).

(٣) كذا في الأصل، وبقية النسخ: «وتعاظم».

(٤) (ك): «وجماله ونواله».

(٥) الأصل: «يخاطب»، وكتب الناسخ في الهامش: «أظنه: يحاط» وهو الصواب.

البصائر ولا الأفهام.

الحمد لله مؤيّد[1] الحقِّ وناصره، ودافعِ[2] الباطل وكاسره، ومُعِزِّ الطائع [ق١٠٤] وجابره، ومُذِلِّ الباغي وداثره، الذي سعد بحضرة[3] الاقتراب من قدسه من قام بأعباء الاتباع في بنائه وأُسِّه، وفاز بمحبوبيّته في ميادين أُنسه مَن بَذَلَ ما يهواه في طلبه من قلبه وحِسِّه، وتَثَبَّت في مَهامِهِ[4] الشكوك منتظرًا زوالَ لَبْسِه، سبحانه وبحمده، وله[5] المثل الأعلى، والنور الأتمّ الأجلى، والبرهان الظاهر في الشريعة المُثلى.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي شَهِدَت بوحدانيته الفِطَر، وأَسْلم لربوبيّتِهِ ذوو العقل والنظر، وظهرت أحكامُه في الآي والسُّوَر، وتمَّ اقتدارُه في تنزُّل القدر.

وأشهدُ أنَّ محمدًا ﷺ عبدُه ورسولُه، الذي شهدت بنبوَّته الهواتف والأحبار، فكان قبل ظهوره يُنْتَظر[6]، وتلاحقت عند مبعثه معجزاته من حَنِيْن الجِذْع وانقياد الشَّجَر، صلواتُ الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الخشية والحَذَر، والعلم المنوَّر، فهم قُدْوَة التابع للأثر.

---

(١) الأصل: «مريد» والمثبت من بقية النسخ.

(٢) (ف، ك): «ودامغ».

(٣) (ف): «بخطوة».وأصلحها في (ط): «بحظوة».

(٤) (ب): «ويثبت».(ف): «وثبتت في مهابة».

(٥) (ف، ك): «له».

(٦) (ب): «وكان...تنتظر». و «ينتظر» سقط من (ف).

وبعد؛ فهذه رسالةٌ سطرها العبدُ الضعيف الراجي رحمةَ ربِّه وغفرانه، وكرمه وامتنانه: أحمد بن إبراهيم الواسطي ـ عامله الله بما هو أهله، فإنه أهل التقوى والمغفرة[١] ـ إلى إخوانه في الله، السادةِ العلماءِ، والأئمةِ الأتقياء، ذوي العلم النافع، والقلب الخاشع، والنور الساطع، الذين كساهم الله كسوة الاتّباع، وأرجو من كرمه أن يحقِّقهم بحقائق الانتفاع:

السيّد الأجلّ العالم الفاضل، فخر المحدِّثين ومصباح المتعبِّدين المتوجِّه إلى ربِّ العالمين؛ تقي الدين أبي حفص عُمر بن عبد الله[٢] بن عبد الأحد بن شُقَيْر[٣].

والشيخ الأجلّ، العالم الفاضل، السَّالك الناسك ذي العلم والعمل، المكتسي من الصفات الحميدة أجملَ[٤] الحُلل، الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الأحد الآمِدي[٥].

والسيّد الأخ، العالم الفاضل، السَّالك الناسك، التقيّ الصالح، الذي سيماء نور قلبه لائح على صفحات وجهه؛ شرف الدين محمد بن المنجَّى[٦].

والسيّد الأخ، الفقيه العالم، النبيل الفاضل، فخر المحدِّثين[٧]؛

---

(١) (ف، ك): «وأهل المغفرة».

(٢) «بن عبد الله» سقط من (ب).

(٣) ترجمته في «أعيان العصر»: (٣/ ٦٣٢)، و«المنهج الأحمد»: (٥/ ٨٠).

(٤) (ف): «الجميلة وأجمل».

(٥) ترجمته في «معجم الشيوخ»: (٢/ ١٩٠) للذهبي، و«الدرر الكامنة»: (٤/ ١٥٤).

(٦) ترجمته في «الذيل على طبقات الحنابلة»: (٤/ ٤٥٦).

(٧) (ف، ك): «المخلصين»، وأصلحها في (ط): «المحصلين».

زين الدين عبد الرحمن[1] بن محمود بن عُبيدان البعلبكّي[2].

والسيّد الأخ، العالم الفاضل، السَّالك الناسك، ذي اللبِّ الراجح، والعمل الصالح، والسكينة الوافرة، والفضيلة الغامرة؛ نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن الصَّائغ[3].

وأخيه السيد الأخ، العالم التقي الصالح، الخيِّر الدَّيِّن، العامل الثقة، الأمين الراجح، ذي السَّمْت الحسن، والدِّين المتين في الاتباع للسنن[4]؛ فخر الدين محمد[5].

والأخ العزيز الصالح، الطالب لطريق ربِّه، والراغب في مرضاته وحبِّه، العالم الفاضل، الولد شرف الدين محمد بن سعدِ الدين سعدِ الله ابن بُخَيْخٍ[6].

---

(١) (ب): «بن عبد الرحمن».

(٢) ترجمته في «الذيل على طبقات الحنابلة»: (٥/ ٥٠).

(٣) ترجمته في «أعيان العصر»: (٥/ ١٩٧ ـ ١٩٩)، و«الدرر الكامنة»: (٤/ ٢٢٦). و«البداية والنهاية»: (١٨/ ٥١١-٥١٢) ولقبه في المصادر: «بدر الدين»، وعند ابن كثير «ناصر الدين». توفي سنة (٧٣٩).

(٤) (ك): «اتباع السنن».

(٥) لم أجد ترجمته.

(٦) في الأصول: «نجيح» خطأ، وصوابه (بُخَيخ) بموحدة ثم خاء معجمة، ثم ياء مثناة من تحت، آخره خاء معجمة. انظر «توضيح المشتبه»: (١/ ٣٦٩) لابن ناصر الدين الدمشقي. و «سعدالله» سقطت من (ب). توفي سنة (٧٤٩). وترجمته في «ذيل طبقات الحنابلة»: (٥/ ١٤٢-١٤٤).

وغيرهم من اللائذين بحضرة شيخهم وشيخنا السيد الإمام، الأُمَّة[1] الهمام، محيي السنة وقامع البدعة، ناصر الحديث ومفتي الفرق، الفاتق[2] عن الحقائق، ومُؤصِّلها بالأصول الشرعية للطالب الذائق، الجامع بين الظاهر والباطن، فهو يقضي بالحقِّ ظاهرًا وقلبه في العُلى قاطن. أنموذج الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، الذين غابت عن القلوب سِيَرهم [ق١٠٥]، ونَسِيَت الأمَّة حَذْوَهم وسُبُلهم، فذكَّرَهم بها الشيخ، فكان في دارس نهجهم سالكًا، ولمَوات حَذْوِهم محييًا، ولأعِنَّة قواعدهم مالكًا: الشيخُ الإمام تقيُّ الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميَّة، أعاد الله علينا[3] بركته، ورفعَ إلى مدارجِ العُلى درجتَه، وأدام توفيق السادة المبدوِّ بذكرهم وتسديدهم، وأجزل لهم حظَّهَم ومزيدَهم.

السلام عليكم معشر الإخوان ورحمة الله وبركاته، جَعَلنا الله وإياكم ممن ثبت على قَرْع نوائب الحق جأْشُه، واحتسبَ لله ما بذله من نفسه في إقامة دينه، وما احتوشه من ذلك وحاشه[4]، واحتذى حَذْو السُّبَّق الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين لم تأخذهم في الله لومةُ لائم، فما ضَرَّهم مَنْ خذلَهم ولا من خالفهم، مع قِلَّة عددهم في أوَّل الأمر، فكانوا مع ذلك كلٌّ منهم مجاهدٌ بدين الله قائم. ونرجو من كرم الله أن يوفِّقنا لأعمالهم، ويرزقَ

---

(١) (ف): «إمام الأئمة».

(٢) (ف، ك): «مفتي...». و(ك): «الفايق».

(٣) «علينا» ليست في (ف، ك).

(٤) (ف، ك): «احتوشته». و(ف): «وجاشه».

قلوبنا قِسْطًا من أحوالهم، ويَنْظِمنا في سِلْكهم، تحت سَنْجقهم[1] ولوائهم، مع قائدهم وإمامهم سيِّد المرسلين، وإمام المتّقين، محمد صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أذكِّركم - رحمكم الله - ما[2] أنتم به عالمون، عملًا بقوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأبدأُ من ذلك بأنْ أُوصي نفسي وإيَّاكم بتقوى الله، وهي وصية الله تعالى إلينا وإلى الأمم من قبلنا، كما بيَّن سبحانه وتعالى قائلًا وموصِّيًا: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣١].

وقد علمتم تفاصيلَ التقوى على الجوارح والقلوب، بحسب الأوقات والأحوال؛ من الأقوال والأعمال، والإرادات والنيات.

وينبغي لنا جميعًا أن لا نقنع من الأعمال بصُوَرِها، حتى نطالب قلوبنا بين يدي الله تعالى بحقائقها. ومع ذلك فلتكن لنا هِمَّةٌ عُلْوِيَّةٌ تترامى إلى أوطان القُرْب، [ونفحات][3] المحبوْبِيَّة والحبّ. فالسعيدُ من حَظي من ذلك بنصيب، وكان مولاه[4] منه على سائر الأحوال قريبًا بخصوصِ التقريب، فيكتسي العبدُ من ذلك ثمرةَ الخشية والتعظيم للعزيز العظيم.

فالحبُّ والخشيةُ ثابتان في الكتاب العزيز والسنة المأثورة. قال تعالى:

---

(١) (ك): «سجعتهم».وغيرها في (ط): «سجفتهم». والسنجق هو اللواء.

(٢) (ف، ك): «بما».

(٣) زيادة من بقية النسخ.

(٤) (ب): «وكان منه مولى».

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. وفي الحديث: «**أسألك حُبَّكَ وحبَّ من أحَبَّك وحبَّ عملٍ يقرِّبني إلى حُبِّك**»[1]. وفي الحديث: «**لو تعلمون ما أعْلَم لضحِكْتُم قليلًا ولَبَكَيتُم كثيرًا، ولخرجتم إلى الصُّعُدَاتِ تجأرُوْنَ إلى الله**»[2].

ومعلومٌ أنَّ الناسَ يتفاوتون في مقامات الحبِّ والخشية؛ في مقامٍ أعلى من مقام، ونصيبٍ أرفعَ من نصيب، فلتكن همةُ أحدِنا من مقامات الحبِّ والخشية أعلاه، ولا يقنع إلا بِذرْوَته[3] وذُرَاه. فالهممُ القصيرة تقنع بأيسر نصيب، والهمم العليَّة تعلو مع الأنفاس إلى قُرْب[4] الحبيب، لا يشغلها عن ذلك ما هو دونه من الفضائل، والعاقلُ لا يقنعُ بأمرٍ مفضول عن حالٍ فاضل.

[ق١٠٦] ولتكن الهمَّة مقسمةً على نيل المراتب الظاهرة، وتحصيل المقامات الباطنة، فليس من الإنصاف الانصبابُ إلى الظواهر، والتشاغل عن المطالب العلويَّة ذوات الأنوار البواهر.

وليكن لنا جميعًا[5] من الليل والنهار ساعةٌ، نخلو فيها بربِّنا جلَّ اسمه

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٣٥)، والحاكم: (١/ ٥٢١)، من حديث معاذ. قال البخاري والترمذي: حسن صحيح.

(٢) بهذا اللفظ أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد (٢١٥١٦) وغيرهم من حديث أبي ذر. قال الترمذي حسن غريب. وبدون قوله «لخرجتم...» أخرجه البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) (ب): «أعلاه ولا بذروته».

(٤) (ك): «قريب».

(٥) (ك): « جمعًا».

وتعالى قدسُه، نجمعُ بين يديه في تلك الساعة همومَنا، ونطرحُ أشغال الدنيا عن[1] قلوبنا، فنزهدُ فيما سوى الله ساعةً من نهار، فبذلك يعرفُ الإنسانُ حالَه مع ربِّه، فمن كان له مع ربِّه حالٌ، تحرَّكت في تلك الساعة عزائمُه، وابتهجَتْ[2] بالمحبَّة والتعظيم سرائرُه، وطارت إلى العُلى زفراتُه وكوامِنُه. وتلك الساعة أنموذجٌ لحالة العبدِ في قبره، حين خُلُوِّه عن ماله وحِبِّه، فمن لم يُخْلِ قلبَه لله ساعةً من نهار، لِمَا احتوشَه من الهمومِ الدنيويّة وذوات الآصار. فلْيَعْلَم أنه ليس له ثَمَّ رابطة علويّة، ولا نصيبٌ من المحبة ولا المحبوبية، فلْيَبْكِ على نفسه، ولا يرضى منها إلا بنصيبٍ من قرب ربِّه وأُنْسِه[3].

فإذا خَلَصَت[4] لله تلك الساعةُ أمكنَ إيقاعُ الصلواتِ الخمس على نمطها من الحضور والخشوع، والهيبة للربِّ العظيم في السجود والركوع.

فلا ينبغي لنا أن نبخل على أنفسِنا في اليوم والليلة من أربعٍ وعشرين ساعة بساعةٍ واحدةٍ لله الواحد القهّار، نعبُدُه فيها حقَّ عبادته، ثم نجتهدُ على إيقاع الفرائض والتهجّد[5] على ذلك النَّهْج في رعايته، وذلك طريقٌ لنا جميعًا ـ إن شاء الله تعالى ـ إلى النفوذ[6]. فالفقيه إذا لم ينفُذْ في عِلْمه حصل

---

(١) (ف، ك): «من».

(٢) الأصل: «وانتهجت».

(٣) «وأنسه» ليست في (ف).

(٤) (ف، ك): «حصلت».

(٥) ليست في (ك، ط).

(٦) الأصل: «الفوز» وما أثبته من النسخ، ويؤيده قوله بعد ذلك: «إذا لم ينفذ... فالنافذ من الفقهاء.. لم ينفذ..».

له الشطر الظاهر، وفاته الشطرُ الباطن؛ لاتصاف قلبه بالجمود، وبُعْدِه في العبادة والتلاوة عن لين القلوب والجلود، كما قال تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]. وبذلك يرتقي الفقيه عن فقهاء عصرنا[1] ويتميَّزُ به عنهم، فالنافذ من الفقهاء له البصيرة المنوَّرَة، والذَّوق الصحيح، والفراسة الصادقة، والمعرفة التامّة، والشهادة على غيره بصحيح الأعمال وسقيمها. ومن لم ينفُذْ لم تكن له هذه الخصوصية، وأبصرَ بعضَ الأشياء وغاب عنه بعضُها.

فيتعيَّنُ علينا جميعًا طلبُ النفوذِ إلى حضرة قُرْب المعبودِ، ولقائه بذوق الإيقان، لنعبدَه كأنَّنا نراه، كما جاءَ في الحديث[2].

وذلك بعد الحظوة في هذه الدار بلقاء[3] الرسول ﷺ غيبًا في غيب، وسرًّا في سرٍّ، بالعكوفِ على معرفةِ أيامه وسننه واتباعها، فتبقى البصيرةُ شاخصةً إليه، تراه عيانًا في الغيب، كأنها معه ﷺ وفي أيامه. فيجاهد على دينه، ويبذل ما استطاع من نفسه في نُصْرته.

وكذلك من سلك في طريق النفوذ يُرجَى له أن يلقى ربَّه بقلبه غيبًا في غيب، وسرًّا في سرٍّ، فيُرْزَق القلبُ قسطًا من المحبَّة والخشية والتعظيم [اليقيني][4]، فيرى الحقائقَ بقلبه من وراءِ سِتْر رقيق. وذلك هو المُعَبَّر عنه

---

(١) (ف): «عصر».

(٢) في حديث جبريل الطويل أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) (ف، ك): «وبعد ذلك الخطوة... تلقاء».

(٤) «اليقيني» من بقية النسخ.

بالنفوذ. ويصلُ إلى قلبه من وراء ذلك السِّتر ما يغمره من أنوار العظمة والجلال والبهاء والكمال، فيتنوَّر العلمُ الذي اكتَسَبَه العبد، ويبقى له كيفية أخرى زائدة على الكيفية المعهودة من [ق١٠٧] البَهْجة[١] والأنوار، والقوّة في الإعلان والإسرار.

فلا ينبغي لنا أن نتشاغل عن نَيْل هذه الموهبة السَّنِيَّة بشواغل الدنيا وهمومها، فننقطع[٢] بذلك ـ كما تقدّم ـ بالشيءِ المفضول عن الأمر المهمِّ الفاضل. فإذا سلَكْنا في ذلك بُرْهةً من الزمان، ورَزَقَنا الله تعالى نفوذًا وتمكَّنا في ذلك النفوذ، فلا تعودُ هذه العوارض الجزئيات[٣] الكونيات تُؤَثِّر فينا إن شاء الله تعالى.

وليكن شأنُ أحدنا اليوم: التعديل بين المصالح الدنيوية والفضائل العلمية، والتوجُّهات القلبية، ولا يقنع أحدُنا بأحدِ هذه الثلاثة عن الآخَرَين، فيفوته المطلوب. ومتى اجتهد في التعديل فإنه إن شاء الله تعالى بقَدْر ما يحصِّل العبدُ جزءًا[٤] من أحدهم، حصَّل جزءًا من الآخر، ثم بالصبر على ذلك تجتمع الأجزاءُ المحصَّلة، فتصيرُ مرتبةً عاليةً عند النهاية إن شاء الله تعالى.

هذا وإن كنتم ـ أيَّدكم الله تعالى ـ بذلك عالمين، لكنّ الذِّكْرى تنفعُ المؤمنين.

---

(١) الأصل: «المهجة». والمثبت من باقي النسخ.

(٢) (ف): «فنقطع». (ب): «فينقطع».

(٣) رسمها في الأصل: «الجُزوِّيات» بتسهيل الهمز، لكن الشدة على الواو خطأ من الناسخ.

(٤) (ك): «للعبد جزء».

فصل

واعلموا ـ أيَّدكم الله ـ أنه يجب عليكم أن تشكروا ربَّكم تعالى في هذا العصر، حيثُ جعلكم بين جميع أهل هذا[1] العصر كالشَّامة البيضاء في الحيوان الأسود. لكن من لم يسافر إلى الأقطار، ولم يتعرَّف أحوالَ الناس، لا يدري قَدْر ما هو فيه من العافية. فأنتم إن شاء الله تعالى كما قال الله تعالى في حقِّ هذه الأمة الأُولى[2]: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وكما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ...﴾ الآية [الحج: ٤١].

أصبحتم إخواني تحت سَنْجق[3] رسول الله ﷺ ـ إن شاء الله تعالى ـ مع شيخكم وإمامكم، شيخنا وإمامنا المبدوء بذكره ـ رضي الله عنه ـ قد تميَّزتُم عن جميع أهل الأرض؛ من[4] فقهائها وفقرائها، وصوفيتها[5] وعوامها= بالدين الصحيح.

وقد عرفتم ما أحدَثَ الناسُ من الأحداث، في الفقهاء والفقراء، والصوفية والعوام. فأنتم اليوم في مقابلة الجهمية من الفقهاء، نصرتم اللهَ

---

(١) ليست في(ب).

(٢) «كما قال تعالى» تأخرت في(ف، ك) إلى هذا الموضع. و «الأولى» ليست في(ب).

(٣) السنجق: اللواء أو الراية. وقد سبق.

(٤) ليست في (ف، ك).

(٥) (ف): «وصفويتها» خطأ.

ورسولَه في حفظ ما أضاعوه من دين الله، تصلحون ما أفسدوه من تعطيل صفات الله.

وأنتم أيضًا في مقابلة من لم ينفُذ في علمه من الفقهاء إلى رسول الله ﷺ، وجَمَد[1] على مجرَّد تقليد الأئمة، فإنَّكم قد نصرتم الله ورسوله في تنفيذ العلم إلى أصوله من الكتاب والسنة، واتخاذ أقوال الأئمة تأنُّسًا[2] بهم لا تقليدًا لهم.

وأنتم أيضًا في مقابلة ما أحدثته أنواعُ الفقراء؛ من الأحمدية والحريرية، من إظهار شعار المُكاء والتَّصْدِية، ومؤاخاة النساء والصبيان، والإعراض عن دين الله، إلى خُرافات مكذوبة عن مشايخهم، واستنادهم[3] على شيوخهم، وتقليدهم في صائب[4] حركاتهم وخطائها، وإعراضهم عن دين الله الذي أنزله من السماء.

فأنتم بحمد الله تجاهدون هذا الصنف أيضًا كما تجاهدون من سبق. حفظتم من دين الله ما أضاعوه، وعرفتم ما جهلوه، تُقَوِّمون من الدين ما عوَّجوه، وتُصْلِحون منه ما أفسدوه.

وأنتم أيضًا في مقابلة [ق١٠٨] رسميَّة الصوفية والفقهاء، وما أحدثوه من

---

(١) (ف): «وجهد».

(٢) (ف): «تأسّيًا».

(٣) (ب): «إلى زخرفات مكذوبة على مشايخهم وإسنادهم».

(٤) الأصل: «مصائب»، ثم عدّلت إلى «صائب».

الرسوم الوضعية[1]، والآصار الابتداعية، من التصنُّع باللباس، والأطواق[2]، والسجادة؛ لنيل الرزق من المعلوم، ولُبس البَقْيار[3]، والأكمام الواسعة في حضرة الدرس[4]، وتنميق الكلام، والعَدْو بين يدي المدرِّس[5] راكعين، حفظًا للمناصب، واستجلابًا للرزق والإدْرار.

فخَلَط هؤلاء في عبادة الله غيرَه، وتألَّهوا سواه، ففسدت قلوبُهم من حيث لا يشعرون؛ يجتمعون لغير الله بل للمعلوم، ويلبسون للمعلوم، وكذلك في أغلب حركاتهم يراعون ولاةَ المعلوم، فضيَّعوا كثيرًا من دين الله وأماتوه، وحفظتم أنتم ما ضيَّعوه، وقوَّمتم ما عوَّجوه.

وكذلك أنتم في مقابلة ما أحدثته[6] الزنادقةُ؛ من الفقراء والصوفية، من قولهم بالحلول والاتحاد، وتألُّه المخلوقات، كاليونسية، والعربية، والصدرية، و السبعينية، والسَّعدية[7]، والتِّلِمْسانية. فكلُّ هؤلاء بدَّلوا دين الله

(١) الأصل: «الوصفية»، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) (الأصل، ف، ك، ط): «والأطراق». والتصويب من (ب). والأطواق جمع طوق، وهو ما يُلبس حول العنق، وقد اتخذ جماعات من الصوفية لبس الأطواق من المسابح الطوال وغيرها شعارًا.

(٣) لفظة فارسية، وهي ضرب من العمائم يعتمرها الوزراء والكُتَّاب والقضاة. انظر «معجم دوزي»: (١/ ٤٠٧). أقول: وليست خاصة بهم فقد ورد في ترجمة ابن حمّوية المتصوّف قول الذهبي: «ثم تصوّف ولبس البقيار...». «تاريخ الإسلام»: (٥٠/ ١٥٢).

(٤) (ب): «خضر الدروس».

(٥) (ف): «المدارس».

(٦) (ب): «أحدثوه».

(٧) ليست في (ف، ك، ط).

وقلبوه، وأعرضوا عن شريعةِ رسول الله ﷺ.

فاليونسية: يتألَّهون شيخَهم، ويجعلونه مَظْهَرًا للحقّ، ويستهينون[1] بالعبادات، ويظهرون بالفَرْعَنة والصَّولة، والسفاهة والمحالات، لما وَقَر في بواطنهم من الخيالات الفاسدة. وقِبلتهم الشيخ يونس[2]. ورسولُ الله ﷺ والقرآنُ المجيد عنهم بمعزل، يؤمنون به بألسنتهم، ويكفرون به بأفعالهم.

وكذلك الاتحاديّة، يجعلون الوجود مَظْهَرًا للحقِّ، باعتبار أن [لا][3] متحرِّك في الكون سواه، و[أن لا] ناطق في الأشخاص غيرُه[4]. وفيهم من لا يفرق بين الظاهر والمظهر، فيجعل الأمر كموج البحر، فلا يفرّق بين عين الموجَة وبين عين البحر، حتَّى إن أحدهم يتوهَّم أنه الله، فينطق على لسانه، ثم يفعل ما أراد من الفواحش والمعاصي؛ لأنَّه يعتقد ارتفاع المثنوية[5]، فمن العابدُ ومن المعبود؟ صار الكلُّ واحدًا!!

اجتمعنا بهذا الصنف في الرُّبُط والزوايا.

فأنتم بحمد الله قائمون في وجه هؤلاء أيضًا تنصرون الله ورسوله، وتذبُّون عن دينه، وتعملون على إصلاح ما أفسدوا، وعلى تقويم ما عوّجوا. فإنَّ هؤلاء محوا رَسْم الدِّين، وقلعوا أثره، فلا يقال: أفسدوا ولا

---

(١) (ب): «ويشتهرون».

(٢) تقدمت ترجمته (ص ٦٥).

(٣) الزيادة من (ف، ك).

(٤) ما بين المعكوفين من (ف)، وفي (ك): «ولا ناطق»، وسقطت من الأصل وب. وفي الأصل وب: «غيرهم».

(٥) (ب): «الثنوية».

عوَّجوا، بل بالغوا في هَدْم الدين ومَحْوِ أثره! ولا قُربة أفضل[1] عند الله تعالى من القيام بجهاد هؤلاء بمهما أمكن، وتبيين مذاهبهم للخاصِّ والعام. وكذلك جهادُ كلِّ من أَلْحَد[2] في دين الله وزاغ عن حدوده وشريعته، كائنًا في ذلك ما كان من فتنةٍ وقول، كما قيل:

إذا رضيَ الحبيبُ فلا أُبالي ... أقام الحيُّ أم جدَّ الرَّحِيْلُ[3]

وبالله المستعان.

وكذلك أنتم ـ بحمد الله ـ قائمون بجهاد الأمراء والأجناد، تصلحون ما أفسدوا من المظالم والإجحافات، وسوء السيرة الناشئة عن الجهل بدين الله، بما أمكن. وذلك لبعد [ق١٠٩] العهد عن دين[4] رسول الله ﷺ؛ لأنَّ له اليوم سبعمائة سنة، فأنتم بحمد الله تجدِّدون ما دَثَر من ذلك، بل يُجَدِّد الله بكم وبشيخكم إن شاء الله ما عفا من ذلك ودَثَر[5].

وكذلك أنتم ـ بحمد الله ـ قائمون في وجوه العامة، مما أحدثوا من تعظيم الميلادة[6]، والقَلَنْدس، وخميس البيض[7]، والشّعانين، وتقبيل

---

(١) سقطت من (ب).

(٢) (ب): «اتخذ».

(٣) لم أجده.

(٤) ليست في (ك، ط).

(٥) «بل يجدد... من ذلك» سقطت من (ف، ك، ط).

(٦) كذا في النسخ، وفي مواضع من «الفتاوى»: (٢٥/ ٣١٩، ٣٢٩)، و«الاقتضاء»: (١/ ٥٥٢، ٢/ ٥، ١١) وغيرها: «الميلاد».

(٧) في «الفتاوى»: «خميس العدس»، وهذا الخميس من أعياد النصارى وله عدة =

القبور والأحجار، والتوسُّل عندها. ومعلومٌ أن ذلك كلَّه من شعائر النصارى والجاهلية. وإنما بُعث رسول الله ﷺ ليُوَحَّد الله ويُعبد وحده[1]، ولا يُتألَّه معه شيء من مخلوقاته. بعثه الله تعالى ناسخًا لجميع الشرائع والأديان والأعياد، فأنتم بحمد الله قائمون بإصلاح ما أفسد الناسُ من ذلك.

وقائمون في وجوه من ينصر هذه البدع من مارقي الفقهاء، أهل الكيد والضِّرار لأولياء الله، أهل المقاصد الفاسدة، والقلوب التي هي عن نَصْر الحقِّ حائدة[2].

وإنما أَعْرَض هذا الضعيفُ عن ذكر قيامكم في وجوه التتر والنصارى واليهود، والرافضة والمعتزلة والقدرية، وأصناف أهل البدع والضلالات؛ لأنَّ النَّاس متفقون على ذمِّهم، يزعمون أنَّهم قائمون بردٍّ بدعتهم، ولا يقومون بتوفية حقِّ الرَّدِّ عليهم كما تقومون، بل يعلمون ويَجْبُنون عند[3] اللقاء فلا يجاهدون، وتأخذهم في الله اللائمة لحفظ مناصبهم، وإبقاءً على أعراضهم.

سافرنا البلاد فلم نرَ من يقوم بدين الله في وجوه مثل هؤلاء ـ حقَّ القيام ـ سواكم، فأنتم القائمون في وجوه هؤلاء ـ إن شاء الله ـ بقيامكم

= إطلاقات، فيسمى «الخميس الكبير»، وربما أضيف إلى البيض أو العدس لأنهم كانوا يصبغون البيض ويطبخون باللبن. انظر «مجموع الفتاوى»: (٢٥/ ٣١٩، ٣٢١)، و«الاقتضاء»: (١/ ٥٣٣، ٥٣٦، ٥٣٩، ٢/ ١٢) وغيرها.

(١) بعده في(ب): «لا يعبد».

(٢) (ب): «جامدة».

(٣) (ف، ك): «عن».

بنُصرة شيخكم وشيخنا ـ أيده الله ـ حقَّ القيام، بخلاف[1] من ادَّعى من الناس أنهم يقومون بذلك.

فصبرًا يا إخواني على ما أقامكم الله فيه، من نُصرة دينه وتقويم اعوجاجه، وخذلان أعدائه. واستعينوا بالله، ولا تأخذكم في الله[2] لومة لائم، وإنَّما هي أيام قلائل، والدين منصور، قد تولَّى الله إقامته[3]، ونُصْرة من قام به من أوليائه، إن شاء الله، ظاهرًا وباطنًا.

وابذلوا فيما أقمتم فيه ما أمكنكم من الأنفس والأقوال والأفعال والأموال، عسى أن تلحقوا بذلك بسلفكم أصحاب رسول الله ﷺ، فلقد عرفتم ما لقوا في ذات الله، كما قال خُبَيْب حين صُلِبَ على الجذع[4]:

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يُبارك على أوصال شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وقد عرفتم ما لقي رسول[5] الله ﷺ من الضرِّ والفاقة في شعب بني هاشم، وما لقي السابقون الأولون من التعذيب والهجرة إلى الحبشة، وما لقي المهاجرون والأنصار في أُحد، وفي بئر معونة، وفي قتال أهل الرِّدَّة، وفي جهاد الشام والعراق، وغير ذلك.

وانظروا كيف بذلوا نفوسهم وأموالهم لله، حُبًّا له، وشوقًا إليه. فكذلك

---

(١) سقط «أيده الله» «بخلاف» من(ب).

(٢) بقية النسخ: «فيه» بدل «في الله».

(٣) (ك) زيادة: «ونَصْره».

(٤) أخرج القصة بطولها البخاري (٣٠٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) (ب): «أصحاب رسول...».

أنتم ـ رحمكم الله ـ كلٌّ منكم على قدر إمكانه [ق١١٠] واستطاعته، بفعله، وبقوله، وبخطِّه، وبقلبه، وبدعائه. كلُّ ذلك جهاد. أرجو أن لا يخيبَ مَنْ عاملَ اللهَ بشيءٍ من ذلك؛ إذ لا عيش إلَّا في ذلك، ولو لم يكن فيه إلَّا أنَّ[١] هِمَمَكُم مزاحِمةٌ لأهل الزيغ، ومُشوِّشة لهم، تُبغضونهم في الله، وتطلبون استقامته في دين الله، وذلك من الجهاد الباطن إن شاء الله تعالى.

فصل

ثم اعرفوا إخواني حقَّ ما أنعم الله عليكم من قيامكم بذلك، واعرفوا طريقكم إلى ذلك، واشكروا الله تعالى عليها، وهو أن أقام لكم ولنا في هذا العصر مثل سيِّدنا الشيخ الذي فتح الله به أقفال القلوب، وكشف به عن البصائر عمى الشُّبهات وحيرة الضلالات، حيث تاه العقلُ بين هذه الفرق، ولم يهتد[٢] إلى حقيقة دين الرسول ﷺ.

ومن العجب أنَّ كلًّا منهم يدَّعي أنه على دين الرسول، حتى كشف الله لنا ولكم بواسطة هذا الرجل عن حقيقة دينه الذي أنزله من السماء وارتضاه لعباده.

واعلموا أنَّ في آفاق الدنيا أقوامًا يعيشون أعمارهم بين هذه الفرق، يعتقدون أنَّ تلك البدع حقيقةُ الإسلام، فلا يعرفون الإسلام إلا هكذا!

فاشكروا الله الذي أقام لكم في رأس السبع مئة من الهجرة من بَيَّن[٣]

(١) «أن» من الأصل فقط.

(٢) (ف): «يهتدوا».

(٣) (ب): «أقام في... من يبين».

لكم أعلام دينكم، وهداكم الله به وإيانا إلى نهج شريعته، وبيَّن لكم بهذا النور المحمَّدي ضلالات العبَّاد وانحرافاتهم، فصرتم تعرفون الزائغ من المستقيم، والصحيح من السقيم. وأرجوا أن تكونوا أنتم الطائفة المنصورة، الذين لا يضرُّهم من خَذَلهم ولا من خالفهم، وهم بالشام إن شاء الله تعالى.

فصل

ثم إذا علمتم ذلك؛ فاعرفوا حقَّ هذا الرجل ـ الذي هو بين أظهركم ـ وقدْرَه، ولا يعرفُ حقَّه وقدره إلَّا من عرف دين الرسول ﷺ وحقَّه وقَدْره. فمن وقع دينُ الرسول ﷺ من قلبه بموقعٍ يستحقُّه، عرف ما قام هذا الرجل به[1] بين أظهر عباد الله؛ يُقوِّم معوَجَّهم، ويُصلح فسادهم، ويلُمّ شَعَثَهم جَهْد إمكانه، في الزمان المظلم، الذي انحرف فيه الدين، وجُهِلَت السنن، وعُهِدَت البدع، وصار المعروف منكرًا، والمنكر معروفًا، والقابضُ على دينه كالقابض على الجمر، فإنَّ أجر من قام بهذا[2] النور في هذه الظلمات لا يُوْصَف وخطره لا يُعرَف.

هذا إذا عرفتموه أنتم من حيثيَّة الأمر الشرعي الظاهر، فهنا قومٌ عرفوه من حيثيّةٍ أُخرى من الأمر الباطن، ومن نُفُوذه[3] إلى معرفة أسماء الله

---

(١) (ب، ف، ك): «عرف حق ما قام».

(٢) «أجر» غيَّرها في الأصل إلى «آخر» وهي كذلك في(ب). وفي (ك): «قام بإظهار هذا».

(٣) (ك، ط): «يقوده».

تعالى وصفاته، وعظمةِ ذاته، واتصال قلبه بأشعة أنوارها، والاحتظاء[1] من خصائصها وأعلى أذواقها، ونفوذه من الظاهر إلى الباطن، ومن الشهادة إلى الغيب، ومن الغيب إلى الشهادة، ومن عالم الخلق إلى عالم الأمر، وغير ذلك ممَّا لا يمكن شرحُه في كتاب.

فشيخكم ـ أيدكم الله ـ عارفٌ[2] بأحكام الله الشرعية، عارفٌ بأحكامه القدرية، عارفٌ بأحكام أسمائه [ق١١١] وصفاته الذاتية. ومثلُ هذا العارف قد يبصر ببصيرته تنزُّلَ الأمر بين طبقات السماء والأرض، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ ...﴾[3] [الطلاق: ١٢].

فالناسُ يحِسُّون بما يجري في عالم الشهادة، وهؤلاء بصائرهم شاخصةٌ إلى الغيب، ينتظرون ما تجري به الأقدار، يشعرون بها أحيانًا عند تنزُّلها.

فلا تُهوِّنوا أمرَ مثل هؤلاء في انبساطهم مع الخلق، واشتغال أوقاتهم بهم، فإنهم كما حُكي عن الجُنيد ـ رحمه الله ـ أنه قيل له: «كم تنادي على الله تعالى بين الخلق؟ فقال: أنا أنادي على الخلق بين يدي الله».

فاللهَ اللهَ في حفظ الأدب معه، والانفعال لأوامره، وحفظ حُرُماته في الغيب والشهادة، وحُبِّ من أحبَّه، ومجانبة من أبغضه أو عابَه وانتقصه[4]، وردِّ غيبتِه، والانتصار له في الحقِّ.

---

(١) (ف): «والاختصاص».

(٢) (ف، ك): «عارف بذلك عارف...».

(٣) الآية في(ف، ك) إلى قوله: «شيء قدير».

(٤) (ف): «من بغضه وانتقصه»، (ك): «أبغضه وتنقّصه». وسقط عنهما «أو عابه».

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أنَّ هنا من سافر إلى الأقاليم، وعرف الناس أذواقهم وأشرف على غالب أحوالهم، فوالله ثم والله ثـم والله، لم يُرَ تحت أديم السماء مثل شيخِكم؛ علمًا[1]، وحالًا وخُلُقًا، واتباعًا وكرمًا، وحلمًا في حقِّ نفسه، وقيامًا في حقِّ الله عند انتهاك حُرُماته. أصدق الناس عقدًا، وأصحُّهم علمًا وعزمًا، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحقّ وقيامه هِمَّةً، وأسخاهم كفًّا، وأكملهم اتباعًا لنبيه محمد ﷺ.

ما رأينا في عصرنا هذا من تُسْتجلى النبوّة المحمديّة وسنتها[2] من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، بحيثُ يشهد القلب الصحيح أنَّ هذا هو الاتباع حقيقةً.

وبعد ذلك كلِّه فقول الحقِّ فريضة، فلا ندَّعي فيه العصمة عن الخطأ[3]، ولا ندَّعي إكماله لغايات الخصائص المطلوبة، فقد يكون في بعض الناقصين خصوصية مقصودة مطلوبة لا يتم الكمالُ إلا بها [و] تلك الخصوصية في غيره أكمل مما هي فيه، بمعنى أنَّ ذلك متّصِف بحقائقها مثلًا؛ لانفراد همة وقته[4] بها، وتَفْرِقة شيخنا في فضائل مهمةٍ دينيَّةٍ وغيرها[5]. ولو حقّقنا لوجدنا شيخَنا أفضلَ من ذلك الرجل مع قيامه

---

(١) بقية النسخ: «علمًا وعملًا».

(٢) (ف، ك): «وسننها».

(٣) (ف): «تدّعى فيه». و(ب): «عن الخطايا».

(٤) (ب): «همه ووقته».

(٥) (ب): «غيرها».

بتلك[1] الخصوصية. وهذا القدر لا يجهله منصفٌ عارفٌ. ولولا أنَّ قول الحق فريضة، والتعصُّب للإنسان هوى، لأعرضتُ عن ذكر هذا، لكن يجبُ قول الحقِّ إن ساء أو سرَّ، وبالله المستعان.

إذا علمتم ذلك ـ أيدكم الله ـ فاحفظوا قلبه، فإنَّ مثل هذا قد يُدعَى عظيمًا في ملكوت السماء. واعملوا على رضاه بكل ممكن، واستجلبوا وُدَّهُ لكم وحُبَّه إيَّاكم بمهما قدرتم عليه، فإنَّ مثل هذا يكون شهيدًا، والشهداءُ في العصر تبع لمثله، فإن حَصَلت لكم محبَّتُه رجوتُ لكم بذلك خصوصية أكتُمُها ولا أذكرها، وربّما يفطن لها الأذكياء منكم، وربَّما سمحت نفسي بذكرها كيلا[2] أكتم عنكم نُصحي.

وتلك الخصوصية هي: أن تُرزَقوا قسطًا من نصيبه الخاصِّ المحمَّديّ مع الله، فإنَّ ذلك إنَّما يسري بواسطة محبَّة الشيخ للمريد، واستجلاب المريد محبَّة الشيخ بتأتّيه[3] معه، وحِفْظ قلبه وخاطره، واستجلاب وُدِّه ومحبته، فأرجو بذلك لكم قسطًا ممّا [ق١١٢] بينه وبين الله تعالى، فضلًا عمّا تكتسبونه[4] من ظاهر علمه وفوائده وسياسته، إن شاء الله تعالى.

وأرجو أنَّكم إذا فتحتم بينكم وبين ربِّكم تصحيحَ[5] المعاملة، بحفظ تلك الساعة مع الله تعالى بالزهد فيها عما سواه، واستصحاب حكم تلك

---

(١) «تلك الخصوصية...بتلك» سقط من(ف، ك، ط).

(٢) (ف): «لئلا».

(٣) الأصل: «بتأسِّه».

(٤) (ف، ك، ط): «تكسبونه».

(٥) (ف، ك): «بصحيح».

الساعة[1] في الصلوات الخمس والتهجُّد= أن ينفتح لكم معرفة حقيقة[2] هذا الرجل ونبئه إن شاء الله تعالى.

وإنّما ذكرتُ حفظ الساعة ـ وإن كان في الصلوات الخمس كفاية إذا قام العبد فيها بحقّ الله تعالى ـ وذلك لأنَّ الصلاة قد تهجُم على العبد وقلبُه مأخوذٌ في جواذب الظاهر، فلا يعرف نصيبَ قلبهِ من ربِّه، فإذا عرف فيها كان[3] للعبد ساعةٌ بين الليل والنهار عرفَ فيها نصيب قلبِه من ربِّه، فإذا جاءت الصلوات، عرف فيها حالَه وزيادَته ونقصانه باعتبار حالته مع ربّه في تلك الساعة. وبالله المستعان.

فصل

وإذا عرفتم قدر دين الله تعالى الذي أنزله على رسوله ﷺ، وعرفتم قدر حقائق الدين الذي يعبَّر عنه بالنفوذ إلى الله تعالى، والحظوة بقربه، ثم عرفتم اجتماع الأمرين في شخصٍ معيَّن، ثم عرفتم انحراف الأمة عن الصِّراط المستقيم، وقيام الرجل المُعيَّن الجامع للظاهر والباطن في وجوه المنحرفين، يَنْصر اللهَ تعالى ودينَه، ويقوِّم معوجَّهم، ويلُمُّ شَعَثهم، ويُصلح فاسدهم. ثم سمعتم بعد ذلك طَعْنَ طاعنٍ عليه من أصحابه أو من غيرهم، فإنه لا يخفى عليكم[4] مُحِقٌّ هو أو مُبْطِل إن شاء الله.

---

(١) «مع الله.. الساعة» سقطت من(ف، ك، ط). و«حكم» ليست في(ب).

(٢) (ف): «أن يفتح...».(ب): «حقيقية».

(٣) العبارة في(ف، ك): «من ربه فيها، فإذا كان». و «عرف» ليست في(ب).

(٤) بقية النسخ: «عنكم».

وبرهانُ ذلك: أنَّ المحقّ طالب[1] الهدى والحقّ يعرض[2] عند من أنكر عليه ذلك الفعل الذي أنكره، إمّا بصيغة السؤال أو الاستفهام بالتلطُّف عن ذلك النقص الذي رآه فيه، أو بلغه عنه. فإن وجد هناك اجتهادًا أو رأيًا أو حُجَّةً، قنع بذلك وأمسك، ولم يُفشِ ذلك إلى غيره، إلا مع إقامة ما بيَّنه من الاجتهاد أو الرأي أو الحجَّة، ليَسُدَّ الخلل بذلك.

فمثل هذا يكون طالبَ هدًى، محُبًّا ناصحًا[3]، يطلبُ الحقَّ، ويرومُ تقويم أستاذه عن انحرافه، بتعريفه وتعريضه[4]، كما يرومُ أستاذُه تقويمَه. كما قال بعضُ الخلفاء الراشدين ـ ولا يحضرني اسمه ـ: إذا اعوججْتُ فقوِّموني[5].

فهذا حقٌّ واجب بين الأستاذ والطالب، فإنَّ الأستاذ يطلبُ إقامة الحجّة[6] على نفسه ليقوّم به، ويتَّهم نفسَه أحيانًا، ويتعرَّف أحوالَه من غيره، مما عنده من النَّصَفَة وطلب الحقّ، والحذر من الباطل، كما يطلب المريد ذلك من شيخه من التقويم، وإصلاح الفاسد من الأعمال والأقوال.

---

(١) الأصل: «يطلب».

(٢) (ف، ك، ط): «بغرض».

(٣) الأصل بالرفع.

(٤) (ف): «تغريضه»، (ك): «وتفويضه».

(٥) هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته المشهورة حين توليه الخلافة. أخرجه البزار في «مسنده» (١٠٠)، والطبراني في «الأوسط» (٨٥٩٧)، وغيرهم من طرق عنه.

(٦) (ف، ك، ط): «الحقّ».

ومن براهين المحقّ[1]: أن يكون عدلًا في مَدْحه، عدلًا في ذمِّه، لا يحمله الهوى ـ عند وجود المراد ـ على الإفراط في المدح، ولا يحمله الهوى ـ عند تعذّر المقصود ـ على نسيان التفاضيل[2] والمناقب، وتعديد المساوئ والمثالب.

فالمحقُّ في حالتي غضبه ورضاه، ثابتٌ على مدح من مدحه وأثنى عليه، ثابتٌ على ذمّ من ثلبه وحطَّ عليه.

وأمَّا من عمل كراسةً في عدِّ مثالب[3] هذا الرجل القائم بهذه الصفات [ق١١٣] الكاملة بين أصناف هذا العالم المنحرف، في هذا الزمان المظلم، ثم ذكر مع ذلك شيئًا من فضائله، ويُعلم أنه ليس المقصود ذكر الفضائل، بل المقصود تلك المثالب، ثم أخذ الكرّاسة يقرؤها على أصحابه واحدًا واحدًا في خَلْوة، يوقفُ بذلك همَّهم[4] عن شيخهم، ويُريهم قدحًا فيه[5]= فإني استخير الله وأجتهد رأيي في مثل هذا الرجل، وأقول انتصارًا لمن ينصر دينَ الله، بين أعداء الله في رأس السبعمائة، فإنَّ نُصرة مثل هذا

---

(١) (ب): «الحقّ».

(٢) بقية النسخ: «الفضائل».

(٣) (ف): «مثالب مثل».

(٤) (ب): «هممهم».

(٥) عقد الأستاذ أبو الفضل القونوي في كتابه الفذ «أضواء على الرسالة المنسوبة إلى الحافظ الذهبي: النصيحة الذهبيّة لابن تيمية» (ص١٣٩-١٤٨ - ط٢ تحت الإعداد) فصلًا عن كاتب هذه الرسالة، خلص فيه إلى أن كاتبها هو قاضي اللاذقية علي بن عبد الرحمن ابن السرّاج والد محمد بن السرّاج خصم ابن تيمية ورفيقه في الطلب.

الرجل واجبة على كلِّ مؤمن، كما قال ورقة بن نوفل: «لئن أدركني يومُك لأنصُرنَّك نصرًا مُؤزّرًا»[1]. ثمّ أسأل الله العصمةَ فيما أقول عن تعدِّي الحدود والإخلاد إلى الهوى[2].

أقول: مثل هذا ـ ولا أُعيِّن الشخص المذكور بعينه ـ لا يخلو من أمور:

أحدها: أن يكون ذا سنٍّ تغيَّر رأيه لسِنِّه، لا بمعنى أنه اضطرب، بل بمعنى أنَّ السنَّ إذا كبر يجتهد صاحبه للحقِّ، ثم يضعه في غير مواضعه. مثلًا يجتهد أنَّ إنكار المنكر واجب، وهذا منكرٌ، وصاحبه قد راج على الناس. فيجبُ عليَّ تعريف الناس ما راج عليهم. ويغيبُ عنه[3] المفاسدُ في ذلك.

فمنها: تخذيلُ الطلبة، وهم مضطرّون[4] إلى محبَّة شيخهم، ليأخذوا عنه، فمتى تغيَّرت قلوبهم عليه، ورأوا فيه نقصًا، حُرِمُوا فوائده الظاهرة والباطنة، وخيف عليهم المَقْت[5] من الله أوَّلًا ثم من الشيخ ثانيًا.

المفسدة الثانية: إذا شعر أهلُ البدع الذين نحن وشيخنا قائمون الليلَ والنهارَ بالجهاد أو التوجُّه في وجوههم لنصرة الحقِّ= أنَّ في أصحابنا من

(١) أخرجه البخاري رقم (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها في حديث بدء الوحي الطويل.

(٢) الأصل: «الهدى» خطأ.

(٣) (ف، ك، ط): «وتغيب عنهم».

(٤) (ف): «مضطربون» خطأ.

(٥) رسمها في الأصل: «الموت».

يثْلب[1] رئيسَ القوم بمثل هذا، فإنَّهم يتطرَّقون بذلك إلى الاشتفاء بأهل الحقِّ ويجعلونه حجَّةً لهم.

المفسدة الثالثة: تعديد المثالب في مقابلة ما يستغرقها ويزيدُ عليها بأضعافٍ كثيرة من المناقب، فإنَّ ذلك ظلمٌ وجهل[2].

والأمر الثاني ـ من الأمور الموجبة لذلك ـ: تغيُّر حاله وقلبه، وفساد سلوكه بحسدٍ كان كامنًا[3] فيه، وكان يكتمه بُرهةً من الزّمان، فظهر ذلك الكمين في قالبٍ، صورتُه حقٌّ ومعناه باطل.

فصل

وفي الجملة ـ أيَّدكم الله ـ إذا رأيتم طاعنًا[4] على صاحبكم، فافتقدوه في عقله أوَّلًا، ثم في فهمه، ثم في صِدْقه، ثم في سنِّه. فإذا وجدتم الاضطراب في عقله، دلَّكم على جهله بصاحبكم، وبما[5] يقول فيه وعنه. ومثله قلَّة الفهم. ومثله عَدَم الصدق أو قصوره؛ لأنَّ نقصان الفهم يؤدِّي إلى نقصان الصدق بحسب ما غاب عقله عنه[6]. ومثلُه العلوّ في السنِّ،

(١) (ف): «سلب»، (ك): «ثلب».

(٢) (ف): «أو جهل».

(٣) (ب): «بحسد كامن».

(٤) الأصل: «طاغيًا»!

(٥) (ب، ف): «دلكم ذلك على...»، (ف، ك): «وما يقول...».

(٦) (ف): «عنه عقله»، و(ب) سقطت «عنه».

فإنَّه يشيخ فيه الرأي والعقل، كما يشيخُ فيه القُوى الظاهرة الحِسِّيَّة. فاتَّهِموا مثل هذا الشخص واحذروه، وأعْرِضوا عنه إعراضَ[1] مداراةٍ بلا جدل ولا خصومة.

وصفة الامتحان بصحة[2] إدراك الشخص وعقله وفهمه: أن تسألوه عن مسألة سلوكية أو علمية [ق١١٤] فإذا أجاب عنها، فأَورِدوا[3] على الجواب إشكالًا متوجِّهًا بتوجيهٍ صحيح، فإن رأيتم الرجل يروحُ[4] يمينًا وشمالًا، ويخرج عن ذلك المعنى إلى معانٍ خارجة، وحكايات ليست في المعنى حتى يُنْسِي ربَّ المسألةِ سؤالَه، حيث توَّهَه[5] عنه بكلام لا فائدة فيه. فمثل هذا لا تعتمدوا على طعنه ولا على مدحه، فإنَّه ناقص الفطرة، كثير الخيال، لا يثبت على تحرير[6] المدارك العلمية، ولا تنكروا مثل إنكار هذا، فإنَّه اشتهر قيام ذي الخُوَيصِرَةِ التميمي إلى رسول الله ﷺ وقوله له: «اعْدِل فإنَّك لم تعدل، إنَّ هذه قسمةٌ لم يُرَد بها وَجْهُ الله تعالى»[7] ونحو ذلك.

---

(١) ليست في(ب).

(٢) بقية النسخ: «لصحة».

(٣) بقية النسخ: «أوردوا».

(٤) (ف): «يروج».

(٥) الأصل و(ب): «توهمه» خطأ.

(٦) (ك): «تحرِّي».

(٧) أخرجه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فوقوع ذلك[1] وأمثاله من بعض معجزات الرسول ﷺ، فإنَّه قال: «**لتركَبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم حَذْو القُذَّةِ بالقُذَّة**»[2]. وإن كان ذلك في اليهود والنصارى، لكن لمَّا كانوا منحرفين عن نهج الصواب، فكذلك يكونُ في هذه الأمة من يحذو حذو كلِّ منحرفٍ وُجِد في العالم، متقدِّمًا كان أو متأخّرًا، حذو القُذَّة بالقُذَّة، حتَّى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلوه.

يا سبحان الله العظيم! أين عقولُ هؤلاء؟ أَعَمِيَت أبصارهم وبصائرهم؟ أفلا يرون ما الناس فيه من العَمَى والحيرة في الزمان المظلم المُدْلَهِمِّ، الذي قد ملكت فيه الكفَّارُ مُعظم الدنيا؟ وقد بقيت هذه الخطة[3] الضيّقة يشمّ فيها المؤمنون رائحةَ الإسلام؟ وفي هذه الخطة الضيِّقة من الظلمات من علماء السوء، والدُّعاة إلى الباطل وإقامته، ودَحْض الحقِّ وأهله، ما لا يُحْصَر في كتاب.

ثمَّ إنّ الله تعالى قد رَحِمَ هذه الأمة بإقامة رجلٍ قويِّ الهمَّة، ضعيف التركيب، قد فرَّق نفسَه وهمَّه في مصالح العالم، وإصلاح فسادهم، والقيام بمهمَّاتهم وحوائجهم، ضِمْن ما هو قائم بصدَدِ البدع والضلالات، وتحصيل موادِّ[4] العلم النبويّ الذي يُصلح به فسادَ العالم، ويردّهم إلى الدين الأول العتيق جُهدَ إمكانه؟ وإلاّ فأين حقيقة الدين العتيق؟

---

(١) بقية النسخ: «هذا».

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) (ب): «اللحظة» وكذا ما بعدها.

(٤) (ب): «مراد».

فهو مع هذا كلّه قائمٌ بجملة ذلك وحده، وهو منفردٌ بين أهل زمانه، قليلٌ ناصرُه، كثيرٌ خاذلُه وحاسدُه والشامت فيه!

فمثل هذا الرجل في هذا الزمان، وقيامه بهذا الأمر العظيم الخطير فيه= أيُقال له: لِمَ تردُّ على الأحمدية؟ لِمَ لا تعدل في القِسْمَة؟ لِمَ تدخل على الأمراء؟ لم تقرِّب[1] زيدًا وعَمرًا؟

أفلا يستحيي العبدُ من الله يذكر مثل هذه الجُزْئيَّات في مقابلة مثل[2] هذا العبء الثقيل؟ ولو حُوقِق الرَّجلُ على هذه الجُزْئيَّات وُجِدَ عنده نصوصٌ صحيحة، ومقاصدُ صحيحة[3]، ونيَّات صحيحةٌ، تغيبُ عن الضعفاء العقول، [بل عن الكُمَّل منهم][4] حتى يسمعوها.

أمَّا ردُّه على الطائفة الفلانية[5] ـ أيها المُفْرِّط التائه، الذي لا يدري ما يقول ـ أفيقوم دين محمد بن عبد الله الذي أُنزل من السماء إلا بالطعن على هؤلاء؟ وكيف يظهر الحقّ إن لم يُخْذَل الباطل؟ لا يقول مثلَ هذا إلاّ تائه، أو مُسنٌّ، أو حاسدٌ؟

وكذا القسمة [ق١١٥] للرجل، في ذلك اجتهاد صحيح، ونظرٌ إلى مصالح تترتَّب[6] على إعطاء قوم دون قوم، كما خصَّ الرسول ﷺ الطُّلقاء

(١) (ف): «يقرب».

(٢) من الأصل فقط.

(٣) «ومقاصد صحيحة» سقطت من(ف).

(٤) ما بين المعكوفين من باقي النسخ.

(٥) يعني الصوفية الرفاعية.

(٦) (ب): «ترتب».

بمائة من الإبل، وحَرَم الأنصار، حتى قال منهم أحداثُهم شيئًا في ذلك، لا ذوو الأحلام، وفيها[1] قام ذو الخُوَيصرة فقال ما قال.

وأما دُخُوله على الأُمراء؛ فلو لم يكن، كيف كان شمَّ الأمراءُ رائحةَ الدين العتيق الخالص؟ ولو فتَّش المفتِّشُ لوجد هذه الكيفية التي عندهم من رائحة الدين، ومعرفة المنافقين، إنَّما اقتبسوها من صاحبكم.

وأمَّا تقريب زيد وعَمْرو؛ فلمصلحة باطنة، لو فُتِّش عنها مع الإنصاف، وُجِد هناك ما يُرِي أنَّ ذلك عين[2] المصلحة.

ونفرضُ أنك مصيبٌ في ذلك، إذ لا نعتقد العصمةَ إلا في الأنبياء، والخطأ جارٍ على غيرهم، أيُذكَر مثل هذا الخطأ في مقابلة ما تقدَّم من الأمور العظام الجِسام؟!

لا يَـذْكُرُ مثلَ هذا في كُرّاسة ويعدِّدها، ثم يدور بها على واحدٍ واحد[3]، كأنه يقول شيئًا، إلا رجلٌ نسألُ الله[4] العافيةَ في عقله، وخاتمة الخير على عمله، وأن يردَّه عن انحرافه إلى نَهْج الصواب، بحيث لا يبقى مَعْثرةً يعيبُه بعمَلِه[5] وتصنيفِه أولو العقول والأحلام!

ونستغفر الله العظيم من الخطأ والزلل في القول والعمل، والحمدُ لله

(١) (ف، ك، ط): «ذوو أحلامهم»، (ف): «وفيهم».

(٢) (ك، ط): «عن».

(٣) ليست في (ب).

(٤) (ك): «يسأل...»، (ب، ف): «الله له..».

(٥) (ك، ط): «لا يبقى معشره بعيه» تحريف، (ف، ك): «يعلمه».

وحدَه، وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ[1] وسلَّم.

هذا آخر الرّسالة التي سمَّاها مؤلِّفها: «التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار». وقال: فرحم الله من قام بحَلّ[2] الإصرار، وتصحيح التوبة النصوح بالاستغفار إلى عالِم الأسرار. نفع الله بها[3] من وقف عليها، وأصغى إلى ما ينتج[4] منها ولديها. آمين.



(١) مكانها في (ف، ك، ط): «وآله وصحبه».

(٢) الأصل و(ك): «بحمل» والتصحيح من (ب، ق، ح). ولعل فيه إشارة إلى ما قيل: «إن الاستغفار مع الإصرار توبة الكذابين».

(٣) ليست في (ك، ط).

(٤) (ف، ك، ط): «يفتح».

[بعض اختيارات الشيخ رحمه الله][1]

ثم إنَّ الشيخ ـ رحمه الله ـ بعد وصوله من مصر إلى دمشق، واستقراره بها، لم يزل ملازمًا للإشغال والاشتغال[2]، ونَشْر العلم، وتصنيف الكتب، وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطوَّلة وغيرها، ونَفْع الخلق، والإحسان إليهم، والاجتهاد في الأحكام الشرعية.

ففي بعض الأحكام يفتي بما أدى إليه اجتهاده، من موافقة أئمة المذاهب الأربعة، وفي بعضها قد يفتي بخلافهم، أو بخلاف المشهور من مذاهبهم.

ومن اختياراته التي خالفهم فيها، أو خالف المشهورَ من أقوالهم:

- القولُ بقَصْر الصلاة في كلِّ ما يُسَمَّى سفرًا، طويلًا كان أو قصيرًا، كما هو مذهبُ الظاهريَّة، وقول بعض الصحابة[3].

---

(١) ولابن عبد الهادي عناية باختيارت شيخ الإسلام، فله جزء في اختيارات الشيخ ذكر فيه (١٥١) اختيارًا وفائدة، وطبع ضمن هذا المشروع المبارك. وذكر هنا واحدًا وعشرين اختيارًا فقط، سنحيل في الهامش إلى مراجعها من كتب الشيخ.
وأفرد أيضًا برهان الدين ابن القيم اختيارات الشيخ في رسالة مستقلة ذكر فيها (٩٨) اختيارًا، وطبعت أيضًا ضمن هذا المشروع مع رسالة ابن عبد الهادي السابقة. وهناك أيضًا رسائل جامعية في اختيارات الشيخ للدكتور أحمد موافي في ٣ مجلدات، ولمجموعة من الباحثين في ١٠ مجلدات. واختيارات الشيخ لدى تلاميذه، سيطبع ضمن هذا المشروع إن شاء الله.

(٢) (ف، ك): «للاشتغال والإشغال»، (ب): «للإشغال والإشغال».

(٣) انظر «مجموع الفتاوى»: (١٩/ ٢٤٣-٢٤٤، ٢٤/ ١٢).

- والقولُ بأنَّ البِكْر لا تُسْتَبْرأ، وإن كانت كبيرة، كما هو قول ابن عمر، واختاره البخاريُّ صاحبُ «الصحيح»[1].

- والقولُ بأنَّ سجود التلاوة لا يُشترط له وضوء كما يُشْترط للصلاة[2]. كما هو مذهب ابن عمر، واختيار البخاريِّ أيضًا[3].

- والقولُ بأنَّ من أكل في شهر رمضان، معتقدًا أنَّه ليل فبان نهارًا لا قضاء عليه، كما هو الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإليه ذهب بعض التابعين، وبعض الفقهاء بعدهم[4].

- والقولُ بأنَّ المتمتِّع يكفيه سَعْيٌ واحد بين الصفا والمروة، كما في حقِّ [ق١١٦] القارن والمُفْرِد. وهو[5] قولُ ابن عباس رضي الله عنهما، ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل، رواها عنه ابنه عبد الله، وكثير من أصحابِ الإمام أحمد لا يعرفونها[6].

- والقولُ بجواز المسابقة بلا مُحَلِّل، وإن أُخْرِج[7] المتسابقان[8].

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى»: (١٩/ ٢٥٥، ٣٤/ ٧٠).

(٢) «كما يشترط للصلاة» ليست في (ب).

(٣) انظر «مجموع الفتاوى»: (٢١/ ٢٧٠، ٢٣/ ١٦٥-١٦٦).

(٤) انظر «الفتاوى»: (٢٥/ ٢١٦، ٢٥٩-٢٦٠).

(٥) (ك): «كما هو»، و«هو» ليست في (ب).

(٦) انظر «الفتاوى»: (٢٦/ ١٣٨).

(٧) (الأصل وك): «خرج» والمثبت من (ب، ف)، وانظر «اختيارات البرهان» (١١)، والبعلي (٢٣٣).

(٨) انظر «الفتاوى»: (٢٨/ ٢٢، ٣٢/ ٢٢٣).

- والقولُ باستبراء المختلعة بحيضةٍ. وكذلك الموطوءة بشبهةٍ، والمطلَّقة آخر ثلاث تطليقاتٍ[1].

- والقولُ بإباحة وطء الوثنيَّات بملك[2] اليمين[3].

- والقولُ بجواز عَقْد الرِّداء[4] في الإحرام، ولا فدية في ذلك[5].

- وجواز طواف الحائض، ولا شيء عليها إذا لم يمكنها أن تطوف طاهرًا[6].

- والقولُ بجواز بيع الأصل بالعصير[7]، كالزيتون بالزيت. والسمسم بالشَّيرَج[8].

- والقولُ بجوازِ الوضوء بكلِّ ما يسمَّى ماءً[9]، مطلقًا كان أو مقيَّدًا[10].

---

(١) انظر «الفتاوى»: (٣٢/ ٣٤٢)، (٣٣/ ١٠).

(٢) (ب): «بوطئ» خطأ.

(٣) انظر «الفتاوى»: (٣٢/ ١٨٢-١٨٦).

(٤) (ك): «الرد».

(٥) انظر «الفتاوى»: (٢١/ ٢٠١، ٢٦/ ١١١).

(٦) انظر «الفتاوى»: (٢٦/ ١٢٥، ٢١٤).

(٧) (ك): «بالعصر».

(٨) انظر «الاختيارات» (ص١٨٨) للبعلي.

(٩) سقطت من (ب).

(١٠) انظر «الفتاوى»: (٢١/ ٢٥).

- والقولُ بجواز بيع[1] ما يُتَّخَذُ من الفضَّة للتحلِّي وغيره ـ كالخاتم ونحوه ـ بالفضة متفاضلًا، وجَعْل الزائد من الثمن في مقابلة الصَّنعة[2].

- والقولُ بأنَّ المائع لا ينجُسُ بوقوع النجاسة فيه إلا أن يتغيَّر، قليلًا كان أو كثيرًا[3].

- والقولُ بجواز التيمُّم لمن خاف فوات[4] العيد والجمعة باستعمال الماء[5].

- والقولُ بجواز التيمّم في مواضع معروفة[6].

- والجمع بين الصلاتين[7] في أماكن مشهورة[8].

وغير ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله.

- وكان يميل أخيرًا إلى القول بتوريث المسلم من الكافر الذِّمِّي، وله في ذلك مصنَّف وبحثٌ طويل[9].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) (ف): «جعل الثمن الزائد...» والأصل: «مقابلة الصيغة» خطأ. انظر «الاختيارات» (ص١٨٨) للبعلي.

(٣) انظر: «الفتاوى»: (٢١/ ١٩ ـ ٢٠).

(٤) (ب): «فوت».

(٥) انظر: «الفتاوى»: (٢١/ ٤٥٦).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) (ف): «الصلاة».

(٨) انظر «الاختيارات» (ص١١٣).

(٩) انظر «الاختيارات» (ص٢٨٣).

- ومن أقواله المعروفة المشهورة التي جرى بسبب الإفتاء بها مِحَنٌ وقلاقل: قوله بالتكفير في الحَلِف بالطلاق[1].

- وأنَّ الطلاق الثلاث لا يقعُ إلا واحدةً[2].

- وأنَّ الطلاق المحرَّم لا يقع[3].

وله في ذلك مصنَّفات ومؤلَّفات كثيرة، منها:

قاعدة كبيرة[4] سمَّاها: «تحقيق الفرقان بين التطليق والأيمان». نحو أربعين كراسة.

وقاعدة سماها: «الفرقُ المبين بين الطلاق واليمين». بقَدْر النصف من ذلك.

وقاعدة في أنَّ جميع أيمان المسلمين مُكفَّرة. مجلَّد لطيف.

وقاعدة في تقرير أنَّ الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة.

وقاعدة سمَّاها: «التفصيل[5] بين التكفير والتحليل».

وقاعدة سماها «اللمعة»[6].

---

(١) انظر «الفتاوى»: (٣٣/ ٥٨، ٢١٥ ـ ٢١٨).

(٢) انظر «الفتاوى»: (٣٣/ ٧ ـ ٩).

(٣) انظر «الفتاوى»: «٣٣/ ٦٦، ٧١).

(٤) ليست في (ب).

(٥) الأصل و (ب): «التفضيل».

(٦) تحتمل في (ب): «اللمحة». وبهامش (ك): «لعله: اللمحة؛ لأن له رحمه الله قاعدة سماها: لمحة المختطف». وتمام اسمها «لمحة المختطف في الفرق بين الطلاق والحَلِف» طُبعت مرارًا، وهي في «مجموع الفتاوى»: (٣٣/ ٥٧ ـ ٦٤).

وغير ذلك من القواعد والأجوبة في ذلك لا تَنْحَصر ولا تَنْضَبط.

وله في ذلك جوابُ اعتراضٍ ورَدَ عليه من الديار المصرية، وهو جوابٌ طويل في ثلاث مجلَّدات، بقطع نِصْف البلدي.

***

[مسألة الحَلِف بالطلاق، وما جرى للشيخ فيها من فصول]

وكان القاضي شمس الدين ابن مُسَلَّم الحنبليّ[1] رحمه الله، في يوم الخميس منتصف شهر ربيع الآخر، من سنة ثمان عشرة وسبعمائة، قد اجتمع بالشيخ، وأشار عليه بترك الإفتاء في مسألة الحلف بالطلاق. فقَبِل الشيخُ إشارته، وعرف نصيحته، وأجاب إلى ذلك.

وكان قد اجتمع بالقاضي[2] جماعةٌ من الكبار حتى فعل ذلك.

فلمَّا كان يوم السبت، مُسْتَهلّ جُمادى الأولى من هذه السنة، وردَ البريدُ إلى دمشق[3] ومعه كتابُ السُّلطان بالمنع من الفتوى في مسألة الحلف بالطلاق التي رآها [ق١١٧] الشيخ تقيُّ الدين ابن تيميَّة، وأفتى بها

---

(١) هو محمد بن مسلّم ـ بتشديد اللام ـ بن مالك الدمشقي شمس الدين الحنبلي (٦٦٢ ـ ٧٢٦). لمَّا عُيّن للقضاء توقّف، فطلع ابن تيمية إليه ولامَه على الترك وقوَّى عزمه فأجاب بشروط، فأجيب... فباشر أحسن مباشرة، وعَمَرَ الأوقاف، وحاسب العمّال. انظر «الذيل على طبقات الحنابلة»: (٤/ ٤٦٤)، و«البداية والنهاية»: (١٨/ ٢٧٤)، و«الدرر الكامنة»: (٤/ ٢٥٨).

(٢) (ك): «إلى القاضي».

(٣) «إلى دمشق» ليست في (ب).

وصنَّف فيها، والأمرُ بعَقْد مجلسٍ في ذلك.

فعُقِد يوم الاثنين ثالث الشهر المذكور بدار السعادة، وانفصل الأمرُ على ما أمر به السلطان، ونودي بذلك في البلد يوم الثلاثاء رابع الشهر المذكور.

ثمّ إنَّ الشيخ عاد إلى الإفتاء بذلك، وقال: لا يَسَعُني كتمان العلم، فلما كان في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر رمضان من سنة تسع عشرة، جُمع القضاة والفقهاء عند نائب السلطة بدار السعادة، وقُرئ عليهم كتابُ السلطان. وفيه فصلٌ يتعلَّق بالشيخ بسبب الفتوى في هذه المسألة، وأُحْضِر وعُوتِبَ على فتياه بعد المنع، وأُكِّدَ عليه في المنع من ذلك.

***

فلمَّا كان بعد ذلك بمدة، في يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب سنة[1] عشرين، عُقِدَ مجلسٌ بدار السعادة، وحضره[2] النائب، والقضاةُ، وجماعةٌ من المفتين[3]، وحضر الشيخُ، وعاودوه في الإفتاء في مسألة[4] الطلاق، وعاتبوه على ذلك، وحُبِسَ[5] بالقلعة، فبقي فيها خمسةَ أشهر وثمانية عشر يومًا.

---

(١) (ب، ك): «من سنة».

(٢) (ب): «حضر»، (ف، ك): «حضره».

(٣) الأصل و (ب): «المفتيين». ورد هذا الجمع بهذه الصيغة في «الرسالة» (ص٢٧٨) للإمام الشافعي.

(٤) (ف، ك): «بمسألة».

(٥) (ف، ك): «وحبسوه».

ثـم وردَ مرسـومُ الـسلطان بإخراجـه، فـأُخْرِجَ منهـا يـوم الاثـنين يـوم عاشوراء، من سنة إحدى وعشرين. وتوجَّه إلى داره.

***

ثم لم يزل بعد ذلك يُعَلِّم الناس ويلقي الدَّرس بالحنبلية[1] أحيانًا، ويُقْرأ عليه في مدرسته[2] بالقَصَّاعين[3] في أنواع العلوم[4].

وكنتُ أتردَّدُ إليه في هذه المدّة أحيانًا[5]، وقرأتُ عليه قطعةً من «الأربعين» للرازي، وشَرَحَها لي، وكتب لي على بعضها شيئًا، وكان يُقرأ عليه في تلك المدة من كتبه، وهو يُصْلح فيها، ويزيدُ وينقص.

ولقد حضرت معه يومًا في بستان الأمير فخر الدين بن الشمس لؤلؤ[6]، وكان قد عمل وليمةً، وقرأتُ على الشيخ في ذلك اليوم أربعين حديثًا. وكتب بعضُ الجماعة أسماء الحاضرين، وأخذ الشيخُ بعد ذلك في

---

(١) المدرسة الحنبلية بدمشق، أوقفها شرف الإسلام عبد الوهاب بن أبي الفرج الحنبلي (ت٥٣٦). انظر «الدارس في تاريخ المدارس»: (٢/ ٥٠ ـ ٦٢).

(٢) (ب): «مدرسة».

(٣) وهي دار الحديث السكريّة. انظر «الدارس في تاريخ المدارس»: (١/ ٥٦ ـ ٥٩)، وكتاب «دار الحديث السكرية سُكنى شيخ الإسلام ابن تيمية» لمحمد مطيع الحافظ.

(٤) (ف، ك): «أنواع من العلم».

(٥) كان عمر المؤلِّف حينها ستة عشر عامًا، وكونه يقرأ عليه الأربعين للرازي في هذه السنّ ما يدلّ على نبوغه المبكر رحمه الله.

(٦) قال ابن كثير: «متولّي البرّ، كان مشكورًا» (ت٧٣٦). انظر «البداية والنهاية»: (١٨/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠)، و«الدرر الكامنة»: (٣/ ٦٥).

الكلام في أنواع العلوم؛ فَبُهِتَ الحاضرون لكلامه، واشتغلوا بذلك عن الأكل.

ومما حفظتُ من كلامه في[1] المجلس قوله:

«يقول الله تعالى في بعض الكتب: أهلُ ذكري أهلُ مشاهدتي، وأهلُ شكري أهلُ زيادتي[2]، وأهلُ طاعتي أهل كرامتي، وأهلُ معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي؛ إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأُطَهِّرهم من المعايب»[3].

وحصل في ذلك المجلس خير كثير، وكان فيه غير واحد من المشايخ. واستمرَّ الشيخُ بعد ذلك على عادته.

[الكلام في مسألة شدّ الرّحال وما وقع للشيخ من فصول]

فلمّا كان في سنة ستٍّ وعشرين وسبعمائة، وقع الكلام في مسألة شدِّ الرِّحال، وإعمال المطِيِّ إلى قبور الأنبياء والصالحين، وظفروا للشيخ بجواب سؤال في ذلك، كان قد كتبه من سنين كثيرة، يتضمَّن حكايةَ قولين في المسألة، وحجَّة كلِّ قولٍ منهما[4].

(١) بقية النسخ: «في ذلك».

(٢) (ك): «زيارتي».

(٣) ذكره شيخ الإسلام في مواضع من كتبه «منهاج السنة»: (٦/ ٢١٠)، و«مجموع الفتاوى»: (١٠/ ٨٦، ١٤/ ٣١٩). وابن القيم في «الوابل» (ص١٥٨) وغيره. وانظر «الضعيفة»: (٩/ ٣٨٣) للألباني.

(٤) وسيأتي نص السؤال وجوابه (ص٤٠٢ وما بعدها).

وكان للشيخ في هذه المسألة كلامٌ متقدِّم أقدمُ[1] من الجواب المذكور بكثير[2]، ذكره في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم»[3] وغيره، وفيه [ق١١٨] ما هو أبلغ من هذا الجواب الذي ظفروا به.

وكَثُر الكلام، والقيل والقال، بسبب العثور على الجواب المذكور، وعَظُم التشنيعُ على الشيخ، وحُرِّف عليه، ونُقِلَ عنه ما لم يَقُله، وحَصَلت[4] فتنةٌ طار شرَرُها في الآفاق، واشتدَّ الأمر، وخِيْفَ على الشيخ من كَيْد القائمين في هذه القضية بالديار المصرية والشامية، وكثر الدعاءُ والتضرُّعُ والابتهال إلى الله. وضَعُفَ من أصحاب الشيخ من كان[5] عنده قوَّة، وجَبُن منهم من كانت له هِمَّة.

وأما الشيخ ــ رحمه الله ــ فكان ثابتَ الجأْش، قويَّ القلب. وظهر صدقُ توكّله واعتماده على ربِّه.

ولقد اجتمع جماعةٌ معروفون بدمشق، وضربوا مشورةً في حقِّ الشيخ؛ فقال أحدهم: يُنفَى، فَنُفِيَ القائل. وقال آخر: يُقطع لسانه، فقُطِعَ لسانُ القائل. وقال آخر: يُعَزَّر، فعُزِّرَ القائل[6]. وقال آخر: يُحْبَس، فحُبِسَ القائل. أخبرني بذلك من حضر هذه المشورة وهو كارهٌ لها.

---

(١) ليست في (ب).

(٢) (ف): «بكثرة».

(٣) (٢/ ١٨٢ وما بعدها).

(٤) (ك): «وحصل».

(٥) (ب): «كانت».

(٦) «وقال آخر... القائل» سقط من (ف).

واجتمع جماعة آخرون بمصر، وقاموا في هذه القضية قيامًا عظيمًا، واجتمعوا بالسلطان، وأجمعوا أمرَهم على قتل الشيخ، فلم يوافقهم السلطان على ذلك.

***

[حَبْس الشيخ بقلعة دمشق]

ولمَّا كان يوم الاثنين بعد العصر، السادس من شعبان من السنة المذكورة، حضر إلى الشيخ من جهة نائب السلطنة بدمشق مشَدُّ الأوقاف، وابنُ خطير أحد الحُجَّاب[1]. وأخبراه أنَّ مرسوم السلطان وردَ بأن يكون في القلعة، وأحضرا معهما مركوبًا، فأظهر الشيخ السرورَ بذلك، وقال: أنا كنتُ منتظرًا ذلك، وهذا فيه خيرٌ عظيم.

وركبوا جميعًا من داره إلى باب القلعة، وأُخْلِيَت له قاعة حسنة، وأُجْري إليها الماء، ورُسِمَ له بالإقامة فيها، وأقام معه أخوه زينُ الدين يخدمه بإذن السلطان، ورُسِم له بما يقوم بكفايته.

وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قُرئ بجامع دمشق الكتابُ السلطانيُّ الوارد بذلك، وبمنعه من الفُتيا.

وفي يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر القاضي الشافعيُّ بحبس جماعة

---

(١) يحتمل أن يكون مسعود أو محمود ابنا أوحد بن خطير، وكلاهما ولي الحجوبية بمصر، توفي الأول سنة (٧٥٢)، والثاني سنة (٧٤٩). انظر «الدرر الكامنة»: (٤/ ٣٤٨، ٣٢٣).

من أصحاب الشيخ بسجن الحكم، وذلك بمرسوم النائب وإذنه له في فِعْل ما يقتضيه الشرع في أمرهم.

وأُوذي جماعةٌ من أصحابه، واختفى آخرون، وعُزِّرَ جماعةٌ، ونُودِيَ عليهم، ثم أُطْلِقوا، سوى الإمام[1] شمس الدين محمد بن أبي بكر إمام الجوزيَّة، فإنه حُبِسَ بالقلعة، وسكنت القضية[2].

---

(١) ليست في (ب).

(٢) بعده في (ف، ك، ط): «وهذه صورة الفتيا وموافقة البغاددة له وغيرهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على محمد وآله.

أما بعد، فهذه فُتيا أفتى بها الشيخ الإمام تقيّ الدين أبوالعباس أحمد ابن تيميَّة رضي الله عنه. ثم بعد مدة نحو سبع عشرة سنة أنكرها بعض ا لناس وشنع بها جماعة عند بعض ولاة الأمور، وذكرت بعبارات شنيعة، ففهم منها جماعة غير ما هي عليه، وانضمَّ إلى الإنكار والشناعة وتغيّر الألفاظ أمورٌ، أوجب ذلك كلّه مكاتبةَ السلطان سلطان الإسلام بمصر أيده الله تعالى، فجمع قضاة بلده، ثم اقتضى الرأي حبسه فحبس بقلعة دمشق المحروسة، بكتاب ورد سابع شعبان المبارك سنة ست وعشرين وسبعمائة.

وفي ذلك كله لم يحضر الشيخ المذكور بمجلس حكم، ولا وقف على خطه الذي أنكر، ولا ادّعي عليه بشيء.

فكتب بعض الغرباء من بلده هذه الفتيا، وأوقف عليها بعضَ علماء بغداد، فكتبوا عليها بعد تأملها وقراءة ألفاظها.

وسئل بعض مالكية دمشق عنها، فكتبوا كذلك، وبلغنا أن بمصر من وقف عليها فوافق.

ونبدأ الآن بذكر السؤال الذي كتب عليه أهل بغداد، وبذكر الفتيا وجواب الشيخ المذكور عليها، وجواب الفقهاء بعده. =

وهذا صورة السؤال وجواب الشيخ عنه[1]:

ما يقول السادة العلماء، أئمة الدين، نفع الله بهم المسلمين، في رجل نوى[2] زيارةَ قبور الأنبياء والصالحين[3]، مثل نبينا محمد ﷺ، وغيره. فهل يجوز له في سفره أن يَقْصُر الصلاة؟ وهل هذه الزيارة شرعية أم لا؟

وقد رُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**من حجَّ ولم** [ق١١٩] **يَزُرْني فقد جفاني**»، «ومن زارني بعد موتي[4] كمن زارني في حياتي». وقد رُوِيَ عنه ﷺ أنَّه قال: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**».

أفتونا مأجورين[5].

= وهذه صورة السؤال والأجوبة:

المسؤول من إنعام السادة العلماء والهداة الفضلاء أئمة الدين وهداة المسلمين وفقهم الله لمرضاته وأدام بهم الهداية، أن ينعموا ويتأملوا الفتوى وجوابها المتصل بهذا السؤال المنسوخ عقبه وصورة ذلك».

(١) «وهذا... عنه» ليست في «ف». و(ب): «وهذه...». وقد نُقِلت هذه الفتوى وما بعدها من هنا في «مجموع الفتاوى»: (٢٧/ ١٨٣ ـ ٢١٣). ومنها نسخة خطية في المكتبة المحمودية برقم (٢٧٧٥) ضمن مجموع، وسنقابل النص بها ونرمز لها بـ (م).

(٢) (ف، ك): «نوى السفر إلى».

(٣) (م): «أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين... زيارة قبر نبيّ من الأنبياء...».

(٤) (ب): «موتى كان...». (م): «موتي فكأنما...».

(٥) (ف، ك): زيادة: «رحمكم الله».

الجواب

الحمد لله ربِّ العالمين.

أمَّا من سافر لمجرَّد زيارة قبور الأنبياء والصالحين؛ فهل يجوز[1] له قَصْر الصلاة؟ على قولين معروفين:

أحدهما ـ وهو قول متقدِّمي العلماء الذين لا يجوِّزون القَصْرَ في سفر المعصية، كأبي عبد الله بن بطَّة، وأبي الوفاء بن عَقيل، وطوائف كثيرين من العلماء المتقدمين ـ: أنه لا يجوز القَصْر في مثل هذا السفر؛ لأنّه سفرٌ منهيٌّ عنه. [ومذهب مالك والشافعي وأحمد: أنَّ السفر المنهيَّ عنه][2] في الشريعة لا يُقْصَر فيه.

والقول الثاني: أنه يُقْصَر، وهذا يقوله من يُجَوِّز القصرَ في السفر المحرَّم، كأبي حنيفة. ويقوله بعضُ المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد، ممن يجوِّز السفرَ لزيارة قبور الأنبياء والصالحين، كأبي حامد الغزالي، وأبي الحسن بن عبدوس الحرَّاني، وأبي محمد بن قُدامة المقدسي. وهؤلاء يقولون: إنَّ هذا السفر ليس بمحرَّم لعموم قوله ﷺ: «**زُوروا القبور**»[3].

وقد يحتجُّ بعضُ من لا يعرف الحديث بالأحاديث المرويَّة في زيارة

---

(١) (ب): «لمجرد قبور... قيل يجوز».

(٢) ما بينهما سقط من الأصل و (ب)، وهو انتقال نظر.

(٣) أخرجه مسلم (٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قبر النبيّ ﷺ، كقوله[1]: «من زارني بعد مماتي، فكأنَّما زارني في حياتي» رواه الدارقطني[2].

وأمَّا ما يذكره[3] بعضُ الناس من قوله: «من حجَّ ولم يزُرْني فقد جفاني»[4] فهذا لم يروه أحدٌ من العلماء، وهو مثل قوله: «من زارني وزار أبي[5] في عام واحد ضمنتُ له على الله الجنَّة»[6].

فإنَّ هذا أيضًا باطلٌ[7] باتفاق العلماء، لم يروه أحد، ولم يحتجّ به أحد، وإنما يحتجُّ بعضُهم بحديث الدارقطني[8].

وقد احتجَّ أبو محمد المقدسي[9] على جواز السفر لزيارة القبور

---

(١) الأصل: «لقوله».

(٢) (٢/ ٢٧٨) من حديث حاطب، قال شيخ الإسلام: «وهو ضعيف باتفاق أهل العلم» «الاقتضاء»: (٢/ ٢٩٦). وفي (ب، م) زيادة: «وابن ماجه» ولم أجده فيه.

(٣) (ف، ك): «ذكره».

(٤) أخرجه ابن حبان في «المجروحين»: (٣/ ٧٣) في ترجمة النعمان بن شبل، وقال فيه: «يأتي عن الثقات بالطامات، وعن الأثبات بالمقلوبات». وقال الذهبي في «الميزان»: (٤/ ٢٦٥): «هذا موضوع».

(٥) (ك، ط): «أبي إبراهيم». وهي كذلك في المراجع التي ذُكر فيها الحديث.

(٦) لم أجده مسندًا، وقد سُئِل عنه النووي فقال: باطل موضوع. وكذا قال شيخ الإسلام. انظر «تذكرة الموضوعات» (ص٧٦)، و«تنزيه الشريعة»: (٢/ ٢١٣).

(٧) ليست في (ف، ك، ط).

(٨) بعده في (ف، ك، ط): «ونحوه».

(٩) هو الإمام ابن قدامة المقدسي، انظر كتابه «المغني»: (٣/ ١١٧ـ ١١٨).

بأنه[1] ﷺ كان يزور مسجدَ قُباء. وأجاب عن حديث: «**لا تُشَدُّ الرِّحال**» بأنَّ ذلك محمولٌ على نفي الاستحباب.

وأما الأولون؛ فإنَّهم يحتجُّون بما في «الصحيحين»[2] عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**».

وهذا الحديث اتفق[3] الأئمةُ على صحَّته والعمل به، فلو نذر بشَدِّه الرَّحْلَ[4] أن يصلي بمسجد، أو مشهد، أو يعتكف فيه ويسافر إليه، غير هذه الثلاثة= لم يَجِب عليه ذلك باتفاق الأئمة.

ولو نذر أن يسافر ويأتي المسجد الحرام بحجٍّ[5] أو عُمرة= وجبَ عليه ذلك باتفاق العلماء.

ولو نَذَر أن يأتي مسجد النبيّ ﷺ، أو المسجد الأقصى، لصلاةٍ أو اعتكاف= وجب عليه الوفاءُ بهذا النذر، عند مالك والشافعيّ ــ في أحد قوليه ــ وأحمد، ولم يجب عليه[6] عند أبي حنيفة؛ لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان[7] جنسه واجبًا بالشرع.

---

(١) (ف، ك، ط): «لأنه».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) (ف، ك): «مما اتفق».

(٤) «بشده الرحل» ليست في (م).

(٥) (ف، ك، ط): «لحج».

(٦) ليست في (ب، م).

(٧) (ف، م): «ما كان من..».

وأما الجمهور؛ فيوجبون الوفاء بكلِّ طاعة، كما ثبت في «صحيح البخاري»[1] عن عائشة رضي الله عنها، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«من نَذَر أن يطيع[2] الله فَلْيطعه، ومن نذر أن يعصيَ الله فلا يعصِه»**.

[ق١٢٠] والسفر إلى المسجدين طاعة، فلهذا وجب الوفاء به. وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاثة؛ فلم يوجب أحدٌ من العلماء السفرَ إليه إذا نَذَره، حتى نصَّ العلماء على أنّه لا يُسافَر إلى مسجد قُباء؛ لأنه ليس من[3] الثلاثة، مع أنَّ مسجد قباء تُستَحبُّ[4] زيارتُه لمن كان في المدينة[5]؛ لأنَّ ذلك ليس بشدِّ رَحْل. كما في الحديث الصحيح: **«من تطهَّر في بيته، ثم أتى مسجد قباء، لا يريد إلا الصلاة فيه، كان كعمرة»**[6].

قالوا: ولأنَّ السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعةٌ، لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أمر بها رسولُ الله ﷺ، ولا استحبَّ ذلك أحدٌ من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادةً، وفَعَلَه، فهو مخالفٌ

---

(١) رقم (٦٦٩٦).

(٢) الأصل و (ف، ك): «يطع».

(٣) (ف، ك، ط): «من المساجد».

(٤) من الأصل و(م).

(٥) هكذا في النسخ غير الأصل، وغيّره في الأصل: «بالمدينة» وكتب في الهامش: «أصل: في المدينة» ولم يبين سبب التغيير، فأبقينا النص كما في الأصول.

(٦) أخرجه ابن ماجه (١٤١٢)، والنسائي (٦٩٩)، وأحمد (١٥٩٨١)، والحاكم: (٣/ ١٢) من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه. وصححه العراقي في «تخريج الإحياء»: (١/ ٢٠٨). والألباني في «الصحيحة» (٣٤٤٦).

للسنَّة ولإجماع الأئمة.

وهذا مما ذكره أبو عبد الله بن بطَّة في «الإبانة الصغرى»[1] من البدع المخالفة للسنة والإجماع.

وبهذا يظهر ضَعْف[2] حجة أبي محمد[3]؛ لأنَّ زيارة النبي ﷺ لمسجد قباء لم تكن بشدِّ رَحْلٍ، ولأن السفر إليه لا يجبُ بالنذر.

وقوله[4]: «**لا تُشَدُّ الرِّحال..**» محمولٌ على نفي الاستحباب؛ يجابُ عنه بوجهين[5]:

أحدهما: أنَّ هذا ـ إن سُلِّم ـ فيه أنَّ هذا السفر ليس بعملٍ صالح، ولا قُرْبة، ولا طاعة، ولا هو من الحسنات. فإذًا من اعتقد أنَّ السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين قُرْبة وعبادةٌ وطاعة، فقد خالف الإجماع. وإذا سافر لاعتقاده أنَّها[6] طاعة؛ كان ذلك محرَّمًا بإجماع المسلمين، [فصار التحريم من جهة اتخاذه قُربة][7]، ومعلومٌ أنَّ أحدًا لا يسافر إليها إلاّ لذلك.

---

(١) (ص٢٤٣).

(٢) (ف، ك، ط): «بطلان».

(٣) (ف، ك، ط) زيادة: «المقدسي».

(٤) (ف، ك، ط) زيادة: «بأن الحديث الذي مضمونه».

(٥) (ب، م): «عنه جوابان»، (ف): «من وجهين».

(٦) (ف، ك، ط): «أن ذلك».

(٧) من (ف، ك، ط). وفي (م): «فصار التحريم من وجهين».

وأما إذا نَذَر الرّجُل أن يسافر إليها لغرضٍ مباح، فهذا جائز، وليس من هذا الباب.

والوجه الثاني: أنَّ هذا[1] الحديث يقتضي النهي، والنهيُ يقضي التحريم. وما ذكره[2] من الأحاديث في زيارة قبر النبيِّ ﷺ فكلُّها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث، بل هي موضوعة، لم يرو أحدٌ من أهل السنن المعتمدة شيئًا منها، ولم يحتجَّ أحدٌ من الأئمة بشيءٍ منها، بل مالكٌ ـ إمام أهل المدينة النبوية وأصحابه[3] الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة ـ كَرِه أن يقول الرجل: زُرْتُ قبرَ النبيِّ ﷺ. ولو كان هذا اللفظ معروفًا[4] عندهم، أو مشروعًا، أو مأثورًا عن النبيِّ ﷺ لم يكرهه عالمُ أهل المدينة.

والإمام أحمد ـ أعلم الناس في زمانه بالسنة ـ لما سُئِلَ عن ذلك، لم يكن عنده ما يعتمد عليه في ذلك من الأحاديث إلا حديث أبي هريرة أنَّ النبيّ ﷺ قال: «**ما مِنْ رجلٍ يُسَلِّم عليَّ إلاّ ردَّ الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام**»[5].

وعلى هذا اعتمد أبوداود في «سننه»[6].

---

(١) «هذا» ليست في (ب، ف، م).

(٢) (ف، ك، ط): «ذكروه». (م): «ذكر».

(٣) من الأصل فقط.

(٤) الأصل: «مشروعًا» سهو.

(٥) أخرجه أحمد (١٠٨١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) رقم (١٧٤٥). قال النووي: بإسناد صحيح. «رياض الصالحين» (ص١٢٤). وقال العراقي: سنده جيد.

وكذلك مالك في «الموطأ»[1]، روى عن عبد الله بن عمر: «أنه كان إذا دخل المسجد قال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتِ[2]، ثم ينصرف».

وفي «سنن أبي داود»[3] عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ، فإنَّ صلاتكم تبلُغني حيثما كنتم**».

وفي «سنن سعيد بن منصور»: أنَّ عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب رأى رجلًا يختلفُ إلى قبر النبيّ ﷺ، فقال له: إن رسول [ق١٢١] الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**»[4] فما أنتَ ورجلٌ بالأندلس منه إلاّ سواء.

وفي «الصحيحين»[5] عن النبيِّ ﷺ أنه قال في مرض موته: «**لعن الله اليهودَ والنصارى، اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد**» يُحَذِّرُ ما فعلوا[6]. ولولا ذلك لأُبرِز قبره، ولكن كره أن يُتَّخذ مسجدًا.

وهم دفنوه في حُجرة عائشة، خلاف ما اعتادوه من الدّفْن في

---

(١) لم أجده فيه، وعزاه شيخ الإسلام في «الاقتضاء»: (٢/ ٢٤٣) لسعيد بن منصور. وأخرجه ابن أبي شيبة: (١١٩١٥) بسندٍ صحيح.

(٢) (ب): «يا أبه».

(٣) رقم (١٧٤٦). وأخرجه أحمد (٨٨٠٤). قال المصنف: بإسناد حسن.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور، وساق المصنف سنده في «الاقتضاء»: (١/ ٣٣٨، ٢/ ١٧٢)، وابن أبي شيبة: (٧٦٢٥) وسنده جيد.

(٥) البخاري رقم (١٣٩٠)، ومسلم رقم (٥٢٩). وفي (ك، ط): زيادة: «عن عائشة».

(٦) بعده في (ب، م): «قالت عائشة».

الصحراء؛ لئلا يصلِّي أحدٌ عند قبره ويُتَّخذ مسجدًا، فيُتَّخَذَ[1] قبرُه وثنًا.

وكان الصحابة والتابعون ـ لمّا كانت الحُجْرة النبويّة منفصلةً عن المسجد إلى زمن الوليد بن عبد الملك ـ لا يدخُل أحدٌ إليه، لا لصلاةٍ هناك، ولا تَمَسُّحٍ[2] بالقبر، ولا دعاء هناك، بل هذا جميعه إنما كانوا يفعلونه في المسجد.

وكان السلفُ من الصحابة والتابعين إذا سلَّموا عليه[3]، وأرادوا الدعاء دَعَوا مستقبلي القبلة، ولم يستقبلوا القبر.

وأما الوقوف للسلام[4] عليه؛ فقال أبو حنيفة: يستقبل القبلة أيضًا، ولا يستقبل القبر.

وقال أكثر الأئمة: بل يستقبلُ القبر عند السلام خاصَّةً. ولم يقل أحدٌ من الأئمة: إنَّه[5] يستقبل القبر عند الدعاء، وليس في ذلك إلا حكاية مكذوبة تُروى عن مالك، ومذهبه بخلافها. واتفق الأئمة على أنه لا يَمسّ قبرَ النبيِّ ﷺ ولا يُقبِّلُه.

وهذا كلُّه محافظةً على التوحيد، فإنَّ من أصول الشرك بالله تعالى اتخاذ القبور مساجد، كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا

---

(١) (ك): «ويتخذه...»، (ف): «ويتخذه فيتخذ»، (م): «ويتخذوه». وسقطت «فيتخذ» من (ب).

(٢) (الأصل، ب): «يمسح». والمثبت هو الموافق للسياق.

(٣) (ف، ك): «على النبي ﷺ».

(٤) (م): «وأما وقوف المسلِّم».

(٥) «بل يستقبل.. إنه» سقطت من (ف، ك، ط).

نَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣]. قالوا: هؤلاء كانوا قومًا صالحين في قوم نوح، فلمّا ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوَّروا على صُوَرِهم تماثيل، ثم طال عليهم الأمَدُ فعبدوها».

وقد ذكر هذا المعنى البخاريُّ في «صحيحه»[١] عن ابن عباس، وذكره محمد بن جرير الطبري وغيره في «التفسير»[٢] عن غير واحد من السَّلف، وذكره وَثِيمَة[٣] وغيره في «قصص الأنبياء» من عدّة طرق، وقد بسطتُ الكلامَ على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضع.

وأولُ من وضع هذه الأحاديث في السَّفرَ لزيارة المشاهد التي على القبور: أهلُ[٤] البدع، من الرافضة ونحوهم، الذين يُعَطِّلون المساجد، ويعظّمون المشاهد[٥] التي يُشْرَك فيها ويُكْذَب[٦]، ويُبْتَدَع فيها دينٌ لم

---

(١) رقم (٤٩٢٠).

(٢) (٢٣/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥).

(٣) هو: وَثِيمة ـ بفتح الواو ـ بن موسى بن الفرات أبو يزيد الوشاء الفارسي الفسوي، أخباري، له مصنفات في «الردة» و«قصص الأنبياء» وغيرها. (ت٢٣٧). قال العقيلي: صاحب أغاليط، وقال مسلمة بن قاسم: لا بأس به، وفي كتبه مناكير كثيرة وموضوعات.
انظر: «ميزان الاعتدال»: (٦/ ٥)، و«لسان الميزان»: (٨/ ٣٧٤)، و«وفيات الأعيان»: (٦/ ١٢ ـ ١٣).

(٤) (ب، م): «هم أهل».

(٥) (ف، ك) زيادة: «يَدَعون بيوتَ الله التي أمر أن يُذكر فيها اسمه، ويُعْبَد وحده لا شريك له، ويعظِّمون المشاهد».

(٦) بعده في (ب، م): «فيها».

يُنْزِل الله به سلطانًا، فإنَّ الكتاب والسنة إنما فيهما[1] ذِكْر المساجد دون المشاهد، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[البقرة: ١٨٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [البقرة: ١١٤].

وقد ثبت عنه ﷺ في «الصحيح»[2] أنَّه كان يقول: «**إنّ مَنْ كان قبلكم كانوا يتَّخِذون القبورَ مساجد. ألا فلا تتخذوا القبورَ مساجدَ، فإني أنهاكم عن ذلك**».

هذا آخر ما أجاب به شيخُ الإسلام، والله سبحانه وتعالى أعلم.

***

وله من الكلام في مثل هذا كثير، كما أشار إليه في الجواب. ولمَّا ظفروا في دمشق بهذا الجواب كتبوه، وبعثوا به إلى الدّيار المصرية، وكتب عليه قاضي الشافعية: قابلتُ الجوابَ عن هذا السؤال المكتوب [ق١٢٢] على خطِّ ابن تيمية فصحّ. إلى أن قال: وإنما المحرَّرُ[3] جَعْلُه زيارة قبر

---

(١) بقية النسخ: «فيه».

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٢) من حديث جندب رضي الله عنه.

(٣) كذا في الأصل، وفي (ب) وكتاب ابن كثير: «المَحَزّ»، (ف): «المخر»، (ك): «المحه» وبهامشها «لعله: المحرف» وكذلك أثبتها في (ط). وليس كذلك، والسياق يأباه. =

النبيّ ﷺ وقبور الأنبياء صلوات الله عليهم معصيةً بالإجماع مقطوعًا بها.

هذا كلامه! فانظر إلى هذا التحريف على شيخ الإسلام! والجواب ليس فيه المنع من زيارة قبور الأنبياء والصالحين. وإنما فيه ذِكْر[1] قولَين في شدِّ الرّحل والسفر إلى مجرَّد زيارة القبور. وزيارةُ القبور من غير شدِّ رَحْلٍ إليها مسألةٌ، وشدُّ الرّحْلِ لمجرَّد الزيارة مسألةٌ أخرى.

والشيخُ لا يمنع الزيارة الخالية عن شدِّ رَحْل، بل يستحبّها، ويندُب إليها. وكُتُبه ومناسكه تشهد بذلك، ولم يتعرَّض الشيخ إلى هذه الزيارة في الفتيا، ولا قال: إنَّها معصية، ولا حكى الإجماعَ على المنع منها. والله سبحانه وتعالى لاتخفى عليه خافية.

ولمَّا وصل خطُّ القاضي المذكور إلى الديار المصرية، كَثُرَ الكلامُ وعَظُمت الفتنة، وطُلِبَ القضاة بها[2]، فاجتمعوا وتكلّموا، وأشار بعضُهم بحبس الشيخ، فرسم السلطان به، وجرى ما تقدَّم ذكره[3].

ثم جرى بعد ذلك أمورٌ على القائمين في هذه القضية لا يمكن ذِكْرها في هذا الموضع[4].

= والأقرب ما في الأصل، ويكون المعنى أن المتحرر من فتوى ابن تيمية كذا وكذا. أو ما في (ب)، والمعنى: أن موضع النقد هو جعله زيارة قبور الأنبياء معصية. وعلى هذين التفسيرين يصح استنكار ابن عبد الهادي على هذا القاضي، وأنه حرَّف كلام ابن تيمية.

(١) (ب): «فيه ذكر».

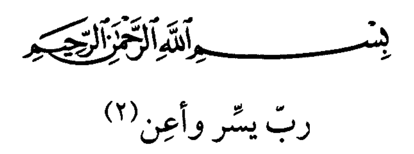
(٢) بعده في (ف): «واجتمع بها».

(٣) (ص٣٩٦ وما بعدها).

(٤) ليته ذكرها مفصلًا، وسبقت إشارته إجمالًا إلى بعض ما وقع لهم (ص٣٩٧ ـ ٣٩٨).

[عدّة أجوبة لعلماء بغداد انتصارًا للشيخ]

جوابٌ آخر وصورته(١):



ربّ يسِّر وأعِن(٢)

يقول العبدُ الفقير إلى الله تعالى:

بعد حَمْدِ الله السابغة نعمُه، الشائعة مِننُه(٣)، والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنه حيثُ قد منَّ الله على عباده، وتفضَّل برحمته على بلاده، بأن وسَّد أمور الأمة المحمديَّة، وأسند أزِمَّة المِلَّة الحنيفية إلى(٤) من خصَّصه الله تعالى بأفضل الكمالات النفسانية، وخصَّصه بأكمل السعادات الروحانية، محيي سنن العدل، ومُبدي سُنن الفضل، المعتصم بحبل الله، المتوكِّل على الله، المكتفي بنعم الله، القائم بأوامر الله، المستظهر بقوة الله، المستضيء بنور الله، أعزَّ الله سلطانه، وأعلى على سائر الملوك شأنه، ولا زالت رقابُ

(١) مكانه في (ف، ك): «وقد وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة إلى علماء بغداد، فقاموا في الانتصار [ف: الأمصار] له، وكتبوا بموافقته، ورأيت خطوطهم بذلك، وهذا صورة ما كتبوا».

(٢) ليست في (ب، ف).

(٣) (ف): «السابعة السائغة مننه»، (ك): «السابغة مننه».

(٤) (ف، ك): «على».

الأمم خاضعة لأوامره، وأعناقُ العباد طائعةً لمراسمه[1]. ولا زال مُوالي دولته بطاعته محبورًا[2]، ومُعادي صولته بخزيه مذمومًا مدحورًا.

فالمرجوُّ من[3] الحضرة المقدَّسة ـ زادها الله علوًّا وشرفًا ـ أن يكون للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وصفوة الأصفياء، وعماد الدين، ومدارُ أهل اليقين، حظٌّ من العناية السلطانية وافر، ونصيبٌ من الرَّحمة والشفقة ظاهر[4]، فإنَّها مَنْقَبَةٌ لا تعادلها فضيلة، وحسنةٌ لا تُحْبِطها سيئة؛ لأنها حقيقة التعظيم لأمر الله، وخلاصة الشَّفَقة على خلق الله.

ولا ريبَ أنَّ المملوك وقف على ما سُئِلَهُ الشيخ الإمام العالم[5] العلاّمة، وحيد دهره، وفريد عصره، تقيُّ الدين أبوالعباس ابن تيمية، وما أجاب به= فوجدتُه خلاصة ما قاله العلماء في هذا الباب، حسب ما اقتضاه الحال من نَقْلِه الصحيح، وما أدى إليه البحثُ من الإلزام والالتزام، لا يَدْخُلُه[6] تحامل، ولا يعتريه تجاهل، وليس فيه ـ والعياذ بالله ـ ما يقتضي الإزراء أو التنقيص بمنزلة الرسول ﷺ.

وكيف يجوزُ للعلماء أن تحملهم العصبية أن يتفوَّهوا بالإزراء

---

(١) (ف): «لمراسه».

(٢) (ك، ط): «مجبورًا».

(٣) (ب، ف، ك): «من ألطاف».

(٤) «ونصيب. ظاهر» سقط من (ف)، و«ظاهر» سقطت من (ك، ط)، و(ب): «نصيب...»، والأصل: «أو نصيب...».

(٥) ليست في (ف، ك، ط).

(٦) (ف، ك، ط): «يداخله».

والتنقيص في حقِّ الرسول عليه السلام؟!

وهل يجوز أن يتصوَّر مُتَصَوِّرٌ أنَّ [ق١٢٥] زيارةَ قبر النبيّ[١] ﷺ تزيدُ في قَدْره!؟ وهل تَرْكها مما ينقصُ من تعظيمه؟! حاشا للرسول من ذلك!

نعم لو ذكر ذلك ذاكرٌ ابتداءً، وكان هناك قرائنُ تدلُّ على الإزراء والتنقيص، أمْكن حَمْلُه على ذلك، مع أنه كان يكون كنايةً[٢] لا صريحًا، فكيفَ وقد قاله في معرض السؤال، وطريق البحث والجدال[٣] ؟!

مع أنَّ المفهوم من كلام العلماء وأنظار العقلاء: أنَّ الزيارة ليست عبادةً وطاعةً بمجرّدها[٤]، حتى لو حلف أنَّه يأتي بعبادةٍ أو طاعةٍ، لم يَبَرَّ بها.

لكن القاضي ابن كَجٍّ[٥] ـ من متأخري أصحابنا ـ ذكر أن نذر هذه الزيارة عنده قُربة تلزمُ ناذِرَها. وهو منفردٌ به، لا يساعده في ذلك نقلٌ صريح ولا قياسٌ صحيح، والذي يقتضيه مطلقُ الخبر النبويِّ في قوله عليه السلام: «**لا تُشَدُّ الرحال**. . . » إلى آخره= أنَّه لا يجوز شدُّ الرحال إلى غير

---

(١) بقية النسخ: «قبره».

(٢) (ف): «كتابة».

(٣) (ك، ط): «الجدل».

(٤) (ك، ط): «لمجردها».

(٥) هو: يوسف بن أحمد بن يوسف بن كَجّ أبو القاسم الدينوري الشافعي، من أصحاب الوجوه في المذهب، له تصانيف كثيرة. (ت٤٠٥). انظر «طبقات الشافعية»: (٤/ ٣٥٩) للسبكي، و«سير النبلاء»: (١٧/ ١٨٣).

ما ذُكِر. فمن اعتقد جواز الشدّ إلى غير ما ذُكِرَ[1] أو وجوبه، أو ندبيَّته= كان مخالفًا لصريح النهي، ومخالفة النهي معصية ـ إما كفر أو غيره ـ على قَدْر المنهيّ عنه، ووجوبه، وتحريمه، وصفةِ النهي. والزيارةُ أخصُّ من وجه؛ فالزيارة بغير شدٍّ غير منهيٍّ عنها، ومع الشدِّ منهيٌّ عنها.

وبالجملة؛ فما ذكره الشيخُ تقيّ الدين على الوجه المذكور الموقوف عليه، لم يستحقّ عليه عقابًا، ولا يوجب عتابًا.

والمراحم السلطانية أحْرَى بالتوسِعَة عليه، والنظر بعين الرأفة والرحمة إليه، وللآراء الملكيّة علوُّ المزيد.

حرَّره ابنُ الكُتبي الشافعي[2]، حامدًا لله على نعمه.

جواب آخر

الله الموفق.

ما أجاب به الشيخُ الأجلُّ الأوحدُ، بقية السلف، وقدوة الخلف، رئيس المحقّقين، وخلاصة المدقّقين، تقيُّ الملَّة والحقّ والدين= مِن الخلاف في هذه المسألة، صحيحٌ منقول في غيرِ ما كتابٍ من كتب أهل العلم، لا اعتراض عليه في ذلك؛ إذ ليس في ذلك ثَلْبٌ لرسول الله ﷺ، ولا غَضٌّ من قدره ﷺ.

---

(١) «فمن. . . ما ذكر» سقط من (ف، ك، ط).

(٢) لعله: يوسف بن إسماعيل بن إلياس أبو المحاسن الشافعي البغدادي، المعروف بابن الكتبي (ت٧٥٥). انظر «الوفيات»: (٢/ ١٧٠) لابن رافع، و«مشيخة ابن رجب» (ص١١٣).

وقد نصَّ الشيخ أبو محمد الجويني في كتبه على تحريم السَّفَر لزيارة القبور، وهو[1] اختيار القاضي الإمام عياض بن موسى بن عياض في «إكماله»[2]. وهو أفضل[3] المتأخرين من أصحابنا.

ومن «المدوَّنة»[4]: «ومن قال: عليَّ بالمشي إلى المدينة، أو بيت المقدس، فلا يأتيهما أصلًا، إلا أن يريد الصلاة في مسجديهما، فليأتهما».

فلم يجعل نَذْر زيارة قبره طاعةً يجب الوفاء بها، إذ من أصلنا: أنَّ من نَذَر طاعةً لزمه الوفاءُ بها، كان من جنسها ما هو واجبٌ بالشرع ـ كما هو مذهب أبي حنيفة ـ أو لم يكن.

قال القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق عقيب هذه المسألة: ولولا الصلاة فيهما لما لزمه إتيانهما، ولو كان نَذَر زيارةَ طاعةٍ لما[5] لزمه ذلك.

وقد ذكر ذلك القيرواني في «تقريبه»، والشيخ ابن بشير[6] في

---

(١) (ف، ك، ط): «وهذا».

(٢) (٤/ ٤٤٩).

(٣) (ف، ك، ط): «من أفضل». وعلق ناسخ (ك) بنقل كلام القسطلاني في شرح البخاري في مسألة شدّ الرحل... ثم قال: «فيسع ابن تيمية رحمه الله في منعه شدّ الرحل لزيارة القبور ما وَسِع أبا محمد الجويني، والقاضي حسينًا وعياضًا وغيرهم، إن كان الإنصاف يُعدّ مرضاة اهـ. كذا في المنقول عنه».

(٤) (٢/ ١٨).

(٥) (ب): «نذر زيارته»، و«لما» سقطت من باقي النسخ.

(٦) «وقد ذكر ذلك» سقطت من (ب)، و «ابن بشير» تحرفت في (ف، ك، ط) إلى: «ابن =

«تنبيهه».

وفي «المبسوط»: قال مالك: ومن نذر المشي إلى مسجدٍ من المساجد ليصلي فيه، قال: فإني أكره ذلك له؛ لقوله ﷺ: «**لا تُعْمَلُ المَطِيُّ إلاَّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس، ومسجدي هذا**».

وروى محمد بن المَوَّاز في «المَوَّازِيَّة» عنه[1]: إلا أن يكون قريبًا، فيلزمه الوفاءُ؛ لأنَّه ليس بشدِّ رَحْل.

وقد قال الشيخ أبوعُمر بن عبد البر في كتاب «التمهيد»[2]: يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد.

وحيث تقرَّر هذا؛ فلا يجوز [ق١٢٦] أن يُنسب من أجاب في هذه المسألة بأنَّه سَفَرٌ منهيٌّ عنه إلى الكفر، فمن كفَّره بذلك من غير موجب، فإن كان مستبيحًا ذلك، فهو كافر وإلاّ فهو فاسق.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن علي المازَرِي في كتاب «المعلم»[3]: «من كفَّر أحدًا من أهل القبلة، فإن كان مستبيحًا لذلك[4] فقد كفر، وإلاَّ

= سيرين». وهو: إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير، أبو الطاهر التنوخي، كان إمامًا في مذهب مالك، صاحب اجتهاد واختيار. (ت بعد ٥٢٦). انظر «الديباج المذهب» (ص٨٧).

(١) ليست في (ف، ك، ط).

(٢) (١/ ١٦٨).

(٣) (/). وتحرفت في (ب) إلى «العلم».

(٤) (ف، ك، ط): «ذلك».

فهو فاسق، يجب على الحاكم إذا رُفِعَ أمرُه إليه أن يؤدِّبه ويُعزِّره بما يكون رادعًا لأمثاله، فإن ترك ذلك[1] مع القدرة عليه فهو آثم». والله تعالى أعلم.

كتبه محمد بن عبد الرحمن البغدادي الخادم للطائفة[2] المالكية بالمدرسة الشريفة المُسْتنصرية، رحمة الله تعالى على مُنْشِئها.

وكتب تحته الإمام صفيُّ الدين [ق١٢٤] ابن عبد الحقّ الحنبلي[3]:

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلواته على سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين. ما ذكره مولانا الإمام، العالم العامل، جامع الفضائل[4]، بحر العلوم، ومنشأ الفضل، جمال الدين، الكاتب[5] خطّه أمام خطّي هذا، جَمَّل الله به الإسلام، وأسبل عليه سوابغ الإنعام، أتى فيه بالحقِّ الجليِّ الواضح، وأعرضَ فيه عن إغْضاء المشايخ؛ إذ السؤال والجواب اللذين[6] تقدماه، لا يخفى على ذي فطنةٍ وعقل، أنه أتى في الجواب المطابق[7]

---

(١) ليست في (ف، ك).

(٢) (ب): «لطائفة». يعرف بابن عسكر. ترجمته في «الديباج المذهب» (ص٣٣٣) لابن فرحون.

(٣) هذه العبارة ليست في (ف، ك) وبدلًا منها: «أجاب غيره فقال». وترجمته في «أعيان العصر»: (٣/ ١٨١)، و«الذيل على طبقات الحنابلة»: (٥/ ٧٧ ـ ٨٤). وهو صاحب كتاب «مراصد الاطلاع».

(٤) (ف، ك): زيادة: «والفوائد».

(٥) (ف، ك): «كاتب».

(٦) كذا، والوجه «اللذان».

(٧) (ب، ك): «بالمطابق».

للسؤال، بحكاية أقوال العلماء الذين تقدَّموه، ولم يبق عليه في ذلك إلاّ أن يعترضه معترض في نقله فيبرزه له من كتب العلماء الذين حكى أقوالهم.

والمعترض له بالتشنيع، إما جاهل لا يعلم ما يقول، أو مُتجاهل يحمله حسدُه وحميّته[1] الجاهلية على ردٍّ ما هو عند العلماء مقبول، أعاذنا الله تعالى من غوائل الحسد، وعَصَمنا من مخايل النكد، بمحمد وآله الطاهرين[2].

كتبه العبد الفقير[3] إلى عفو ربه ورضوانه: عبد المؤمن بن عبد الحق الخطيب. غفر الله له ولجميع المسلمين آمين، والحمد لله، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وسلامه[4].

***

وجوابٌ آخر لبعض علماء أهل الشام المالكية[5]

الحمد لله، وهو حسبي.

السفر إلى غير المساجد الثلاثة ليس بمشروع. وأما من سافر إلى مسجد النبي ﷺ ليُصلي فيه ويُسَلِّم على النبي ﷺ وعلى صاحِبَيه ـ رضي الله عنهما ـ فمشروعٌ كما ذُكر[6] باتفاق العلماء.

---

(١) (ف، ك): «وحمية».

(٢) العبارة في (ف، ك): «. . . وآله الطيبين الطاهرين، والحمد لله رب العالمين». ويُنبَّه إلى أن السؤال بالنبي ﷺ لا يجوز.

(٣) «العبد» ليست في (ك)، و«الفقير» ليست في (ب).

(٤) (ب): «. . له ولوالديه. . »، و(ف، ك): «غفر الله له وللمسلمين أجمعين» فقط.

(٥) هذا الجواب متأخر في (ف، ك) بعد جواب ابن البتي الحنبلي.

(٦) (ب): «ذكرنا».

وأمّا لو قَصَد إعمال المطيّ لزيارته ﷺ ولم يقصد الصلاة؛ فهذا السَّفر إذا ذكر رجلٌ فيه خلافًا للعلماء، وأن منهم من قال: إنه منهيٌّ عنه، ومنهم من قال: إنه مباح، وأنه على القولين[1] ليس بطاعة ولا قُرْبة ـ فمن جعلَه طاعةً وقربةً[2] على مقتضى هذين القولين كان حرامًا بالإجماع ـ وذكَرَ حُجَّةَ كلِّ قول منهما، أو رجَّح أحدَ القولين= لم يلزمه ما يلزم[3] مَنْ تَنَقَّص؛ إذ لا تنقُّص في ذلك، ولا إزراء بالنبي ﷺ.

وقد قال مالك ـ رحمه الله ورضي عنه ـ لسائلٍ سأله أنه نذر أن يأتي قبر النبي ﷺ، فقال: إن كان أراد مسجد النبي ﷺ فليأته وليصلِّ فيه، وإن كان أراد القبر، فلا يفعل؛ للحديث الذي جاء: «**لا تُعْمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد**»، والله أعلم[4].

كتبه أبو عَمْرو بن أبي[5] الوليد المالكي[6].

نقلتُ هذه الأجوبة كلّها من خطِّ المفتين بها.

***

(١) (ب): «قولين».

(٢) «فمن جعله طاعةً وقربة» من الأصل و(ب).

(٣) «ما يلزم» ليست في (ب).

(٤) «للحديث. . . أعلم» ليست في (ب).

(٥) «أبي» ليست في (ب).

(٦) ترجمته في «البداية والنهاية»: (١٨/ ٤٧٦) و«الدرر الكامنة»: (١/ ٢٤٧). قال ابن كثير: «وتأسف الناس عليه وعلى صلاحه وفتاويه النافعة الكثيرة» (ت٧٤٥).

وقد وصل ما أجاب به الشيخُ في هذه المسألة إلى علماء بغداد، فقاموا في الانتصار له، وكتبوا بموافقته، ورأيتُ خطوطَهم بذلك، وهذه صورة ما كتبوا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ[1]

بعد حَمْد الله الذي هو فاتحة كلِّ كلام، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير الأنام، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، أعلام الهدى ومصابيح الظلام.

يقول أفقر عباد الله[2]، وأحوجهم إلى عفوه: ما حكاه الشيخُ الإمام، البارع الهُمام، افتخار الأنام، جمال الإسلام، ركن الشريعة، ناصر السنة، قامع البدعة، جامع أشتات الفضائل، قدوة العلماء الأماثل في هذا الجواب، من أقوال العلماء، والأئمة النبلاء ـ رحمة الله عليهم أجمعين ـ بَيِّنٌ لا يُدْفَع، ومكشوفٌ لا يتَقَنَّع، بل أوضح من النيِّرَين، وأظهر من فَرَق الصبح لذي عين[3]. والعُمْدة في هذه المسألة: الحديثُ المتفق على صِحَّته، ومنشأ الخلاف بين العلماء من احتمالي[4] صيغته.

---

(١) هذا التصدير سبق ذكره في (ف، ك) (ص٤١٤) وبدله هنا فيهما: «وأجاب غيره فقال».

(٢) (ف): «عباده».

(٣) بقية النسخ: «لذي عينين».

(٤) (ب): «احتمال».

وذلك أنَّ صيغة قوله ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرِّحالُ...**»[1] ذاتُ وجهين: نفي ونهي، لاحتمالها لهما، فإنْ لُحِظَ معنى النفي، فمعناه[2] نفي فضيلة واستحباب شدِّ الرَّحل، وإعمال المَطيِّ إلى غير المساجد الثلاثة[3]. إذ لو فُرض وقوعهما لامتنع رفعهما. فتعيَّن توجُّه النفي إلى فضيلتهما واستحبابهما دون ذاتهما، وهذا عامٌّ في كلِّ ما يُعتقد أن إعمال المطي وشدّ الرِّحال إليه قُربة وفضيلة؛ من المساجد، وزيارة قبور الصالحين، وما جرى هذا المجرى، بل أعمّ من ذلك. وإثبات ذلك النفي[4] لإعمال المطي إلى المساجد الثلاثة وما خرج من ذلك العموم[5]، بدليل ضرورة إثبات ذلك المنفيّ المقدَّر في صدر الجملة لما بعد «إلاّ»، وإلاّ لما افترق الحكم بين ما قبلها وما بعدها، وهو مفترق. وحينئذٍ[6] لا يلزم من نفي الفضيلة والاستحباب نفي الإباحة.

فهذا وجهُ متمسَّك من قال بإباحة هذا السفر، بالنظر إلى أنَّ هذه الصيغة نفي، وبنى على ذلك جواز القصر.

وإن كان النهي ملحوظًا، فالمعنى حينئذٍ نهيه عن إعمال [ق١٢٣] المَطيّ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) (ك): «فمقتضاه»، وفي هامشها: «فمعناه»، كذا في الأصل على هامشه» اهـ أبوإسماعيل يوسف حسين.

(٣) (ف، ك): «شد الرحال». وعبارة: «المطي. . . الثلاثة» سقطت من (ف).

(٤) الأصل: «المنفي» والمثبت من (ب).

(٥) «المنفي. . . العموم» سقط من (ف، ك).

(٦) (ف، ك، ط): «حينئذ».

وشدّ الرِّحال إلى غير المساجد الثلاثة؛ إذ المقرَّر عند عامة الأصوليين أن النهي عن الشيء قاضٍ بتحريمه أو كراهته، على حسب مقتضى الأدلة. فهذا وجه متمسَّك من قال بعدم جواز القصر في هذا السفر؛ لكونه منهيًّا عنه[1].

وممَّن[2] قال بحرمته: الشيخ الإمام أبو محمد الجُوَيني من الشافعية، والشيخ الإمام أبو الوفاء بن عقيل من الحنابلة، وهو الذي أشار القاضي عياض ـ من المالكية ـ إلى اختياره.

وما جاء من الأحاديث في استحباب زيارة القبور؛ فمحمول[3] على ما لم يكن فيه شدُّ رَحْلٍ وإعمالُ مَطِيٍّ، جمعًا بينهما.

ويحتمل أن يقال: لا يصلح أن يكون غير حديث: «**لا تُشَدُّ الرِّحال**» معارضًا، لعدم مساواته إيّاه في الدَّرَجة؛ لكونه من أعلى أقسام الصحيح. والله تعالى أعلم.

وقد بلغ[4] أنه زُري وضُيِّق على المجيب، وهذا أمر يَحارُ فيه اللبيب، ويتعجَّب منه الأريب، ويقعُ به في شكٍّ مريب! فإنَّ جوابه في هذه المسألة قاضٍ بذكر خلاف العلماء، وليس حاكمًا بالغضِّ من الصالحين والأنبياء. فإنَّ الأخذ بمقتضى كلامه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ في الحديث المتفق

---

(١) «في هذا. . . عنه» سقط من (ب).

(٢) الأصل: «ومن».

(٣) (ف): «فمحمولة».

(٤) كذا في الأصول عدا (ف): «بلغني».

على رَفْعِه[1] إليه: هو الغايةُ القصوى في تتبع أوامره ونواهيه، والعدول عن ذلك محذور، وذلك مما لا مِرْيَة فيه.

وإذا كان كذلك؛ فأيُّ حرجٍ على من سُئل عن مسألة، فذكر فيها خلاف الفقهاء، ومال فيها إلى بعض أقوال[2] العلماء؟! فإنَّ الأمر لم يزل كذلك على مرِّ العصور، وتعاقب الدُّهور.

وهل ذلك محمول من القادح إلّا على امتطاء نضو[3] الهوى، المفضي بصاحبه إلى التَّوى، فإنَّ من يُقْتَبس من فوائده، ويُلْتَقط من فرائده، لحقيق بالتعظيم، وخليقٌ بالتكريم، ممن له الفهم السليم، والذِّهن المستقيم. وهل حكمُ المُظَاهِرِ عليه في الظاهر، إلاَّ كما قيل في المثل السائر، وقول الشاعر: «الشعير يُؤكل ويُذَمّ»[4].

جزى بنوه أبا الغيلان عن كِبَرٍ ... وحُسْن فعلٍ كما يُجْزى سِنمَّار[5]

[وغيره][6]:

---

(١) (ف): «صحته رفعه»، (ك): «صحة رفعه».

(٢) «الفقهاء. . . أقوال» سقط من (ب).

(٣) الأصل: «نصر»، (ف): «تصولد. وفي الهامش إشارة إلى نسخة: لصهوه»، والمثبت من (ك). والنضو: المهزول.

(٤) «الشعير. . . » ليست في (ب).

(٥) الأصل: «سمنار». والبيت لسليط بن سعد. انظر «الأغاني»: (٢/ ١٣٨)، و«خزانة الأدب»: (١/ ٢٧٥).

(٦) من (ف). والبيتان لمالك بن أسماء، انظر «البيان والتبيُّن»: (١/ ١٤٧)، و«الأغاني»: (١٧/ ٢٣٨).

وحـــديث ألـــذّه، هـــو مـــمّا يَنْعَــتُ النَّــاعِتون يُــوزَنُ وزنــا
منطــقٌ رائــع[1] وتــلحَنُ أحيـا نًا، وخيرُ الحديث ما كان لحنا

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]. وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]. وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ولولا خشية الملالة لما نكَبْتُ عن الإطالة. نسأل الله الكريم أن يسلك بنا وبكم سُبُل[2] الهداية، وأن يجنّبنا وإيّاكم مسلك الغواية، إنه على كلِّ شيءٍ قدير، وبالإجابة جدير، حسبنا الله ونعم الوكيل، نِعم المولى[3] ونعم النصير.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلوات الله وسلامه على سيّد المرسلين. محمد النبي وآله الطاهرين، وأصحابه الكرام المنتجبين[4].

---

(١) (ف، ك): «أربع» خطأ. والرواية: «صائب».

(٢) (ف، ك، ط): «سبيل».

(٣) «نعم المولى» ليست في (ف، ك، ط). وفي (ب): «وهو حسبنا».

(٤) (ف، ك، ط): «المنتخبين».

هذا جواب الشيخ الإمام العلامة جمال الدين يوسف بن عبد المحمود بن عبد السلام ابن البتّي الحنبلي[1] رحمه الله[2]. ومن خطه نقلتُ[3].



(١) توفي في شوال سنة (٧٢٦هـ). ترجمته في «الذيل على طبقات الحنابلة»: (٤/ ٤٦٣).

(٢) بعده في (ف، ك، ط): «قال المؤلف. . .».

(٣) بعده في (ف، ك، ط) جواب أحد علماء الشام من المالكية، وهو في الأصل و (ب) مقدّم قبل جواب ابن البتي الحنبلي.

ووقفتُ على كتاب وَرَدَ مع أجوبة أهل بغداد، وصورته:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ناصر الملة الإسلامية، ومُعِزِّ الشريعة المحمدية، بدوام أيام الدولة المباركة السلطانية، المالكية[(١)] الناصرية، ألبسها الله تعالى لباس العزّ المقرون بالدوام، وحلَّاها بحِلْيَة النَّصْر المستمرِّ بمرور الليالي والأيّام. والصلاة والسلام على النبيّ المبعوث إلى جميع الأنام، وعلى آله البَرَرة الكرام.

اللهم إنَّ بابك لم يزل مفتوحًا للسائلين، ورِفْدكَ ما بَرِحَ مبذولًا للوافدين، مَنْ عوَّدته مسألتك وحدَك، لم يسأل أحدًا سواك. ومن منَحْتَه منائح رِفْدك، لم يَفِدْ على غيرك، ولم يَحْتَمِ إلَّا بِحِماك. أنت الربُّ العظيم الكريم الأكرم. قَصْدُ بابِ غيرك على عبادك محرَّم، أنت الذي لا إله غيرك، ولا معبود سِواك، عزَّ جارك، وجلَّ ثناؤك، وتقدَّست أسماؤك، وعَظُم بلاؤك، ولا إله غيرك.

لم[(٢)] تزل سُنَّتُك في خَلْقِك جاريةً [ق١٢٧] بامتحان أوليائك وأحبابك[(٣)]، تفضُّلًا منك عليهم، وإحسانًا من لدنك إليهم، ليزدادوا لك في جميع الحالات ذِكرًا، ولأنْعُمِك في جميع التقلُّبات شكرًا. ولكنَّ أكثر الناس

---

(١) (ب): «الملكية».

(٢) (ف، ك): «ولم».

(٣) (ف): «وأحبائك».

لا يعلمــــــون. ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

اللهم وأنت العالم الذي لا يُعَلَّم، وأنت الكريم الذي لا يُبَخَّل[١]، قد علمت يا عالم السِّرِّ والعلانية، أنَّ قلوبنا لم تزل ترفع إخلاص الدعاء صادقة، وألسنتنا في حالتي السرِّ والعلانية ناطقة= أن تسعفنا بإمداد هذه الدولة المباركة الميمونة السلطانية الناصرية بمزيد العلاء والرفعة والتمكين، وأن تحقِّق آمالنا فيها بإعلاء الكلمة، ففي[٢] ذلك رفع قواعد دعائم الدين، وقمع[٣] مكايد الملحدين؛ لأنَّها الدولة التي بَرِئت من غشيان الجَنَفِ والحيْفِ، وسَلِمت من طغيان القلم والسَّيفِ.

والذي تنطوي عليه ضمائر المسلمين، وتشتمل عليه سرائر المؤمنين: أنَّ السلطان الملك الناصر للدين، ممن قال فيه ربُّ العالمين، وإله السماوات والأرضين ـ الذي بتمكينه في أرضه[٤] حصل التمكينُ لملوك الأرض، وعظماء السلاطين ــ في كتابه العزيز الذي يُتْلَى، فمن شاء فليتــــدبَّر: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الحج: ٤١]. وهو ممن مكَّنه الله في الأرض تمكينًا، يقينًا لا ظنًّا.

---

(١) (ب): «اللهم أنت الله». (ف، ك): «تعلم. . . تبخل».

(٢) (ف، ك، ط): «في».

(٣) (ب): «ورفع».

(٤) «في أرضه» ليس في (ب).

وهو ممَّن يُعْنَى بقوله[1] تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥].

والذي عَهِدَه[2] المسلمون، وتعوَّده المؤمنون، من المراحم الكريمة، والعواطف الرحيمة: إكرام أهل الدين، وإعظام علماء المسلمين.

والذي حَمَل على رفع هذه الأدعية الصريحة إلى الحضرة الشريفة ـ وإن كانت لم تزل مرفوعةً إلى الله سبحانه بالنية الصحيحة ـ قولُه ﷺ: «**الدينُ النَّصيحة**»، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم**»[3]. وقوله ﷺ: «**الأعمال بالنيات**»[4]. وهذان الحديثان مشهوران بالصحة، مُستفاضان[5] في الأمة.

ثم إن هذا الشيخ المعظَّم الجليل، والإمام المكرَّم النبيل، أوحد الدهر، وفريد العصر، طراز المملكة الملكية، وعَلَم الدولة السلطانية، لو أقْسَم مُقْسم بالله القدير: إنَّ هذا الإمام الكبير ليس له في عصره مماثل ولا

---

(١) «تمكينا. . . بقوله» ليس في (ب). والآية في الأصل و(ب) إلى قوله: ﴿أَمْنًا ۚ﴾.

(٢) (ك): «عهد».

(٣) أخرجه مسلم رقم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٥) (ف، ك، ط): «ومستفيضان».

نظير= لكانت يمينُه بَرَّةً غنيةً[1] عن التكفير. وقد خلت من وجود مثله السبعُ الأقاليم، إلا هذا الإقليم، يوافق على ذلك كلُّ منصف جُبِلَ على الطبع السليم. ولست بالثناء عليه أُطريه، بل لو أطنب مُطْنِبٌ في مدحه والثناء عليه، لما أتى على بعض الفضائل التي هي فيه. أحمد ابن تيمية، دُرَّة يتيمة[2] يُتنافس فيها، تُشْتَرى ولا تباع، ليس في خزائن الملوك دُرَّة تماثلها وتؤاخيها، انقطعت عن وجود مثله الأطماع.

لقد أصَمَّ الأسماع، وأوهى المتبوعين والأتباع= سماعُ رفع أبي العباس ـ أحمد ابن تيمية ـ إلى القلاع، وليس يقع من مثله أمرٌ [ق١٢٨] يُنْقَم منه عليه، إلاَّ أن يكون أمرًا قد لُبِّسَ[3] عليه، ونُسِبَ إلى ما لا يُنْسَب مثلُه إليه. والتطويل على الحضرة العالية لا يليق، إن يكن في الدنيا قطبٌ فهو القطبُ على التحقيق.

قد نَصَبَ الله السلطان ـ أعلى الله شأنه ـ في هذا الزمان منصب يوسف الصديق صلى الله على نبينا وعليه، لما صرف الله وجوه أهل البلاد إليه، حين أَمحَلَتِ البلاد[4]، واحتاجَ أهلُها إلى القوت[5] المُدَّخَر لديه. والحاجةُ بالناس الآن إلى قوت الأرواح الرُّوحانية أعظم من حاجتهم في

---

(١) «مقسم» و«غنية» سقطت من (ب).

(٢) (ب): «يتمية».

(٣) (ب): «أمرًا لبس»، (ف): «إلا أنه».

(٤) «حين أمحلت البلاد» سقط من (ب).

(٥) (ك): «الفوات» وفي هامشها: لعله القوت.

ذلك الزمان إلى طعم الجثث الجثمانية. وأقوات الأرواح[1] المشار إليها[2]، لا خفاء أنها العلوم[3] الشريفة، والمعاني اللطيفة.

وقد كانت في بلاد المملكة السلطانية ـ حرسها الله تعالى ـ تُكال إلينا جُزافًا بغير أثمان، مِنْحَةً عظيمة من الله للسلطان، ونعمةً جسيمةً، إذ خصَّ بلاد مملكته، وإقليم دولته بما لا يوجد في غيرها من الأقاليم والبلدان، وقد كان وفد الوافدون من سائر الأمصار[4]؛ فوجدوا صاحبَ صُواع الملك قد رُفع إلى القلاع، ومثل هذه المِيرة لا توجد في غير تلك البلاد لتُشتَرى أو تُباع، فصادف ذلك جَذْب الأرض ونواحيها، جَذْبًا أعطب أهاليها، حتَّى صاروا من شدَّة حاجتهم إلى الأقوات كالأموات.

والذي عرَّض للملك بالتضييق على صاحب صُواعه مع شدَّة الحاجة إلى غذاء الأرواح، لعله لم يتحقّق عنده أنَّ هذا الإمام من أكابر الأولياء، وأعيان أهل الصلاح، وهذه نزغةٌ من نزغات الشيطان، قال الله سبحانه: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وأمّا إزراء بعض العلماء عليه في فتواه، وجوابه عن مسألة شدِّ الرِّحال

---

(١) «الروحانية. . . الأرواح» سقطت من (ف، ك، ط).

(٢) (ف، ك، ط): «المشار في ذلك الزمان إليها».

(٣) (ك، ط): «للعلوم».

(٤) (ب): «وقد كان الوافدون». (ف، ك، ط): «وكان قد وفد. . إلى تلك الديار فوجدوا...».

إلى القبور[1]؛ فقد حُمِلَ جوابُ علماء هذه البلاد إلى نظرائهم من العلماء، وقُرَنائهم من الفضلاء، وكلُّهم أفتى أنَّ الصواب في الذي به أجاب.

والظاهر بين الأنام أنَّ إكرام هذا الإمام، ومعاملته بالتبجيل والاحترام؛ فيه من[2] قوام الملك، ونظام الدولة، وإعزاز الملَّة[3]، واسْتِجْلاب الدعاء، وكَبْتِ الأعداء، وإذلال أهل البدع والأهواء، وإحياء الأمة، وكشف الغُمَّة، ووفور الأجر، وعُلُوِّ الذِّكْر، ورفع البأس، ونفع الناس[4]. ولسانُ حال المسلمين تالي قول الكبير المتعال: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ [يوسف: ٨٨].

والبضاعة المزجاةُ: هي هذه الأوراق المرقومة بالأقلام، والمِيرة المطلوبة: هي الإفراج عن شيخ الإسلام. والذي حَمَل على هذا الإقدام قولُه عليه السلام[5]: «**الدينُ النصيحة**» والسلام.

وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين[6]، وسلَّم تسليمًا.

هذا آخر هذا الكتاب.

***

---

(١) بقية النسخ: «زيارة القبور».

(٢) (ف، ك، ط): «فيه قوام».

(٣) «وإعزاز الملة» ليست في (ب).

(٤) «ورفع البأس» ليست في (ب)، «ونفع الناس» ليست في (ف).

(٥) «قوله عليه السلام» ليست في (ب). وتقدم تخريج الحديث.

(٦) «ف، ك»: «الكرام».

[1] ووقفتُ على كتابٍ آخر، صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله ربّ العـالمين، والـصلاة والـسلامُ عـلى سـيّد المرسـلين، محمّد النبيّ وآله وصحبه أجمعين.

اللهم فكما أيَّدت ملوكَ الإسلام، وولاة الأمور بالقوَّة والأيْدِ، وشَيَّدْت [ق١٢٩] لهم ذِكْرًا، وجعلتَهم للمقهور اللائذ بجنابهم ذُخْرًا، وللمكسور العائذ بأكناف بابهم جَبْرا، فاشْدُد اللّهم منهم بحسن معونتك لهم أزرًا، وأعْلِ لهم مجدًا وارفع قدرًا، وزدهم عزًّا، وزوِّدهم على أعدائهم[2] نصرًا، وامْنحهم توفيقًا مسدَّدًا، وتمكينًا مستمرًّا.

وبعد؛ فإنه لما قرع أسماعَ أهلِ البلاد المشرقيَّة، والنواحي العراقية التضييقُ على شيخ الإسلام، أبي العباس تقيِّ الدين أحمد ابن تيمية ـ سلمه الله ـ عَظُمَ ذلك على المسلمين، وشقَّ على ذوي الدين[3]، وارتفعت رؤوس الملحدين، وطابت نفوس أهلِ الأهواء والمبتدعين.

ولما رأى علماءُ أهلِ هذه الناحية عُظْمَ هذه النازلة؛ من شماتة أصحاب أهل البدع[4] وأهل الأهواء، بأكابر الأفاضل وأئمة العلماء= أنهَوا

---

(١) قبله في (ف، ك، ط): «قال المؤلف. . . ». وهذا الكتاب سقط برمته من (ب).

(٢) (ف، ك، ط): «أعدائك».

(٣) (ف، ك، ط): «وشق عليهم».

(٤) (ف): «شماتة أصحاب البدع»، (ك، ط): «شماتة أهل. . ».

حالَ هذا الأمر الفظيع والقول[1] الشنيع، إلى الحضرة الشريفة السلطانية ـ زادها الله شرفًا ـ وكتبوا أجوبتهم في تصويب ما أجاب به الشيخ ـ سلَّمه الله ـ في فتاويه[2]، وذكروا من علمه وفضائله بعض ما هو فيه، وحملوا ذلك إلى بين يدي مولانا ملك الأمراء ـ أعزَّ الله أنصاره وضاعف اقتداره ـ غيرةً منهم على هذا الدين، ونصيحةً للإسلام وأمراء المسلمين[3].

والآراء المولوية العالية أولى بالتقديم؛ لأنَّها ممنوحة بالهداية إلى الصراط المستقيم.

وأفضل الصلاة وأشرف[4] التسليم على النبي الأمي، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وسلَّم تسليمًا[5].

***

---

(١) (ف، ك، ط): «والأمر».

(٢) (ك، ط): «فتواه».

(٣) (ف، ك، ط): «المؤمنين».

(٤) «أشرف» ليست في (ف).

(٥) قال مرعي الكرمي في «الكواكب الدريّة» (ص١٧١ ـ ١٧٢) بعد ما ساق هذه الكتب: «والظاهر أن هذه الكتب لم تصل للسلطان الملك الناصر، إما لعدم من يوصلها، أو لموت الشيخ قبل وصولها، وإلا لظهر لها نتيجة، ولم أقف على ذلك. وهذه الأجوبة والكتب وصلت كلها إلى دمشق» اهـ.
ويضاف أيضًا ما قاله الذهبي في «الدرة اليتيمية ـ تكملة الجامع» (ص٤٥) لما تكلم على علاقة الشيخ بالملك الناصر ـ الذي أخرجه من السجن لما تولى عام ٧٠٩، ثم هو الذي يأمر بسجنه سنة ٧٢٦ وقبلها ـ قال: «ولم يكن الشيخ من رجال الدولة، ولا سلك معهم تلك النواميس، فلم يعد السلطان يجتمع به...».

ثم إن الشيخ رحمه الله بقي مقيمًا بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأيامًا[1]، ثم توفي إلى رحمة الله ورضوانه. وما برح في هذه المدة مُكِبًّا على العبادة والتلاوة، وتصنيف الكتب، والردِّ على المخالفين.

وكَتَب على تفسير القرآن العظيم جملةً كثيرة، تشتمل على نفائس[2] جليلة، ونكتٍ دقيقة، ومعانٍ لطيفة، وبيَّن في ذلك مواضع كثيرة أشكلت على خلقٍ من علماء أهل التفسير[3].

وكتب في المسألة التي حُبِسَ بسببها عِدَّة مجلَّدات.

منها: كتاب في الردِّ على[4] الإخنائي، قاضي المالكية بمصر، تُعرف بـ «الإخنائية»[5].

ومنها: كتابٌ كبير حافل في الردِّ على بعض قضاة الشافعية[6]. وأشياء كثيرة في هذا المعنى أيضًا.

***

---

(١) «وأيامًا» ليست في (ب).

(٢) (ب): «نفائس على».

(٣) انظر ما سبق (ص٤٠).

(٤) بقية النسخ: «على ابن».

(٥) طبعت الإخنائية عدة مرات، منها بتصحيح الشيخ المعلمي، وآخرها بتحقيق أحمد العنزي ـ دار الخرّاز.
والإخنائي هو: محمد بن أبي بكر بن عيسى السعدي المصري المالكي، قاضي المالكية بالديار المصرية (ت٧٥٠). انظر «أعيان العصر»: (٤/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣) و«الدرر الكامنة»: (٣/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨).

(٦) لعله يعني «الزملكانية» وسيأتي ذكر الشيخ لها قريبًا (ص٤٤٠).

[وفاة الشيخ عبد الله ابن تيمية[1] أخي الشيخ]

وفي هذه المدة التي كان الشيخ فيها بالقلعة توفي أخوه الشيخ الإمام[2] العلامة البارع، الحافظ الزاهد[3] الورع، جمال الإسلام، شرف الدين أبو محمد عبد الله. توفي يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الأولى من سنة سبعٍ وعشرين وسبعمائة. وصُلِّيَ عليه ظهر اليوم المذكور بجامع دمشق، وحُمِلَ إلى باب القلعة، فصُلِّيَ عليه مرَّة أخرى، وصلَّى عليه أخوه[4]، وخَلْق من داخل القلعة، وكان الصوتُ بالتكبير يبلغهم[5]، وكثر البكاء في تلك الساعة، وكان وقتًا مشهودًا. ثم صُلِّي عليه مرَّةً ثالثة ورابعةً، وحُمِلَ على الرؤوس والأصابع إلى مقبرة الصوفية، فدُفِنَ بها. وحضر جنازتَه جمعٌ كثير، وعالم عظيم، وكثر الثناءُ والتأسُّف [ق١٣٠] عليه.

وكان ـ رحمه الله ـ صاحب صدق وإخلاص، قانعًا باليسير، شريف النفس، شجاعًا مِقْدامًا مجاهدًا، بارعًا في الفقه، إمامًا في النحو، مستحضرًا التراجم السلف ووفياتهم، له في ذلك يدٌ طولى، عالمًا بالتواريخ المتقدمة والمتأخرة. وكان ـ رحمه الله ـ شديد الخوف والشَّفقة على أخيه شيخ الإسلام.

---

(١) توفي سنة (٧٢٧). ترجمته في «أعيان العصر»: (٢/ ٦٩٢)، و«الذيل على طبقات الحنابلة»: (٤/ ٤٧٧)، و«الدرر الكامنة»: (٢/ ٢٦٦).

(٢) «الشيخ» ليست في (ب)، و (ف، ك، ط): زيادة «العالم».

(٣) بعده في (ب): «العابد».

(٤) بقية النسخ: «أخواه».

(٥) (ف، ك، ط): «يبلغهما».

وكان يخرجُ من بيته ليلًا، ويرجع إليه ليلًا، ولا يجلس في مكان معيَّن، بحيث يُقْصد فيه، ولكنه[1] يأوي إلى المساجد المهجورة، والأماكن التي ليست بمشهورة.

وكان كثير العبادة والتألُّه، والمراقبة والخوف من الله. ولم يزل على ذلك إلى حين مرضه ووفاته.

ومولده في اليوم الحادي عشر من المحرم سنة ستٍّ وستين وستمائة بحرَّان.

وسمع من [ابن] أبي[2] اليُسر، والجمال عبد الرحمن البغدادي، وابن الصيرفي، والشيخ شمس الدين، وابن البخاري، وخلق كثير.

وحدَّث وسمع الكتب الكبار.

وقد سُئل عنه الشيخ كمال الدين ابن الزّملكاني، فقال: هو بارعٌ في فنون عديدة؛ من الفقه، والنحو، والأصول، ملازمٌ لأنواع الخير وتعليم العلم، حسن العبادة[3]، قويٌّ في دينه، جيِّد التفقُّه، مُسْتحضرٌ[4] لمذهبه استحضارًا جيِّدًا، مليحُ البحث[5]، صحيحُ الذِّهن، قويُّ الفهم.

***

---

(١) (ف): «ولكنه كان».

(٢) الأصل: «من أبي اليُسر»، (ب): «من ابن اليسر». والإصلاح من بقية النسخ، وقد سبق على الصواب في أول الكتاب.

(٣) تحتمل في الأصل: «العبارة».

(٤) (ف، ك): «مستحضرًا».

(٥) «جيد. . . البحث» سقط من (ب).

قلتُ: وما زال الشيخُ تقيُّ الدين ـ رحمه الله ـ في هذه المدَّة معظَّمًا مكرَّمًا، يُكرمه نقيبُ القلعة ونائبها إكرامًا كثيرًا، ويستعرضان[1] حوائجه ويُبالغان في قضائها.

وكان ما صنَّفه في هذه المدة قد خرج بعضُه من عنده، وكتبه بعض أصحابه، وظهر واشتهر[2]، فلما كان قبل وفاته بأشهُر وَرَد مرسومٌ[3] بإخراج ما عنده كلِّه، ولم يبق عنده كتابٌ ولا ورقة، ولا دَوَاةٌ ولا قلم. وكان بعد ذلك إذا كتب ورقةً إلى بعض أصحابه، كتبها[4] بفحم. وقد رأيتُ أوراقًا عِدَّة بعثها إلى أصحابه، وبعضُها مكتوبٌ بفحم. منها ورقةٌ يقول فيها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته[5]. نحن ولله الحمد والشكر في نعم متزايدة متوفِّرة، وجميعُ ما يفعله الله فيه نصر الإسلام، وهو من نعم الله العظام. و﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٢٨]. فإنَّ الشيطان استعمل حزبه في إفساد دين الله، الذي بعث به رُسُلَه، وأنزل به[6] كُتُبَه.

---

(١) الأصل و (ب): «ويستعرضا».

(٢) «وظهر» ليست في (ب)، (ك): «واشتهر وظهر».

(٣) (ك، ط): «مرسوم السلطان».

(٤) (ف، ك): «يكتبها».

(٥) (ب): «أوراقًا عدة وبعضها. . . يقول فيها: سلام الله عليكم ورحمته. . . ».

(٦) «به» ليست في (ك، ط).

ومن سنة الله: أنَّه إذا أراد إظهار دينه، أقام من يُعارضه[1]، فيُحِقُّ الحقَّ بكلماته، ويقذِفُ بالحقِّ على الباطل فيدمَغُه فإذا هو زاهق.

والذي سعى فيه حزبُ الشيطان لم يكن مخالفةً لشرع محمد ﷺ وحدَه، بل مخالفة لدين جميع المرسلين، إبراهيم وموسى والمسيح، ومحمد خاتم النبيين صلى الله عليهم أجمعين.

وكانوا قد سعوا في أن لا يظهر من جهة حزب الله ورسوله خطابٌ ولا كتاب، وجزعوا من إظهار[2] «الإخنائية»، فاستعملهم الله تعالى حتى أظهروا أضعافَ ذلك وأعظم، وألزمهم بتفتيشه [ق١٣١] ومطالعته، ومقصودُهم إظهار عيوبه وما يحتجون به، فلم يجدوا فيه إلا ما هو حُجَّةٌ عليهم، وظهر لهم جهلُهم وكذبُهم وعجزُهم، وشاع[3] هذا في الأرض، وهذا مما لا يقدر عليه إلا الله، ولم يمكنهم أن يُظهروا علينا فيه عيبًا في الشرع والدين، غايةُ[4] ما عندهم: أنه خُوْلِف مرسومُ بعضِ المخلوقين، والمخلوقُ ـ كائنًا من كان ـ إذا خالفَ أمرَ الله ورسوله، لم يُجَب، بل[5] ولا يجوز طاعته في مخالفة أمر الله ورسوله باتفاق المسلمين.

وقول القائل: «إنه يُظْهِر البدع»، كلامٌ يَظهرُ فساده لكلِّ مستبصر، ويعلم أنَّ الأمر بالعكس، فإنَّ الذي يُظهر البدعة، إما أن يكون لعدم علمه

---

(١) (ب): «يفارقه».

(٢) (ف، ك، ط): «ظهور».

(٣) (ب): «وكذبهم شاع».

(٤) بقية النسخ: «بل غاية».

(٥) ليست في (ب).

بسنة الرسول، أو لكونه له غرضٌ وهوًى يخالف ذلك، وهو أولى بالجهل بسنة الرسول، واتباع هواهم بغير هدًى من الله ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، ممَّن هو[1] أعلمُ بسنَّة الرسول منهم، وأبعدُ عن الهوى والغرض في مخالفتها ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨ ـ ١٩].

وهذه قضيَّة كبيرة لها شأن عظيم، وليعلمنَّ نبأه بعد حين.

ثم ذكر الشيخُ في الورقة كلامًا، لا يمكن قراءة جميعه، لانطماسه. وقال بعده:

وكانوا يطلبون تمام «الإخنائية»، فعندهم ما يُطِمُّهم أضعافها، وأقوى فقهًا منها، وأشدَّ مخالفة لأغراضهم. فإنَّ «الزملكانية»[2] قد بُيِّنَ فيها من نحو خمسين وجهًا أنّ ما حُكِمَ به ورُسِم به مخالفٌ لإجماع المسلمين، وما فعلوه ـ لو كان ممن يعرف ما جاء به الرسول، يتعمَّد[3] مخالفته ـ لكان كُفرًا وردَّةً عن الإسلام؛ لكنهم جُهَّال دخلوا في شيءٍ ما كانوا يعرفونه، ولا ظنوا أنه يظهر منه أنَّ السلطنة تخالف مرادهم، والأمرُ أعظم

(١) (ب): «هم».

(٢) لعل ما في «مجموع الفتاوى»: (٢٧/ ٢٩٠ ـ ٣١٣) مختصر منها، ففي أولها: «فصل في الجواب عما كتب على نسخة جواب الفتيا... قد بُسطت في غير هذا الموضع، وهي خمسون وجهًا...».

(٣) (ب): «ويتعمد».

مما ظهر لكم، ونحن ولله الحمد على عظيم الجهاد في سبيله.

ثـم ذكـر كلامًـا وقـال: بـل جهادُنـا في هـذا مثـل[1] جهادنـا يـوم قـزان والجبلية، والجهمية والاتحادية[2]، وأمثال ذلك. وذلك من أعظم نعـم الله علينا وعلى الناس ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون.

***

ومنها ورقة قال فيها:

ونحن ولله الحمد والشكر في نِعَم عظيمة تتزايـدُ كـلَّ يـوم، ويجُـدِّد الله تعالى من نعمه نعمًا أخرى، وخروج الكتب كـان مـن أعظـم الـنِّعم، فـإنِّي كنت حريصًا على خروج شيءٍ منهـا، ليقفـوا[3] عليـه، وهـم كرهـوا خـروج «الإخنائية»، فاستعملهم الله في إخراج الجميع، وإلزام المنازعين بالوقوف عليه، وبهذا يظهر ما أرسل الله به رُسلَه[4] من الهدى ودين الحق.

فإنَّ هذه المسائل كانت[5] خفيَّة عـلى أكثـر النـاس، فـإذا ظهـرت لمـن كان قصده الحقّ هداه الله، ومن كـان قـصده الباطـل قامـت عليـه حُجّـةُ الله، واستحقَّ[6] أن يُذِلَّه الله ويُـخزِيه.

---

(١) الأصل و (ب): «ثم».

(٢) (ك، ط): «قازان». و (ب): «والاتحادية والجهمية».

(٣) (ف، ك، ط): «لتقفوا».

(٤) (ف، ك): «رسوله».

(٥) ليست في (ب).

(٦) (ف، ك، ط): «أو استحق».

وما كتبتُ شيئًا من هذا ليُكْتَم عن أحد[1] ولو كان مُبْغِضًا. والأوراق التي فيها جواباتكم غُسِلت. وأنا طيِّبٌ، وعيناي طيبتان أطيب مما كانت[2]، ونحنُ في نعمة عظيمة لا تُحْصَى ولا تُعَدُّ، والحمد لله[3] حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه.

ثم ذكر كلامًا. . . وقال:

وكلُّ ما يقضيه الله فيه الخير والرحمة[4] ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]. ولا يدخلُ على أحدٍ ضررٌ إلا من ذنوبه ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]. فالعبد عليه أن يحمد الله تعالى ويشكره[5] دائمًا على كلِّ حال، ويستغفر من ذنوبه، فالشكر يوجبُ المزيدَ من النِّعم، والاستغفار يَدْفَعُ النِّقم، ولا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيرًا له **«إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء صَبرَ، فكان خيرًا له»**[6].

***

(١) (ف): «إليكم عن واحد».

(٢) (ف، ك، ط): «أطيب ما»، (ب): «مما كنت».

(٣) (ف، ك، ط): «في نعم»، (ب): «فلله الحمد».

(٤) (ف، ك) زيادة: «والحكمة».

(٥) (ف، ك، ط): «يشكر الله ويحمده».

(٦) «إن أصابته. . . خيرًا له» ليست في (ب).

وهذه الورقة كتبها الشيخ وأرسلها[1] بعد خروج الكُتُب من عنده بأكثر من ثلاثة أشهر، في شهر شوال، قبل وفاته بنحو شهرٍ ونصف.

ولمَّا أُخرِج ما عندَه من الكتب والأوراق، حُمِلَ إلى القاضي علاء الدين القونوي، وجُعل تحت يده في المدرسة العادلية[2].

وأقبل الشيخُ بعد إخراجها على العبادة والتلاوة والذِّكْر والتهجُّد حتى أتاه اليقين.

وختم القرآن مدَّة إقامته بالقلعة ثمانين أو إحدى وثمانين ختمة. انتهى في آخر ختمةٍ إلى آخر (اقتربت)[3]: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٤ ـ ٥٥]. ثم كُملت عليه بعد وفاته وهو مُسجًّى[4].

كان كلَّ يوم يقرأ ثلاثةَ أجزاء، يختم[5] في عشرة أيام. هكذا أخبرني أخوه زينُ الدين.

وكانت مُدَّة مرضه بضعةً وعشرين يومًا، وأكثرُ الناس ما علموا بمرضه، فلم يفجأ الخلقَ إلا نعيُه[6]، فاشتدَّ التأسُّفُ عليه، وكَثُر البكاءُ والحزن،

---

(١) ليست في (ب).

(٢) انظر ما سبق في تفصيل ما آلت إليه الكتب (ص٤١).

(٣) (ف، ك، ط): «اقتربت الساعة».

(٤) الذي في «اختيارات شيخ الإسلام» (ص١٤٦) أن القراءة على الميت بدعة، ولا ينتفع بها بعد موته، بخلاف القراءة على المحتضر.

(٥) (ف): «ويختم».

(٦) الأصل: «بغتة». والمثبت من المصادر، وانظر «الدرة اليتيمية ـ تكملة الجامع» (ص٤٩).

ودخل إليه أقاربه وأصحابه، وازدحم الخلقُ على باب القلعة والطرقات، وامتلأ جامعُ دمشق، وصلَّوا عليه، وحُمِلَ على الرؤوس ـ رحمه الله ورضي عنه ـ.

قال الشيخ عَلَم الدين[١]: وفي ليلة الاثنين العشرين[٢] من ذي القَعْدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، توفّي الشيخ الإمامُ، العلاّمة الفقيه، الحافظ الزاهد، القدوة، شيخ الإسلام، تقيُّ الدين أبو[٣] العباس أحمد ابن شيخنا الإمام المفتي، شهاب الدين، أبي المحاسن عبد الحليم، ابن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات، عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحرَّاني، ثم الدمشقي، بقلعة دمشق، في القاعة[٤] التي كان محبوسًا فيها.

وحضرَ جمعٌ كثير[٥] إلى القلعة، فأُذِنَ لهم في الدخول، وجلس جماعةٌ عنده[٦] قبل الغَسْل، وقرأوا القرآن، وتبرَّكوا برؤيته وتقبيله، ثم انصرفوا[٧].

---

(١) في تاريخه «المقتفي لتاريخ أبي شامة» لكن القسم المطبوع منه إلى سنة (٧٢١). وقد نقل كلامه أيضًا ابن كثير في «البداية والنهاية»: (١٨/ ٢٩٥ ـ ٢٩٩) وغيره.

(٢) (ك): «لعشرين»، وسقطت من (ب).

(٣) الأصل: «أبي».

(٤) «في القاعة» ليست في (ف، ك، ط).

(٥) «كثير» ليست في (ف، ك، ط).

(٦) ليست في (ك، ط).

(٧) «وحضر. . . انصرفوا» ليست في (ف).

واقْتُصِر على من يُغَسِّله ويُعِيْن في غسله، فلما فرغ من ذلك أُخرج وقد اجتمع الناسُ بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق، وامتلأ الجامع وصحنه، والكلاسة، وبابُ البريد، وبابُ الساعات إلى اللبادين والفوَّارة[1].

وحضرت الجنازةُ في الساعة الرابعة من النهار أو نحو [ق١٣٣] ذلك، ووُضِعَت في الجامع، والجُنْد يحفظونها من الناس من شدَّة الزحام، وصُلِّيَ عليه ـ أولًا ـ بالقلعة. تقدَّم في الصلاة عليه الشيخُ محمد بن تمّام[2]. ثم صُلِّي عليه بجامع دمشق، عقيب صلاة الظهر، وحُمِلَ من باب البريد، واشتدَّ الزحام، وألقى الناسُ على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرُّك[3]. وصارَ النعشُ على الرؤوس، تارةً يتقدَّم وتارةً يتأخَّر. وخرج الناسُ من الجامع من أبوابه كلِّها من شدَّة الزحام. وكلُّ بابٍ أعظم زحمةً من الآخر!

ثم خرج الناسُ من أبواب البلد جميعها من شدَّة الزحام، لكن كان المُعْظَم من الأبواب الأربعة: باب الفَرَج ـ الذي خَرَجت[4] منه الجنازة ـ ومن باب الفراديس، ومن باب النصر، وباب الجابية. وعَظُمَ الأمر بسوق الخيل[5]، وتقدَّم في الصلاة عليه هناك أخوه زينُ الدين عبد الرحمن،

---

(١) (ب): «وإلى الغوّارة».

(٢) من العلماء الزهاد (ت٧٤١). انظر: «أعيان العصر» (٤/ ٢٧٢) «الدرر الكامنة» (٣/ ٣١١).

(٣) هذا من التبرك الممنوع الذي كان الشيخ رحمه الله ينهى عنه.
وكذلك ما سيأتي ذكره من مبالغات العامة عند غسل جنازته وتشييعها.

(٤) (ف، ك): «أخرجت».

(٥) «وعظم... الخيل» سقط من (ب).

وحُمِلَ إلى مقبرة الصوفية، فدُفِنَ إلى جانب أخيه شرف الدين عبد الله[1] ـ رحمهما الله ـ. وكان دفنه وقت العصر أو قبلها بيسير.

وغلّق الناسُ حوانيتهم، ولم يتخلَّف عن الحضور إلا القليل من الناس، أو مَنْ عَجَز للزّحام[2].

وحضرها نساءٌ كثير[3] بحيث حُزِرُوا بخمسة عشر ألفًا. وأمّا الرجال فحُزِروا بستين ألفًا وأكثر إلى مائتي ألف. وشَرِبَ جماعةٌ الماء[4] الذي فضل من غسله. واقتسم جماعةٌ بقيَّة السِّدْر الذي غُسِّل به.

وقيل: إنَّ الطاقية التي كانت على رأسه دُفِعَ فيها خمسمائة درهم. وقيل: إنَّ الخيط الذي فيه الزئبق، الذي كان في عنقه بسبب القمل، دُفِعَ فيه مائة وخمسون درهمًا. وحصل في الجنازة ضجيجٌ وبكاء وتضرُّع. وخُتِمَت له ختمٌ كثيرة بالصالحية والبلد، وتردَّد الناس إلى قبره أيامًا كثيرة[5] ليلًا ونهارًا، ورُئيت له مناماتٌ كثيرة صالحة، ورثاه جماعةٌ بقصائد جمَّة.

وكان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول، بحرَّان، سنة إحدى وستين وستمائة.

---

(١) وقد توفي سنة (٧٢٧)، انظر ما سبق (ص٤٣٨).

(٢) ليست في (ب).

(٣) (ف، ك): «كثيرون».

(٤) (ب): «من الماء».

(٥) «أيامًا كثيرة» ليست في (ب).

وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، فسمع الحديثَ من ابن عبد الدائم، وابن أبي اليُسْر، وابنِ عَبْدٍ، والشيخ شمس الدين الحنبلي، والقاضي شمس الدين بن عطاءٍ الحنفي، والشيخ جمال الدين ابن الصيرفي، ومجد الدين ابن عساكر، والشيخ جمال الدين البغدادي، والنَّجِيب المِقْداد، [و] ابن أبي الخير، وابن علاَّن، وأبي بكر الهروي[1]، والكمال عبد الرحيم، والفخر عليّ، وابن شيبان، والشرف ابن القوَّاس، وزينب بنت مكِّيّ، وخلقٍ كثير.

وقرأ بنفسه الكثير، وطلبَ الحديث، وكتب الطِّباق والأثبات، ولازمَ السماعَ بنفسه مُدَّة سنين، واشتغل بالعلوم.

وكان ذكيًّا، كثير المحفوظ. فصار إمامًا في التفسير وما يتعلَّق به، عارفًا بالفقه، واختلاف العلماء، والأصلين[2]، والنحو واللغة، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية. وما تكلّم معه فاضل في فنٍّ[3] إلا وظنَّ ذلك[4] الفنَّ فنَّه، ورآه عارفًا به متقنًا له.

وأمّا الحديث؛ فكان حافظًا له[5]، مميزًا بين صحيحه وسقيمه، عارفًا برجاله، [متضلِّعًا من ذلك][6].

---

(١) (ب): «القروي». وفي بعض نسخ «البداية والنهاية»: «ابن أبي بكر...».

(٢) الأصل: «والأصوليين».

(٣) عند ابن كثير: «في فنّ من الفنون العلمية».

(٤) (ب، ف، ك): «إلا ظن أن ذلك».

(٥) عند ابن كثير: «متنًا وإسنادًا».

(٦) من باقي النسخ وابن كثير.

وله تصانيف كثيرة، وتعاليق مفيدة في الفروع والأصول. كَمَّل[1] منها جملةً، وبُيِّضت وكُتِبَت عنه، وجُملة كبيرة[2] لم يكملها، وجملة [ق١٣٤] كمَّلها ولكن لم تُبَيَّض.

وأثنى عليه وعلى فضائله جماعةٌ من علماء عصره، مثل القاضي الخُوييّ[3]، وابن دقيق العيد، وابن النحَّاس، وابن الزَّمْلكاني، وغيرهم.

ووجدتُ بخطِّ الشيخ كمال[4] الدين ابن الزَّمْلكاني أنه اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها. وأنّ له اليد الطُّولى في حُسْن التصنيف[5]، وجَودة العبارة، والترتيب والتقسيم والتبيين. وكَتَب على تصنيفٍ له هذه الأبيات الثلاثة من نظمه، وهي:

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاتُه جلَّت عن الحَصْر

هو حُجَّةٌ لله قاهرةٌ ... هو بيننا أعجوبةُ الدّهر

هو آيةٌ في الخلق[6] ظاهرة ... أنوارُها أرْبَتْ على الفَجْرِ

وهذا الثناء عليه وكان عمره نحو الثلاثين سنة.

---

(١) ليست في (ب).

(٢) (ف، ك): «كثيرة».

(٣) (ك): «الخوي».

(٤) تحرف في الأصل، و(ب، ك، ط) إلى «جمال»، والمثبت من (ف) ومصادر الترجمة، وقد تقدمت ترجمة ابن الزملكاني (ص١٣ ـ ١٤) وأبياته هذه.

(٥) «على... التصنيف» ليست في (ب).

(٦) (ك، ط): «آية للخلق».

وكان بيني وبينه صُحْبة ومودَّة[1] من الصِّغَر، وسماع الحديث والطَّلب من نحو خمسين سنة. وله فضائل كثيرة.

وأسماء مصنفاته، وسيرته، وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة، وحبسُه مرات، وأحوالُه= لا يحتمل ذكر جميعها هذا الكتاب.

ولما مات كنت غائبًا عن دمشق بطريق الحجاز الشريف، وبلغنا خبره بعد موته بأكثر من خمسين يومًا لما وصلنا إلى تبوك، وحصل التأسُّف لفقده ـ رحمه الله تعالى ـ.

***

قلتُ: وقد قيل: إنَّ الخلق الذين حضروا جنازَة الشيخ كانوا أزْيد مما ذُكِر[2].

ومن الجنائز العظيمة في الإسلام: جنازة الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فإنَّ الذين حضروه، وصلوا عليه، كانوا أكثر من ألف ألف إنسان[3].

---

(١) (ف، ك، ط): «مودّة وصُحبة». والقائل هو الحافظ علم الدين البرزالي (ت٧٣٩) فإن الكلام ما زال له. وانظر «معجم سماعات البرزالي ـ ضمن الجامع» (ص٢١٢ ـ ٢٢٣) وفيه ترافق ابن تيمية والبرزالي والمزي في السماع على الشيوخ سنة (٦٨٠هـ) رحم الله الجميع.

(٢) (ب): «ذكروا».

(٣) قال ابن كثير معلقًا في «البداية والنهاية»: (١٨/ ٢٩٩): «ولا شك أنّ جنازة الإمام أحمد بن حنبل كانت هائلة عظيمة بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك. والشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله توفي ببلده دمشق، وأهلُها لا يعشرون أهل بغداد كثرة، ولكنهم اجتمعوا لجنازته اجتماعًا لو جمعهم سلطان قاهر وديوان حاصر لما بلغوا هذه الكثرة التي انتهوا إليها، هذا مع أنه مات بالقلعة مسجونًا من جهة السلطان، وكثير من الفقهاء يذكرون عنه أشياء كثيرة مما ينفر منه أهل الأديان» اهـ.

وقد قال الإمام أبو عثمان الصابوني: سمعتُ أبا عبد الرحمن السُّلَمي يقول: حضرتُ جنازة أبي الفتح القوَّاس الزاهد مع الشيخ أبي الحسن الدارقطني، فلما بلغ إلى ذلك الجمع الكبير أقبل علينا وقال: سمعتُ أبا سهل بن زياد القطان يقول: سمعتُ عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم الجنائز[١].

قال أبو عبد الرحمن على إثر هذه الحكاية: إنَّه حَزَر[٢] الحزَّارون المصلين على جنازة أحمد، فبلغ العددُ بحَزْرهم ألف ألفٍ وسبعمائة ألف، سوى الذين كانوا في السّفن.

وقد وُجِدَ بخَطِّ الشيخ أبياتٌ، قالها بالقلعة، وهي[٣]:

أنا الفقيرُ إلى ربِّ السموات	أنا المسيكين[٤] في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي	والخير إن جاءنا من عنده ياتي
لا أستطيع لنفسي جلبَ منفعةٍ	ولا عن النفس في دفع[٥] المضرَّات
وليس لي دونه مولىً يُدَبِّرني	ولا شفيعٌ إلى ربِّ البريَّات[٦]

---

(١) (ف، ك، ط): «يوم الجنائز». وانظر «سير النبلاء»: (١١/ ٣٤٠).

(٢) (ب): «حزوا».

(٣) الأبيات ذكرها أيضًا تلميذه ابن القيم في «مدارج السالكين»: (٢/ ٢٢٥). وقال: إنه بعث إليه في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه، وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه.

(٤) عامة الأصول: «المسكين» والتصحيح من (د).

(٥) الأصل: «جلب».

(٦) عند ابن القيم: «ولا شفيع إذا حاطت خطيئاتي».

إلاّ بـإذنٍ مـن الـرحمن خالقنـا ربُّ السَّماء[1]، كما قد جا في الآيات

ولـستُ أملـك شـيئًا دونـه أبـدًا ولا شريـكٌ أنـا في بعـض ذرَّاتي

ولا ظهـيرٌ لـه كَـيْما أُعاونـه[2] كـما يكـون لأربـاب الولايـات

والفقر لي وصفُ ذاتٍ[3]، لازمٌ أبدًا كـما الغِنـى أبـدًا وصـفٌ لـه ذاتي

[ق١٣٥] وهذه الحال حالُ الخلق أجمعهم

وكلُّهـم عنـدَه عبـدٌ لـه آتي

فمـن بغـى مطلبًـا مـن دون خالقـه فهو الجهول الظلوم المشرك العاتي

والحمـدُ لله مِـلء الكـون أجمعـه ما كان فيه[4]، وما من بعده ياتي

ثمَّ الصلاةُ على المختار من مُضَرٍ خيرِ البريَّة من ماضٍ ومن آتي[5]

وله أيضًا عفا الله عنه:

إن لله علينـا أنْعُـمًا يعجـز الحـصْرُ عـن العـدِّ لهـا

فلـه الحمـدُ عـلى أنعُمِـه ولـه الحمـدُ عـلى الـشكر لهـا

***

(١) كذا في الأصل و (ك)، وفي (ب، ف، والمدارج): «إلى الشفيع» وإليها إشارة في هامش (ك). وفي هامش (ف) إشارة إلى ما في الأصل و(ك).

(٢) في أكثر نسخ «المدارج» الخطية: «كي أستعين به».

(٣) (ب): «والفقر وصف»، الأصل: «ذاتي»، (ب): «لذاتي».

(٤) (ك): «منه».

(٥) البيت الأخير لم يذكره ابن القيم. وليس هو من نظم شيخ الإسلام كما بيّنه ناظمه في نسخته التي بخطه (الكواكب الدراري ـ الظاهرية رقم ٥٩٧ ـ ق٨٩).

[قصائد في مَدْح الشيخ ورثائه]

وقد مُدِح الشيخ ـ رحمه الله ـ بقصائد كثيرة في حياته، ورُثي بأكثر منها بعد مماته[(١)].

فمن القصائد التي مُدِح بها: قصيدة نجم الدين إسحاق بن أبي بكر ابن أَلمَى التركي[(٢)]، وهي:

ذَرَانيَ مِنْ ذِكْرى سُعادٍ وزينب ... وَمِنْ ندبِ أطْلال اللِّوى والمُحصَّب

وَمِنْ مدح آرامٍ سنَحْنَ برامةٍ ... وَمِنْ غَزَلٍ في وَصْفِ سِربٍ وربرَبِ

ولا تُنْشداني غير شعرٍ إلى العُلا ... يظلُّ ارْتياحًا يَزْدَهيني ويُطْنِب[(٣)]

وإن أنْتُما طارَحْتُمانيَ، فلْيَكُنْ ... حَدِيثُكُما في ذِكْر مَجْدٍ ومَنْصبِ

بِحُبِّ المعالي[(٤)]، لا بحُبِّ امّ جُنْدُب ... أُقَضّي لُباناتِ الفؤادِ المعذَّب

خُلِقت امرءًا جَلْدًا على حَمْليَ الهوى ... فلستُ أُبالي بالقِلى والتجنُّبِ

سواءٌ أرى للوصلِ[(٥)] تعريضَ جُؤذر ... وإعراضَ ظبيٍ أَلْعَسِ الثَّغْرِ أشْنَبِ

ولم أصْبُ في عصر الشبيبة والصِّبا ... فهل أصْبُوَن كهلًا بِلمّة أشْيَبِ

يُعنِّفني في بُغيتي رُتَبَ العُلَى ... جهولٌ أراه راكبًا غيرَ مَرْكبي

---

(١) (ك، ط): «وفاته».

(٢) توفي (بعد ٧٢٠هـ). ترجمته في «المعجم المختص» (ص ٧٢)، والدرر الكامنة: (١/ ٣٥٧).

(٣) (ف): «ويطرب» وهو مناسب. وفي (ح): «ويطأبي».

(٤) (ك، ط): «الأعالي».

(٥) (ف): «الوصل».

لـه همَّـةٌ دون الحـضيضِ محلُّهـا ... ولي همَّةٌ تسمو على كلِّ كوكَبِ

فلـو كـان ذا جهـلٍ بـسيطٍ عَذَرْتُـه ... ولكنَّــه يُـدلي بجهــلٍ مركَّــبِ

يقول:علامَ اخترتَ مذهبَ أحمدٍ ... فقلـتُ لـه: إذْ كـان أحْمَـدَ مَـذْهَبِ

وهـل في ابـنِ شَـيْبَانٍ مقـالٌ لقائـل ... وهل فيه من طعن لِصَاحِبِ مَضْرَبِ؟

أليس الَّذي قد طار في الأرض ذِكْرُهُ ... فطبَّقهـا مـا بـين شَرْقٍ ومغـربِ؟

إمامُ الهدى، الدَّاعي إلى سُنَنِ الهُدَى ... وقد فاضت الأهواءُ من كُلِّ مُشْعَبِ[1]

أتـوا بِعَظيمِ الإفْكِ، وانْتَصَرُوا لـه ... بكــلِّ مقــالٍ بالــدَّليلِ مُكَــذَّبِ

وقـالوا: كـلامُ الله خلـقٌ، وكـذَّبوا ... بما صحَّ نقلًا عن أُبَيّ ومُصْعَبِ[2]

وأصْبَحَ أهْـلُ الحـقِّ بينَ مُعَاقَـبٍ ... وبَــيْنَ مُعَــدٍّ لِــلأذَى مُترقِّــبِ

فقـام بـما يُـوهي ثَبـيرًا ويَـذْبُلًا ... قِيَـامَ هِزَبْـرٍ للفريـسة[3] مُغْـضَبِ

ولمْ يَثْنـه عــنْهُم، ولمَّــا يـصُدَّهُ ... عقُوبـةُ ذي ظلـمٍ وجَـورُ مُعـذِّب

إلى أنْ بـدا الإسـلامُ أبْلَـجَ سـاطِعًا ... وكَشَّفَ عـنْ ظَلْمائهـم كُلَّ غَيْهَب

وهَـدَّم مـنْ أركـانهم كـلَّ شـامخٍ ... ودَوَّخ منْ شُجعانهم كُلَّ قرهب[4]

ومــزَّقهم أيـدي سـبا، فتفرَّقـت ... كتـائِبُهم مـا بَـيْنَ شَرْقٍ ومَغْـرِبِ

وأصْحابُهُ أهْلُ الهُدَى لا يَضُرّهم ... على دينهم طَعْنُ امْرئ جاهلٍ غَبِي

---

(١) (ب): «سنن التقى»، و(ك): «مسغب».

(٢) (ف، ك، ط): «خلقًا»، و(ب): «وابن مصعب».

(٣) الأصل: «للفرية».

(٤) الأصل: «شعانهم» خطأ. والقرهب: الكبير الضخم.

هُـمُ الظـاهِرون القـائمُون بـدينهم ... إلى الحَشْرِ، لم يَغلِبْهمُ ذو تَغَلُّبِ
لنـا مـنهمُ في كـلّ عـصْرٍ أئمـةٌ ... هُـداةٌ إلى العَلْيـا، مَصَابِيْحُ مَرقَبِ
فأَيَّـدهُم رَبُّ العُـلا مِـنْ عِـصَابةٍ ... لإظْهَـارِ دِيْـنِ الله أهْـلِ تَعَـصُّبِ
[ق١٣٦] وقد عَلِمَ الرحمن أنَّ زمانِنا ... تَـشَعَّبَ فيـه الـرأيُ أيَّ تـشَعُّبِ
فجاء بِحَبْرٍ عالمٍ مِنْ سَرَاتِهِمْ[(١)] ... لِـسَبع مئـينٍ بَعْـدَ هِجْـرةِ يَثْـربِ
يُقيمُ قناة الدينِ بَعْدَ اعْوِجاجِها[(٢)] ... ويُنقِـذُها مِـنْ قَبْـضَةِ المتَغَـصِّبِ
فـذاك فتـى تيميَّـةٍ، خـيرُ[(٣)] سَـيِّدٍ ... نجيـبٌ أتانـا مِـنْ سُـلالةِ مُنْجِـبِ
علـيمٌ[(٤)] بـأدواء النفـوس يَسُوسُها ... بحكمتـه، فِعْـلَ الطبيـبِ المُجَـرّب
بعيدٌ عن[(٥)] الفحشاء والبَغي والأذى ... قريـبٌ إلى أهْـل التُّقـى، ذُو تحَبُّبِ
يغِيـبُ، ولكـن عـن مَـساوٍ وغِيبـةٍ ... وعَـنْ مَـشْهَدِ الإحـسْانِ لمْ يتغيَّـبِ
حلـيم كـريم مـشفِقٌ، بَيْـدَ أنَّـهُ ... إذا لم يُطَـعْ في الله، لله يَغْـضَبِ[(٦)]
يَـرى نُـصْرةَ الإسـلامِ أكْـرَمَ مَغْنَمٍ ... وإظهـارَ ديـنِ الله أرْبـحَ مَكْـسَبِ
وكم قدْ غدا بالقَوْل والفِعْل مُبْطلًا ... ضـلالةَ كـذَّابٍ ورأيَ مُكـذِّبِ[(٧)]

---

(١) السراة: السادة.
(٢) (ب): «اعوجاجه».
(٣) الأصل و (ك): «حبر».
(٤) (ب): «عليهم» تحريف.
(٥) (ف، ك): «من».
(٦) «كريم» سقطت من (ب). و«إذا» في البيت جازمة، و«يغضب» جواب الشرط مجزوم.
(٧) من هذا البيت إلى قوله: «وكل امرئ قد باع لله نفسه» في (ف، ك، ط) مقدَّمة قبل قوله: «ليوثٌ إذا أهل الضلال تجمّعوا».

ولمْ يَلْقَ مَنْ عاداهُ غيرَ منافقٍ ... وآخرَ عن نَهْجِ السَّبيلِ مُنكِّبِ[1]

لقدْ حاولوا مِنْهُ الذي كان رامَه ... من المُصطفى قِدْمًا حُيَيُّ بنُ أخْطَب

ولكنْ رأوا مِنْ بأسِهِ مِثْلما رأى ... من المُرْتَضَى في حَرْبِه رأسُ مَرْحَبِ[2]

تمسَّكْ أبا العبّاس بالدين واعْتَصِم ... بِحَبْلِ الهُدَى، تقهر عِداك وتغْلِبِ

ولاتخْشَ من كيْدِ الأعادي، فما هُمُ ... سِوى حائرٍ في أمرِهِ ومُذَبْذَبِ

جُنُودُهمُ من طامعٍ ومُذَلَّلٍ[3] ... مُسَيْلمةٌ مِنْهُمْ يلُوذُ بأشْعَبِ

وجندُكَ من أهلِ السَّماءِ ملائِكٌ ... يُمِدُّك منهُم مَوْكِبٌ بَعْدَ مَوْكِبِ

وكُلُّ امْرِئٍ قدْ باعَ لله نفْسَه ... فلَيسَ إذًا يُصغي لِقَولِ مؤنِّبِ

لَيُوثٌ، إذا أهلُ الضلالِ تجمَّعوا ... فكُلُّ فتًى مَنْهُم يُعَدُّ بمِقْنَبِ[4]

لئن جَحَدتْ علياءَ فضلك حُسَّدٌ ... لعَمْرُ أبي قدْ زاد منهم تَعَجُّبي

وهلْ مُمكنٌ في العقل أنْ يُجْحَد السّنا ... ضُحًى وَضِيَاءُ الشَّمس لم يتحجَّبِ؟

أيا مطْلبًا حُزْناهُ من غير مَهْلَكٍ ... وكم مَهْلكٍ صدَّ الورَى دُوْنَ مطلبِ

بعَزْم تقيِّ الدِّين أحْمَدَ تُتَّقى ... صُرُوفُ زمانٍ بالفوادح[5] مُرْعِبِ

وفي الجدْبِ نسْتَسْقي الغَمامَ بوجْهه ... فنُصْبِحُ في رَوضٍ كناديه مخْصِبِ

---

(١) الأصل: «مكذب» تحريف.

(٢) (ك): «من المصطفى». ومرحب أحد فرسان يهود خيبر، قتله علي رضي الله عنه لما طلب المبارزة.

(٣) (ك): «مضلل».

(٤) المِقنب: الجماعة من الخيل، واختلف في عددها على أقوال.

(٥) (ف، ك): «بالقوادح».

رَبيبُ المعالي يافعُ الجُودِ والنَّدَى ... فتى العِلْم، كَهْلُ الحِلْم شيْخُ التأدُّبِ

مُفَصِّل ما قد جاء من جُمَل النُّهى ... وإيضَاحُه لِلفَهم غير مقرَّبِ[1]

بسيطُ معانٍ في وجيزِ عبارةٍ ... بِتهْذيبِهِ تعْجيزُ كُلِّ مُهذَّبِ

وليس له في الزهد والعلم مُشْبِهٌ ... سوى الحسن البصري وابن المسيبِ[2]

ومن رام حَبْرًا غيرَه[3] اليوم في الورى ... فذاك الذي قدْ رامَ عنقاءَ مُغْرِبِ

أليس هو النَّدْبَ الذي بانتصارِهِ ... حبا الدين حتَّى بالإمامة قد حُبي[4]

وجاهد في ذاتِ الإلهِ بنفْسِهِ ... وبالمالِ والأهْلِينَ والأمِّ والأبِ

ووازَرَهُ في حالتيه ابْنُ أُمّهِ ... فذَلِكَ عَبْدُالله، نِعْمَ الفَتَى الأَبِي

عُقابُ المعالي ضَيغمُ الغابة، الذي ... فَرى كلَّ ذي غيٍّ بنابٍ ومِخْلب

هُما ناصرا دين الإله وحاميا ... حِمَى خير خلق الله منْ نَسْل يَعْرُبِ

مُقيمان كالإسلام في دارِ غُرْبَةٍ ... فيا حبَّذا في الله حُسْن التغرُّبِ

خدَمْتُهُمَا مِنِّي بعقْدٍ مُنَضَّد ... بفِكْر سَوائي دُرُّهُ لمْ يُنَقَّبِ[5]

يشنِّفُ سمعَ الدَّهْرِ حسنًا إذا اغْتدى ... به الناظم[6] التركيّ أفصحَ مُعْرِب

---

(١) (ب): «يفصّل ما قد...». (ق، ك): «ما قد حاز..». الأصل: «عين مقرب».

(٢) (ب): «مسيّب».

(٣) (ب): «دونه».

(٤) (ف، ك، ط): «حبى».

(٥) (ف، ب): «سواي»، (ف، ك): «تنقّب».

(٦) (ب): «الناصر».

وما جئتُ في مَدْحَيهما مُتطلِّبًا به عَرَضًا يفْنى[1]، ولا نيل منْصِبِ

[ق١٣٧] ولكنني أبغي رضا الله خالقي وأرجو به غُفران زلَّة مذنِبِ

وأجْعَلُه لي في المعَاد ذخيرةً أفوزُ به في الحشرِ مِنْ خَطْبه الوبي[2]

نجزت، وهي سبعة وستون بيتًا[3].

****

ومن القصائد التي رُثِيَ بها ـ رحمه الله ـ: قصيدة[4] الشيخ قاسم بن عبدالرحمن بن نصير المقرئ[5]، وهي:

عَظُمَ المُصَابُ وزَادَتِ الأفْكَارُ وجَرَتْ بحُكْم فراقِكَ الأقْدَارُ

يا واحدًا في حِلْمِهِ وعُلُومِهِ خَلَتِ البِقَاعُ، وقلَّتِ النُّظَّارُ[6]

أَعَلى تقيّ الدِّين يَحْسُنُ صَبْرُنا ولمِثْلِهِ تتهتّكُ الأستَارُ

تجْري لِعُظْمِ فِرَاقِهِ عَبَرَاتُنَا أَسَفًا عَلَيْهِ، كأنَّها أمْطَارُ

لَهَفِي على بَحْرِ العُلُومِ وغَوصِهِ يَحْوي الجَوَاهِرَ باهرٌ زخَّارُ

---

(١) (ك): «يغني». وقوله «مدحيهما» يقصد الإمامين أحمد بن حنبل، وأحمد بن تيمية.

(٢) (ف، ك): «أفوز بها».

(٣) العبارة ليست في (ب). وبعده في (ف، ك، ح، ط) سؤال لشيخ الإسلام في القدر وجوابه شعرًا، أوله «أيا علماء الدين ذميّ دينكم...» وواضح أن هذا ليس مكانها المناسب. وهذه القصيدة في «مجموع الفتاوى»: (٨/ ٢٤٥- ٢٥٦) ويزيد عدد أبياتها عما في النسخ بنحو عشرين بيتًا.

(٤) «ومن... قصيدة» ليس في (ف، ك، ط).

(٥) لم أجد ترجمته.

(٦) (ك): «أوحدًا»، (ف): «في علمه»، (ب): «الأنصار»، و (ف، ك): «النصار».

يَنْثَالُ مِنْهُ إلى القُلُوبِ جَوَاهِرٌ والدُّرُّ مِنْ فِيْهِ السَّنِيِّ نِثَارُ

ولهُ بتَفْسِيرِ الكِتَابِ غرائِبٌ[1] جُلِيَتْ لَهُ، وَكَذلِكَ الأخْبَارُ

حَبْرٌ، لَبِيبٌ أوْحدٌ في عَصْرِنَا سَلْ ما تَشَاء، لهُ بِهِ إخْبَارُ

غَلَبَ المُلُوكَ مَهابَةً وَشَجَاعَةً لَيْثٌ يهَابُ لِقَاءَه الكُفَّارُ[2]

ما كانَ إلَّا شامةً في شَامِنَا وعليه مِنْ تَقْوَى الإلهِ شِعارُ

وَلَهُ مِنَ اللهِ الكَرِيمِ عِنَايَةٌ وَلَهُ مِنَ الصَّبْرِ الجَمِيلِ دِثَارُ

ما كانَ إلَّا دُرَّةً مَكْنُونَةً لا يَعْتَرِيهِ تَدَنُّسٌ وَغُبَارُ

لا يَلْوِيَنَّ إلى الحُطَامِ تعفُّفًا وعَلَيْهِ مِنْ تَقْوَى الإلهِ وقَارُ

ما كانَ إلَّا خيرَ أُمَّةِ أحمدٍ شَخَصَتْ لِعُظْمِ مُصَابِهِ الأبْصَارُ[3]

وَمجُاهِدًا في اللهِ حقَّ جِهَادِهِ بَحْرُ النَّدى وَنَوالُه مِدْرَارُ

وَلَهُ الزَّهَادَةُ وَالعِبَادَةُ مَنْهَجٌ وَبسُنَّةِ الهادي لهُ اسْتِبْصَارُ

حازَ العُلُومَ، أصُولَهَا وفُرُوعَها وَبِكُلِّ ما يُرْوى لَهُ آثَارُ

يَلْوِي عَنِ الدُّنيا، وما يَعْنَى[4] بها وَزَواه عَنْهَا الوَاحِدُ القَهَّارُ

لما افتناه هَدَاهُ مِنْهَاجَ الهُدَى وعَطَاءُ رَبِّك وَافِرٌ مِكْثَارُ

---

(١) (ف): «غوائب».

(٢) سقط من (ب) عجز هذا البيت وصدر الذي يليه.

(٣) (ف، ك، ط): «إلا حبر»، (ب): «خير أهل زمانه». وكتب في الأصل فوق «شخصت».

(٤) (ب): «يغى» و«يَعْنى» من العَناء والمشقّة.

نَـزَلَ القَـضاءُ بـهِ فـآنَس رَحمَـةً ... مِـنْ ربِّـه، لا تُـدْفَعُ الأقـدارُ

بَكَـتِ الـسَّماءُ عَلَيْـهِ يَـوْمَ فِرَاقِـهِ ... أسَـفًا وجـاء الغَيْـثُ والأمطـارُ

وبكـى الـشَّآمُ ومُدْنُـهُ وبِقاعُـه ... لمَّـا مـضى، وكـذلك الأمـصارُ

أوَمَـا نَظَـرْت إلَيـه فَـوْقَ سَرِيـرِهِ ... حَفَّـتْ بـهِ مـنْ رَبِّـه الأنْـوارُ

والنَّاسُ مِنْ باكٍ عَلَيْهِ بحسرةٍ[1] ... وَدُمُوعُهُمْ فَـوْقَ الخُـدُودِ غِـزَارُ

وهُمُ أُلوفٌ، لَيس يُحْصي جَمْعَهم ... إلَّا إلـهٌ غَـافِرٌ سَـتَّارُ

نَزَلُـوا بِـهِ، كَالبَـدْرِ في إشْرَاقِـهِ ... فَتبَـاشَرتْ بِقُدُومِـهِ الأقْطَـارُ

عَبْـدُ الحَلِـيْمِ، وَجَـدُّهُ سَـعِدُوا بـه ... وأخـوه عَبْـدُالله والأبْـرَارُ

وَلمِثْـلِ هـذا سَـارَعُوا أهْـلُ التقـى ... فـازوا بـما فـازتْ بـهِ الأخْيَـارُ

الله يُكْرِمُـهُ بأفْـضَلِ رَحمَـةٍ ... في جنَّـةٍ مِـنْ تَحْتِهـا الأنْهَـارُ

أكْوابُهـا مَوْضُـوعَةٌ، وقِبَابُهـا ... مَرْفُوعَـةٌ حَفَّـتْ بِهَـا الأنْـوارُ

وكؤُوسُها قدْ أُدْهِقت، وقُصُورُها ... قـدْ أشْرَقـتْ مِـنْ فَوْقِهَـا الأسْتَارُ

وصِـحَافُها مـنْ فِـضَّةٍ، ولِبَاسُـهُم ... مِـنْ سُـنْدُسٍ، وطعـامهم أطيـارُ

[ق١٣٨] والحُورُ في تِلْك الخِيَام ببَهْجَةٍ ... لَكِـنَّهُنَّ عَـلَى المـدَى أبْكَـارُ

عُرُبًـا لأصـحاب اليَمِـينِ، فلَيْتَنـا ... مِـنْهُم إذا صِرْنَـا إلى مـا صَـارُوا

وعَـلَى الأرائِـك يَنْظُـرُونَ نَعِيمَهُمْ ... وعَلَـيْهِمُ كـأْسُ الرَّحِيْـق تُـدَارُ[2]

---

(١) (ك، ط): «بحرة».

(٢) (ف): «يدار».

ووجُـوهُهُم مِثْـلُ الـصَّبَاحِ إذا بـدا لِلنَّـــاظِرينَ، كـــأنَّهُمْ أقْـــمَارُ
ويُمتَّعُـــــونَ بِــــنَـظْرَةٍ قُدْسِـيَّةٍ مِـــنْ ربِّهِـــمْ، سُـــبْحَانَهُ الجَبَّـــارُ
في عُمْرِ عِيسَى، والجَمَالُ كَيُوسُفٍ وَبِطُـــولِ آدَمَ، كُلُّهُـــم أبْـــرارُ
ثُـمَّ الـصَّلاةُ عـلى النَّبِـيِّ محُمَّـدٍ فَهُوَ الرَّسُولُ المُصْطَفَى المُخْتَارُ
هَـادِي الـوَرَى وإمَامُهم وشَفِيعُهُم أنْــصَارُهُ الأمْـــلاكُ والأنْـــصَارُ
صـلَّى عليـه اللهُ مـا اهتـزَّ الثَّـرى فرحًـــا، إذا مـــا جـــاءتِ الأمطـــارُ

آخرها[1]، وهي أحدٌ وأربعون بيتًا[2].

****

وله ـ أيضًا ـ عفا الله عنهما وأسكنهما جنَّته[3]:

عـزَّ التَـصَبُّرُ، والفِـرَاقُ[4]رَمَـاني بـــسِهَامِهِ وترادفَـــت أحـــزانِي
أصْـبَحْتُ مُكْتَئِبًـا لِفَقْـدِ أَحِبَّــةٍ جُبِلَـت جِبِلَّـتُهُمْ عـلى الإحْـسَانِ
لا صَبْرَ لِي عَنْهُم، وكَيْفَ تَـصَبُّرِي عَـنْ سَادةٍ رَحَلُـوا مِـنَ[5]الأوطـان
خَلَـتِ الـدِّيَارُ، فأصْبَحُوا في بَلْقَـعٍ يَـا وَحْـشَتَاهُ لِفُرقَـةِ الإخْـوَانِ[6]

---

(١) (ك، ط): «تمت».
(٢) «آخرها... بيتا» ليست في (ف).
(٣) «وله... جنته» ليس في (ف، ك)، وفي (ف، ك، ط): «مرثاة للشيخ قاسم بن عبدالرحمن المقري في الشيخ تقي الدين رضي الله عنه».
(٤) (ف، ك، ط): «الزمان».
(٥) (ف): «عن».
(٦) أشار في هامش الأصل أنَّ هذا البيت مقدمٌ على الذي قبله. بخلاف (ف، ك، ط).

إنْ أوْحَشُوا نَظَرِي، فقَلْبِي مَوْطِنٌ وَعِمارَةُ الأوْطَانِ بالسُّكَّانِ

لمَّا سَمِعْتُ بأنَّ أحمَدَ قَدْ قَضَى نَحْبًا على التوحيدِ والإيْمَانِ

وَلِقَاءِ رَبٍّ، لا مَرَدَّ لِحُكْمِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ قَادِرٍ مَنَّانِ

عَظُمَتْ مُصِيبَتُنا لِسَيِّدِ عَصْرِنَا في شَرْحِ سُنَّةِ[1] أحمدٍ بِبَيَانِ

وَالعِلْمُ حازَ أُصُولَه وَفُرُوعَهُ وغرائِبَ التفسيرِ لِلْقُرْآنِ

وَيُنَاظِرُ الفُقَهاءَ في أقوالِهِمْ وَيُجِيبُهُم بالثَّبْتِ والتِّبْيَانِ

غَلَبَ المُلُوكَ بثَبْتِهِ وَجَنَانِهِ وَشَجَاعَةٍ بَلَغَتْ إلى غَازَانِ

أفْدِيهِ مِنْ بَطَلٍ يُلاقِي عُصْبَةً مِنْهُمْ، بِلاَ عَوْنٍ، ولا أعْوَانِ

مَنْ ذا يقُومُ مقَامَهُ في عصْرِنَا أوْ ماَ مضَى من[2] سَالِفِ الأزْمَانِ

وَلَهُ الزَّهَادَةُ والعِبَادَةُ مَنْهَجٌ وَكَذَا يَكُونُ العَالِمُ الرَّبَّانِي

سَارَتْ رَكَائِبُهُ إلَى دَارِ الجَزَا مُتَمَسِّكًا بموَاعِدِ الرَّحْمَنِ

أوَمَا نَظَرْتَ إليه فَوْقَ سَرِيْرِهِ حَفَّتْ بِهِ الأنوارُ بالإمْكَانِ

والنَّاسُ مِنْ حَولِ الجَنَازَةِ أحْدَقُوا كُلٌّ يجُودُ بِعَبْرَةِ الثَّكْلانِ

وهمُ أُلُوفٌ لَيْسَ يُحْصِي جَمْعَهُم إلَّا إلهٌ عَمَّ بِالغُفْرَانِ

نَزَلُوا بِهِ كالبَدْرِ في إشْرَاقِهِ فَتَبَاشَرَتْ بقُدُومِهِ القَمَرَانِ[3]

عبدُ الحَلِيْمِ أَبُوهُ سَيِّدُ عَصْرِهِ وَأَخُوهُ عَبْدُالله حَبْرٌ ثَانِ[4]

---

(١) (ف، ك، ط): «سيد».

(٢) (ك): «في» وأشار في هامشها إلى أنها «من».

(٣) الأصل: «العمران» خطأ.

(٤) في قصيدته السالفة قريب من هذا البيت.

والمَجْدُ حَازَ المَجْدَ في عَصْرٍ مَضَى ... في الجَرْحِ والتَّعدِيلِ والبُرْهَانِ
ولمِثْلِ هذا سارَعُوا أَهْلُ التُّقَى ... فَازُوا بِأَرْفَعِ رُتْبَةٍ وَأَمَانِ
في جَنَّةٍ أنوارُهَا قَدْ أشْرقت ... وَقُطُوفُهَا لِلقَاطِفِيْن[1] دَوَاني
أكْوابُهَا مَوْضُوعَةٌ وَقِبَابُهَا ... مِن لؤلؤٍ مَرْفُوعَةُ البُنْيَانِ
والنُّورُ يَغْشَى أَهْلَهَا وَهُمُ عَلَى ... تِلْكَ الأسِرَّةِ في رضًى وَأَمَانِ
وَلِبَاسُهُم مِنْ سُنْدُسٍ وخِيَامُهُم ... قَدْ أُلْبِسُوا مِنْ أَحْسَنِ التِّيْجَانِ
[ق١٣٩] ولأهلها مَا يَشْتَهُونَ وشُغْلُهُم ... بِاللهِ لاَ بِالحُورِ والغِلْمَانِ[2]
منهم تقيُّ الدين فازَ بزهده ... وبصبره في طاعة الرحمن
ثم الصلاةُ على النبيِّ محمدٍ ... خيرِ الأنامِ ومَعْدَنِ[3] الإحسان
هادٍ وأول شافعٍ ومشفَّعٍ ... وله الوسيلةُ مُظهر الإيمانِ
ما حنَّ مشتاقٌ إلى وادي منى ... وتطوَّفوا بالبيت والأركانِ

آخرها[4]، وهي أحدٌ وثلاثون بيتًا.

****

(١) (ف): «للطائعين»، (ك): «للطائفين».

(٢) (ف): «والولدان».

(٣) ضبطها في الأصل بفتح الدال وكسرها وكتب فوقها «معًا».

(٤) (ف، ك): «تمت والحمدلله رب العالمين، وعدتها أحد...».

ومنها للشيخ علاء الدين ابن غانم[1]:

أيُّ حَـبْرٍ قـضى وأيُّ إمَـامٍ فُجِعَـتْ فيـه مِلَّـةُ الإسـلامِ
ابـنُ تيميـة التقـيّ إمـام الْـ ـعَصْـر[2] من كان شامةً في الشآم
بحْرُ عِلْمٍ[3] قَدْ غَاضَ مِنْ بَعدِ ما فَا ضَ نَـداهُ، وعَـمَّ بالإِنْعَـامِ
زَاهِـدٌ، عابـدٌ، تنـزَّه في دُنـ ـيَاهُ عَنْ[كُلِّ ما بِهَـا][4] مـن حُطَامِ
كـانَ كنْـزًا لكُـلِّ طَالـبِ عِلـمٍ وَلِـمَنْ خَـافَ أن يُـرى في حَـرَامِ
ولِعَافٍ، قـد جاء يشكُو مِنَ الفَقْـ ـرِ لَدَيْـهِ يَنَـالُ كـلَّ مَـرامِ
حـازَ علـمًا فـما لـه مـن مُـساوٍ فِيْهِ، من عَالمٍ، ولا مِنْ مُسامي[5]
لمْ يَكُـنْ في الـدُّنا لَـهُ مِـنْ نَظِـيرٍ في جميـع العُلُـومِ والأحكـام[6]

---

(١) بدلًا منها في (ف، ك): «وللشيخ علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن سليمان [ك: سلمان] بن حمائل بن غانم المقدسي رحمه الله في شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه». وفي ترتيب الأبيات في (ف، ك) اختلاف وزيادة عما في الأصل.
وعلاء الدين ابن غانم هذا كان وجيهًا فاضلًا كثير القضاء لحوائج الناس، له يد طولى في النظم (ت٧٣٧). ترجمته في «أعيان العصر»: (٣/ ٤٩٦ ـ ٥٠٢)، و«الدرر الكامنة»: (٣/ ١٠٣).

(٢) (ف): «وحيد الدهر».

(٣) (ف): «علمٍ وجود..»، (ك): «جود وعلمٍ».

(٤) ما بينهما ساقط من الأصل. و(ف): «من كل..».

(٥) (ف): «نال علمًا». والأصل: «مما له...».

(٦) (ف، ك، ط): «في البرايا في الفضل والأحكام». وأشارا في الهامش إلى نسخة بما هو مثبت. وفي الأصول: «الدنيا» وأصلحتها ليستقيم الوزن.

كَـانَ فِي عِلْمِـهِ وَحِيْـدًا فَرِيـدًا | لم يَنَـالُوا مـا نَـالَ فِي الأَحْـلامِ
عَـالِمٌ فِي زَمَانِـهِ، فَـاقَ بِالعِلْـ | ـم جَمِيـعَ الأئمـةِ الأَعْـلامِ
كُـلُّ مَـنْ فِي دمـشق نَـاحَ عليـه | بِبُكَـاءٍ، مِـنْ شِـدَّةِ الآلامِ
فُجِعَ النَّاسُ فيه فِي الغَرْبِ والشَّرْ | قِ، وَأَضْحَوا بِالحُزْنِ[1] كالأَيْتَامِ
لـو يفيـد الفِـداءُ فـادوه بـالأر | واحِ منهم من الرَّدَى والحِمَامِ[2]
أوحـدٌ، فيـه قـد أُصيبَ البرايـا | فيُعَـزَّى فيـهِ جَمِيـعُ الأَنَـامِ[3]
وعزيـزٌ علـيهم أن يـروه | غـابَ بـالرّغم في الثرى والرَّغامِ
لا يُرى مثلُ[4] يومِـه عنـدما سـا | رَ عـلى النَّعْش نحـو دار السَّلامِ
حَمَلُـوهُ عـلى الرِّقَـاب إلى القَبْـ | ـرِ وَكَـادُوا أَنْ يَهْلِكُـوا بالزِّحَـامِ
صَـارَ جـارَ الإلـهِ، رَبِّ السَمَوا | تِ، الرحِيم، المُهَيْمِن، العَلَّامِ[5]

---

(١) (ف، ك، ط): «في الحزن».

(٢) في هامش الأصل: نسخة:

لو يفيد الفداء بالروح كنـا | قد فديناه من هجوم الحمام

وهذا البيت في (ف، ك) يأتي في آخر القصيدة.

(٣) صدره في (ف، ك): «كل من في الوجود فيه مصابٌ». (ك): «فيغرى به».

(٤) الأصل: «مثله»، (ف، ك): «ما يرى عند». ولعل الصواب ما أثبت.

(٥) بعده في (ف، ك):

كان وقتَ الحروبِ بالطَّعن والضر | ب سريـعَ القـدومِ والإقـدامِ
لا يهابُ الهولَ العظيمَ يقول الـ | ـحقّ في نَقْضِه وفي الإبـرامِ
تـابعٌ سـنةَ الرسـول، عليـه | مـن إلـه السماء أزكـى سَلامِ
قـائمٌ في نـصر الشريعة بالعلـ | ـم، وبالفضل منه كـلَّ قيام

=

قَــدَّس اللهُ رُوحَــهُ وسَــقَى قَبْــ ـــرًا حَــوَاهُ بهــاطِلاَتُ الغَــمَامِ[1]

فَلَقَــدْ كَــانَ نَــادِرًا في بَنِــي الدَّهْــ ـــرِ، وَحُــسْنًا في أوْجــه الأيَّــامِ[2]

****

ومنها للقاضي الإمام زين الدين أبي حفص عُمَر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس بن علي بن الوردي المغربي الشافعي النحوي ـ رحمه الله ـ[3].

قــلوبُ النـــاس قاســيةٌ سِـــلاطُ ولــيس لهــا إلى العليـا نـشاطُ[4]

=

كــم بنــور العلــم أخــرج قومًــا من ضــلالٍ، ومـن عظـيم ظـلامِ

نــالَ مــا نــالَ مــن شريــف مقــال بعلــومٍ شــتَّى، وعُظــم مقــامِ

طبّــق الأرض بالفتــاوى اللــواتي هـي منقـذات الـورى مـن الآثـامِ

حـــسدوه إذ مالـــه مـــن نظـــيرٍ مـن بنـي دَهْـره الكبـار الكـرامِ

خــصّه بــالكمال مــن كــلّ علــمٍ ربُّنـــا ذو الجـــلال والإكـــرامِ

لــو يفــدَّى بــالروح كنّــا جميعًــا قـد فـديناه مـن هجـوم الحِـمامِ

ورضي عنـــه ربُّنـــا وترضَّـــا ه، ومـــلَّاه بـــالنعيم النَّـــامي

(١) (ف): «قبره من طلات».

(٢) الأصل: «الأنام» تحريف. وبعده في (ك): «تمت، والحمد لله رب العالمين وعدتها ثلاثون بيتًا». وبعدها في (ف، ك) قصيدة لرجل جندي بالديار المصرية، وهي طويلة، وستأتي هنا بعد عدة قصائد.

(٣) هذه الديباجة من الأصل، وفي كل من (ف، ك) اختلاف في صياغتها. وابن الوردي (ت٧٤٩). ترجمته في «أعيان العصر»: (٣/ ٦٧٧ ـ ٧٠٦)، و«الدرر الكامنة»: (٣/ ١٩٥).

(٤) مكانه في (ف، ك):

عثا في عرضه قوم سلاط لهم من نثر جوهره التقاط

أينـــشطُ قـــطّ بعـــد وفـــاة حَـــبْرٍ لنــا مــن نَشْــر جــوهره التقــاطُ[1]

تقـــيُّ الـــدين ذو وَرَعٍ وعِلـــمٍ[2] خُــروق المُعْــضِلات بــه تخُــاطُ

تــوفي وهــو محبــوسٌ فريــدٌ[3] ولــيس لــه إلى الــدُّنيا انبــساطُ

ولــو حــضروه حــينَ قَــضى لألْفَــوا ملائكـــةَ النَّعـــيم بـــه أحـــاطوا

قــضى نَحْبًــا ولــيس لــه قــرينٌ ولــيسَ يَلُــفّ مُــشبِهَهُ القِــمَاطُ[4]

[ق١٤٠] فتًى في علمه أضحى فريدًا وحــلُّ المُــشْكلاتِ بــه يُنــاطُ[5]

وكـــان يخـــاف إبلـــيسٌ سَـــطَاه لــوعظٍ[6] للقلــوبِ هــو الــسِّياطُ

فيـــا لله مـــا قـــد ضَـــمَّ لَـــحْدٌ ويـــا لله مـــا غَطَّـــى الـــبلاطُ[7]

وحَبْس الدرِّ في الأصدافِ فَخْرٌ[8] وعنــدَ الــشّيخ بالــسَّجْن اغْتِبــاطُ[9]

---

(١) هذا البيت ليس في (ف، ك).

(٢) (ف، ك): «تقي الدين أحمد خير حبر».

(٣) (ف، ك): «وهو مسجون...»، وفي الأصل: «فريدًا».

(٤) (ف، ك): «ولا لنظيره لُفّ القماط».

(٥) بعده في (ف، ك):

وكان إلى التُّقى يدعو البرايا وينهى فِرْقةً فسقوا ولاطــوا

(٦) (ف، ك): «بوعظٍ».

(٧) بعده في (ف، ك):

همُ حسدوه لمّا لم ينالــوا مناقبه فقد فسقوا وشاطوا

وكانوا عن طرائقه كُسالى ولكن في أذاه لهم نشــاطُ

(٨) في الأصل: «بحرٌ» خطأ.

(٩) بعده في (ف، ك):

بآل الهــاشـــمي لــه اقتـــداءٌ فقد ذاقوا المنون ولم يواطوا

بنـــو تيميَّـــةٍ كـــانوا فبـــانوا	نجـومُ العلـمِ أدْرَكهـا انهِبَـاطُ
ولكـــنْ يـــا نـــدامتنا عليـــه	فـشكُّ المُلْحِـدين بـه يُـماطُ[1]
إمــامٌ لا وِلايــةَ قــطُّ عــانى[2]	ولا وقـــفٌ عليـــه ولا رِبـــاطُ
ولا جارى الـوَرَى في كَسْبِ مالٍ	ولم يَـشْغَلْه بالنـاسِ اخْـتِلاطُ[3]
ولـــولا أنهـــم ســجنوه شرعًـــا	لكـانَ بـه لِقَـدْرهمُ انْحِطـاطُ[4]
لقـــد خَفِيَـــت عـــليَّ هنـــا أمـــور	فلـيس يليـقُ لي فيهـا انْخِـراطُ
وعِنْـــدَ الله تجتمـــعُ البَرَايـــا	جميعًـا وانطـوى هـذا البِـساطُ

****

(١) البيت في(ف، ك):

ولكـن يا نـدامة حـابِسِيه	فشكُّ الشرك كان به يُماطُ

وبعده مما ليس في الأصل:

ويا فـرح اليهـود بما فعلتم	فإن الضـدّ يعجبه الخبـاط
ألم يك فيكمُ رجلٌ رشيـد	يرى سَجْن الإمام فيُستشاط

(٢) (ف، ك): «كان يرجو».

(٣) (ف، ك): «ولا جاركمُ... ولم يُعهد له بكم...».

وبعد هذا البيت اختلفت الأبيات عما في الأصل في ألفاظها وأعدادها.

(٤) بل سجنوه ظلمًا وعدوانًا لمجرد رأي فقهي قال به قبله جماعات من العلماء، وقد تقدمت عدة كتب من أهل العلم في العراق وغيرها تبين أن سجن الشيخ لا مستند له من شرع أو عقل.

ومنها للشيخ الأديب مُجير الدين أبي العباس أحمد بن الحسن بن محمد البغدادي ثم الدمشقي الخيَّاط رحمه الله[1]:

خَشَعتْ لهيبةِ نَعْشكَ الأبصارُ ... لمَّا عليهِ تبدَّت الأنوارُ[2]

وبه الملائكةُ الكرامُ تطوَّفتْ[3] ... زُمَرًا، وحَفَّت حولَهُ الأبرارُ

فكساهُ رَبُّ العرشِ نورًا ساطِعًا ... فكأنَّما غَشيَ النَّهارَ نهارُ

ولأمَّةِ الإسلام حَولَ سَريرهِ ... سامٍ إلى ربِّ السماء جُؤارُ[4]

ولهم دُموعٌ من خُشوعِ نفوسِهم ... وخُضوعِها[5] فوقَ الخُدودِ غِزارُ

وسَرَوا به فوق الإران[6]، وتحتَه ... منهمْ يمينُ أناملٍ ويسارُ

ولرحمةِ الرحمن ظِلٌّ سَجْسَجٌ[7] ... يغشاهُمُ، وسكينةٌ ووقارُ

فَلَكَمْ عيونٍ مِنْ تمَوُّج مائها ... حُزْنًا تأجَّجَ في الجوانِح نارُ

---

(١) (ف، ك): «من قصائد الشيخ مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد الخيّاط الجوخي الدمشقي، مرثية في الشيخ رحمه الله تعالى». والخياط توفي سنة (٧٣٥)، وترجمته في «أعيان العصر»: (١/ ٢١١)، و«الدرر الكامنة»: (١/ ١٢٢). وله ديوان شعر في عدة مجلدات.

(٢) البيت ليس في (ف).

(٣) (ف): «تطوقت».

(٤) الأصل: «خوار».

(٥) (ف، ك، ط): «ودموعها».

(٦) الإران: النّعْش.

(٧) هو المعتدل الذي لا حرّ فيه ولا قرّ.

كان[1] المماتُ زفافَ عُرسِ حياتِه ... وبه النفوسُ مع الدُّموع نِثَارُ

إن كان عن[2] أهلٍ وجيرانٍ نأى ... فلهُ دنا من ذي الجلالِ جِوارُ

أو كان عن دار الفناء رحِيلُهُ ... فلديه من[3] دارِ البقاء دِيارُ

أو كان أُزْعِجَ عن ذُرَى[4] أوطانِهِ ... فله بِخُلدٍ في الجنان قرارُ

ما كان إلا مُزْنَ عِلمٍ رُوِّضتْ ... منهُ بِصَيِّبِ قطرِهِ الأقطارُ

كالغيثِ أقلعَ بعدَ سحٍّ غيمُه ... وتخلَّفت مِنْ بعده الآثارُ

ما كان إلا طَودَ عِلْمٍ باذخٍ ... من دون وَزْن حصاته القِنْطارُ[5]

ما كان إلا بحرَ جُودٍ، كَفُّه ... تيَّارُهُ بنواله زخَّارُ

ما كان إلا دِيمةً معروفُها[6] ... بِهِباته لعفاته مِدْرارُ

ما كان إلا البدرَ عندَ كمالِهِ ... وافاه مِنْ نقصِ التَّمامِ سِرارُ

ما كان إلا خيرَ أُمة أحمدٍ ... في العصرِ، لم تسمح به الأعصارُ

حَبْرٌ، وبحرٌ، للمكارم والتُّقى ... والجودِ، والإحْسَانِ فيه بحارُ

وَلَكَمْ لأحمدَ في المحامدِ رتبةً ... عن[7] طولها تتقاصرُ الأفكارُ

---

(١) الأصل: «كأن».

(٢) (ف، ك، ط): «من».

(٣) (ف، ك، ط): «في».

(٤) (ف): «ذوي».

(٥) (ف): «طود حلم»، (ك): «من دونه»، الأصل و (ف): «دون رزن».

(٦) (ك، ط): «معروضها» وفي هامشها: لعله معروفها.

(٧) (ك، ط): «من». ووجه ضبط «رتبة» بالنصب كما في الأصل: أنه تمييز كم الخبرية؛ لأنه يجوز نصبه عند بني تميم إذا كان مفردًا.

ولـه الـشعورُ بكـلِّ علـمٍ نـافعٍ ... عقـلًا ونقـلًا، في الأنـام شـعارُ

ولـه التزهّـد، والتعبُّـد، والتقـى ... مـا بـين أربـاب الـدُّثور دِثـارُ

[ق١٤١] وله إذا فَخَر الفَخور بزينة الد ... نيـا بتـشعيث(١) الحيـاة فَخـارُ

ولأشرف الأشـياء علـمٌ نـافعٌ ... لا دِرْهَـمٌ يُقْنـى(٢)، ولا دِينـارُ

إن أظْلَمـت سُبلُ النُّهـى لِسُكونه ... فلِـذِكْره في الخـافِقَين منـارُ

ولقـد عـلا الإسـلامَ جَـلُّ مُصابِه ... لكنهـا لا تُـدْفَعُ الأقـدارُ

لـو كـانَ في الـدنيا يـدومُ مخلَّـدًا ... بَـشَرٌ، لخُلِّـد أحمـدُ المُخْتـارُ

ولكُـلِّ حـيٍّ خَلْـع ثـوبِ حياتِـهِ ... علـمًا بـأنْ ثـوبُ الحيـاةِ مُعـارُ

فـيمَ(٣) النَّجـاةُ؟ وكـلُّ حَـيٍّ ميِّـتٌ ... إلّا الإلـهُ الواحِـدُ القهَّـارُ

ولقـد أَسِـفْتُ عـلى فراقـي أحمـدا ... إذْ لـيس لي قُـضِيَت بـه الأوطـارُ

لـو كـان يُفْـدَى هـان عنـد فدائـه الـ ... أمـوالُ، والأولاد، والأعـمارُ

قـد كـان مغنـاطيسَ أفئـدةِ الـوَرَى ... أُنْـسًا، ولكـنْ في القليـلِ نِفـارُ(٤)

مـا كنـتُ أحْـسِبُ أنَّ يـومَ وفاتِـه ... يَبْـدو المَـصونُ وتُهْتَـك الأسـتارُ

بَكَـرَ النِّساءُ(٥) مـن الـسُّتور ثـواكلًا ... ومـن الخـدور النُّهَّـدُ الأبكـارُ

والناسُ أمثالُ الجرادِ، لهم على الـ ... ـتَّابُوتِ منـهُ تهافـتٌ ودُوارُ

---

(١) (ف، ك، ط): «بتشعيب».

(٢) (ك، ط): «يغني»، (ف): «يفنى».

(٣) (ف): «فبما».

(٤) في هامش الأصل إشارة إلى نسخة: «وفيما قل عنه نفارُ».

(٥) ضبطها في الأصل: «بِكر النساءِ».

فكأنّــه يعـسوبُ نَحْــلٍ نحــوه   حيًّــا وميتًــا للنُّفــوس نظــارُ[١]
مَـلأتْ محَاسنُه البلادَ، ونوَّهـت   بحـديثٍ مُعْجـزٍ فَـضْلِه الأمـصارُ
وجــرى بــأفواه الأنــام ثنــاؤه   فــالأرضُ روضــةُ ذِكْـره المِعْطـارُ
يَفنَـى الزَّمـانُ ويَنْقـضي وبأحمـدٍ   وحديثِــه تتحــدَّثُ الــسُّمَّار
فأحلَّــه الــرحمنُ دارَ أمانِــهِ   ليـزولَ مـن خـوفٍ عليـه حِـذَارُ
وحبـاه ظـلًّا ضـافيًا[٢] في جَنـةٍ   فيحــاءَ، تجْــري تحتَهــا الأنهــارُ

****

وله أيضًا عفا الله عنهما برحمته[٣]:

لِمُــصابِ الــبرِّ التَّقــيِّ الإمــام   كُـلُّ دَمْـعٍ مـن الـورى في انْسِجامِ
والبَــواكي لهــم عليــه نُــواحٌ   كفقيــداتِ صــادِحاتِ الحَـمامِ
مــات يــوم الاثنــين، والــسِّرُّ فيــه   غــيرُ خــافٍ عــلى ذوي الأفهــامِ
مَوتــةً عَظَّــم المُهــيمِنُ فيهــا   قَــدْرَهُ في عُمــوم جمــعِ الأنــامِ
حفَّــه النــاسُ أجمعــون رجــالًا   ونــساءً، سَــعْيًا عــلى الأقــدامِ
ومشوا تحت نَعْشِه، وهـو مِنْ فَـوْ   قِ رُؤوسِ الأعيــان والحُكَّــامِ[٤]

---

(١) (ف، ك، ط): «مطار».
(٢) الأصل: «صافيًا»، و(ف): «طلا ضافيًّا».
(٣) (ف ، ك، ط): «تمت وهي ثلاثة وأربعون بيتًا. وله أيضًا يرثي شيخ الإسلام رضي الله عنه».
(٤) (ف، ك): «والأحكام»، وفي هامش (ك): «لعله الحكام» وهو الصواب.

يُسْبِلون الدُّموع من خشية اللـ ... ـه، وحُزنًا كمُسْبلات الغمامِ
وضجيجُ العباد سرًّا وجَهْرًا ... كدَويٍّ في سامقِ الجوِّ سامِ
يَا لَهُ مكْفهِرَّ يومٍ عبوسٍ ... عاث في غارِبِ السُّهى[1] والسَّنامِ
كم بِهِ عاينَ الهلاكَ قَويٌّ ... ذُو نشاطٍ لِفَرْطِ كَظِّ الزِّحامِ
يا لها مِن رَزِيَّةٍ كان فيها ... يومُ بؤسٍ في طُولِه فوق عامِ
جلَّ فيه المُصابُ، حتَّى لقد دَقَّ تعبيرُه[2] على الأوهامِ
كان شيخَ الإسلام في العلمِ والزُّهـ ... ـد وحلَّال[3] مُشْكلاتِ الكلامِ
فقد الناسُ منهُ حبرًا[4] عليمًا ... هدْيُهُ كالأئمةِ الأعلامِ
مِنهُ حُبُّ الكتاب والسنة المُثْـ ... ـلَى، جرى في عُرُوقِهِ والعِظامِ
بلغَ الأوجَ من سماءِ المعالي ... وتسامَى عِلمًا على كُلِّ سامي
وطَوى ذِكْرُه البلادَ انتشارًا ... فهو حتَّى المعادِ في الناس نامي
[ق١٤٢] كان جبرَ الكسير[5] إن هاضه الدَّهـ ... ـرُ، وعونَ العاني، وحَطْمَ الحُطَامِ
كان حُبُّ الدنيا إليه بغيضًا ... فوق [بُغْضِ] الصَّحيحِ ثوبَ السَّقامِ

(١) الأصل و(ف): «النُّهى».
(٢) (ف، ك): «تعثيره».
(٣) (ك، ط): «وحل».
(٤) (ف، ك، ط): «بحرًا».
(٥) (ف): «الكسر».

كـان لا يَرْهَـب الملـوكَ ولا يـرْ غَـبُ فـيما لهـم مـن الإنعـام

كان وِترًا في الفضل فذًّا[1]، وكلُّ النـ ـاس جـاءوا بـشَفْعِهم والتُّـؤام

كـان سَـمْحًا، بمثلـه الـدَّهرُ كـزٌّ[2] في ليـالي الزّمـان والأيّـام

كـان سـطرًا في جَبْهـة الـدَّهْرِ يُقـرا في البرايـا، وشـامةً في الـشآم

كـان نَفْعًـا لكـلِّ مـن خـاف ضُرًّا في سـبيلي حلالـه والحـرام

لم يَكُـن ذا تـأنُّقٍ في متـاعٍ ولِبـاسٍ، ومَـشْرب، وطعـامِ

كـان يَخـشى داءً، ويرجُـو[3] دواءً وشـفاءً لكُـلِّ داءٍ عُقـامِ

كـان في الله ذا انتقـامٍ ولا يُـو جـدُ يومًـا لنفـسه ذا انتقـام

كـان نُـورًا[4] يُهْـدَى بـه ذو ضـلالٍ كـان بحـرًا، يُـرْوى بـه كُـلُّ ظـامِ

كـان كاللّيـثِ بالنوائـب[5] فتكًـا كـان كالغيـثِ بالمواهـبِ هـامِ

في يديـه وصـدرِهِ كـلُّ بحـرٍ زاخِـرٍ بـالنَّوالِ والعلـمِ طـامِ

أيُّ نَـدْبٍ، شَـهْمٍ، شُـجاعٍ، جـوادٍ أروعٍ[6]، ماجـدٍ، سريٍّ، هُمـامِ

قـام لمّـا تَذْبـذبَ النَّـاسُ بالذّبْـ ـبِ عليهم لما نبا كـلُّ حـامِ[7]

---

(١) (ف): «قد».

(٢) (ك): «كثرا»، و(ط): «ضنًّا».

(٣) الأصل و (ف): «ويرجى».

(٤) (ف، ك، ط): «برًّا».

(٥) (ف): «بالنواب».

(٦) (ك): «أورع».

(٧) «بالذب» ليست في (ف، ك، ط).

كـم لـه في حَنـادس الخَطْـبِ والنا … سُ نِيَامٌ حتى الـضُّحى مِـنْ قيـامِ[1]

وجميـعُ الأنـامِ مـن شـدَّة الخـو … فِ نِيَـامٌ مــن الـرَّدَى في منـامِ

وبنــو فــارسٍ قــد افترســوا النــا … سَ افـتراسَ الأسـودِ سَرْح الـسَّوامِ

ودمــشقُ الــشآمِ بَعــدَ انبــساطٍ … من ضـواحي رُسْتاقها في انْـضِمامِ

إذ غزانــا عِلْــجُ العلــوج غَــزَانٌ … وغَزانــا مــن فــارسٍ بالطَّغَــامِ

فأعــادَ العزيــزَ مِنَّــا ذلــيلًا … ذا صَــغَارٍ، ينقــادُ كالأنعــامِ

فنــضاهُ الجبَّــارُ، جــلَّ ثنــاهُ … في وُجـوه العِـدى كحـدِّ الحُـسامِ

فحمانــا[2] بــالله مــن كــلِّ طــاغٍ … لا بــرمحٍ، وصــارمٍ، وسِــهامِ

يـا لــهُ حــينَ فرَّ كـلُّ كَمِـيٍّ … مِـنْ حمُـاة الإسـلام عنَّـا: مُـحامي

يـا ابـن تيميَّـةٍ، عليـك خـصوصًا … وعمومًــا تحيَّتــي وســلامي

يـا سـليلَ العُـلا، عليـك القـوافي … قـد بكـت في الطُّـروسِ بـالأقلامِ

يـا فقيـدَ المثـال علـمًا وحلـمًا … وقريـبَ المَرْمَـى، بعيـدَ المَـرامِ

يـا بطـيءَ الإحْجـامِ إن عـزَّ خَطْـبٌ … وسريــعَ القيــام والإقــدامِ

يـا محلَّـى وكاسـيًا[3] كـلَّ فـضلٍ … ومُعَــرَّى مــن كــلِّ عــارٍ وذامِ

يـا سَريـعَ الإقْـدامِ إن عـنَّ خَطْـبٌ … وكثـيرَ القيـام جُـنْحَ الظَّـلامِ[4]

---

(١) (ف، ك): «والخلق نيام..».

(٢) الأصل: «فجاءنا».

(٣) الأصل: « محلًا كاسيًا».

(٤) البيت من الأصل فقط.

كُـفَّ طَـرْفي إن لـذَّ مِـنْ بعـد مَـرْآ ... ك لأجفانـــه لذيـــذُ المنـــامِ

وبودِّي ـ بفقد[1] شخصك ـ لو حا ... م عــلى أيْكتــي حَمَــامُ حِمــامي

ولعمـري، يـا مـن لـه في فـؤادي ... لحْـدُ ذكـرٍ، دوامُـه بـدوامي

إن حللـتَ الثَّـرى فروحُـك حلَّـتْ ... يـا ابـنَ عبدِالـسَّلام، دارَ الـسّلامِ

فـسقى تربـةً حَـواكَ ثراهَـا ... كُـلُّ مُـزْنٍ بوابِـلٍ وَرِهـامِ

وإذا شـحّت[2] الـسّواري بـسحٍّ ... والغـوادي جُـذْناكَ بالـدمعِ دامـي

****

وله عفا الله عنهما[3]:

بمـصرَعِك النـاعي أصـمَّ وأسْـمعا ... وصُمُّ الصَّفا مِنْ صَدْمةِ الحُزْن صدَّعا

[ق ١٤٣] فكم مُقلةٍ جفَّت جمودًا من الأسى ... وكـم مُهجـةٍ سـالت مـن الـدمع أدْمُعـا

وكم ثاكلٍ بالنَّوح والنَّدْب رجَّعـتْ ... وكـم فاضـلٍ بـالنَّظم والنَّثْر سَـجَّعا

ولم يبقَ ذُو علمٍ وزهدٍ من الـورى ... لفقـدِك إلّا كاسـفَ البـال موجَعـا

تنكَّـرت الـدُّنيا عـلى كـلِّ عـارفٍ ... رأى منـك مـأهولَ المنـازِل بَلْقعـا

---

(١) (ف، ك): «ويودي لفقد».

(٢) بقية النسخ: «سحت».

(٣) (ف، ك): «للشيخ مجير [ف: محيي ــ تحريف] الدين أحمد بن الحسن الخياط الجوخي الدمشقي، يرثي بها شيخ الإسلام...». و (ب): «ومنها للشيخ مجير الدين الخياط».

جعلتُ لمن أخلى مَصيفًا ومَرْبعًا ... فُؤادي وأجفاني مَصيفًا[1] ومربعا

فيا أحمدَ المحمودُ، قد كُنْتَ للهدى ... منارًا، وللشَّرْع الحنيفيِّ مَشْرعا

وللدِّين والدُّنيا ضياءً وبَهْجةً ... إذا لاحَ وجهُ الخطْبِ أسْودَ أسْفَعا[2]

رُمِينا بِرُزْءٍ منك، لم تَسْتَطِع له ... برأيٍ شديد الأيْد والكيْدِ مَدْفعا

رحَلْتَ عن الأوطان رِحْلةَ نازحٍ ... إليهنَّ لم تُزْمِع مَدى الدَّهر مَرْجِعا

لقد كنتَ عن شرٍّ بطيئًا ووانيًا ... وفي طلب الخيراتِ عجلانَ مُسْرِعا

وللحِلْم طَودًا راسخًا باذِخَ الذُّرَى ... وللجُود والإحسان والعلم مَنْبعا[3]

ورُكنًا لدين الله حين تهدَّمتْ ... قواعِدُه منه وهَى وتَضَعْضُعا

ورَوضَ عُلوم ناضرًا عاد مُمْعِرًا ... وصوَّح منه كلُّ ما كان مُمْرِعا[4]

ومجْمَع[5] شَمْلٍ شتَّت الشملَ فقدُهُ ... وأنواعُ أشتات النوائب جَمَّعا

وحبرًا حوى حَيزُومُه[6] وبنانُه ... بِحارَ النَّدى والجود والعلمِ أجْمعا

سرى ذكرُه في الأرض شَرْقًا ومغربًا ... سُرى نَشْرِ عَرْفِ المَنْدَل الرَّطْبِ ضوَّعا

---

(١) (ك): «مضيقًا».

(٢) (ف): «أسعفا».

(٣) (ب): «مشبعا».

(٤) (ف، ك): «وروض علم»، (ب): «عاد ممرعا»، (ف): «معمرا». المكان الأمعر: القليل النبات. والممرع: الخصيب.

(٥) (ب): «ومجموع».

(٦) الأصل: «حيزمه».

وجـازتْ مَـساعِيه الكواكـبَ عِـدّةً مع القَطْر إذْ فاتت رمالًا ويرمَعـا[1]

فيا حُكمه[2] ما كان في القلب أوجعا ويا يومَه، مـا كـان في العـين أفْظعـا

ويا لك من خَطْـبٍ جليـلٍ وحـادِثٍ عَدِمْنَا به الـشَّهْمَ الجـوادَ الـسَّمَيْدَعا

ومن يوم بؤسٍ عابسِ الوجـهِ كـالحٍ سبانا إمامًا[3]، يـؤمن الـرَّوْعَ أرْوَعـا

مُطيعًا لربِّ العَرْش لم يَعْـصِ أمـرَه ومنـه لـه في العَـصْرِ لم نـر أطْوعـا

مُنيبًـا إليـه قـائمًا بِحُـدوده إلى حين ولّـى، مُذْ نَـشا وتَرَعْرعـا

هِزَبرٌ ومِقْدامٌ على الهـول لم يَهَـبْ مليكًـا بِمَنْـع المُنكـرات ممنَّعـا[4]

شـجاعُ جِـلادٍ[5] في جـدال بُحُوثـه يعيـدُ جَبانًـا كـلَّ مـن كـان أشْـجَعا

يصولُ بسيفِ العلم في مَعْرك النُّهى وأرْماحُ شَرْع الجهـل أقْبَلنَ شُرَّعـا

وفي عَـصْره كـم مـن إزالـة بدعـةٍ ومُنْكـرٍ[6] فِعْـلٍ قـد أجـاد وأبْـدعا

وما كان إلا الشمسَ في ليل باطـلٍ يُرينـا بنـورٍ منـه للحـقِّ مَطْلعـا

فكم من ظلام الظُّلم زَحْزَح غَيهبًا بساطع نور العَدْل من حين شَعْشَعا

وكـم مـن كرامـاتٍ لـه ومناقـبٍ يـضيقُ بهـا وُسْـعُ الزَّمـان توسُّـعًا

---

(١) الأصل: «حازت». واليرمع: حجارة بيض تلمع. «اللسان».

(٢) (ف، ك): «حلمه»، (ط): «موته».

(٣) (ف، ك، ط): «همامًا».

(٤) (ف، ك): «على الهـ... لمنع». وفي (ط):

«هِزبرًا ومقدامًا على العرف كله مليكا لمنـع................».

(٥) (ك): «جلال».

(٦) (ب): «إزالة منكر».

وكم من طريقٍ في المباحث مُبهمٍ ... بإيضاحه أضحى لساريه[1] مَهْيعا
وكم سامه النُّقصانَ والخَفْضَ حاسدٌ ... وخُصَّ كمالًا زائدًا وترفُّعا
تولَّى عن الدنيا حميدًا ولم يكُنْ ... لزخرفها المَذْمومِ يُبدي تطلُّعا
وعاش إلى أن مات لم يُعْطِ نفسَه ... بتأميل ما في دار دُنياه مَطْمَعا
إمامٌ عليمٌ خاشعٌ متواضعٌ ... لِهَيْبَتِهِ تُغضي النواظرُ خُشَّعا
سحابُ علوم روَّض الأرضَ فضلُه ... وألبَسَها بُرْدَ البيان الموسَّعا
ونضّرَ منها بالفضائل أوجُهًا ... وتَوَّجها تاجَ المعالي المُرَصَّعا
وخلَّفها من بعد صيِّب صوبه ... عليها رياضًا للعقول وأقلعا
كذا المزْن، أنَّى جاد[2] بالوابل الثرى ... وروَّى صداها حُقَّ أن يتقشَّعا
[ق١٤٤] فلله مفقودٌ فقدناه نافعٌ ... لنا منه ــ غير الله ــ لم نَرَ أنفعا
شُغِفْنَا به في الله حُبًّا، فلم نَدَعْ ... هواه لغير الله في القلب مَوْضعا
عليك أبا العباس أحمدَ لم يزل ... فؤادي بتَذْكارِ الفِراق[3] مُرَوَّعا
إلى أن يُريني الله وَجْهك سافرًا ... بنَضرته يومَ المعادِ مُبْرقعا[4]

****

(١) (ب): «لباريه».

(٢) (ف): «إن جارت».

(٣) (ف، ك، ط): «الفؤاد».

(٤) بعده في (ف، ك): «تمت. وهي ثلاثة وأربعون بيتًا».

[1]ومنها للشيخ الإمام صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مُدرِّس البشيرية ببغداد رحمه الله[2]:

طِبْتَ مثوًى يا خاتم العلماء	في مقام الزُّلفى مع الأتقياء
أولياء الرحمن والسَّادة الغُرْ	رِ الهُداة الأئمة الصُلحاء
ويح للموت كم طوى بك من عِلْـ	ـمٍ غزيرٍ وفِطْنةٍ وذكاءِ
وبيان يشفي القلوبَ من الغَيْـ	ـيِ ويجلو عنها صدى الغمّاء[3]
أين تلك العلوم والمنطق الصا	ئب عند السؤال والإفتاء
أين ذاك الخُلُق الجميل وحُسْن الـ	ـبِشْر للزائرين عند اللِّقاء
رَمِدَت مُقلةُ الفضائل مُذْمِتْـ	ـتَ وقرَّت عيونُ أهلِ الشَّقاء
حينَ لا عالمٌ يردُّ الذي قا	لوا وما نمَّقوه للإغواءِ[4]
من ضلالات أهل فلسفة اليو	نان والإعتزال والإرجاء[5]

---

(١) في (ب) سقط من هنا إلى ص ٤٧٨.

(٢) بدلًا من هذه العبارة في (ف، ك): «للشيخ الإمام المحدّث الفاضل الأديب البارع صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق مدرّس البشيرية ببغداد، البغدادي الحنبلي يقول: قال العبد الفقير عبد المؤمن بن عبد الحق بلغه وفاة الشيخ الإمام العالم بقية العلماء المجتهدين تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني رحمه الله ورضي عنه وبوَّأه الجنة بمنه وكرمه آمين». وتقدمت مصادر ترجمته (ص٤٢٠).

(٣) الأصل: «العماء».

(٤) الأصل: «علمَ» والمثبت من (ف، ك)، (ف): «نمقوا».

(٥) (ك): «من ضلال»، و«أهل» سقطت من (ف).

وذوي الرَّفض من يدينون بالطّعْـ ـــن على الصالحين والإزراء
مَنْ يحلّ الشكوكَ بعدك والمَرْ دود مِنْ شبهةٍ وقولٍ هُراءِ[1]
مَنْ لتبيين مُشكلٍ[2] قَصُرت عنـ ـه عقولٌ لِمَا به مِنْ خفاءِ
مَنْ لقَمْع[3] الخصم المجادل في الدّيـ ـن عنادًا مِنْ ملَّةٍ عَوجاء
مَنْ ترى للغريب بعدك يلقا هُ بوجهٍ طَلْقٍ وفضلِ حِباء[4]
ضاع من بعدِك الغريبُ فما يلْـ ـقى مُعينًا له على اللأواءِ[5]
أيما عالمٍ نعاه لنا النا عي وحبرٍ قد صِين في الغَبْراءِ
أيُّ حبرٍ قد غيَّضته المنايا في رَجَا حُفرةٍ من الأَرْجاءِ[6]
أعلمُ الناسِ كُلِّهم بكتاب اللْـ ـلَهِ جلّ اسمُه بغير مِراءِ
بمعانيه والعلومِ التي فيـ ـه وأدرى بالسُّنة الغرَّاءِ
مِنْ أحاديث سيد الرُّسل يرويـ ـه كِبَارُ الأئمَةِ النُّبلاءِ
مِنْ صحيحٍ ومِنْ سقيم وأخْبا رِ الرواةِ الثِّقَاتِ والضُّعفاءِ
وبآثارِ صَحْبِه وفتاوي مَنْ أتى بعْدَهم مِن العلماءِ

---

(١) (ف، ك): «من لحل... وقول هذاء».
(٢) (ف): «شكل».
(٣) (ف): «قمع».
(٤) (ك): «حياء».
(٥) الأصل: «اللواء» خطأ.
(٦) (ف): «بحر قد... المنايا رجا». وفي الأصل و(ك): «في رحا».

وبإجماعهم وما اختلفوا فيـ ـه من الحُكمِ سادةُ الفقهاءِ

حاله إن نظرْتَ فيها تجِدْها[1] مثلَ أحوالِ سادةِ الأولياءِ

قانعُ النفس بالدَّنيِّ من العيـ ـش غنيًّا يُعَدّ في الفقراءِ

مُؤثرًا بالذي لديه لِعافيـ ـهِ[2] على نفسه بغير رياءِ

وَرَعٌ ظاهرٌ[3] ونُسكٌ وإخبا تٌ وشكرٌ في شدَّةٍ ورخاءِ

والتُّقى والعفافُ والزُّهد في الدنْـ ـيا حُلاهُ والصَّبرُ عند البلاءِ

لم يزل جاهدًا يجُاهدُ للـ ـه قَبيلَ الضلال والأهواءِ[4]

بجَنانٍ ثَبْتٍ وجأشٍ قويٍّ وفؤادٍ رأسٍ لدى الهيجاءِ[5]

يَزَعُ الخصمَ بالجواب عن الشكْـ ـكِ ويُدلي بالحجَّة البيضاءِ

[ق١٤٥] صابرًا نفسَه إلى أن قضى اللـ ـه بما قد قضى على الأنبياءِ

ولقد أضمروا له السوءَ قومٌ للذي حُمِّلوا من البغضاءِ

حسدًا منهم لما خصَّه اللـ ـه به من ملابس الفضلاءِ

فاستحلّوا منه الذي حرّمَ اللـ ـه لِمَا أضْمروا من الشَّحْناءِ

حرَّفوا قولَه كما حرَّف القو مُ نصوصَ القرآن للإغواءِ

---

(١) (ك): «فيه»، (ط): «فيه تجد».

(٢) الأصل: «لعاقبه». وعافيه: طالبه.

(٣) (ف، ك): «طاهر».

(٤) «يزل» سقط من (ف)، (ف، ك): «يجاهد في الله».

(٥) (ف، ك): «وفؤاد رأس لذي...».

ورمـــوه[1] بكـــلِّ قـــولٍ شـــنيعٍ بـــيّن الكِـــذْب ظـــاهر الافـــتراءِ

عَجَــزوا عنــه مــرَّة بعــد أُخــرى فاســـتعانوا عليـــه بـــالإغراءِ[2]

هـل يُبـاري العَضْبَ الصقيلَ كَهَـامٌ صَـــدِىءٌ في صرامــة[3] ومـــضاءِ

أم يجاري[4] الحميرُ في حَلْبة السَّبْـــق جـــوادًا مُـــضمَّر الأحـــشاءِ

لم ينـــالوا منـــه الـــذي أمَّلُـــوهُ بـــل رمـــى الله جَمْعَهـــم بالفنـــاءِ

يـا تقـيَّ الـدين الـذي صـدقت فيـــه وحَقَّـــت مخايـــل الآبـــاءِ[5]

عنـــد تَلْقيبـــه كـــذلك قـــد كُنْـــتَ وسُـــمِّيت أحـــسنَ الأســـماءِ

يا ابـن تيميَّـة لقـد[6] فـزت في الدُّنْـــيا بـــذكرٍ بـــاقٍ وحُـــسنِ ثنـــاءِ

وكذا أنتَ ـ يعلم[7] الله ـ في الأُخْـــرى مـــع الـــصالحين والـــشُّهداءِ

بُوِّئـتْ رُوحُـك الـشريفةُ في الجَنْـــنَة أعـــلى منـــازل الـــسُّعداءِ[8]

وسَـقَى قَـبْرَك الـرِّضى وأتـاك الـرْرَوْحُ في كـــل[9] بُكـــرةٍ وعـــشاءِ

---

(١) الأصل: «رموه».

(٢) (ك): «بإغراء».

(٣) (ط): «ضرابه».

(٤) (ف، ك): «تجاري».

(٥) (ف): «وحققت مخائل»، الأصل: «نجائل».

(٦) (ف): «قد».

(٧) (ف): «بعلم».

(٨) (ف): «الشهداء».

(٩) «كل» سقطت من الأصل.

وتوالَت عليك من نِعَم اللـ ـه ورضوانه صُنوفُ العطاءِ

آخرها، وهي[1] ثمانيةٌ وأربعون بيتًا.

****

[2]ومنها للشيخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عبدالكريم بن عبدالصمد بن أنوشروان التبريزي الأصل، الحنفي، المعروف بابن الكرشب[3] رحمه الله تعالى:

عمَّ المصابُ فلا تبكوا بغير دمٍ ... على ابن تيميَّةٍ ذي العِلْم والحِكَمِ

حبر البريَّة ولّى وهو في دَعَةٍ ... فكلُّ جَفْنٍ عليه لا يفيضُ[4] عَمِي

عارٌ على جَفْن عينٍ عاينته وقد ... أبانه البَيْنُ تلفى غَيرَ منسجم

لو أن كلَّ تقيٍّ في الإنام فدى ... نفسَ الإمام تقيّ الدين لم يُلَمِ

إذا تذكَّره من كان يألَفُه ... يهزّه الشوقُ من فَرْق إلى قَدَمِ

ويستغيث لسَهْمٍ قد أُصيب به ... وأيُّ سهم به هذا المصابُ رُمي

يا ثُلمةً ثُلِمَت في الدّين واتسعت ... ولست حتى اللقا والحشر تلتئمي

---

(١) (ف، ك): «وعدتها».

(٢) هذه القصيدة من الأصل فقط. وهي في «الكواكب الدرية» (ص٢٠٦ ـ ٢٠٧) لكنها ثلاثة عشر بيتًا فقط، مع زيادة بيت ليس في الأصل. والناظم توفي سنة (٧٣٥). ترجمته في «الدرر الكامنة»: (١/ ١٧٧)، و«الشذرات»: (٦/ ١١١)، و«الطبقات السنية»: (١/ ٣٨٥) للتميمي.

(٣) كذا في الأصل. ووقع في «الدرر»: «المكوشة» وفي هامشها: في نسخة: «بابن الكوشت». وفي «الطبقات»: «المكوشت» وفي «الشذرات»: «عُرف: بكرشت».

(٤) «الكواكب»: «فلا يبكي عليه».

هيهات هل تسمح الدّنيا بمثل فتى ... تيميّـةٍ أو يُـرى في عالَـمِ الحُلُـمِ

فقل لـنفسٍ لبـان اللُّطْـف أرضـعها: ... يا نفسُ قد مات ظِئرُ اللُّطْف فانفطمي

قد كان عند ذوي التقوى الإمـام تقيـ ... ـي الدين أحمد معـدودًا مـن الـنّعم

لكـــنَّ مَـــصْرَعه والله يرحمـــه ... عـلى محبِّيه محسوبٌ مـن الـنِّقم

كانـت بـه تَفْخَـر الـدنيا وقـد بقيـت ... بــه تُفــاخِر أجــداثٌ ذوو رِمَـــمِ

كانــت مواعِظُــه للــزائغين عــن الْـ ... ـحَقِّ السقيمين يشفيهم مـن الـسَّقَم

والعلم والحلم والتقوى بهـنَّ غـدا ... في الناس أَشْهَر من نـارٍ عـلى علـمِ

والزهـد في زخـرفِ الـدنيا وزينتهـا ... من وصفه كان مضمومًا إلى الكرمِ

إلى فـضائله العميـانُ قـد نَظَـرت ... حقًّـا وأصـغى إليهـا كـلُّ ذي صَـمَمِ

مولىً على حُبِّه الأرواحُ قد جُبِلَـت ... ولستُ في هذه[1] الـدعوى بمتَّهمِ

[ق١٤٦] ما ذاك إلا لما قد كان خَصَّصه ... بـه الإلـه مـن الأخـلاق والـشِّيَم

ونورُ ربِّك لا يُطْفَى ولو حَـرَص الـ ... ـحريص [يومًـا] ومـالا كـلّ مـؤتَثِم

مَنْ للمسائل قـد أعْيَـت فيوضـحها ... وضُوحَ بَرْقٍ لَموعٍ لاحَ في الظُّلَمِ[2]

ما إن رأى الناس أبهى مـن جنازتـه ... لما استقلَّت على الأعنـاق والقِمَـمِ

وحولَه وهو يُجْلَى كالعروس على ... سريــره أمـــمٌ ناهيــك مـــن أُمَـــمِ

يـــضَّرَّعون إلى ربّ العبـــاد بـــه ... لِـــمَا بـــه اختـــصَّه مـــولاه في القِـــدَمِ

---

(١) «الكواكب»: «في القول».

(٢) في «الكواكب» بيت ليس في الأصل وهو:

كالبحر يزخر إن بثّ العلومَ وكـالسْـ ... ـسَيل الـذي مـدَّهُ (الوسميُّ) بالـدِّيَم

بكـى عليـه مـصلَّاه ومنـبره ... وفي الخدور بكته أعْين الحُرُمِ
والأرضُ تبكي عليه والسماءُ كذا ... قد جاء عن سيِّد الأعَرابِ والعَجَمِ
لأنَّـه العالم الحبر الذي أبدًا ... تُتلى مناقبه جهرًا بكلِّ فمِ
هذا هو المجد حُقَّ الافتخارُ به ... لا بالتكاثر بالأموال والحَشَمِ
يا جنّةَ الخُلْدِ وافيهِ مُزَخرفةً ... وأنتِ يا نار أشواق الورى اضطرمي
ويا شموس العُلى غيبي لغيبته ... ويا مباني المعالي بَعْدَه انهدمي
قد صار دَرْسيَ ذكراه أكرِّره ... وصِرْتُ فيه مُعيدَ الدَّرس للفهمِ
ولي على ذاك معلومٌ أعيشُ به ... أنْ قد جُعِلت له من جملةِ الخَدَمِ
فأعظمَ الله أجرَ الفاقدين له ... الواجدين ذوي الإخلاص كلّهمِ
وأكرم الله مثواه وموضعه ... بوابلٍ من سحاب الجود والكرمِ
والله يجمع في دار النعيم به ... قومًا يحبونه في الله ربِّهمِ

تمت، وهي أربعة وثلاثون بيتًا.

****

وله أيضًا[1]:

صبرًا جميلًا فالمصابُ كبير ... كادت جبال الأرض منه تمورُ
وجسيمُ خَطْبٍ قد عَرى كلَّ الورى ... فُقِد الضياء وأظلمَ الدّيجورُ
وانهدَّ ركنُ فضائل وفواضلٍ ... فعليهما ركنُ الأسى معمورُ
وعلى تقيِّ الدين أحزانُ الورى ... لسحائب الدمع الغزير تُثيرُ

---

(١) هذه القصيدة أيضًا من الأصل فقط. وهي في «الكواكب الدرية» (ص٢٠٤ ـ ٢٠٦) مع زيادة بيتين.

لولا ابتغاء الأجر لم يُحْمَد على ... صبرٍ على هذا المصاب صبورُ

أفَلَت شموسُ المَكْرُمات وأظلم الشْـ ... ـشَام المنير وزال عنه النور

نور الفتى التيميّ والقُطبِ الذي ... فلكُ العلوم عليه كان يدور

حبرٌ به كان الزمانُ ومَنْ به ... يزهو ويُشرق في الدُّجى وينيرُ

عَلَم التعبُّد والتزهُّد والتقى ... في سائر الدنيا له منشور

ورسوخه في كلِّ علمٍ نافعٍ ... فحديثه بين الورى مشهور

قد كان صدرًا في الصدور فمُذ نأى ... ضاقت على صَدْر الصدور صدور

لا غَرْو أن فاضت عليه مدَامعٌ ... حرَّى وأن قُصِمت عليه ظهور

تبكي السماءُ عليه والأرضُ التي ... لصفائها بفراقه تكدير

وبكى مصلَّاه ومنبرُه ومو ... ضعُ دَرْسه والجامعُ المعمورُ

وبكى الغمامُ لفقده وتفطَّرت ... عن أعْيُنٍ تجري عليه صُخور

وكذاك ربَّاتُ الخُدور بكينَه ... وتهتَّكت منها عليه سُتور

نَشَرت له العَذَباتِ بانات اللوى ... عِوضَ الشعور وما لهنَّ شعور

وعليه نُحْنَ على الأراك حمائمٌ ... يندُبْنَه أسَفًا وهنَّ طيور

[ق١٤٧] فالصَّبُّ إن صبَّ المدامع بعد من ... يهوى ومات فإنه معذورُ

والناسُ في حزنٍ عليه وإنه ... عبدٌ بلقاءِ(1) ربِّه مسرور

غار الإله عليه من أغياره ... فزواه عنهم والمحبُّ غيور

فخلا به يتلو عليه كلامَه ... وله الحبيبُ مؤانسٌ وسمير

حتَّى إذا اشتدَّ التشوُّق زَفَّه ... زفَّ العروسِ وذيلُها مجرور

---

(١) كذا، ولعلها: «بلُقيا» ليستقيم الوزن.

وشعارُ كلِّ مُشَيِّعٍ لسريره: ... التسبيحُ والتهليلُ والتكبيرُ[1]

ولقد سَرَت لسريره[2] لما سرى ... سِيَرٌ لها حتى النشورِ نشورُ

تفنى الليالي والزمانُ وذِكْرُهُ ... مُتجدِّدٌ بين الورى مذكورُ

قد كان في الدنيا هلالًا لائحًا ... كلٌّ إليه بالبنان يُشيرُ

وكذا جنازته تعالى الله لم ... يُنْظَر لها في العالمين نظيرُ

ومن العجائب أنها نطقت على ... صمتٍ بما هو كامنٌ مستورُ

إنَّ المشيِّع للجنازة لم يعد ... إلا وسائرُ ذَنْبِه مغفورُ

هذا هو الفضل المبين وهذه ... نِعَمٌ عليها ربُّنا مشكورُ

لا أوحشَ الله الوجودَ من الذي ... أنِسَتْ به في الموحِشَاتِ قبورُ

وإلى جِنانِ الله راحت روحُه ... يلقاه منها بَهْجَةٌ وسرورُ

طوبَى لميْتٍ جاور القبرَ الذي ... فيه فتى تيميَّةٍ مقبور

بل فاز نُزَّالٌ ثووا بجنابِه ... إنَّ الكريمَ نزيلُه مخْفورُ

فينال حتى الحشرِ من بركاته ... وعليه ينزلُ رحمةٌ وحُبورُ

يا ربِّ فاجمع بيننا في جنة الـ ... ـمأوى فأنتَ لِمَا تشاءُ قديرُ

تمّت، وهي ستةٌ وثلاثون بيتًا[3].

---

(١) بعده بيتان في «الكواكب» وهي:

ولقد سرى فوق الرقاب سريرُه ... فعجبتُ كيف الراسيات تسيرُ

ما كنت أعلم قبل يوم وفاته ... أن البحار الزاخرات تغور

(٢) الأصل: «لسيره» والمثبت من «الكواكب».

(٣) بل سبعة وثلاثون.

وله أيضًا[1]:

لِفَقْد الفتى التَّيميِّ تَجْري المَدامعُ ... وتصدعُ بالنَّوح الحمامُ الصَّوادِعُ
فتُغْرِق أجفانًا يُقرِّحها البُكا ... وتَضْرِمُ نيرانًا حَوَتْها الأضالعُ[2]
وبالماء يُطْفَى كلّ نارٍ، ونارُنا ... يُؤجِّجها بين الضلوعِ المَدَامع[3]
وأمَّا الحَمام الصادِحاتُ فإنَّها ... حَمَامُ حِمام للقلوب صوادعُ
وحقُّ فتًى كانت جوامِعُهم له ... جوامعَ تبكي فقدَه والجوامعُ[4]
على ماجدٍ جلَّت مآثره الّتي ... لها في قلوب العارفين مواقعُ
علومٌ وأخلاقٌ كرامٌ وسُؤدَدٌ ... وجودٌ ومجدٌ باذخٌ وتواضعُ
وزهدٌ، وإيثارٌ، وتقوى، وعِفّةٌ ... وتلك سجايا حازها وهو يافعُ
هو الحَبْرُ، أمَّا المشكلاتُ فحلُّها ... يسيرٌ لديه، وهو في الحلِّ بارعُ
وأمَّا عُقودُ الدِّين فهي وثيقةٌ ... لديه، وعنها بالعوالي يُقارِعُ[5]
إمامٌ، بَكَتْه أرضُه وسماؤه ... بُكاء حزينٍ، حُزْنهُ مُتتابع

---

(١) مكانها في (ف، ك): «مرثية للشيخ برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبدالكريم التبريزي، يرثي شيخ الإسلام، وهي....». ولم أقف على ترجمة إبراهيم المذكور، وتقدمت ترجمة والده (ص٤٨٣).

(٢) (ف، ك، ط): «فتغرق جفنًا قد تقرّح بالبكا ... وتُضرمُ...».

(٣) (ف، ك، ط): «مؤججها بين...».

(٤) هذا البيت سيأتي في (ف، ك) بعد أبيات. ولفظه:

وحُق لمن كانت جوامعهم له ... جوامع، يبكوا فقده والجوامع

(٥) (ف، ك، ط): «وعنها بالرماح ينازع».

ومـا لهـما لا يَبْكيـان لفقـدِ مَـنْ | عن الله لم يشغَلْه في الكون قاطع[1]
ولـو بكـت الـدنيا، ومـا كـان حقَّهـا | فواحِدَها قد كـان، والـشملُ جـامع
وقـد أصبحت ثكْلـى تُعَزَّى بفقـده | ومِنْ بعـده هانـت عليهـا الفجـائع[2]
ولولا ابتغاءُ الأجر كان اصْطبارُنا الـ | ـجميل قبيحًا، إنمـا الـصبرُ نـافع[3]

****

ومنها لصاحبنا برهان الدين إبراهيم ولد شهاب الدين المتقدِّم ذكره. رحمهما الله تعالى[4]:

---

(١) (ف، ك): «لم يقطعه».

(٢) الأصل: «هافت»، (ط): «هالت».

(٣) بعده في (ف، ك) عدة أبيات ليست في الأصل، وهذه هي:

ومنـبره لـولا غـزارة وعظـه | عليـه قـديمًا حرَّقتـه المـدامعُ
وما زال في حقّ ابن تيميَة الفتى الـ | إمـامِ تقـيِّ الـدين أحمـدَ ضـائعُ
أما كان شمسًا في المطالع يُجْتلى | فعـادت عليـه فاختبتـه المطـالعُ
وشامة خدّ الشام قد كان علمه الشـ | ـريف عـلى الخـدِّ المكـرّم طـابعُ
ونجـمُ هـدى للسالكين إذا سروا | وبـدرٌ منـير في الـدياجيِّ طـالعُ
قد غابَ غابَ البدرُ عنه ولم يَشِم | لـشائمه بَـرْق عـلى الـشام لامـعُ
ولا افترَّ ثغرُ الشام من فَرْط حُزنه | على مـن عليـه مَدْمَع العين هـامعُ
وبدر الدُّجى إن غاب لم تُشْرِق الدُّنا | ولو أشرقت فيها النجومُ الطوالـعُ

(٤) في (ف، ك): «[ك: مرثـاة] للـشيخ برهـان الـدين إبـراهيم بـن الـشيخ شـهاب الـدين أحمد بـن عبـد [الكريم] الكرسـت العجمـي يرثـي الـشيخ تقـي الـدين ابـن تيميـة في جمادى الآخرة سنة ٧٣٥، ومولده في أوائل سنة ٩٧، وتوفي في رمضان سنة ٧٣٥». وقد سبق في (ف، ك) نسبة القصيدة السابقة لإبراهيم بن أحمد هذا، وواضح أنـه مـن أقران المؤلف وإن لم أعثر على مَن ترجمه.

[ق١٤٨] خُذِي في انسجام[١] الدمع يا مقلة العاني
إلى أن تــروِّي الأرض مــن فــيضِ أجفــاني

وذُق يـا فـؤادي كـلَّ يـومٍ وليلـةٍ مـرارةَ أشـواقٍ ولوعـة أشـجاني
إلى أن أرى وجـهَ ابـن تيميَـةَ الـذي بـه الله مـن أهـلِ الـضلالة نجَّـاني
ومَنْ لي بأن ألقاه والموت قد أتـى فغيَّبه في التُّرب[٢] عـن كـلِّ إنسان
فيـا وَحْشة الـدنيا لأنـوارِ وجهـه ويـا لهـفَ إخـوانٍ عليـه وجيرانِ
فحُـقَّ[٣] لعـينٍ لا ترجِّـي لقـاءه إلى الحشر أن ينهلَّ مدمعُها القاني
لقـد عـمَّ أهـلَ الأرض رُزء مُـصابه ولم يَنْجُ فيهم منه قاصٍ ولا داني
لقـد كانـت الـدنيا بـه ذاتَ بَهْجـةٍ ونــورٍ وإشراقٍ ورَوْحٍ وريحــانِ
ومــا كــان إلّا آيــةً في زمانــه وفي كلِّ فنٍّ[٤] حاز ليس له ثاني
إمـامُ هـدًى يـدعو إلى ديـن ربِّـه دعـاء نـصوحٍ مـشفقٍ غـير خـوَّانِ
فمذهبه ما جاء عن خير مُرسَلٍ وأصــحابه والتــابعين بإحـسانِ
أتـى بعلـومٍ حـيَّرتْ كـلَّ واصِـفٍ عـلى أنـه يُهْـدَى بهـا كـلُّ حـيران
فكـم مُبطـلٍ وافـاه يبغـي جدالَـه فأنصَفَه في البحث من غير عدوانِ
ويكـشف عنـه شُـبهةً بعـد شُـبهةٍ إلى أن يَبِـينَ الحـقُّ أحـسن تبيـانِ

(١) في الأصول: «جدي» ولعله ما أثبت، و(ك): «بانسجام».
(٢) (ف): «التراب».
(٣) (ف، ك، ط): «يحق».
(٤) (ف، ك، ط): «علم».

فيصبح عن تلك المقالةِ مُعرضًا ... ولو كان من أحبارِ[1] سوءٍ ورهبانِ

يغار على الإسلام من كلِّ بدعةٍ ... وما زالَ منها هادمًا كلَّ بُنيان

وفي الله لم تأخُذه لومةُ لائمٍ ... ولم يخشَ مخلوقًا من الإنس والجانِ

ولم ينتقم[2] في الدهر يومًا لنفسه ... ولكنه يُؤذَى فيعفو عن الجاني

وأما سخاءُ الكفِّ فالبحرُ دونَه ... ولم يكُ في بذلِ العطاءِ[3] بمنَّانِ

ولو وزنوا أهلَ الشجاعة كلَّهم ... به رجحَ الشجعانَ في كلِّ ميزان

فمن جاهدَ الأعداءَ في الدين مثلَه ... ومن سلَّ سيفَ العزمِ في وجه غازان؟

ومن قال للناس: اثبتوا يومَ شَقْحبٍ ... فإنَّ الأعادي في انهزامٍ وخِذلانِ؟

فمن خشيَ الرحمنَ بالغيب واتَّقى ... إلهَ البرايا خافَه كلُّ سلطان

وما ضرَّه أن طالَ في السّجنِ مُكْثُه ... إذا كان في نُسْكٍ وطاعةِ رحمن

منيبًا إلى مولاه يقطعُ وقتَه ... بنقلِ أحاديثٍ وتفسير قرآنِ

ولم يك مشغوفًا بحبِّ رياسةٍ ... ولا شدٍّ بغلاتٍ ولا حُسْن غلمان

ولا[4] كان مشغولًا بجاهٍ ومنصبٍ ... ولا رَفْع بُنيانٍ و[لا] غَرْس بستانِ

ولكن بعلمٍ نافعٍ وعبادةٍ ... وزهدٍ وإخلاصٍ وصبرٍ وإيمانِ

وفي موته قد كان للناس عبرةٌ ... لما شاهدوا من غير زورٍ وبُهتانِ

---

(١) سقط من (ف).

(٢) (ف): «ينتقم يومًا».

(٣) (ف، ك، ط): «العطايا».

(٤) (ف، ك، ط): «وما».

إذ انتشروا مثلَ الجراد وكاد أن　　تزيغ عقولٌ من رجالٍ ونِسْوانِ
وسار على أعناقهم نحو قبره　　يجُاور مولى ذا امتنانٍ وغُفرانِ
إلى الذهب الباقي دعاه إلهه　　وذاك[1] له خيرٌ من الخزَف الفاني
دعاه إلى جنّات عَدْنٍ وطِيبها　　ومتَّعه[2] فيها بحورٍ وولدانِ
فنسألُ ربَّ العرش يجْمَعُ شملَنا　　به في جِنان الخُلْدِ من بعد حرمانِ
ويجبرنا بعد انكسارِ قُلوبنا　　ويُروي برؤيا وجهه كلَّ ظمآنِ

****

ومنها للشيخ زين الدين عمر بن [ق١٤٩] الحُسام الشِّبْلي رحمه الله تعالى[3]:

لو كان يُقْنعني عليكَ بكائي　　لجرت سوابقُ عبرتي بدماءِ
أو كنتُ في يوم انتقالك للبِلَى　　صخرًا لزدتُ على[4] بكا الخنساء
لكن أصبِّرُ عنكَ نفسي كاتمًا　　للحزن[5] خوفَ شماتةِ الأعداء

---

(١) (ف، ك، ط): «فذاك».

(٢) (ف): «وأسكنه».

(٣) (ف، ك): «للشيخ زين الدين [سقطت من ك] عمر بن الشيخ حسام الدين آقش [ف: حسام الدراقس ـ تحريف] الشبلي، يرثي الشيخ تقي الدين ابن تيمية رضي الله عنه». توفي الشبلي سنة (٧٤٩). ترجمته في «أعيان العصر»: (٣/ ٥٩٨)، و«الدرر الكامنة»: (٣/ ١٥٦).

(٤) سقطت من (ف).

(٥) الأصل: «للخوف»، والمثبت من باقي النسخ.

أترى علمتَ وأنتَ أفضلُ عالمٍ ... ما عندنا من لوعةٍ وبلاء

أسفي على تلك الديانة والتُّقى ... والجود آذَنَ شملُه[1] بثناء

أسفي عليك وما التأسُّفُ نافعٌ ... صبًّا عليك مُقَلْقل الأحشاء

أسفي عليك نفى الكرى عن ناظري ... من فَرْط أحزاني وفرط عنائي[2]

غاضت بحارُ العلم بعدك والوَرَى ... في غفلةٍ يا سيِّد العلماء

بأبي وحيدًا مات منفردًا عن الـ ... أحباب كان بقيَّة الصلحاء

بحر العلوم حوى الفضائلَ كلَّها ... وسما سموَّ كواكب الجوزاء

متفرِّدًا في كلِّ علمٍ دونَه ... لعلوِّ رتبته ذُرَى العَلْياء

بالفضل قد شَهِدَتْ له أعداؤه ... وبه سما فضلًا على النُّظَراء

شيخُ العلوم وتابع السلف الذي ... تَبِعوا الرسول بشدّةٍ ورخاءِ

وإمامُ أهل الأرض والمبدي لهم ... سَنَن[3] الهدى عن صِحَّة الأنباء

ذو الصالحات وذو الشجاعة والتُّقى ... والجود والبركات والآلاء

من كان لا يثني لطالبِ جودِه ... حتى يبلّغه لكلِّ رجاء

يجفو المَضاجِعَ راكعًا أو ساجدًا ... أو ذاكرًا الله في الظَّلْماء

كالصَّبْر في حَنَك العدوِّ مذاقُه ... وألذُّ من شَهْدٍ إلى الجُلَساء

(١) (ف، ك، ط): «قربه».

(٢) هذا البيت متقدم على الذي قبله في (ف، ك، ط).

(٣) (ف): «سفن».

المانح البحر [الهمام] العالم الـ ـحبر الإمام وحُجَّة الفُقهاءِ[1]
الواهبُ المال الجزيل وغامرُ الضْـ ـضَيف النزيل بوافر النَّعْماءِ
المُحْسنُ الكافي السؤال وحاسمُ الدْ دَاءِ العُضال وكاشفُ الغمَّاء
صَدْر المدارس والمجالس أحمد الـ محمود في عَودٍ وفي إبداءِ
وإذا المسائل في الفتاوى أفْحَمَت أهلَ العلوم وحُجِّبت بخفاءِ[2]
وأتت تقيَّ الدين أظهر ما اختفى منها[3] وأبداهُ لعينِ الرَّائي
فيرى سُهاها في الخفاء بكشفه كالشمس مشرقة بصحوِ سماءِ
ويرى البصيرُ الحقَّ فيما قاله والحقُّ لا يَخْفَى على البُصرَاءِ
سجنوه خَشْيَةَ أن يُرى متبذّلًا صونًا فنالَ منازلَ الشُّهداء
للمؤمنين له وعند غُدُوّهم ذلُّ الكسير وعزةُ الخلفاءِ[4]
في المُحْدَثين أتى بفضل باهرٍ ومناقبٍ أرْبَتْ على القُدَماءِ
أيْ خاشعٍ أيْ شاكرٍ أيْ ذاكرٍ لله في الإصباح والإمساءِ
أيْ زاهدٍ أيْ حامدٍ أيْ باذلٍ للمسلمين نصائح النُّصحاءِ
خيرُ الصِّفات صفاتُه وثناؤه بالجود بين الناس خيرُ ثناءِ
ويظلّ يسألُ جودُه عن سائلٍ ذي فاقةٍ ليبرّه بعطاءِ

---

(١) الأصل: «الغمام» بدل «الإمام»، و(ف، ك): «الحبر الهمام».

(٢) (ف): «أقحمت أهل...».

(٣) (ف): «منه».

(٤) الأصل: «عدوهم» بالعين المهملة. خطأ. وفي (ف، ك، ط): «ذاك الكسير».

وتــــراه يُــــشْرق وجهُـــه مُــستهلِّلًا | للـــــسائلين لــــه شروق ذكـــاءِ
بــادي التبــسّم عنــد بَــذْل نوالــه | لطفًــا إلى الفقــراءِ والــضعفاءِ
أرْبـى عـلى فَـضْل البرامكـةِ الأُلى | وطـوت مكارمـه حـديثَ الطـائي
مــن جــاء يَــسأله يُــشاهدْ عنــدَه | بــذلَ الملــوكِ وعِيــشة الفقــراءِ
[ق١٥٠]يُرْبي على سحِّ السحائب جُودُه | وكــذا تكــون مواهــبُ الكرمــاءِ
والجــودُ يرفــعُ أهلَــه بــين الــوَرَى | أبــدًا ويهــوي البخــلُ بــالبخلاءِ
ولــه إذا اضــطرم(١) القتــالُ شــجاعةٌ | قامــت بنــصر الــدين في الهيجــاء
سَــلْ عنــه غازانًــا وسَــل أُمَــراءَه | لمــا أتــوا بطلائـــع الأُسَراءِ
والمغــل(٢) قــد ملكــوا الــبلاد وأهلَهـا | كــم فــكَّ مــن عــانٍ بغــير عنــاءِ
وكــذا بــشقحب والتتــار قــدَ اقْبلــوا | بـالطمِّ(٣) في أمــمٍ بغــير مــراءِ
والمسلمون على النزول قدَ اجْمعوا | والمغــل عــنهم نظــرةً للرَّائــي
مـن حـرَّض الـسلطانَ والأُمـرا عـلى | تـرك النـزول سـواه(٤) عنـد مـساءِ
قــال اثبتــوا فلكــم دليــلُ النــصرِ قــد | وافى(٥) فكــان النــصرُ عنــد لقــاءِ
وأتـى جبــال الكــسروان فآذنــتْ | بــدمارِها مــن بعــد طــول بقــاءِ

(١) (ف، ك): «اصطدم».
(٢) (ف): «والغل». وكذا في البيت بعد الآتي.
(٣) (ف، ك): «كالطم».
(٤) الأصل: «سواء» خطأ.
(٥) (ف): «وفا».

ولـــه بكـــلِّ مدينـــةٍ ذكـــرٌ أتـــى كالمِـسْك فهــو مُعطِّــر الأرجــاءِ

سِـيَرٌ إذا[1] نظَّمْتهـا سـارَتْ بهـا الـرْ ـــرُكبانُ دون قـــصائد الـــشُّعراءِ

وإذا إمـــامُ المـــسلمين وشـــيخُهم ولـى وعـــزَّ عـــلى عــزاه عزائـــي

ادعــوا إلــه العــرش يجمــع بيننــا في جَنَّــة الفِــرْدوس فهــو رجــائي

وعليــه مــن ربٍّ[2] الــسماءِ تحيَّــةٌ تبقـــى[3] لـــه أبـــدًا بغـــير فنـــاءِ

تمت. وهي اثنان وخمسون بيتًا[4].

****

وله ـ أيضًا ـ عفا الله عنهما برحمته[5]:

هـل بعـد بُعْـدِك طَـرْفٌ دمعـهُ راقـي أم هل لداء أخي الأحزان مـن راقـي

بَعُـدْتَ عنّـا وللأحشاء[6] نـارُ جـوًى تـــشبّ فيهـــا بإزعـــاج وإحـــراقِ

---

(١) سقطت من (ف).

(٢) سقطت من (ف).

(٣) الأصل: «تبغي» خطأ.

(٤) بعده في (ك، ط): «قال الشيخ المؤلف رحمه الله: وقد رُثي الشيخ رضي الله عنه بقصائد كثيرة غير هذه، وفيما ذكرناه كفاية. والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم» ثم بدأ بالبسملة وذكر قصيدة شمس الدين الحنبلي... وقصائد أخرى.

(٥) (ف، ك، ط): «وله أخرى على قافية القاف نحو خمسة عشر بيتًا تقدم ذكرها» وصَدَّرها في ذاك الموضع بقوله: «للشيخ زين الدين عمر بن حسام الدين آقُش الشبلي يرثي الشيخ تقي الدين رضي الله عنه».

(٦) (ف، ك): «فللأحشاء».

إنَّا إلى الله من خطبٍ غدا مثلًا ... عمَّ الأنامَ بأوجالٍ وإشفاقِ
كِدنا من الحزن أن نقضي عليك أسًى ... لما بَرَزْتَ لنا من فوقِ أعناقِ
لما خرجت بيومِ الدفن في أُمَمٍ ... كأنه كان يومَ الكَشْفِ عن ساقِ
وقلتُ: مات إمام المسلمين، فيا ... عينُ اذْرفي إن رَعَيتي حفظَ ميثاقِ
لهَفي على ناصرٍ للدين وهو إلى الـ ... ـغايات من كلِّ فضل خيرُ سبَّاق
حوى فنون النُّهى، صدقًا بلا كذبٍ ... وحازَ عِلْم الورى في طِيب أخلاقِ
لهفي على حُجَّةِ الإسلام، كان له ... مناقبٌ حازها في حُسْن أعراقِ
بحارَ علمٍ حوى في صدره وغدا ... ببحرِ جُودٍ لِوافي المال نفَّاقِ
يَزْدادُ حُزْني عليه كلَّ آونةٍ ... وليسَ يُطفي لهيبي فيضُ آماقِ
غاضت بحارُ علوم الدِّين يومَ ثَوى ... ذاك الإمامُ بلحدٍ تحت أطباقِ
نسعى إلى الدَّفن مشيًا فوق أرجُلنا ... وقلَّ لو كان مشيًا فوق أحداقِ
يا جامع الفضل قد جفَّ الكتابُ بما ... قد كان من بَسْط آجالٍ وأرزاقِ
والموتُ بعدك لا يُبْقي على أحدٍ ... لم يبقَ إلا الإلهُ الدائمُ الباقي

تمت[1]، والحمد لله.

****

ومنها لمحمود بن الأثير الحلبي ـ رحمه الله ـ[2]:

---

(١) (ك): «وهي خمسة عشر بيتًا». وبعده في النسختين (ف، ك) قصيدة لبعضهم.

(٢) (ف، ك): «مرثية في الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله، نظمها رجل اسمه جمال الدين محمود بن الأثير الحلبي، وأرسلها من حلب المحروسة». ولم أقف على ترجمة جمال الدين الحلبي هذا.

يا دُموعي سُحِّي كسُحْب الغمامِ هاطلاتٍ على الخدود سِجامِ

لفراقِ الشيخ الإمام المفَدَّى ابن تيميَّةٍ ونَجْلِ الكِرامِ

زاهدٌ عابدٌ تقيٌّ نَقِيٌّ فهْمُه لا يقاسُ بالأفهامِ

[ق١٥١] ابن تيميّةٍ يتيمةُ دَهْرٍ ماله من مُساوِمٍ ومُسامي

فُجِعتْ فيه كلُّ أهل البرايا جَمْعها للعلوم والأحكامِ

أوحدٌ في العلوم والفضل والزُّهـ ـد، لا يرائي في ملة الإسلامِ

بحرُ علمٍ يغوصُ كلُّ لبيبٍ في معانيه حارَ كلُّ الأنامِ

فاق بالعلمِ والفضائل للخَلْـ ـق، فأضحى إمامَ كلِّ إمَامِ

إن يكنْ غاب شخصُه وتوارى ومضَتْ روحُه لدارِ السلام

فمناقِبُه والفضائلُ تَبْقى في ممرِّ الدُّهُورِ والأعوامِ

سيِّدٌ قد علا بعلمٍ وحلْمٍ فعِداهُ لَدَيْه كالأنعامِ

كم رموه الحُسَّاد بالكَيْدِ والبغْيْ، وهْو لا ينثني عنِ الإقدامِ

طالِبُ الحقِّ لا يخافُ لحيفٍ وهو يَحْمي عن ذُرْوةِ الإسلامِ

لا يخافُ الملوكَ أيضًا، ولا الخَلْـ ـقَ، ولا للعِداةِ[1] واللُّوَّامِ

كم مُلوكٍ أتى بحزْمٍ[2] وعَزْمٍ وهو في الله مُسْرِعُ الإقدامِ

إلى أن قال[3]:

---

(١) (ف، ك، ط): «ولا العبيد مع..».

(٢) (ك، ط): «بجزم».

(٣) في (ف، ك، ط) أكمل القصيدة وهي واحدٌ وخمسون بيتًا. وهذه هي: =

=

ولغـــازان إذ أتـــاه بقلــب ... مـا أسـود الغابـات مـع ضرغـام؟

فتلقـاه بالبـشاشة والرحـبْ ... والعطايـا والعـز والإكـرام

أخذ العهدَ منه للناس جميعًا ... بأمـان لكـل أهـل الـشآم

نَفَـسٌ صـادقٌ تقبلـه الله ... فأطاعـه كـل تلـك الأنـام

وحماهم من الحِمَى بخشوع ... وخـضوع للواحـد العـلام

قـل لمـن رام للفخـار ويبغـي ... رتبـة قـد علـت بحـدّ الحسام

هـو في رتبـة النبيـين فـاعلم ... هكـذا أخـبر النبـيّ التهـامي

فقدتـه الـدّنى مـع الـدين والعلــ ... ـم وكـل الزهـاد والأيتـام

كـم فتاوى أتتـه مَعْ كـل شـخص ... أعجـزت كـلَّ عـالم صمـصام

حلَّهـا كالنسيم في الحـالِ جـلـيًّ ... لـصداها مـن علـة الأسـقام

كـان بحـرًا للنـاس مـن غـاص فيه ... فـاز بالـدرِّ منـه لا بالحطـام

أوحـد الخلـق في التفاسـير طـرًّا ... والأحاديـث والعلـوم الـتمام

شيخ كل الإسلام في الزهد والنُّسْكْ ... والعبـادات والتقـى والـصيام

كان شمس الضحى ونيل البرايا ... وإمـام العلـوم والاحتـشام

ولديـه أهـل العلـوم تـداعت ... إذ هـوت حولـه مـن الإزدحـام

تبتغـي مـن جنـى معانيـه نطقًـا ... تَسْتـضيء منـه في ديـاجي الظـلام

فـيروِّي قلـوبهم بعلـوم ... فـتراهم سـكرى بغـير مُـدام

كلـما رمـت سـلوة عـن هـواه ... قـادني الـشوق نحـوه بزمـام

خجـل البـدر مـن سناه فأضـحى ... يعتريـه النقـصان عنـد الـتمام

اسـتمع يـا عـذول بـالله وافهـم ... لمعانيـه في جميـع نظـامي

قـد تـساوى في الحـق كـل وزيـر ... عنـده مَـعْ رذالـة الأعـوام

فـضله شـاع بـين كـلّ البرايـا ... بعلـوم شـبه البحـار الطـوامي

كـان بـدرًا يـضيء في النـاس بالعلــ ... ـم إمامًـا فيـا لـه مـن إمـام

حـسدوه عنـد الوفـاة عـلى الخلــ ... ـق فلـم يخـل منهـمُ في الحِمام

=

صَـدْرُه للعلـومِ والقلـبُ للـربِّ ... ويـداه للبَـذْل والإنعـامِ

لا تَلُمْنـي عـلى المـدِيْح ودَعْنـي ... فهـو شـيخي وبُغيتـي وغرامـي

كـلُّ مـن مـات في هـواه بِوَجْـدٍ ... مـا عليـه في حَتْفِـهِ مـن مَـلامِ

وذكر تمامها، وهي واحدٌ وخمسون بيتًا.

****

ومنها قصيدة لرجل جُنديّ من أهل مصر[1] أرسلها، وذكر أنه عرضها على الإمام أبي حيَّان ـ رحمه الله ـ وهي[2]:

=

نقلتـه أيـدي المنيـة بـالحق ... بجنـان الخلـود والـدمع دامـي

يـا لهـا سـاعة لَقَـى الله فيهـا ... حـاز فيهـا المنـى ونيـل المـرام

فهـو في جنـة النعـيم مُفـدّى ... بـين حـور كلؤلـؤ في الخيـام

قـدَّس الله روحَـه مَـعْ أخيـه ... مـا أضـاء الـصباح بالابتـسام

يـا نـسيم الـصبا بـالله بلِّـغ ... لحبيبـي تحيتـي وسـلامي

وتعـرّض عـلى المحبـين ذكـري ... وشـجوني وشـقوتي وسـقامي

ثـم صِـفْ مـا أكابـد الآن فيـه ... مـن همـومي ولـوعتي وهيـامي

وتقـول العبيـد محمـودُ أضـحى ... بـدموع وعـبرة كـالغمام

(١) في هامش الأصل: «اسمه: بدر الدين بن عزّ الدين المغيثي ـ رحمهما الله تعالى ـ».

(٢) (ف، ك، ط): «قصيدة من القصائد التي رُثي بها شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، وهي لرجل جندي بالديار المصرية يقال له: بدر الدين محمد بن عز الدين أيدمي المغيثي، رجل فاضل له محفوظات متنوعة، وفيه ديانة وصلابة في دينه، أرسلها، وذكر أنه عرضها على الإمام أبي حيان..».
قال ابن ناصر الدين في «الرد الوافر» (ص١٢٢ ـ ١٢٣) في التعريف بناظم هذه القصيدة: «قلت: وناظم هذه القصيدة يقال له بدر الدين ابن عز الدين المغيثي رحمه =

خَطْبٌ دها، فبكى له الإسلامُ ... وبكَتْ لعُظْمِ بكائه الأيَّامُ[1]
وبكتْ بعبرتها السَّماءُ، فأمطرتْ ... في غير فصلٍ تسمحُ الأعوامُ
وبكت له الأرضُ الجليدةُ بعدما ... أضْحى عليها وَحْشةٌ وقَتامُ
وتزلزلت كلُّ القلوبِ لِفَقْده ... وتواترتْ مِنْ بعده الآلام
ولمؤمنين الجنِّ حُزنٌ شاملٌ ... ونياحةٌ نطقتْ بها الأحلام
وتفجَّعَ الدِّينُ القويمُ لفقدِه ... وبَقَى غريبًا يُبْتلى ويُضامُ
مُذ مات ناصِرُه الذي أوصَافُه ... أبدًا تكونُ على سواهُ حرامُ
لِتقيِّ دينِ الله وصفٌ باهرٌ ... وخَصائصٌ خَضَعت لها الأفهامُ
ومواهبٌ من ذي الجلال تُمِدُّه ... فيتمّ فخرٌ شامخٌ ومقامُ[2]
وغدا تقيُّ الدين أحمدُ مالَهُ ... حدٌّ فتحمِلُ فَقْدَه الأجسام

= الله تعالى. وأراه محمد بن عبد العزيز ابن كمال الدين عبد الرحيم المارديني الصفار. وكان والده عز الدين من خواص أصحاب الشيخ تقي الدين. وكتب ابنُه بدر الدين المذكور مصنفَ الشيخ في الرد على الرافضي في ست مجلدات، هي عندي بخطه، يترجم الشيخ في أوائل كل جزء بترجمة بليغة، من ذلك قوله في حاشية الجزء الأول فيما وجدته بخطه: تأليف شيخ الإسلام والمسلمين، القائم ببيان الحق ونصر الدين، الداعي إلى الله ورسوله المجاهد في سبيله... إلى آخر الترجمة. ثم كتب ابن عز الدين المذكور مقابل الترجمة: نقلتُ هذه الترجمة من خط محمد ابن قيم الجوزية». وذكره الحافظ في «الدرر الكامنة»: (٤/ ١٧) ولم يزد على ما قاله ابن ناصر الدين، وكأنه نقله منه.

(١) البيت ساقط من (ف)، وفي الأصول: «دنا» ولعل الصواب ما أثبت. وفي الأصل: «وبكته».
(٢) الأصل: «فليتم»، و(ف): «فتم»، (ك): «فلينم» ولعل الصواب ما أثبت.

العالِمُ الحَبْرُ الإمامُ، ومَنْ غَدا في راحتيه من العلوم زِمامُ
ذُو المَنْصِب الأعلى الذي نُصِبَتْ لَهُ في الأرض في أقطارها الأعلامُ
بحرُ العلوم، وكنزُ كلِّ فضيلةٍ في الدّهر فردٌ في الزَّمان إمامُ
حَبْرٌ تخيَّره الإله لدينه ختمٌ لأعلامِ الهُدى وخِتامُ
فوفَى بأحكام الكِتاب وكم له[1] في نَصْرِ توحيدِ الإله قيامُ
والسُّنَّةُ البيضاءُ أحْيا مَيْتَها فغَدَتْ عليها حُرْمةٌ وذِمامُ[2]
وأمات مِنْ بدعِ الضلالِ عوائدًا لا يستطيعُ لِدَفْعها الصَّمْصَامُ
ابن[3] الفضائل والمعارف والذي لا تهتدي لفنونه الأوهام
وأناله ربُّ السموات العُلا في العلم سَبْقًا ما إليه مَرامُ
[ق١٥٢] ونفوذُه في العِلْم قولُ محمدٍ صلى عليه الخالقُ العَلَّامُ
إنَّ المُنَزَّه ربّنا سُبْحانه يَقْضي بما تأتي به الأحكامُ
يُبدي لكم في كلِّ قرنٍ قادمٍ للدِّين من يُهْدَى[4] به الأقوامُ
فلئن تأخَّر في القرون لثامنٍ فلقد[5] تقدَّم في العلوم إمامُ

---

(١) (ك): «فكم له».

(٢) (ف): «عليه حرمة»، (ك): «حُرمة وحجام».

(٣) كذا في الأصل، وفي (ف): «أين»، وغير محررة في (ك)، وقرأها في (ط): «أسّ»، و«المعارف» سقطت من (ك).

(٤) (ف، ك، ط): «تهدى».

(٥) (ف، ك): «فقد». وأصلحها في (ط).

فـاق القُـرون سـوى الـثلاث فإنهـا ... خـيرُ القـرون يَـزينُهنَّ تمـامُ

وسـوى ابـنِ حَنْبـلَ إنـه عَلَـم الهُـدى ... حـبرٌ إمـامٌ صـابرٌ قـوَّامُ

لكـنَّ أحمـدَ مثـل أحمـد قـدْ حـوى ... عِلْـمًا وزُهـدًا في العلـوم تُـؤامُ

حـدِّث بـلا حَـرَج وقُـل عـن زهْـدِه ... مـا شـئتَ لا ردٌّ ولا آثـامُ[1]

هَجَـر المطـاعمَ والملابسَ والـدُّنى ... ولِعَزْمِـه في تَرْكهـا إحْـزامُ[2]

نـزْرُ المآكـلِ والمنـامِ ولا يُـرى ... لِبنـي الـدُّنى في قلبـه إعظـامُ[3]

وتـراه يَـصْمُت ـ لا لِعـيّ ـ دائـمًا ... إلّا لِعلـمٍ يُقتنـى ويُـرامُ

وإذا تكلَّـم لا يُراجَـعُ هيبـةً ... وسَـكِينةً وكلامُـه إبـرامُ

أُلقـي عليـه مهابـةٌ مـن ربِّـه ... فخِطابُـهُ الإجـلالُ والإكـرامُ

وإذا رنـا فـترى الرِّجـال ذليلـةً ... فكأنهـا في نفـسِها إحْجـامُ[4]

بَـشَرٌ يُعَظَّـمُ بـالقلوب، وقُـدْوةٌ[5] ... أبـدًا يُعظَّـمُ، وهـو بعـدُ غُـلامُ

مِـنَنٌ يخُـصُّ بهـا المهيمنُ مـن يـشا ... مِـن خَلْقِـه، والجـاهلون نيـامُ

وجفـا العبـادَ لـشُغْلِه بحبيبـه ... فـوِدادُه للأقـربين سـلامُ

---

(١) (ك): «جرح» وفي هامشها: «لعله: حرج». وأصلحها في (ط) كذلك.

(٢) الأصل: «ولعزمها» والمثبت من (ف، ك)، وفيهما: «إجزام» تصحيف.

(٣) الأصل و(ف): «الدنيا»، (ك): «الدُّنا».

(٤) (ك): «دنا». والأصل: «نفسها اححلام»!

(٥) الأصل و (ف): «وقدرة» خطأ.

وَلَهُ مَقَامٌ فِي الوُصُولِ لِرَبِّهِ ... وَمَكَانَةٌ نَطَقَتْ بِهَا الأَغْتَامُ[1]

وَلَهُ فُتُوحٌ مِنْ غُيُوبِ إِلَهِهِ ... وَتَحَرُّزٌ وَتَمَكُّنٌ وَكَلَامُ[2]

وَتَصَوُّفٌ وَتَقَشُّفٌ وَتَعَفُّفٌ ... وَقِرَاءَةٌ وَعِبَادَةٌ وَصِيَامُ

وَعِنَايَةٌ وَحِمَايَةٌ وَوِقَايَةٌ ... وَصِيَانَةٌ وَأَمَانَةٌ وَمَقَامُ

وَلَهُ كَرَامَاتٌ سَمَتْ وَتَعَدَّدَتْ ... وَلَهَا عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ دَوَامُ

مَنْ رَدَّ عَنْ أَرْضِ الشَّآمِ بِعَزْمِهِ ... مَنْ صَدَّ وَجْهَ الكُفْرِ وَهُوَ حُسَامُ

مَنْ رَدَّ غَازَانَ الهُمَامَ بِحَسْرَةٍ ... مَنْ خَلَّصَ الأَسْرَى، وَهُمْ أَيْتَامُ

مَنْ قَامَ بِالفَتْحِ المُبِينِ مُؤَيَّدًا ... فِي كِسْرَوَانَ، وَهُمْ طُغَاةٌ عِظَامُ

مَنْ جَدَّ فِي بِدَعِ الضَّلَالِ وَحِزْبِهِ ... فَأَذَلَّهُم[3] بَعْدَ الرَّضَاعِ فِطَامُ

مَنْ سَارَ فِي سُنَنِ الرَّسُولِ وَنَصْرِهَا ... حَتَّى اسْتَقَرَّ لِأَمْرِهِنَّ نِظَامُ

مَنْ قَامَ فِي خَذْلِ الصَّلِيبِ وَدِينِهِ ... لَمَّا تَدَاعَوا لِلِّبَاسِ وَقَامُوا[4]

فَوَهَوْا وَرُدُّوا خَائِبِينَ بِذِلَّةٍ ... وَعَلَيْهِمُ فَوْقَ الوُجُوهِ ظَلَامُ

فَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ يُفْقَدُ بَعْدَهُ ... وَالفَاعِلُونَ النُّكْرَ لَيْسَ يُلَامُوا

---

(١) (ك): «ومقامه نطقت بها الأفهام» وبهامشه: «خ: الأغتام» وأصلحها في (ط): «الأقتام». والأغتام جمع غتم وهو الذي لا يفصح.

(٢) (ف): «وتحرز»، (ط): «وتمسكن وكلام».

(٣) (ف، ك، ط): «وأذلهم».

(٤) (ف): «لما تدا». الأصل: «اللباس». لعله أراد: لما أراد النصارى تغيير الزي المفروض عليهم مقابل زيادة فيما يؤدونه للدولة في أوائل أيام عودة الملك الناصر إلى الحكم سنة ٧٠٩. كما سبق.

فكأنَّ أشراط القيامة قد دَنَتْ | وانْحَلَّ مِنْ سَرْجِ الزَّمَان حِزامُ
فالعلم فينا ليس يُقْبَضُ سرعةً | كلَّا ولا يأتي حِماهُ حِمامُ
لكنْ بقبض الرَّاسخينَ ذَهابُه | وزوالُه، وبَقَى رعاعُ طغامُ[1]
لله ما لاقى تقيُّ الدين مِن | مِحَنٍ تُتابِعُه[2]، وهُنَّ ضِخامُ
ومكارهٌ حُفَّتْ بكلِّ شديدةٍ | ومواقفٍ زلَّتْ بها الأقدامُ
ومكايدٌ نُصِبَت له، وحبائلٌ | قصدًا إليه فزادها الإقدام[3]
فحكى ابن حنبل في فنون بلائه | بجنانِ ثَبْتٍ، ليس فيهِ ذام[4]
وبسَجْنه وبحَصْره ونكَالِه | حتَّى رثى[5] العُذَّالُ واللُّوَّامُ
[ق١٥٣] فأراد ربُّ العرش جلَّ جلالُه | للقائه مُذْ حانهُ[6] الإعدامُ
وأتاه آتي الموتِ، يخطُبُ نفسَه | فأجابَه طوعًا له القمقامُ[7]
فخلَتْ منابرُه وأوحش رَبْعُهُ | وتقوّضتْ عند الرحيل خيامُ
وتفجَّعتْ كُلُّ القلوبِ بفَقْدِهِ | وغدا عليها ذِلَّةٌ وسَقامُ
ومَضَتْ جنازتُه الشريفةُ بعدما | سَدَّ المسالكَ صارِخٌ وزِحامُ

---

(١) (ف): «وطغام».

(٢) الأصل: «تُتابُعه»، و(ف): «متتابعة»، والتتايع والتتابع واحد.

(٣) الأصل: «إليه فزادها».

(٤) (ف، ك): «ذؤام».

(٥) (ف): «رأى».

(٦) الأصل و(ف): «خانه».

(٧) القمقام: السيّد المعظّم.

وأتــت روايــاتُ الــشآم بجَمْعهــا   خــبرًا صــحيحًا لــيس فيــه أثــامُ
إنَّ الــذي شــهدوا الــصلاةَ وشــيَّعوا   واللَّـــهِ لا تحُـــصيهمُ الأقـــلامُ
فعليــه أفــضلُ رحمــةٍ تهُــدَى لــه   ومـــن الإلـــه تحيَّـــةٌ وســـلامُ
مــا دامــتِ الأفــلاكُ في دَوَرانهــا   أو نــاحَ مِــنْ فــوقِ الغــصون حَــمامُ

تمت، وهي[1] ستةٌ وستون بيتًا.

****

ومنها قصيدةٌ للشيخ جمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم بن الخليل ابن إبراهيم بن الخليل البغدادي الحنبلي، المعروف بابن الخُضَري رحمه الله تعالى[2]:

عِــش مــا تــشاءُ فــإنَّ آخِــرَهُ الفنــا   المــوتُ مــالا بــدَّ منــه ولا غِنــى[3]
والــدَّهرُ إن يومًــا أعــانَ فطالمــا   بالــسُّوء عــانَ فعونُــه عــينُ العنــا
لا بــدَّ مــن يــومٍ يؤمُّــك حَتْفُــه   حــتمًا نــأى الأجــلُ المقــدَّر أو دنــا
للــنَّفس سَــهْمٌ مــن ســهام نوائــبٍ   يرمي فيُصْمي مِن هناك ومِنْ هنا[4]

---

(١) (ف، ك، ط): «وعدتها».

(٢) وقع في الأصول: «الحصري» بمهملات، والتصويب من المصادر. وفي (ب): «ومنها للشيخ جمال الدين عبدالصمد بن خليل». قال ابن كثير: «محدّث بغداد وواعظها». ت (٧٦٥). ترجمته في «البداية والنهاية»: (١٨/ ٦٩١) و«الذيل على طبقات الحنابلة»: (٥/ ١٤ ـ ١٥).

(٣) (ب): «الموت لا بد»، (ب، ف): «عنه ولا غنى».

(٤) (ف): «من سهوم..»، (ف، ك): «ترمي فتُصمي».

مـن غـرَّه الأمـدُ[1] المديـد فإنَّـه ... غِـرٌّ لأنَّ طعامَـه لـن يُسْمِنا

شـمسُ الحيـاةِ تـضيَّفت ومَـشيبُه ... ضـيفٌ يجـرُّ مـن المنيَّـة ضَيفنا

مِن حين أُوجِد[2] كان نفسُ وجودِه ... في الكـون بالعَـدَم المحقّـق مُؤذِنا

يـا مـن يَعُـدُّ الـدَّهر صـاحبَ دَهْـره ... ويُعـدُّ فيـه للإقامـة[3] موطنـا

أوَ ما رأيتَ الموتَ كيفَ سطا بِمَن ... في الخلق عن محْضِ العلوم تكوَّنا

نـدبٌ مبـاحُ الـصبر حظـر[4] بعـده ... فَلِمَ استحال، وكان شيئًا ممُكنا

بـذَّ الأنـامَ، مـع البـذاذةِ[5] فـضلُه ... إذْ لم يكـن بـسوى التُّقـى مُتزيِّنا

ترك الجميعَ على الجُموع فلم يَهَب ... تلك الجُموعَ ولا استراث[6] ولا ونى

ولَكَـم مقامـاتٍ لـه في الحـقِّ لا ... بِيضَ الظُّبا يخشى ولا سُمْرَ القنا

بـالعُرْفِ يـأمر ناهيًـا عـن مُنْكـر ... متقرِّبًـا وهـو البعيـدُ عـن الخنـا

فبخـيرِ مـا سَنـنٍ، وبالـسُّنن اقتـدى ... والـشُّكر والـذِّكر الجميلـين اقتنـى

ما حادَ عن نَهْج الصواب وما اعتدى ... وبغير تحصيل الفضائل ما اعْتَنى[7]

إمّـا تُبـارِزْهُ تجـدْهُ مُـبرِّزا ... في أيِّ عِلْـم شـئتَ حـبرًا مُتْقِنـا

---

(١) (ب): «الأمل».

(٢) (ب): «يوجد».

(٣) (ف): «الإقامة».

(٤) الأصل: «خطر» والمثبت من النسخ.

(٥) الأصل: «البذاة». بذ الأنام: أي سبقهم. والبذاذة: رثاثة الهيئة.

(٦) (ف، ك، ط): «استراب».

(٧) (ب، ف، ك، ط): «ما جار»، (ف): «ولا اعتدى... ما اغتنى».

وإذا تُــجاريه فــما الــسَّيلُ انــبرى   إمــا جــرى في بحثــه مُتفنِّنــا

متزهِّـــدًا متعبِّـــدًا مُتهجِّـــدًا   متخـــشِّعًا متورِّعًـــا مُتَـــديِّنا

في كـلِّ عـصرٍ سـيِّد هـو حجـةُ الــ   ـباري عـلى كـلِّ الخلائـق في الـدُّنا

ونـرى أحـقَّ مـن استحقَّ، فحـاز ذا   مــن للإمامــة لم يــزل مُتعيِّنــا

شـيخُ الأنـام وحُجَّـةُ الإسـلامِ مَـنْ   أغْنـاه نـشرُ الـذِّكْرِ عـن ذِكْـر الكُنـى

أعْنـي أبـا العبـاس أحمـدَ بـل تقيـ   ـيَ الـدّين حقًّـا والعليـمَ المُمْعِنـا[1]

[ق١٥٤] في الله لـيس يخـافُ لومـةَ لائـمٍ   ويـرى التّـوى فيـه نهايـات المُنـى[2]

لمّــا تحقَّــق أنَّ كــلَّ مُــخَلَّفٍ   يفنَـى وإن كـان النفـيسَ المُـثْمَنا

لم يــدَّخِر قوتًــا لأجــل غــدٍ ولا   أبْقـى لـه إرثًـا سـوى حُـسْنِ الثَّنـا

صــدْرٌ حــوى في صَــدْرِه لكمالــه   مــن كــلِّ عِلـم معنـويٍّ[3] مَعْـدَنا

ظَهَـرت أمــاراتُ[4] الولايـة بعــدَه   واســأل لتُـصْبِحَ بالحقــائق موقنَــا

واســمع مقالــةَ أحمــدٍ متوعِّــدًا   أعـــداءه: «يــومُ الجنــائز بيننــا»

فــأحقُّ مــا يُبْكَــى عليــه فَقْــدُه   مــا مــوتُ هــذا الحَـبْرِ رُزْءًا هَيِّنــا

فـيض النفـوس يقـلُّ فيـه فـلا تَلُـم   وأعِـن عيونًـا فِـضْن فيـه أعْيُنـا[5]

---

(١) البيت ساقط من (ف).

(٢) (ب): «التوى في الحق غايات المنى».

(٣) (ف، ك، ط): «مغلوي».

(٤) (ف، ك، ط): «ولايات الولاية».

(٥) (ب): «قبض النفوس»، (ف): «فلا يلم».

يـا مـن أعـاد أُولي التَّـشدُّق عِلْمُـه   خُرْسًـا وأنْطَـقَ بالثنـاء الألـسُنا

يـا دَوحـةَ الفـضل التـي[1] في أصـلها   طيـبٌ وزاكـي فَرْعهـا حُلـو الجنـا

يـا حَبْرُ بـل يـا بحـرُ كـم حيَّرت مِـن   حَـبْر تُـصَيِّر ذا الفـصاحةِ ألْكَنـا

يـا خـاتمَ الفـضلاء علمـك معجـزٌ   بهـر الـورى فـصدرت عنـه مؤمنـا

إن كـان ذا حفظًـا فوقتُـك ضـيِّقٌ   عنـه، ولـو كـان الزمـان لـه إنـا

لكنَّـه مـن فـضل مـا هـو[2] قـاذفٌ   بـالحقِّ مـن نـور الوِلايـة والـسَّنا

أسـست بُنيانًـا عـلى تقـوى ورِضْـ   ـوان، فـلا سِـيَما قـد ارتفـع البِنـا

غـبَّرتَ يـا مـن لا يُـشَقُّ غُبـارُه   في أوجـه الفـضلاءِ[3] قِـدْمًا قبلنـا

جَاهَـدْتَ في ذاتِ المُهَـيمن صـابرًا   عِنْـدَ الأذى فأتـتْ بـشارات الهنـا

إن الـذين يجُاهـدون عـدُوَّنا   فينـا سَـنَهْديهم إلينـا سُـبْلَنَا

الله قـد أثنـى عـلى العلـماء في   نـصِّ الكتـاب وأنـتَ أولى مـن عَنـى

لا غَـرْو إن كنـتَ ابتُلِيْـتَ بحاسـدٍ   فـالحرُّ ممُـْتَحنٌ بـأولاد الزِّنـا

أشـكو إليـكَ وأنـتَ أصـلُ شـكايتي   مِـن فَـرْط ضُرٍّ في افتقـادِك مـسّنا

قـد[4] عـبَّرت عبراتُنـا مِـن حُزْننـا   وبما نُجِنُّ مِن الجوى نَطق الضنى

سَقيًا لتلك الروح مِن سُحْب الرّضا   وتبـوّأت جنّـات عـدنٍ مَـسْكنَا

---

(١) (ب): «الذي».

(٢) (ب): «من هو».

(٣) (ب): «العلماء».

(٤) (ب): «إن».

لـو كـان فيهـا المـوتُ يقبـلُ فِدْيـةً كـان الأنـامُ فِـدًى وأوَّلهـم أنـا[1]

تمت.

****

ومنها قصيدة للشيخ محمود بن علي بن محمود بن مقبل الدَّقوقي البغدادي المحدِّث، رحمه الله ـ ولم ير الشيخ ـ وهي[2]:

مضى عـالمُ الدُّنيا الـذي عزَّ فقدُه وأضرمَ نـارًا في الجـوانح[3] بُعْـدُه

فدمعي طليقٌ فـوق خـدِّي مُسلسلٌ أُكَفْكِفُـه حينًـا وجَفْنـي يـرُدُّه

ويرجـو التلاقـي، والفـراقُ يـصُدُّه وما حيلةُ الرَّاجـي إذا خـاب قـصدُهُ

مضى الطَّاهِرُ الأثوابِ ذو العلم والحِجى ولم يتـدنَّس قـطُّ بـالإثم بُـرْدُهُ[4]

مضى الزَّاهدُ النَّدْبُ ابنُ تيميَّة الـذي أقـرَّ لـه بـالعلم والفـضل ضِـدُّهُ

بكَتْـه بـلادُ الـشام طُـرًّا وأهلُهـا وجامعهـا وانـماع للحـزن صَـلْدُهُ

---

(١) إلى هنا انتهت نسخة باريس (ب) دون الإشارة إلى نهاية النسخة إلا بعلامة الدائرة المنقوطة: ⊙

(٢) للدقوقي رحمه الله عدة مراثي في شيخ الإسلام، اختلف ترتيبها في النسخ، وهذا ترتيب الأصل، وفي هذا الموضع في (ف، ك، ط): «وللدقوقي أيضًا رحمه الله». والدقوقي توفي سنة (٧٣٣)، ترجمته في «أعيان العصر»: (٥/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧)، و«البداية والنهاية»: (١٨/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧)، و«الذيل على طبقات الحنابلة»: (٥/ ٤٤).

(٣) الأصل و(ط): «الجوائح» خطأ.

(٤) هذا البيت في (ف) يأتي بعد البيت التالي.

يحـــنُّ إليـــه في النهـــار صـــيامُه ويـــشتاقُهُ في ظُلْمـــة الليـــل وِرْدُهُ

ويبكـي لـه نـوعُ الكـلام وجنـسُهُ وينـدبـه فـصلُ الخطـاب وحـدُّه[1]

حمـى نفـسَه الـدنيا وعـفَّ تكرُّمًـا ولمّـــا يُـــصعَّر للـــدَّنيَّات خَـــدُّه

ولم يجتمـع زوجـان مـن شـهواتها لديه، وبينَ الناسِ قد صحَّ زُهْدُهُ

[ق١٥٥] ويؤثر عـن فقرٍ وفيـه قناعـةٌ ويُعْجِبُـــه مـــن كـــلِّ شيءٍ أشـــدُّه

علـيمٌ بمنسوخ الحـديث وحُكْمِـه وناسِـخِه فخـرُ الزَّمـان و مجـدُهُ

قـوُولٌ فعـولٌ طيِّـبُ الخِـيْم طـاهرٌ إمـامٌ، لـه مـن كـلِّ حُكـمٍ أسَـدُّه[2]

فمـا قـال في دنيـاه هُجْـرًا ولا هـوًى ولا زاغ عـــن حـــقٍّ تبـــيَّن رُشـــدُهُ

عُلومٌ كنشرِ[3] المِسْك من كـلِّ سيرةٍ يُـــشيِّد ديـــنَ المـــصطفى ويُـــجِدُّه

فلله ما ضمَّ التُّرابُ ومـا حـوى من الفضل فليفْخَر على الأرض لَحْدُهُ

فيـا نعْـشَه مـاذا حَمَلْـتَ مـن امـرئٍ جميـعُ الـورى فيـه وفوقـكَ فـردُه

وما مات من يُبْقي التصانيف[4] بعدَه مخلَّـدةً والعِلـمُ والفـضلُ وُلْـدُه

وخلَّــف آثــارًا حِــسانًا حَميــدةً إذا عُـدِّدَتْ[5] زادت عـلى مـا نعـدُّهُ

ولــستُ مُطيقًــا شَرْح ذاك مفــصَّلا ولكن على الإجمال يُعْكَس طَرْدُهُ

---

(١) (ك، ط): «وجده».

(٢) (ط): «كل علم». والخيم: الأصل.

(٣) (ف): «كنثر».

(٤) (ف، ك، ط): «تَبقَى التصانيفُ».

(٥) (ف): «عدت».

لقد فارق الأصحابُ منه مُصاحبًا يُراعِي وداد الخِلّ إن خان وُدُّه[1]

قضى نَحْبَه والله راضٍ بفعلِه ولله فيما قد قَضَى فيه حمدُهُ

يدلُّ تُرابُ القَبْر من جاء زائرًا إليه بطيبٍ فيه يَعْبَقُ ندُّه

ولا تحْسِبوا ما فاح عطرُ حَنوطِهِ ولكنَّه حُسْن الثناءِ ومجدُهُ

وكان لأهلِ العِلْم تاجًا مُكلَّلًا يحوطُهُمُ مِن مُبطلٍ خِيفَ حِقْدُهُ

وما كان إلا التِّبْر عند امتحانه يبينُ لعينِ الحاذِقِ النَّقدِ نقدُه

وكان يقولُ الحقَّ والحقُّ حُلوه مريرٌ لهذا كان يُكْرَه رَدُّه[2]

وفي الحقِّ لم تأخُذْه لومةُ لائمٍ ولا خافَ من غِمْر تشدَّد[3] حَرْدُه

وما كان إلَّا السيفَ غارت يدُ العُلا عليه فردَّتهُ كما غار غِمدُهُ

ولم تُلْهِه الدُّنيا وزُخْرفها الذي يروق لِمَن لم يؤنِسِ الدَّهرَ رُشدُهُ

لقد فقدَتْ منه المَحافلُ زَينها ولمَّا يُفارق علمَه الجمَّ وَجْدُهُ

وخُضِّبت الأقلامُ بعد مِدادها عليه دمًا قد فاض في الطِّرْس مَدُّه

فللدَّهر ما ضمَّ الثَّرى من مُحَقّقٍ ويالك مِن عَضْبٍ تثلَّم حدُّه[4]

وكان إمامًا يُستضاءُ بنوره وبحرًا من الإفضال قد غِيضَ عِدُّه

وكنتُ أُرَجِّي أن أراه، ونلتقي ولكنْ قضاءُ الله مَنْ ذا يردُّه

---

(١) (ك، ط): «أوده».

(٢) (ف): «ورده».

(٣) (ف): «تشدد».

(٤) (ك): «جده».

نرى الموتَ مألوفَ الطِّباع وربَّما ... يُعَلَّل بالمألوف مَنْ لا يَوَدُّه

فآهٍ على تفريق شملٍ مجُمَّع ... وحَرِّ فؤادٍ بان مُذ بان بَرْدُهُ

ألا إنَّها نفسٌ وللنَّفسِ حَسْرةٌ ... وقلبٌ وقد يشجَى ويُضنِيه وجدُهُ[1]

ولستُ بناسٍ عَهْد خِلٍّ تغيّبتْ ... محاسِنُه[2] ، والخِلُّ يُحْفظُ عهدُهُ

وما عُذْرُ جفنٍ[3] لا يجيشُ بدمعه ... غداةَ نأى عنهُ الصَّديقُ ورِفْدُهُ

يرومُ الأماني والمنايا تصُدُّه ... وما حيلةُ الرَّاجي إذا خاب[4] قصدُهُ

عليك أبا العبَّاس فاضتْ مَدامعي ... وقلبي لبُعْدِي عنك أُجِّجَ وَقْدُه

على مِثْلك الآن المراثي مُباحةٌ ... وإن غاضَ دَمْعي فالدِّماءُ تمدُّه

شدَدْتَ عُرى الإسلام شدَّةَ عارفٍ ... قويٍّ على الأعداءِ لم يألُ جُهْدُهُ

تركتَ لهم دُنياهُمُ تَرْك عالمٍ ... علا قدرُه عِنْد الإله و مجدُهُ

وكنتَ لمجموعِ الطوائف مُقْتَدًى ... وعَقْدًا لهذا الدينِ أُبْرِمَ عَقْدُهُ

وكنتَ ربيعًا للمريد وعِصْمةً ... فمُذ صِرْت تحتَ الأرض صوَّح وردُهُ

[ق١٥٦] جمعتَ علومَ الأولين مع التُّقَى ... إلى الورع الشَّافي[5] الذي شاع حمدُهُ

(١) (ك، ط): «وللنّفس حرة»، (ف): «ويضليه وحده».

(٢) سقطت من (ف).

(٣) (ف، ك، ط): «دمع».

(٤) (ك، ط): «حار».

(٥) (ف، ك): «الثاني». يرى د. الإصلاحي أنها ربما تكون محرفة من «الصافي». وهذا التركيب مأخوذ من قول الإمام أحمد في حكايته مع أخت بشر الحافي: «من بينكم يخرج الورع الصافي».

وكنـتَ تقـيَّ الـدين معنًـى وصُـورةً ... قوولًا، وخيرُ[1] القولِ عندك جِدُّهُ

رحلـتَ وخلَّفـتَ القلـوبَ جريحـةً ... تذوبُ وجيشُ الصَّبر قد قلَّ جُنْدُهُ

عليــكَ ســلامُ الله حيًّــا وميتًــا ... مـدى مـا بـدا نجـمٌ وأشرقَ سـعْدُهُ

تمت، وعدتها خمسون بيتًا[2].

****

وله ـ أيضًا ـ عفا الله عنهما بكرمه[3]:

قِـفْ بـالرُّبُوعِ الهامـداتِ وعـدِّدِ ... واذْرِ الـدُّموعَ الجامـداتِ وبـدِّدِ

واحْبِس مَطيّك في المنازل ساعةً ... واسْألْ ولا تـكُ في سؤالك معتَـدِ

واقْطَـعْ علائقـك التـي هـي فتنـةٌ ... واتْبَـع سـبيلَ أُولي الهداية تَهْتـدي

ودِّعْ صِـباكَ ودَعْ أباطيـل المُـنى ... واهْجُـرْ دَنِيَّـات الأمـور وسـدِّد

---

(١) الأصل: «وجيز».

(٢) (ك، ط): «وهي اثنان وخمسون»، (ف): «وهي خمسون». أقول: عددها اثنان وخمسون بيتًا، ولعل ما في النسخ الأخرى باعتبار إهمال الكسر.

(٣) (ف، ك، ط): «وجدت بخط الشيخ سعيد الذهلي يقول: أنشدنا الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل، أوحد دهره وفريد عصره، إمام المحققين وقدوة أئمة المحدثين تقي الدين أبو الثناء محمود بن علي بن محمود بن مقبل بن سليمان بن داود الدقوقي المحدث سامحه الله تعالى لنفسه، يرثي الشيخَ الإمام العلامة والبحر الفهَّامة، حجة الإسلام وقدوة الأنام تقي الملة والحق والدين: أحمد ابن الشيخ الإمام شهاب الدين عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبد السلام ابن تيمية الحراني، قدَّس الله روحه ونوّر ضريحه، في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ـ ولم ير الشيخ رحمه الله ـ».

واقْنع مـن الـدُّنيا القليـلَ، ولازمِ الْـ ـفعلَ الجميلَ وسرْ مَسير مُـجَرَّدِ[1]

وتـوخَّ فعلَ الخيرِ واصْحَبْ أهلَهُ مُتحبِّبًـا مُتَجنبًّـا أهـلَ الـدَّدِ[2]

لا تَعْتِـبنَّ مفارقًـا يبكـي عـلى أحبابـه وارْحَمْـهُ إن لم تُـسْعِدِ

ودَعِ المـروَّع بالبِعـاد وعَذْلَـهُ فالعَـذْلُ أمـضى مِـنْ فِعـال مُهنَّـد

ماذا الوقوفُ عن السُّرى وصِحابُنا سـاروا وصـاروا بـالعراءِ الفدْفـدِ

لا اخضرَّ بعدهمُ العقيقُ ولا شَدَتْ وُرْقُ الحمائم فوق بُرْقة ثَهمْدِ[3]

أمـا أنـا فلأبْكِيـنَّ فـإن وَنـى دَمْعي سفكتُ حُشاشةَ القلبِ الصَّدي

أين المُعينُ على الخطوبِ إذا عَرَت أيـنَ المُساعِدُ عند فَقْد المُسْعِدِ

أوما دَرَى من كنتَ تعرفُ قد مضى لـسبيله في ضَنْك لحْـدٍ مُؤصَـد

أيـن المحامي عـن شريعـةِ أحمـدٍ أيـن المحقِّق نهجَ مـذهبِ أحمـدِ

مـات الإمـامُ العـالمُ الحبرُ الـذي بهُـداه عالِـمُ كـلِّ قـومٍ يهتـدي

مـن لليهـود وللنـصارى بعـدَه يـرميهمُ بمقالـهِ المُتـسدِّدِ

سـلْ عنـه دَيَّـان اليهـودِ أمـا غـدا مُتلفِّعًـا بـصَغاره المتهـوِّدِ

نـشأَتْ عـلى فِعْـل التُّقـى أطـوارُه فعَنَت لـه التَّقـوى وأعْطَتْ عن يد

ورثَ الزهـادةَ كـابرًا عـن كـابرٍ والعلـم إرثًـا سـيِّدًا عـن سـيِّدِ

قِفْ إن مررت بقاسيون على ثَرًى فيـه ضريـحُ العـالمِ المتفـرِّدِ

---

(١) (ك، ط): «وسر سير» وبهامشه: لعله كسير.

(٢) (ف): «السدد». والدّد: اللهو واللعب.

(٣) الأصل و(ك، ط): «برقد». و(ف): «تمهد».

واعْجب لقبرٍ ضمَّ بحرًا زاخرًا ... بالفضل يَقْذفُ بالعُلا والسُّؤددِ
بَشَرٌ يبشّر بالغنى من جاءَه ... يسرٌ يَسُرُّ فؤاد عانٍ مُزهِدِ
كانتْ به أرضُ الشآم أمينةً ... مِنْ مُبطل مُتهوِّلٍ متلدِّدِ
لو تستطيعُ بناتُ نعشٍ أن ترى ... يومًا يسيرُ بنعش ميتٍ مُلْحَدِ
كانت تَسيرُ بنعشِه وتحطُّهُ ... فوقَ السِّماكِ وفوقَ فَرْقِ[1] الفَرْقدِ
مات الذي جمع العلومَ إلى التُّقى ... والفضلِ والوَرَعِ الصحيح الجيِّد
شيخُ الأنام تقيُّ دين مُحمدٍ ... وجمالُ مَذْهب ذي الفضائل أحمدِ
ودَّعتُ قلبي يوم جاءَ نعيُّه[2] ... فتقاعَدي يا عينُ بي أو أنْجِدي
سقتِ العِهادُ عراصَ قبرٍ حلَّه ... جَسَدٌ حوى خُلُقًا وحسنَ تودُّد
يا[3] مُبْلغَ العُذَّال فرطَ صبابتي ... وتَقَلْقُلي يومَ النَّوى وتسهُّدِي
ما بعدَ رُزْئك في الزَّمانِ رزيَّةٌ ... تُصْمي المَقاتل بالفراق ولا تدي
[ق١٥٧] بدَّدْت شَمْل المُلحدين جميعهم ... وجمعتَ شَمْل ذوي التُّقى المُتبدِّدِ
يا من تُرَى أقوالُه مُبيضَّةً ... في كلِّ ذي قولٍ ووجهٍ أسْودِ
يا كالئ الإسلام مِن أعدائه ... وسِمامَ كلِّ أخي نفاقٍ ملحِدِ
يا واحدَ الدُّنيا الذي بعُلُومِهِ ... يمتازُ في الإسلام كُلُّ مُوَحِّدِ

---

(١) الأصل: «فوق» والمثبت من النسخ.
(٢) الأصل: «نعته» خطأ.
(٣) (ف): «من».

يـا حامـل الأعْبـاءِ عـن مُسْتَبْـصِـرٍ — يا كاشـفَ الغَـمَّاء عـن مُستنجدِ[1]

يـا طـارد الـشُّبُهات عـن مُـتَرَدِّدٍ — يـا دافـع الفاقـاتِ عـنْ مُـسترفدِ

قـرَّتْ عُيُـونُ مجُاوريـك وقـد غَنُـوا — بجـوار قَـبْرك عـن وثـير المَرْقـدِ[2]

فكـأنَّما تلـك اللُّحـودُ حـدائقٌ — تزهُو بنرجسٍ زهرها الغضِّ النَّدِي[3]

يـا خـاتَم العلـماءِ صحَّ بموتِك الـ — ـخَبَرُ الـذي يرويـه كُـلُّ مُـجَوِّدِ

اليـومَ قـبضُ العلـم قـولًا واحـدًا — مـن غـيرِ مـا مَنْـعٍ وغـير تـردُّدِ

لـو لم يكـن خَـتْمَ الأئمـةَ أحمـدٌ — بَـشَّرْتُ أهـلَ الخـافقين بأحمـدِ

خـوضُ الكرائـه لم يَـزَل مـن دأبـهِ — فبه الفوارسُ في المضايق تهتدي[4]

شـيخٌ إذا أبـصرتَهُ في محْـفِلٍ — تَقْـذِيْ برؤيتـه عيـونُ الحُـسَّدِ

ذو المَنْقبـات الغُـرِّ والـشِّيَمِ التـي — يفنـى الزّمـانُ وذكرُهـا[5] لم ينفـد

يـا مـن يـروم لـه عـديلًا في الـورى — قد رُمتَ كالعنقاء مـا لم[6] يوجدِ

---

(١) (ف، ك): «الأعياء عن». (ط): «مستنصر».

(٢) (ف، ك): «المرفد».

(٣) الأبيات الأربعة السابقة ضرب عليها في (ك) بخط دقيق، فلعله لما فيها من مبالغة في مدح الشيخ.

(٤) (ف، ك): «تزل من..». و(ك): «فيه الفوارس».

(٥) (ك): «وذكره».

(٦) الأصل: «ما لا».

كـم بـين رئبـال الفـلاة وثعلـبٍ كم بين شَغْواءِ[1] البُزاةِ وجُدْجُدِ

أرِحِ المَطـيَّ، ولا تكـن كمحـاولٍ صـيدَ النُّجـوم مـن المياه الرُّكَّـدِ

قـد كـان شمسًا للـصِّحاب مُنيرةً بـضيائها في كـلِّ قُطـرٍ نهتـدي

واليوم أدْرَكها الكُسُوفُ فأظلمتْ طُـرُقُ الهـدى للـسالك المـتردِّدِ

لهَفي عـلى تلـك الشمائل والنَّدَى والجـودِ والهَـدْيِ القـويم الأرشـدِ

هجـم الحِـمامُ فـلا مفـرَّ لهـاربٍ والمـوتُ في الـدُّنيا لنـا بالمرصـد

مـاتَ الـصَّديق ومـاتَ مـن عاديتَـهُ وتمـوتُ أنـتَ كمثلـه وكـأنْ قـدِ

وإذا مـضى أقـرانُ عمـرِكَ فـانتظِرْ في يومِـك النَّـاعي، وإلَّا في غـدِ

لكِـنْ لنـا عـنْ كُـلِّ خِـلٍّ سَـلْوَةٌ بِمُـصابِ سَـيِّدنا النَّبـيِّ محمّـدِ

صـلى عليـه الله مـا هَجَـرَ الكـرى جَفْـنُ التَّقـيِّ القانـت المُتهجِّـدِ

تمت[2]، وعدَّتها ستَّةٌ وخمسون بيتًا.

****

وله ـ أيضًا ـ عفا الله عنهما برحمته[3]:

مـا كُفـءُ هـذا الـرُّزء جَفْـنٌ تَسْجُمُ أبـدًا ولا قلـبٌ يـذوبُ ويَـألمُ

---

(1) (ف، ك، ط): «شعواء». الرئبال: الأسد. والشغواء العقاب، وسميت بذلك لفضل منقارها الأعلى على الأسفل «اللسان» (شغا). والجدجد: صرّار الليل، وهو قفّاز يشبه الجراد. «الصحاح» (جدجد).

(2) (ك): «تمت ولله الحمد...».

(3) (ف، ك، ط): «بسم الله الرحمن الرحيم. وأيضًا للدقوقي رحمه الله [ك: تعالى]».

رُزءٌ أصمَّ جميعَ أسماعِ الورى — سَبَقَ الحدوثَ به القضاءُ المُبرمُ

رُزء يجلُّ عن البُكاء لأنَّه — لا رُزْء منهُ في البَرِيَّةِ أعْظَمُ

يتضاءلُ اللَّسِنُ الفصيحُ لذكره — خوفًا ويَكْبُرُ[1] في النفوس ويعظُمُ

رُزْءٌ له هوتِ النجومُ وكُوِّرَتْ — شمسُ الهدى[2] والصُّبحُ ليلٌ مُعْتِمُ

من عُظْمِ موقِعه وفادح خَطْبه — لم يَدْرِ قُسٌّ ما يقولُ وأكثَمُ[3]

لكنَّما يجري القضاءُ بكلِّ ما — يقضي به ربُّ السماءِ ويحكُمُ[4]

والأمرُ أعظمُ أن يقومَ بحقِّه — صبٌّ حُشاشَتُه تذوْبُ وتُكْلَمُ[5]

ذا الخطْبُ أعظُم أنْ يُدَاوَى بالأسى — هذا المُصَابُ أجلُّ ممَّا يُعْلَمُ[6]

كلٌّ يُدافعُ حَتْفَه عن نفسه[7] — حتَّى يُفاجئهُ الحِمامُ المُؤلمُ

[ق١٥٨]أعيا الأنام فما له[8] من ملجأٍ — يُؤويهم عند الخطوب ويَعْصِمُ

---

(١) (ف، ك، ط): «ويجل قدرا».

(٢) (ف، ك، ط): «الضحى».

(٣) (ك): «قسّ ما البيان..». وقُس: هو ابن ساعدة الإيادي. وأكثم هو ابن صيفي، من خطباء العرب المشهورين.

(٤) (ف، ك، ط): «لكنما تجري الأمور...».

(٥) عجزه في (ف، ك، ط): «دمع يصوب ولم يخالطه دم» وأشار في الهامش إلى نسخة بالمثبت. و (ك): «يقوم ببعضه...». وأشار في الهامش إلى ما هو مثبت.

(٦) (ف، ك، ط): «تعلم».

(٧) الأصل: «كلّا»، و(ك، ط): «عن أنفه».

(٨) (ف): «فما لهم».

والمـوتُ وِرْدٌ للأنـام[1] وكلُّهـم ... في مـاء ذاك الـورْدِ حـتمًا يُقـدِمُ
من أخطأتْهُ يـدُ الحـوادِثِ في الصِّبَا ... حينًـا سـتذكُرُه إذا هُـوَ يَهْـرَمُ[2]
سيَّان في حُكـمِ القـضاء مؤجَّـلٌ ... في نفـسه ومُعجَّـلٌ يتقـدَّمُ
أأُخَـيَّ لا تُبعـد فلـيس بخالـدٍ ... أحـدٌ ولا حـيٌّ عليهـا يـسْلَمُ
لا تعـذِل البـاكي عـلى أحبابِـهِ ... واعْـذُرْهُ وارْحَمْـهُ لعلَّـك تُـرْحَمُ
للخطبِ يُدَّخَرُ الصديقُ، ولا أرى ... في النـاس يـومَ البينِ خـلًّا يَـرْحَمُ
لا تَحْسِبُوا وُرْقَ الحـمامِ سَـواجعًا ... يـومَ الرَّحِيْـلِ ولا المطايا تُـرْزِمُ[3]
هـذا يحنُّ فيشتكي طـولَ السُّرَى ... والـوُرْقُ تَـذْكُرُ إلْفهـا فـترنَّمُ[4]
ما حاربت أيدي الرَّدى من مارقٍ[5] ... إلّا غَـدَتْ أقرانُـهُ تتخـرَّمُ
مـن ذا يُطيـقُ مـع الفِـراقِ تجلّـدًا ... قـلْ لي وقـد مـات الإمـامُ الأعظـمُ
أودى فريـدُ الـدَّهْر أوْحَـد عـصره ... ومـضى التقـيُّ العـارف المتوسِّـم
شـيخٌ يـسودُ بجِـدِّه وبحَـدِّه ... وسـواه مِـن[6] هـذين صِـفْرٌ مُعْدِمُ
شـيخٌ كـأنَّ الله أودعَ سِرَّهُ ... فيـه فـما تلقـاهُ إلا يَعْلـمُ

---

(١) (ف، ك، ط): «للجميع».

(٢) (ف): «لا بد أن تدركه إذ...»، (ك): «لا بد تدركه إذا» وفي هامشها إشارة إلى ما في (ف).

(٣) (ف، ك، ط): «تدرم».

(٤) (ف، ك، ط): «هذي تحنّ وتشتكي [ك: ألم]...» وبهامش (ك): «طول».

(٥) (ف): «ما جاربت...»، (ف، ك، ط): «في مارِق». ولعل صواب الكلمة الأخير «تتحزَّم».

(٦) الأصول: «في» ولعله ما أثبت.

اليوم أكشِفُ عن غوامضِ سِرّهِ ... اليوم منه يفسَّرُ المُستعجِمُ

قد كان يُؤثرُ من أتاه بقوتِهِ ... ويظلُّ طُولَ نهاره لا يَطْعَمُ

ويجودُ بالموجود منه، ويُرشدُ الـ ... ـجَنِفَ العصيَّ بهديه ويقوِّم

ظهرت له شِيَمُ التُّقى فكأنه ... يومَ القِراع[1] العالمُ المتقدِّمُ

من ذا يُرى للمشِكلاتِ يحلُّها ... والواقعاتِ ومَنْ به يُستَعْصَمُ

وعلى النصارى الملحدين إذا أتوا ... من ذا يردّ ومن يجيبُ ويفهمُ

يشتاقهُ الإرسالُ في إسناده ... والنسخُ والمنسوخُ ثم المُحْكم

وبكَتْه عنعنةُ الحديثِ وطُرْقُهُ ... وبيانُ ما يَحْوي عليه المُعْجَم

هذا الذي للدِّين منه مُعلِّلٌ ... ومنوِّعٌ ومجنِّسٌ ومعلِّم

هذا الإمامُ الحُجَّةُ الحَبْرُ الذي ... تُنْفى به شُبَهُ الشُّكوكِ وتُحْسَمُ

فَضْلٌ وزُهدٌ لا يُحَدُّ[2] وعفَّةٌ ... وديانةٌ ورَزانةٌ وتحلُّمُ

لك يا ابنَ مجدِ الدِّين طَودٌ باذِخٌ ... في الفَضْل ممنوعُ الجوانب أيهَمُ[3]

أقسمتُ ما وُصِفَ امرؤ في نفسه ... بصيانةٍ إلا ورأيُكَ أحْزَمُ[4]

أبْدَى مصلَّاك البكاءَ وحَسْبُهُ ... يَبْكي عليكَ وحقُّهُ يتندَّمُ

---

(١) (ف، ك، ط): «النزاع».

(٢) (ف، ك، ط): «يعد» وبهامشه: «لعله: يحد».

(٣) الأيهم: وصف مشهور للجبل.

(٤) (ف، ك، ط): «أقسمت... بصيانة في نفسه إلا وصوتك أعظم».

أسفًا على ما فاته من وِرْدِه | والليل ساجٍ[1] والخلائق نُوَّمُ
حَسَدوه إذْ وجَدوه أعْلَمَ منهمُ | ورأوهُ أفْضَلهم وإن كانوا عَموا
عَقَلوه إذ عقلوه ليثَ كِباشِهم | والليثُ يَعقِلُ مَن سَطاه ويُلْجِم
تَبْكي عليه جوامعٌ ومجامعٌ | ومناقبٌ ومراتبٌ تتهدَّمُ
وزكتْ خلائقُهُ الشّرافُ وكُرِّمتْ | منه المغارسُ[2] وهو منها أكرمُ
جمُعِتْ له أشتاتُ كُلِّ فضيلةٍ | تُروَى مدائحُ شارِدَاتٌ حُوَّمُ
مَلأتْ فضائلُهُ البلادَ فَفَضْلُه | كالشَّمْس نورُ ضيائها لا يُكْتَمُ
ولقد دعوتُ الشِّعْرَ يومَ[3] نعِيَّه | فأبى عليَّ، فلم أُطِقْ أتكلَّمُ
أنَّى يجُيبُ ومِنْ لوازمِ حقِّه | أن لا يجيبَ وفِكْرُه مُتقسِّم
وأخذتُ أكتُبُ ما أقولُ وأدْمُعي[4] | بين السُّطُورِ كعِقْدِ دُرٍّ يُنْظَمُ
[ق١٥٩] نَفِدَ المدادُ فساعدتْهُ مدامعي | فعَصى عليَّ فساعدَ الدَّمعَ الدَّمُ
حالَ المدادُ عن السَّوادِ كأنَّهُ | دمْعُ المَحاجم صُبَّ فيه العَنْدمُ[5]
جادَتْ[6] ضريحًا بالشآم غمامةٌ | تسْقي ثراهُ على المدى وتُدَوِّمُ

---

(١) الأصل: «شاج» بالمعجمة، والمثبت من باقي النسخ. وساج بالمهملة: ساكن.
(٢) (ف، ك، ط): «المعارش».
(٣) الأصل: «يومًا».
(٤) (ف): «ومدمعي».
(٥) العندم: قيل: شجر أحمر، وقيل: دم الأخوين. «اللسان» (عندم).
(٦) الأصل: «جازت».

وسقى قبورًا جاوَرْته من الرِّضا ... تحتَ التّرابِ سَحابُ عَفْوٍ[1] مُثْجَمُ

طُوبى لمن أمسى مجُاوِر تُرْبه ... من أجلها الجارُ المصاقِبُ[2] يُكرمُ

أمسى وتحتَ الأرضِ عُرْسٌ إذ ثوى ... فيها وفوق الأرض فيها[3] مأتمُ

هذا وأملاكُ السماءِ تحُفُّه ... في كُلِّ يومٍ لا تملُّ وتَسْأَمُ

يا أرضُ صِرْتِ به كروضة جنَّةٍ ... لنزيلها في كلِّ يومٍ موسِمُ

لسواهُ تَشْقيقُ الجيوبِ وإنما ... شقُّ الجيوب[4] عليه مما يَلْزمُ

سَعِدتْ به أرضٌ أقام برَمْسِها ... ميتًا وهذا الميتُ حيٌّ مُكْرَمُ

نُقِلَتْ إلى جنّاتِ عَدْنٍ رُوحُه ... والحورُ والولدانُ فيها تخْدِمُ

جُثمانه تحت العراء وروحُه ... في مَقْعدِ الصِّدق الرِّضا تتنعَّمُ

لو كان للجَدَث المحيط بجِسْمه ... يومًا لسانٌ ناطقٌ يتكلمُ[5]

لسَمِعتَ بُشراهُ[6] بمن وافى إلى ... عَرَصاته من خيرِ ضيفٍ يَقْدَم

هو في جوار الله أشرفِ منزلٍ ... والله أرأفُ بالعباد وأرْحَمُ

يَبْكي له سبعُ الطَّوافِ وسَعْيُهُ ... والحِجْرُ والبيتُ العتيقُ وزمزم[7]

---

(١) في هامش (ف، ك): «خ: جود». ومثجم: من أثجمت السماء، إذا دام مطرها.

(٢) (ف، ك): «المجاور». المصاقب: المجاور.

(٣) (ف، ك، ط): «فينا».

(٤) (ف): «القلوب». وهذا من المبالغة غير المحمودة، فشق الجيوب منهيّ عنه.

(٥) (ف، ك): «كان للقبر..»، (ف): «يومًا لسانًا».

(٦) (ف): «بشراء».

(٧) (ف، ك، ط): «تبكي له»، (ك، ط): «السبع».

وتعطَّـل المِحْـرابُ مِـنْ متهجِّـدٍ ... بالـذِّكْر في أسْـحارِهِ يـترنَّمُ

والخَلْـقُ إن نُـسبوا إليـه كواحـدٍ ... في أمّـةٍ وهـو الفريـدُ المُعْلَـمُ[1]

أضحتْ سُطوْرُ الفَضْلِ يَصْعُبُ فَهْمُها ... كـالخطِّ أصـعبه الغريـبُ المـبهمُ

فأبـان مُـشْكلَها وأوضـحَ رمزَهـا ... فغـدت بتنقيط الفضائل تُعْجَـم[2]

إن كـان قـد أمـسى رَهـين مُـوَدّأ ... زَلِـخ الجوانـب حَـدُّه متهـدّم[3]

فلـرُبَّ عـانٍ قـد أعـان وأكْمَـهٍ ... هـدَّى فأرْشَـدَهُ ولا يتـبرَّمُ

وضريحُـهُ كالمسك يَنْشَقُ عَرْفَـه ... مـن كـان مِـن حَنَـقٍ عليـه يُسَلِّمُ

إنْ كـان هـذا الـرُّزْءُ يَعْظُـمُ ذكـرهُ ... شرفًـا ويُنْجِـدُ في الـبلاد ويُـتْهِمُ

فالـصبرُ أحـسنُ مَلْـبسٍ يختـارُه ... حُـرٌّ لبيـبٌ ذو عفـافٍ مـسلمُ[4]

وعـلى النبـيِّ مـن الإلـه صـلاتُهُ ... مـا أَمَّ طيبـةَ مُنْجِـدٌ أو مُـتْهِمُ[5]

تمت والحمد لله[6] .

---

(١) (ف، ك، ط): «الأعلم».

(٢) (ف): «الفضل بل».

(٣) (ف): «رهين مـوداء [ك: مـودء]»، (ف، ك): «جدره متهدم». وفي النسخ: «زنح» ولعلها ما أثبت.

(٤) (ف، ك، ط): «فالصبر أكرم... حر بصير بالعواقب...».

(٥) عجزه في (ف، ك): «ما سارت الأظعان شوقًا ترزم».

(٦) ليست في (ف، ك). وبعده فيهما كلام عن النسخة التي نُقِلت منها هذه القصيدة ومن سمعها ووفاة ناظمها، ونصه: «قال الشيخ أبو بكر بن أحمد الدريبي رحمه الله: كان على النسخة التي نقلت منها نسختي هذه ما صورته: نقلتها من خط مؤلفها الشيخ الإمام العلامة أوحد عصره، وفريد دهره، أبي الثناء محمود ابن =

ومنها للشيخ عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الروميّ الأصل، الدِّمشقي الحريري، المعروف بالمتيّم، رحمه الله[1]:

لقد عذَّبوا قلبي بنار المَحبَّة ... وذابَ فؤادي من فِراق الأحِبّة

وزاد غرامي واشْتياقي إلى الحِمَى ... وهيَّجَ بَلْبالي حنيني ولوعتي

فيا عُظْم أحْزاني ووَجْدي عليهمُ ... ويا طولَ أشواقي إليهم ووَحْشَتي

ملأتُ النَّواحي مِنْ نُواحي وكيف لا ... أنوحُ على قومٍ هُمُ خير جيرتي[2]

فلم أنسَ أيامًا تقضَّت بقربهم ... ومِنْ عيشتي لمّا تولَّوا تولَّتِ

= علي بن محمود الدقوقي البغدادي قدَّس الله روحه.

وقال أيضًا: شاهدت على الأصل المنقول عنه ما صورته: سمع عليّ الولدُ السعيد أبو الخير سعيد بن عبد الله الذهلي الحريري جميعَ هذه القصيدة الموسومة بـ: مرثاة الشيخ العالم الرباني تقي الدين أحمد ابن تيمية الحراني، بقراءة الشيخ الإمام الأوحد الفاضل المحقق الكامل جمال الدين أبي أحمد يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد السامري، وذلك يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الأول سنة ثلاثين وسبعمائة. وكتب ناظمها محمود بن علي بن محمود الدقوقي حامدًا ومصليًا.

توفي ناظم هذه المرثاة الشيخ تقي الدين الدقوقي يوم الاثنين العشرين من المحرم سنة ٧٣٣ ثلاث وثلاثين وسبعمائة، ودفن يوم الثلاثاء بمقبرة الإمام أحمد، وحُمِلت جنازته على الرؤوس رحمه الله».

(١) (ف، ك، ط): «بسم الله الرحمن الرحيم. هذه القصيدة نظم الشيخ عبدالله... بالمتيم يرثي الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وهو أحد أصحابه، رضي الله عنه وأرضاه». ولم أعثر على ترجمته.

(٢) البيت في (ف، ك، ط) بعد الآتي.

ومِـــنْ عَجَبِـــي أنّي أحِـــنُّ إلـــيهمُ   وهم ساكنو قلبي ورُوحي ومُهْجتي[1]

ذكـرتُ فلـم أنـسَى زمـانَ وِصـالهم   أأنْـسى ليـالٍ بـالعقيق[2] تقـضَّتِ

[ق١٦٠] منازلُ أحبابي مواطنُ سادتي   مطـالعُ أقـماري شروقُ أهِلَّتـي

معاهـدُ أفراحـي ديـارُ سـعادتي   مواسـمُ أربـاحي أُوَيقـاتُ لَـذَّتي

مَضَت وانقضت عنّي كأنْ لم أكن بها   ومـا ذاك إلّا مـن تـرادُفِ غَفْلتي[3]

إذا لم يَلُـح لي بـارقٌ مـن حِمـاهمُ   فيا خيبةَ المسعى ويا طولَ شِقْوتي

وإن لم أُقَـضِّ العُمْـرَ بـين خيـامهم   فلا عِشْتُ في الدنيا ولا نلتُ مُنْيتي

وإن لم أشاهد حُسْنهم في مَشاهدي   فقدْ فاتني سُؤلي ومُتُّ بحسْـرتي

وحـقِّ أيـاديهم وعِـزِّ جمـالهم   وفَرْطِ خُضوعي في هواهم وذِلَّتي[4]

لغيرِ رضـاهم مـا تمنَّت مَطامعي   ولا لسِـواهم مـا حـلا لي تَلَفُّتـي

---

(١) (ف، ك، ط): «وقد سكنوا».

(٢) (ف، ك، ط): «بالعُذيب» وبهامش (ك) نسخة كما هو مثبت.

(٣) بعده في (ف، ك، ط):

«أعلّل روحي بالغُوَير وبانةٍ   وما شوقها إلا لسُكّان رامة».

(٤) البيت ليس في (ف، ك). وبعده في (ف، ك، ط):

وإن لم أجد نورَ الهدى في خِبائهم   يضـيء به قلبـي، فيـا عُظـم حَـيرتي

يقولـون لي: لِـمْ لا سلوتَ هـواهمُ   فقلـت: دعـوني، مـا بُليتم بمحنتـي

ولا ذُقتمُ مـا ذاق قلبـي مـن الجـوى   ولا مسّكم ضُرّي، ونـاري وحُرقتـي

فهـل لي جنـان أن يهـمّ بغـيرهم   وهـل لي لـسانٌ أن يفـوه بـسَلْوتي

والبيت «لغير رضاهم...» ليس في (ف).

وحاشاي أن أسلو هـواهم وحُبُّهُم ... يُـذكِّرني حفـظ العهـود القديمـة
فهم سرُّ أسراري، ونـور نـواظري[1] ... ورُوحي وريحاني وأُنسي وبَهْجَتي
وهـم عـينُ أعيـاني وقَلْبـي وقـالبي ... وهم منتهى قصدي ومشهدُ رؤيتـي
وهـم في مغـانيهم حيـاتي حقيقـةً ... وهم في معانيهم[2] أُهيلُ مـودَّتي
وهم في تجلِّيهم شموسي إذا بـدوا ... وهم في تجنِّيهم رِياضي وجنَّتي[3]
وهـم أيـنما كـانوا نهايـةُ مَقْـصدي ... وهـم أيـنما حلُّـوا مُـرادي وبُغْيتـي
وهـم نـورُ أنـواري وسِرُّ حقـائقي ... وهم أُنْـسُ تأنيسـي ومـأمَنُ خِيفتـي
تُـرى يـشتفي قَلْبـي بـرؤيتهم عـلى ... ريـاض الهنـا يومًـا وتـبردُ غُلَّتـي
وتَحْيـا بهـم رُوحـي حيـاةً هنيَّـةً ... مُسَـرْمدةَ التَّنعِيم في غـير محنةٍ[4]
إذا سمحوا لي نظرةً مـن جمـالهم ... فقد نلتُ من رضوانهم كـلَّ وصـلةِ
علـيهم سـلامُ الله مـا هبَّـتِ الـصَّبا ... ومـا ناحـت الأطيـارُ شـوقًا وحنَّـتِ
وقـد آن أن أُبـدي خفايـا صـبابتي ... وأُظْهِـرُ للعُـذَّال أصـلَ رَزِيَّتـي
وأبكي على من كان يجمعُ شَمْلَنا ... على طاعة الـرحمن في كـل لمحةِ
وأنـدُبُ أحـزاني بـما قـد أصـابني ... وأنثُـرُ أشـجاني بـنظمِ قـصيدتي
فقَـدْتُ إمامًـا لم يـزل متـوكِّلًا ... عـلى الله لا يُـصْغي إلى غـيرِ سـنةِ

---

(١) (ف، ك، ط): «مناظري».

(٢) (ف، ك، ط): «مغانيهم».

(٣) (ف، ك، ط): «ونزهتي».

(٤) (ف، ك): «في روض جنة».

فقـدتُ إمامًـا كـان بـالعلم عـاملًا ... وكـان حقيقًـا قامعًـا كـل بدعـةِ
أتـى بكتـاب الله والـسُّنَّة التـي ... عَلَت وارتقت حقًّا على كلِّ ملةِ
أتـى بأحاديـثِ الرسـولِ وشرْحِهـا ... وعمـن رواهـا بـالمتون الـصحيحةِ
أتـى بعلـوم العـالمين جميعهـا ... بزُهـدٍ وتأييْـدٍ وديـنٍ وقـوَّةِ
أتى بأصُول الـدين والفقه مجملًا ... وفصَّلها تفصيل مِنْ غيرِ شُبهةِ
أتانـا بـأحوال الرسـول حقيقـةً ... وسيرتُه[1] تسمو على كلِّ سيرةِ
أتانـا بـأحوال الـصحابة كلّهـم ... وللتـابعين[2] الملّـةِ المستقيمةِ
أتانـا بأوصـاف الأئمـة كلِّهـا ... وصنَّفَ[3] كُتْبًا في صفات الأئمةِ
أتانا بوصف الصالحين وحالِهم ... وما هم عليه من جميل العقيدة
وعلَّمنـا شرعَ الرسـول ودينَـه ... بأفـصح ألفـاظٍ وأصْـدَق لهجـةِ
وأعْلَمَنـا أنّ النجـاةَ مـن الهـوى ... تمَـسُّكُنا بالـسنة النبويـة
وحـذَّرنا مِـن كـلِّ زيـغٍ وبدعـةٍ ... وعن كلِّ طاغٍ خارجٍ عن محجَّةِ
ونـاظرَ أربـابَ العقائـد كلَّهـم ... وبيَّن من قد ضلَّ من كلِّ فرقة
وردَّ على أهل الضلالِ جميعِهم ... بأوضـح برهـانٍ وأبلـغ حُجَّـةِ
[ق١٦١] وبيَّن تكذيبَ اليهود وخُبثَهم ... ومـا بـدَّلوا في الملّـة الموسوية
وأخبرهم عن سرِّ أسباب كفرهم ... فتعـسًا لهـم مِـن أمّـةٍ غَـضَبيَّةِ

---

(١) الأصل و(ف): «وسيرتهم».

(٢) (ف، ك، ط): «والتابعين».

(٣) (ف): «وصنفها».

وأظهر أيضًا للنصارى ضلالَهم ... وما أحْدَثوا في المِلة العيسويَّةِ
وباحثهم حتى تبيَّن أنهم ... سُكارى حَيارى بالطباع الخبيثةِ
وردَّ على كُتْبِ الفلاسفة الأولى ... بمنقولِ أحكامٍ ومعقولِ حكمةِ
وقرَّر إثباتَ النُّبواتِ عندهم ... وجال عليهم كَرَّةً بعد كرَّةِ
وردَّ على جهمٍ وجَعْدِ بن دِرهمٍ ... وبشرِ المَرِيسي عُمْدةِ الجهميَّةِ
زنادقةٌ كم أهلكوا من عوالمٍ ... بسوءِ اعتقاداتِ النفوسِ السقيمة
وجادل أهلَ الإعتزال جميعَهم ... وسلَّ عليهم سيفه بالأدلة
يقولون: قولُ الله من بعض خَلْقه ... لقد كُبْكِبوا في قعرِ نارٍ حميَّةِ
وبَاحَثَ أشياخَ الروافضِ وانْثَنَى ... يُقاتلهم بِالدِّرَّةِ العُمريَّةِ
لأنَّهُمُ عادَوا خواصَ محمَّدٍ ... وسبّوا فَهُم في الأصل شرُّ الخليقةِ
بغوا وافتروا جَهْلًا فهم أنحسُ[1] الورى ... وأكذَبُ خَلْقِ الله من كلِّ فِرْقةِ
فكمْ أحدثوا في ديننا من ضلالةٍ ... فلا مرحبًا بالفِرْقة القدريَّة[2]
وهم خصماءُ الله تبًّا لدينهم ... وبُعدًا لهم من عُصْبةٍ ثنويَّةِ
وردَّ على قومٍ تربَّت[3] نفوسُهم ... على النفي والتعطيل من غير حُجَّةِ
وردَّ على أهل التناسخ عندما ... تجرَّوا وخاضوا في أمورٍ عظيمة
ومزَّقهم في كلِّ وادٍ لأنهم ... يقولون لا شيء سوى البرزخيَّة

---

(١) (ف، ك، ط): «أنجس». وعلى الحاء علامة الإهمال في الأصل.
(٢) البيت في (ف، ك، ط) بعد الآتي.
(٣) (ف): «ترتب».

وقد أنكروا أمرَ المعاد بقولهم ... نفوسٌ نأت عنَّا وفي الغير حَلّت

وجادَل[1] أهلَ الاتحاد وردَّهم ... إلى أشرف المسرى وأهدى طريقة

وأنقذهم من ظُلْمة الجَهْل والعمى ... بنورٍ وبرهان ودين النصيحة

وردَّ على أهل الحلول فإنهم ... يرون تجلِّي الحقّ في كلِّ صورة

وقد زعموا أنَّ التجلِّي مَظاهرٌ ... ولا سيّما في صورةٍ أمْرَديَّة

فمن أجْلِ هذا يرقصون ديانةً ... وفي رَقْصهم جاءوا بكلِّ قبيحةِ

يرون شهودَ المُرْد والرقصِ قُربةً ... فيا ويلَهم من خِزْي يوم الفضيحة

وردَّ على تُبّاع[2] إبليسَ عندما ... رآهم وقد مالوا إلى الجبريةِ

وكم قد طوى في علمه من طوائفٍ ... حرورية منهم على حَشَوية

مطايا بُنيَّاتِ الطريق سَرَتْ بهم ... إلى أن أناخوا في عِراص القطيعة

وفي بحر آراء العقائد أُغرقوا ... رَمَتهم خيالات العقولِ السخيفة

وكم قد أراهم كلَّهم سُبل الهُدى ... وكم قد نهاهم مرةً بعد مرَّةِ

فمن كان قُطْبَ الكون في حال عصره ... سواه ومن قد فاز بالبدليَّةِ

شجاعٌ هُمامٌ بارعٌ في صفاته ... يروم مَرامًا في المراقي العليَّة

تزهَّد في كلّ الوجود وغيره ... يدور على الدنيا بنفسٍ دنيَّةِ

يجود على المِسْكين في حال عُسْره ... بأطماره[3] في حبّ باري البريَّة

(١) (ف، ك، ط): «وجاهد».

(٢) كذا في الأصول، وفي (ط): «أتباع».

(٣) (ف): «بأطمان».

ويَلْقى لمن يلقاه بالبِشْر والرضا بأوصافه الحُسْنى ونفسٍ زكيّة

ويدعو لمن قد نال مِنْ ثَلْم عِرْضه ولم ينتقم ممن أتى بالأذيَّة

يُسارع في الخيرات سرًّا وجَهْرةً ويلهو عن اللَّذات في كلِّ طَرْفةِ

[ق١٦٢] يجاهد في الله الكريم بجُهده بصِدْقٍ وإخلاصٍ وعَزْم ونيّةِ

ويأمر بالمعروف حبًّا لربهِ وينهى عن الفحشاء نهيًا بهمَّةِ

تقيٌّ نقيٌّ طاهرُ الذيل مُذْ نشا كريمُ السجايا ذو صفاتٍ حميدةِ

أليس الذي قد شاع في الكون ذكرُه وعمَّ البرايا بالفتاوى العظيمة

فمن كان تاجَ العارفين لِوقْتنا وشيخَ الهدى قل لي بغير حميَّةِ

هو الحبرُّ والقطبُ الذي شاعَ ذِكْره وفاح شَذاهُ كالعبير المفتَّتِ

إذا ما ذكرنا حالَه وصفاتِه كأنَّا حللْنا في نعيمٍ وروضةِ

تهَنّأ أبا العباس بالقُرْبِ والرِّضا لقد نلتَ ما ترجو بكلِّ مسرَّةِ

ألا يا تقيَّ الدين يا فرْدَ عصرِهِ بُرُوقُك قد لا حتْ كشمسٍ مضيئةِ

وبانت لكلّ الناس أوصافُك التي برَزْتَ بها مثل العيون الغزيرة

ظهرتَ بأنواع العلوم وجِنْسها وسارتْ بها الرُّكبانُ في كلِّ بلدةِ

وأظهرتَ[1] ما قد كان للناس خافيًا بكلِّ معانٍ والفُنونِ الغريبةِ

وأوضحتَ إشكالًا وبيَّنتْ مُبْهمًا وأبديتَ أسرارًا بنفسٍ عليمةِ

وكم غُصْتَ في بحر المعارف غوصةً ولجَّجتَ فاستخرجتَ كلّ يتيمةِ

ظهرتَ بإحسانٍ وحُسْنِ سماحةٍ وديـنٍ وتوحيدٍ وكلِّ فضيلةِ

---

(١) (ك، ط): «فأظهرت».

خرجتَ من السّجن الذي كان ضيِّقًا ... إلى دار فوزٍ في رياضٍ فسيحةِ

وقد نلتَ من مولاك ما كنتَ راجيًا ... وأشْهَدكَ المعنى بعينٍ قريرةِ

حُمِلتْ على النعش الذي كان تحته ... مئين ألوفًا في بكاءٍ وضجَّةِ

وصلى عليك المسلمون[1] جميعُهم ... بحسنِ اعتقادٍ فيك يا شيخَ قدوةِ

وأمّا النساءُ المؤمناتُ فإنَّهنْ ... خرجن حَيارى فَوجةً بعد فَوجةِ

ومَعْهُنَّ أبكارٌ تحجَّبن بالتُّقى ... يَنُحْنَ بأكبادٍ عليك حزينةِ

صبرتَ على الأحكام طوعًا وطاعةً ... وذُقْتَ من الآلام طَعْم البليَّةِ

وكنتَ حَمولًا للنوائب كلِّها ... صبُورًا على الأقدار في دار غُرْبَةِ

وأوسعْتَ صدرًا للمقادير عندما ... شهدتَ جمالَ الحبِّ في كلّ خلوةِ

ولاحتْ لك الأنوارُ بالمشهدِ الذي ... تطُوفُ به الأرواح[2] في رَوض جنَّةِ

وعاينْتَ موجودًا تعالتْ صفاتُهُ ... وشاهدْتَ محبوبًا بعين البصيرةِ

فلا أوحشَ الرحمنُ منكَ ولا خلَتْ ... ربُوعُك من تلك العلومِ الجليلةِ

ولا أقفَرتْ منك الطلولُ ولا نأتْ ... ديارُك من تلك الصفاتِ الجميلة

ولا سكنتْ[3] يومَ الوداع دُموعُنا ... ولا اكتحلَتْ فيكَ الجفون بغَمْضَةِ

ولا احتجبَتْ أسماعُنا عنك ساعةً[4] ... ولا أيِسَت منك العيونُ بنظرةِ

---

(١) (ف، ك، ط): «الحاضرون» وبهامش النسخ إشارة إلى المثبت.

(٢) (ف، ك، ط): «الأنوار».

(٣) (ف): «سكبت».

(٤) في هامش الأصل «دائمًا» لكنه بخط مغاير، وإن كان بعده علامة التصحيح (صح).

لقد كنتَ رَوحًا للقلوب وراحةً وقُوتًا وأُنسًا للنفوس النفيسةِ
تمسَّكْت بالدِّين الحنيفيِّ والهدى وبالعُروة الوثْقَى وأصل الشريعة
ظهرتَ إلى الدنيا بأحسنِ مظهرٍ ورُحْتَ إلى الأخرى بأكمل رَوحةِ
وودَّعتنا توديعَ مَن غيرُ راجعٍ وفارقتنا والدَّارُ غيرُ بعيدةِ
شَرِبْت بكأس العارفين مُدَامةً حقيقتُها من سرِّ عين الحقيقةِ
وَجُدْتَ بكأس الفضل[1] منك تكرُّمًا على تابعينَ السُّنَّة الأحمديَّةِ
فسبحان من أعطاك من فيض جودِهِ لقد نلتَ قُربًا لا يُنالُ بحيلةِ
وقد[2] عِشْتَ محبوبًا ومتَّ مُكرَّمًا عليك من الرحمن أزكى تحيَّةِ
[ق١٦٣] وما برحتْ تعلوك أنوارُ أُنسِه وما زِلْتَ في عِزٍّ وقربٍ ورفعةِ
ومأواك جنَّاتُ النَّعيم مع الذي تفرَّد من بين الورى بالوسيلة
نبيُّ الهدى خيرُ الورى صاحب اللِّوا شفيعٌ على الإطلاقِ في كلِّ أُمَّةِ
عليه صلاةُ الحقِّ ثمَّ سلامُهُ على عددِ الأنفاس في كلِّ طَرْفَةِ
وبعدُ فلله المحامدُ كلُّها على ما أرانا من وضوح المحجَّةِ
وها أنا يا ربِّي عُبيدٌ متيَّمٌ عساك ترى حالي وتغفرُ زلَّتي

تمت، وعدَّتها مائةٌ وسبعةٌ وعشرون بيتًا[3].

---

(١) (ف، ك، ط): «بفضل الكأس».

(٢) (ك): «لقد».

(٣) هو كذلك في نسخة الأصل، أما في (ف، ك) فتزيد بأربعة أبيات على الأصل ذكرناها في الحواشي.

وله ـ أيضًا ـ عفا الله عنهما[1]:

للّــهِ عَـيشٌ[2] تقــضَّى بالثنيَّــاتِ	مَـعْ جـيرةٍ لـذَّ لي فـيهم صَـباباتي
مـا كـان أهْنـا زمـاني في رُبـوعهمُ	والـسَّعْدُ يـسعى بـما فيـه إراداتي
والكأسُ تمْلا[3] بأنواع السّرور وفي	قُـربِ الأحبَّـةِ تَبْـدو لي سـعاداتي
إذا تجلَّـوا عـلى قلبـي بِحُـسْنهم	كـأنَّني في نعـيمٍ وسـط روضـاتي
قد كنتُ في قُربهم والوصل مقترنٌ[4]	لم يخْطر الصَّدُّ والهجْرانُ في ذاتي
واليومَ أصبحتُ أبكي بعد بُعْدِهمُ	لمَّـا تنـاءوا نـأتْ عنِّـي مـسرَّاتي
وغابَ مُذ غاب عن عيني جمالهمُ	راحي ورُوحي ورَيحاني وراحاتي
ولا صـفا بعـدَهم عيـشي بمَنْهلـةٍ	ومُـذْ تولّـوا تـولى طِيـبُ لـذَّاتي
يـا سـادةٌ ملكـوا قلبـي بِلُطْفهـمُ	ما ضرَّهـم لـو أعـادوا لي أُوَيقـاتي
فهم مُرادي وهم سُؤْلي وهـم أملي	وهــم نهايــةُ مقـصودي وغايــاتي
وهم سروري وهم سمعي وهم بصري	وهــم نعيمـي وروضــاتي وجنَّـاتي
وهم حياتي وهم أُنسي وهـم شَرَفي	وذِكْرُهُم لم يزل في القلب جَلْواتي[5]
لمـا سروا وفـؤادي في هــوادجهم	ناديتُ من حُرَقي: يا عُظْمَ لوعـاتي

---

(١) (ف، ك، ط): «وله أيضًا رحمه الله يرثي شيخ الإسلام ابن تيمية مرة أخرى».

(٢) (ف، ك، ط): «عيشًا».

(٣) في الأصول: «يُجْلى» تصحيف والصواب ما أثبت.

(٤) (ك، ط): «مقترني».

(٥) بعده في (ف، ك، ط):

لَهْفي عـلى زمـنٍ ولّى ومـا ظَفِـرت	روحـي بـما تَرْتجي يـوم الأُثـيلاتِ

مـا كنـتُ أعلـمُ قُـرْبي في محبَّـتهم ... حتَّـى رَمَتْنِـي إلى الأبعـاد رايـاتي

فاندُبْ على ما مضى من عيشةٍ[1] وصفا ... وابكِ على ما جرى يا قلبيَ العـاتي

واذكُر مصارعَ قومٍ كيف قد شربـوا ... بعـد الزُّلال بكاسـاتِ[2] المنيَّـاتِ

فأصْبَحُوا في الثَّرى تَبْلى وجوهُهم ... تحتَ التُّرابِ فيا عُظْمَ المُصيباتِ

وأنتَ من بَعْدهم تَسري لسيرهمُ ... إمَّـا بـدارِ هـوانٍ أو بجنَّـاتِ

أقـولُ مـا قالـه العبـد المنيبُ وقـد ... أوْدَى به السّجنُ في برٍّ وطاعات:

أنـا الذَّليلُ أنـا المسكينُ ذو شَـجَنٍ ... أنـا الفقـيرُ إلى ربِّ السـمواتِ

أنـا الكسيرُ أنـا المحتـاجُ يـا أملـي ... جُدْ لي بفَضْلك واعفُو[3] عن خطيَّاتي

أنـا الغريـبُ فـلا أهـلٌ ولا وطـنٌ ... أنـا الوحيـدُ فكُـنْ لي في مُلِمَّاتي

أنـا العُبَيـدُ الـذي مـا زلـتُ مُفْتقـرًا ... إليـك يـا سيِّدي في كـلِّ حـالاتي

مالي سواك ولا لي[4] عنكَ مُنْصَرَفٌ ... ذكـراك في القلـب قـرآني وآيـاتي

أنتَ القديرُ على جَبْري بوَصْلِك لي ... أنـتَ العلـيم بـأسرار الخفيَّـاتِ

أدْعوكَ يا سيّدي يا مُشْتكى حَزَني ... يـا جـابري يـا مُغيثـي في مُهِـمَّاتي

فانظر إلى غُرْبتي[5] وارْحَمْ ضنا جسدي ... يا راحـم الخلـق يـا بـاري البَرِيَّـاتِ

مـا زال مفتَقِـرًا في بـاب سَـيِّده ... مـا زال مُبْتليًـا بالامتحانـاتِ

---

(١) (ف، ك، ط): «عيشنا».

(٢) (ف): «بكأس».

(٣) كذا في الأصول.

(٤) (ف، ك): «وما لي».

(٥) (ك): «عبرتي».

مـــا زالَ مُهْتـــديًا مـــا زالَ مقتـــديًا ما زال مجُتْهدًا في كلِّ خيراتِ[1]

[ق١٦٤] ما زال يتبعُ آثارَ الرسولِ على الـ ـنهجِ القـويمِ بـأعلامِ الـدَّلالاتِ

يهـدي[2] لـسنته يُفْتـى بـشِرْعتِه يرعـى لحُرْمتـه في كـلِّ سـاعاتِ

قُطْـبُ الزَّمـان وتـاجُ النـاس كلّهـم رُوح المعاني حوى كلَّ العبادات[3]

حـبرُ الوجـودِ فريـدٌ في معارفـه أفنى بسيفِ الهُدى أهلَ الضلالاتِ

حوى من المصطفى عِلْمًا ومعرفةً وجـاءه منـه إمـداد النـوالات

مـا جـاءه سـائلٌ إلا ويَمْنحُـهُ إمـا بجـود وإمـا بالمـداراةِ

مـاذا أقـولُ وقـولي فيـه منحَـصِر في وصف أخلاقه كلّت عباراتي

في عِلْمـه مـا عِلْمنـا مـن يُناسـبه إلّا أئمتنـا أهـلُ العنايـات

في زُهـدِه مـا سَـمِعْنا مـن يُـشاكِله إلّا رجـالٌ مضوا أهـلُ الكرامـاتِ

في جـوده مـا وجـدنا مـن يماثلـه غـيرُ البرامـك كـانوا في سـعادات

يجـود وهـو فقـيرٌ إنَّ ذا عَجَـبٌ هذا[4] الذي ما سمعنا في الحكايات

تلـوحُ شـمسُ المعـاني في شـمائله وفي صـفا وجهـه نـورُ الهـداياتِ

بحـر المعـارف تـاهوا في بدايتـه أهـلُ المعـاني وأربـابُ النهايـات

---

(١) البيت من الأصل فقط.

(٢) الأصول: «يهوى». و(ط): «يهدي» وهو الصواب.

(٣) (ف): «العبارات».

(٤) (ف، ك، ط): «هو».

قُطْب الحقائق حاروا في فضائله ... أهلُ التَّصوُّف أصحابُ[1] الرِّياضات

أعجوبةُ الدَّهْر فردٌ في مظاهره[2] ... علَّامةُ الوقت في الماضي وفي الآتي

يا لهف[3] قَلْبي على من كان يجْمَعنا ... على فنونِ المعاني والإشاراتِ

فارقتُ من كان يُرْويني برؤيتهِ ... إذا تبدَّى بدا سِرُّ العبادات

يَرْوي الأحاديث عن سُكَّانِ كاظمةٍ ... فيَطْرَبُ الكونُ من طيبِ الرِّواياتِ

ويُطْنِبُ الذّكر في إحسانِ حُسْنِهِمُ ... فيَرْقُصُ القَلْبُ شوقًا نحو ساداتِ

أفْضَى إلى الله والجنَّاتُ مَسْكنُه ... عليه من ربِّه أزكى تحيَّاتي

ثمَّ الصلاةُ على خيرِ الأنامِ ومَن ... قد خصَّه الله من بين البريَّاتِ

اختاره ليلة الإسرا لحضرته ... حتَّى تجلَّى له ربُّ السَّموات[4]

عليه منِّي سلامُ الله ما هَمَعتْ ... سُحْبُ الغمام وجادت بالزِّياداتِ

والحمد لله حمدًا لا انقطاعَ له ... أرجو به من إلهي مَحْوَ زلَّاتي

آخرها[5]، وعدتها خمسةٌ وخمسون بيتًا.

****

---

(١) (ك): «وأصحاب».

(٢) (ف، ك): «فضائله» وأشار في الهامش إلى نسخة بالمثبت.

(٣) (ف، ك): «والهف».

(٤) بعده في (ف، ك):

فهو الشفيع الذي تُرجى شفاعته ... عند الشدائد في يوم المجازاة

(٥) (ك): «تمت».

ومنها للقاضي الإمام العالم شهابِ الدين أبي العباس أحمد بن فضل الله، رحمه الله وسامحه[1]:

أهَكَذا بالدَّياجي يُحْجَبُ القمرُ ... ويُحْبَس النَّوُّ حتى يذهب المطرُ[2]

أهَكذا تُمْنع الشمسُ المنيرةُ عن ... منافع الأرض أحيانًا فتَسْتترُ

أهكذا الدَّهْر ليلٌ[3] كلُّه أبدًا ... فليس يُعْرفُ في أوقاته سَحَرُ

أهكذا السيفُ لا تمضي مضاربُهُ ... والسيفُ في الفَتْك ما في عَزْمه خَوَرُ

أهكذا القوسُ تُرْمى بالعراءِ وما ... تُصْمي الرّمايا وما في باعها قِصرُ[4]

أهكذا يُتركُ البحرُ الخِضَمُّ ولا ... يُلوَى عليه وفي أصْدافه الدُّرَرُ

أهكذا بتقيِّ الدِّين قد عَبِثَتْ ... أيدي العِدى وتعدَّى نحوه الضَّرَرُ

إلى ابن تيميَّة تُرْمى سِهامُ أذًى ... مِنَ الأنام ويُدْمَى النابُ[5] والظُّفُرُ

---

(١) (ف، ك): «مرثية في شيخ الإسلام تقيّ الدين أحمد بن تيمية من نظم الشيخ شهاب الدين، أحمد بن فضل الله رحمهما الله تعالى ورضي عنهما». وابن فضل الله توفي سنة (٧٤٩) يعني بعد المؤلف، فلا شك أن الترحّم الواقع في النسخ لم يكتبه المؤلف؛ لأنه توفي قبله سنة (٧٤٤).
انظر ترجمته في «أعيان العصر»: (١/ ٤١٧ ـ ٤٣٣) و«الدرر الكامنة»: (١/ ٣٣١ ـ ٣٣٣). وقصيدته هذه ذكرها في تاريخه المعروف بـ«مسالك الأبصار» انظر «الجامع لسيرة ابن تيمية» (ص٣٢٤ ـ ٣٢٨).

(٢) (ف، ك): «في الدياجي... النوء».

(٣) الأصول: «ليلاً» خطأ.

(٤) الأصل: «تمضي» والمثبت من باقي النسخ.

(٥) (ف): «الباب».

بـذَّ[١] الـسّوابق ممُتـد العبـادة لا ... ينالُـــه مَلــلٌ فيهـــا ولا ضَـــجَرُ

ولم يكـن مثلُـه بعـد الـصحابة في ... علـمٍ عظـيمٍ[٢] وزهـدٍ مالـه خطـرُ

[ق١٦٥] طريقُهُ كان يمشي قبل مِشْيته ... بهـا أبـو بكـرٍ الـصديقُ أو عمـرُ

فَـرْدُ المـذاهب في أقـوال أربعـة ... جاءوا عـلى أثَـرِ السُّبَّاق وابتـدروا

لمَّـا بَنـوا قبلَـه عُليـا مـذاهبهم ... بنـى وعمَّـر منهـا مثـلَ مـا عمـروا

مثـل الأئمـة قـد أحيـا زمـانَهم ... كأنـه كـان فـيهم وهـو مُنْتَظـرُ

إن يرفعـوهم جميعًـا رفـعَ مبتـدأ ... فحقُّـه الرفـعُ أيـضًا إنـه خـبرُ

أمثلُـه بيـنكم يُلقـى بمَـضْيَعةٍ ... حتـى يطـيحُ لـه عمـدًا دمٌ هَـدَرُ

يكـون وهـو أمـانيٌّ لغـيركمُ ... تنوبُـه مـنكمُ الأحـداثُ والغِـيَرُ

والله لـو أنّـه في أرض غـيركمُ[٣] ... لكـان مِـنْكم عـلى أبوابـه زُمَـرُ

مثـل ابـن تيميّـة يُنْـسى بمَحْبِـسه ... حتى يموتَ، ولم يُكْحَل به بَصرُ

مثـل ابـن تيميَّـة تَـرْضى حواسـدُهُ ... بِحَبْـسه، أولكـم في حَبْـسه عُـذَرُ

مثل ابـن تيميّة في الـسِّجْن معتقـلٌ ... والسِّجن كالغِمْد وهو الصارمُ الذَّكَرُ

مثـل ابـن تيميّـةٍ يُرْمـى بكـلِّ أذًى ... ولـيس يُـجْلى قَـذًى منـه ولا نَظَـرُ

مثـل ابـن تيميـة تُـذْوَى[٤] خمائلُـه ... ولـيس يُلْقـطُ مـن أفنانـه الزَّهَـرُ

---

(١) الأصل: «يدا».

(٢) سقطت من (ف).

(٣) (ك، ط، س): «غير أرضكم».

(٤) (ف): «تروى» وأشار في الهامش إلى نسخة بالمثبت.

مثل ابن تيميةٍ شمسٌ تغيب سُدًى ... وما تَروق بها[1] الآصالُ والبُكَرُ

مثل ابن تيميّةٍ يمضي وما نَهكَت ... له سيوفٌ ولا خَطِّيّةٌ سُمُر[2]

مثل ابن تيميّةٍ يمضي وما عَبِقَت ... بِمِسْكه العاطر[3] الأرْدانُ والطُّرَرُ

ولا تُجارى له خيلٌ مسوَّمة ... وجوه فُرْسانها الأوضاح والغُرَرُ

ولا تَحُفُّ به الأبطالُ دائرةً ... كأنّهم أنجمٌ[4] في وَسْطها قمرُ

ولا تُعبِّسُ حَرْبٌ في مواقفه ... يومًا ويضْحَكُ في أرجائها[5] الظَّفَرُ

حتى يقوَّم هذا الدين مِن مَيَلٍ ... ويستقيمَ على مِنْهاجه البَشَرُ

بل هكذا السلفُ الأبرارُ ما بَرِحوا ... يُبلَى اصطبارُهم جهدًا وهم صُبُرُ

تأسَّ بالأنبياء الطُّهْرِ كم بلغت ... فيهم مضرَّةُ أقوامٍ وكم هُجِروا

في يوسفٍ في دُخول السِّجن مَنْقَبةٌ ... لمن يُكابدُ ما يَلْقى وَيصْطبرُ

أَيذْهبُ المنهل الصّافي وما نَقَعَتْ ... به الظِّماءُ[6] وتبقى الحَمْأةُ الكَدَرُ

مضى حميدًا ولم يَعْلق به وَضَرٌ ... وكلّهم وضَرٌ في الناس أو وَذَرُ[7]

---

(١) الأصل و(س): «ترق» ومعنى «تروق بها» أي: تغيب سدًى، ولم يصفُ بسببها صباح ولا مساء.

(٢) هذا البيت متقدم على سابقه في الأصل، وما في النسخ أنسب. وفي الأصول «نهكت» ولعلها: «نهلَت».

(٣) (ك، ط): «العطر».

(٤) (ف): «نجم».

(٥) (س): «أرجائه».

(٦) الأصول: «نفعت» ولعله ما أثبت، و(ك): «الظماة».

(٧) الأصل: «وطر» بالطاء، والمثبت من باقي النسخ. والوضر: الوسخ. والوَذْرة: =

طَوْد من الحلم لا يُرقى له قُنن[١] كـأنما الطَّـودُ مـن أحْجـاره حَجَـرُ

بَحْـرٌ مـن العلـم قـد فاضـت بقيّتُـه فغاضَت الأَبْحُرُ العُظمَى وما شَعَروا

يا ليت شِعْريَ هل في الحاسدين لـه نظـيرهُ في جميـع القـومِ إن ذُكِـروا

هل فيهمُ لحديث المُصْطَفى أحدٌ يميِّـز النَّقْـد أو يُـروى لـه خـبرُ[٢]

هل فيهمُ من يضُمُّ البحثَ في نَظَرٍ أو مِثْلـه مـن يـضمُّ البَحْثُ والنظرُ

هـلّا جمَعْـتم لـه مـن قـومكُم مـلأً كَفِعل فرعونَ مَعْ موسى لِيَعْتبروا[٣]

قولوا لهـم: قـال هـذا فـابْحثوا معه بجمعِكُم[٤] وانظروا الجهَّال إن قدروا

تُلقي الأباطيـلَ أسـحارٌ لهـا دَهَـش فيلقفُ الحقُّ ما قالوا ومـا سـحروا

فليـتهم مثـل ذاك الـرَّهْطِ مـن مـلأٍ حتَّـى يكـون لكـم في شـأنهم عِـبَرُ

وليــتهم أذْعنــوا للحــقّ مــثلَهم وآمنوا[٥] كلّهم مـن بعـدِ مـا كفـروا

يـا طالمـا نَفَـروا عنـه مجانَبَـةً[٦] وليـتهم نَفَعـوا في الـضّيم أو نَفَـروا

هــل فــيهمُ صــادعٌ للحــقِّ مِقْوَلُــه أو خائضٌ للوغى والحَرْبُ تَسْتعرُ

= القطعة من اللحم، والمرأة الوَذِرة: الكريهة الرائحة، ويقال: يا ابن شامة الـوَذْر، كلمـة قذف وسب. «القاموس» (وذر).

(١) الأصل: «لا نوعًا...»، وفي الأصول: «فنن» بالفاء، والمثبت من (س).

(٢) البيت ليس في (ف).

(٣) (ك، ط): «ليعتذروا».

(٤) بقية النسخ: «قدامنا».

(٥) بقية النسخ: «فآمنوا».

(٦) (ف): « مجانية».

[ق١٦٦] رمى إلى نحر غازانٍ مواجهةً ... سِـهامهُ مـن دُعـاءٍ عَوْنُـه القَـدَرُ

بتـلٍّ راهـطَ والأعـداءُ قـد غَلَبـوا ... على الشآم وطال(١) الشَّرُّ والشررُ

وشقَّ في المرْج والأسيافُ مُصْلَتةٌ ... طوائفًـا كُلّهـا أو بعـضها التـترُ

هـذا وأعداؤه في الدُّور أشْجَعهم ... مثـلُ النّساء بظـلِّ البـاب مُسْتترُ

وبعْـدَها كِسْروانٌ والجبال وقَـدْ ... أقـامَ أطوادَهـا والطَّـود مُنْفطـرُ

واسْتحصَد القومَ بالأسياف جُهْدهمُ ... فطالمـا بطلـوا طغـوى ومـا بَطِـروا

قـالوا: قبرنـاهُ، قلنـا: إن ذا عجـبٌ ... حقًّـا أَلِلْكوكـبِ(٢) الدُّرِّيّ قد قَبَروا

ولـيس يَـذْهب معنًـى مِنـه مُتَّقـدٌ ... وإنـما تَـذْهبُ الأجسامُ والصُّوَرُ

لم يَبْكـه نَـدَمًا مـن لا يَـصبّ دمًـا ... يجْـري بـه دِيَمًا يَهْمِي وينهمـرُ(٣)

لَهْفـي عليـك أبـا العبَّـاس كـم كـرمٍ ... لما قَضَيتَ قَضَـى من عمره العُمُرُ

سَـقَى ثَـراك مـن الوَسْـميِّ صَيِّبُهُ ... وزان مغنـاك(٤) قَطْـر كُلَّـه قَطَـرُ

ولا يـزالُ لـه بـرقٌ يُغازلـه ... حُلـوُ المراشِـف في أجْفانـه حَـوَرُ

لِفَقْـد مِثلـك يـا مَـنْ لا لَـهُ(٥) مَثَـلٌ ... تأسى المحاريبُ والآياتُ والسورُ

يـا وارثًـا مـن علـوم الأنبيـاء نُهًـى ... أَوْرَثْـتَ قلبـيَ نـارًا وَقْـدُها الفِكَـرُ

---

(١) (ف): «وطار».

(٢) الأصل: «إلى الكوكب»، (ف): «أحقا للكوكب»، (ك): «حقا وللكوكب». والمثبت من (س).

(٣) الأصل: «يصيب» خطأ، و(ك): «به وبما .. وتنهمر».

(٤) (ف): «معناك». ووقع في النسخ «وزار». والمثبت من (س).

(٥) (ك، ط، س): «ماله».

[يا واحدًا لستُ أستثني به أحدًا ... من الأنام ولا أُبقي ولا أذَرُ][1]

يا عالمًا بنقولِ الفقه أجمْعِها ... أعنكَ تحْفَظُ زلَّاتٌ كما ذكروا

يا قامع البِدَع اللَّاتي تجنَّبها ... أهْلُ الزَّمان وهذا البدو والحَضَرُ[2]

ومُرْشدَ الفِرْقة الضُّلّال نهجَهُمُ ... إلى الطريق فما حاروا ولا سَهِروا

ألمْ تكُن للنصارى واليهودِ معًا ... مُجادِلًا وهم في البَحْث قد حَصِروا

وكم فتًى جاهلٍ غِرّ أبَنْتَ له ... رُشدَ المقالِ فزال الجَهْلُ والغَرَرُ

ما أنكروا منك إلَّا أنهم جهلوا ... عظيم قَدْرك لكن ساعدَ القَدَرُ

قالوا بأنَّك قد أخطأتَ مسألةً ... وقد يكونُ فهلّا منكَ تُغْتَفَرُ[3]

غَلِطْت في الدَّهْر أو أخطأتَ واحدةً ... أما أَجَدْتَ إصاباتٍ فتعْتذرُ

ومن يكونُ على التحقيق مجْتهدًا ... له الثوابُ على الحالَين لا الوَزَرُ

ألم تكن بأحاديثِ النبيِّ إذا ... سُئلتَ تَعْرفُ ما تأتي وما تَذَرُ

حاشاكِ من شُبَهٍ فيها ومِنْ شَبَهٍ ... كلاهما منك لا يَبْقى له أثرُ[4]

عليكَ في البحث أن تُبْدي غوامضَهُ ... «وما عليك إذا لم تفهم البَقَرُ»

قدّمتَ لله ما قدّمتَ مِن عملٍ ... وما عليكَ بهم، ذمّوك أو شكروا

هل كان مثلُك من يَخْفَى عليه هُدًى ... ومن سمائك تَبْدو الأنْجُمُ الزُّهُرُ

---

(١) هذا البيت من باقي الأصول.

(٢) (ف): «اللاتي تحببها». (ك): «وأهل البدو» وبهامشه: «نسخه: وهذا».

(٣) (ف): «فهلّا لا...»!

(٤) البيت ليس في (ف). وصدره في (ك، ط): «حاشاك ما شُبه فيها وما شُبه».

وكيف تحذرُ من شيءٍ تزلُّ به ... أنتَ التَّقيُّ فماذا الخوفُ والحَذَرُ

***

ثم الصلاةُ على المُخْتارِ من مُضَرٍ ... من تَسْكبُ المُزْنُ توسيلًا به مطرُ[1]

تمت، وهذا البيت الأخير لغير قائلها، وهو الفقير إلى الله تعالى زين الدين عبد الرحمن بن عبد الهادي، غفر الله له ولسلفه ولسائر المسلمين، والحمد لله رب العالمين. وهي تسعة وسبعون بيتًا.

وقد رُثِي الشيخ ـ رحمة الله عليه ـ بقصائدَ كثيرة غير هذه، وفيما ذُكِر كفايةٌ.

آخر ما اخْتُصِرَ من المناقب، والحمد لله ربّ العالمين، وصلواته على محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) هذا البيت ليس في (ف، ك، ط، س) ولا ما بعده من الكلام. وقد بيَّن ناسخ الأصل أنه ليس من قصيدة ابن فضل الله. وكأن ناسخ الأصل نقل نسخته من نسخة بخط عبد الرحمن بن عبد الهادي أخي المؤلف، فنقل عباراته بحروفها «الفقير إلى الله...».

مراثي ومدائح شيخ الإسلام

من نسخ الكتاب مما ليس في نسخة الأصل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ [1]

قال الشيخ الفقيه أمين الدين عبد الوهاب بن سلّار الشافعي [2] رضي الله عنه يرثي الشيخ تقي الدين الإمام أحمد ابن تيمية:

كلُّ حيّ له الممات ورودُ ... ليس في [ذي] الدُّنا لمرءٍ خلود

كلّ خِلٍّ مفارق لخليل ... كلّ وصل إلى انفصالٍ [3] يعود

ليس يبقى إلا إلٰه البرايا ... دائم الملك والبقا، لا يبيد

عينُ سحٍّ بمدمعٍ ليس يرقا ... وسهادٍ دائمْ والاجفانُ جُودُ [4]

يالجرح بمهجتي، ليس يبرى ... أو يجودوا بطيفهم، أو يعودوا

هل لما بي من مسعدٍ أو معين ... عزَّ صبري، وفَرْط حُزْني يزيد

ويْكَ نفسي، تعاملي باصطبارٍ ... فالذي قد قضى بهذا مُريد

قد رُزئنا إمامَ عِلْم ودين ... عَدِمَ المثل في الزمان فريد

يالحُزْن عليه، عمَّ البرايا ... يا لنارٍ لها بقلبي وقود

كان شيخَ الإسلام عقلًا ونقلًا ... سَنن البِدْع عنده [5] مردود

كان في العلم والشجاعة فذًّا ... وهو في الزّهد والعفاف يسود

---

(١) البسملة من (ك).

(٢) هو: عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم بن السلام أبو محمد الإمام المقرئ (ت٧٨٢). ذكر قصيدته هذه ابن ناصر الدين. انظر «انباء الغمر»: (٢/ ٢٩)، و«الرد الوافر» (ص١٩٥).

(٣) (ف): «الفصال».

(٤) البيت في (ف، ك): «دائمًا وأجفان جود» محرف، ولعله ما أثبت.

(٥) في «الرد الوافر»: «باب ذي البدع...».

كان بالعرف آمرًا، لا لحظٍّ[1] وعن النُّكر للعباد يذود
كان لله ذاكرًا كلَّ وقتٍ وعن اللهو والضلال بعيد
مات لله صابرًا وسط سجن يوم الاثنين، سِرُّه مشهود
وتولاه الأبرار غسلًا ودفنًا أبيض الوجه، في الثرى ملحود
حين وافى على الرؤوس مُسَجًّى والبرايا من كلّ حيّ وُفُود
صِحْتُ من فَرْط ما بدا لي: مهلًا لك في جنة الخلودِ خلود
يا لها من رَزِيَّةٍ طاش فيها كلّ لبّ وتقشَعِرّ الجلود
يا ابن تيميّة، عليكَ سلامي كلّ وقت يمضي، ووقت يعود
يا ابن عبد الحليم، حِلْمك يسمو يا ابن عبد السلام، سلمك جود
يا إمام العلوم، مَن للفتاوى؟ ولحلّ الإشكال حبر تفيد[2]
ولفهم الكتاب والنقل بحرٌ في معانيهما مصيب سديد
يا بشوشًا[3] لكلِّ من رام نفعًا إنَّ من نال من جناك سعيد
كلّ وقتٍ مضى لديك سماعًا ذاك عند التحقيق عُمْرٌ جديد
ليت شعري، أيامنا باجتماع بك، هل تَبْدُوَنْ[4] لنا أو تعود؟
طبت تربًا، وقُدِّسَتْ منك روحٌ ومُنِحْت النعيم مهما تريد

والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) (ك): «للحظ».

(٢) (ف): «يفيد». وفي نسخة «خبرًا» كما في هامش (د).

(٣) (ك): «بشوش».

(٤) (ف، ك): «تبدو» ولعله ما أثبت.

للإمام المحدِّث الفقيه الفاضل تقيّ الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان بن عبد الله بن سالم الجعبري[1] مرثاة في شيخ الإسلام تقيّ الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية رحمة الله عليه:

جلَّ رُزئي وقلَّ مني[2] اصطباري ... يا لقومي من قاصم الأعمارِ

مَنْ مُعيني على نوائب دهري ... ومُلمَّاته، ومَنْ أنصاري؟

قد سقتني الأيامُ جُرعة صبرٍ ... عزَّ صبري لها، وبان اصطباري

فدموعي مثل الغمام انسجامًا ... ونُواحي في الليل مثل القَماري

يا عَذُولي، أقصِرْ، فإنك خِلْوٌ ... من شجوني فلا احترقت بناري

طاب كأسُ المنون صِرفًا أدِرْها ... لا كؤوسًا ممزوجة مِن عُقار

لست أبغي الحياةَ بعدُ، ولكن ... بُغيتي أن أموت في الأبرار

بعد سبعٍ من المئين وعشريـ ... ـن خريفًا من هجرة المختار

مع ثمان للعَقْد عشرون إذ ذاكْ ... يوم الاثنين بعد نصف النهار[3]

مدفن الحَبرِ محرزِ العلم حقًّا ... تَرْجُمانِ الكتاب والآثار

أحمدٍ، أحمدِ المناقب والوصـ ... ـف ابن تيميّةِ الكريم النِّجار

التقي النقي، ذي المجد والسؤ ... دَدِ والمكرُمات، والإيثار

---

(١) (ت٧٤٥) ترجمته في «أعيان العصر»: (٤/ ٤٦٢)، و«البداية والنهاية»: (١٨/ ٤٧٤).

(٢) سقطت من (ف).

(٣) البيت في (ف):

وثامن عشرين قعدة كانت ... يوم الاثنين بعد نصف النهارِ

إن يكــن جــسمه تغيَّــب في الــتُّرْ ... ب فمعنـــاه نـــشرُه كـــالعَرار[1]

كـــان قطبًـــا، وعالمًـــا وإمامًـــا ... [كـان][2] شـيخًا لوحـده بالفخـار

جـــابرًا لليتـــيم، بـــرًّا، رحـــيمًا ... علمـــه مـــشرقٌ عـــلى الأمـــصار

لم أجـد بعـده مُعينًـا عـلى الدهــ ... ــر معينًـا سـوى عيـون جـواري

فنهـاري مـــن فَقْــده مثـل لـيلي ... بعـــد ليـــلٍ بوصـــله كالنهـــار

يـا ابـن تيميّـة، ويـا أوحـدَ العـصـ ... ــر، ويـا سـيدًا غريـبَ الـديار

كنـت كـالكهف ملجـأً لمخيـف ... مـن ضـلال، ونـاصرًا[3] باقتـدار

إن دعـوتُ البكـاء بعـدك والـصبـ ... ـر أجاب البكـا، وولَّـى اصطباري

فرجـائي إن ينقطـع مِـن وصـال ... سوف يبقى حزني مدى الأعمار

كنـت حِبًّـا للمتقـين إمامًـا ... فَـالْقَ مـا قـد وُعِـدْتَ مـن سَـتَّارِ

غافرِ الذنب قابل التوب ذي الطو ... ل، العزيــز المهــيمن الغفَّــارِ

وعـــلى نفـــسك الزكيـــة منِّـــي ... يـــا منـــائي ومنتهـــى أوطـــاري

كـــلّ وقـــت: تحيّـــة وسَـــلام ... مـــا أضـــاءت كواكـــبُ الأســحار

تمت، والحمد لله وحده.

****

---

(1) العرار: نبت طيب الرائحة.

(2) زيادة لازمة يستقيم بها السياق، وفي النسخ: «وشيخًا».

(3) كذا في الأصول «مخيف» ولعلها محرفة عن «مخوف». و(ف): «وناصر».

للإمام نجم الدين إسحق بن ألمى التركي[1]، يجيب صدر الدين ابن الوكيل، في قصيدة هجا بها شيخ الإسلام أحمد ابن تيميّة، وزَعَم أنه لما خرج من دمشق في محنته الأولى مُطِرت السماء:

مَن مبلغٌ عنّي الخبيثَ مقالةً ... كالسيف أَقْصَمَ ظهرَه بفرِنْدِه
أزَعَمْت إذ غاب الإمام همى الغما ... مُ؟ كذبتَ، بل بكت السماءُ لفقده
أوَ ما ترى شمسَ الضحى في مأتم ... والجوّ قد لبس الحداد لبعده
فَلَيَدْخُلَنَّ لأرض مصرٍ آمِنًا[2] ... بسكينةٍ حفَّت به من عنده
ولَيرْجِعَنَّ إلى دمشق مؤيَّدًا ... حقًّا، كما عاد الحسامُ لغِمْده
وترى بعينك ما يسؤوك من عُلًا ... يفنى الزمانُ، ولا نفادَ لمجده
أظللتَ من حمقٍ به متشبهًا ... أين الثعالب في الشَّرَى من أُسْدِه
مَخَضَتْكما أيدي الزمان، فكنت كالز ... بد الجفاء، وكان خالص زبده
فاستر معايبَك التي سارت بها الرّ ... كبان في غَور الوجود ونجده
فكفاك مقتًا أن تكون محارِبًا ... لوليّ ربِّ العالمين وعبده

تمت، وهي عشرة أبيات.

****

(١) تقدمت ترجمته (ص٤٥٢).

(٢) (ك) غير محررة ورسمها «أمامنا».

للشيخ شمس الدين الذَّهبي مرثية في الشيخ رحمه الله[1]:

يا موتُ خذ من أردت، أو فَدَعِ ... محوتَ رسمَ العلوم والورع
أخذت شيخ الإسلام وانفصمت ... عُرى التُّقى، واشتفى أولو البدع
غيَّبْت بحرًا مفسِّرًا، جبلًا ... حَبرًا، تقيًّا، مجانب الشبع
فإن يُحَدِّث، فمسلمٌ ثقةٌ ... وإن يناظر، فصاحبُ اللّمع
وإن يخُضْ نحوَ سيبويه يفُهْ ... بكلّ معنًى في الفنّ مخترع
وصار عالي الإسناد حافِظَهُ ... كشعبةٍ، أو سعيدٍ الضبعي
والفقه فيه، فكان مجتهدًا ... وذا جهاد، عارٍ من الجَزَع
وجوده الحاتميّ مُشتهر ... وزهده القادريّ في الطمع
أسكنه الله في الجنان ولا ... زال علينا في أجمل الخِلَع
مَعْ مالك، والإمام أحمد، والنْـ ... ـنُعمان، والشافعيّ، والنخعي[2]
مضى ابن تيميّة، وموعده ... مَعْ خَصْمه يوم نفخة الفَزَع

تمت، وعدّتها أحد عشر بيتًا.

****

(١) وهي بتمامها في «الرد الوافر» (ص٧٣)، و«التبيان لبديعة البيان ـ ضمن الجامع» (ص٤٩٤).
(٢) (ك): «والخلعي»، وكتب في الهامش: «لعله النخعي».

وقال بعضهم في شيخ الإسلام تقيّ الدين ـ قدَّس الله روحه ـ:

الحمد لله حمدًا دائمًا أبدًا ... مباركًا طيِّبًا يستغرق العددا
ثم الصلاة على الهادي وعِتْرته ... وصحبه وذويه الصفوة السُّعَدا
بهم وهم خير مأمول وأكرم مَرْ ... جُوٍّ وأعظم مقصود لمن قَصَدا[1]
قد أنجز الله للأبرار ما وُعدوا ... من رَفْع نازلة مَسَّت إمام هدى
وأصلح الله ذاتَ البين وانفرجت ... شدائدٌ فكَّكت أهوالُها الزردا
وأغمد الله سيفًا كان مُشتهرًا ... وأطفأ الله جمرًا كان قد وَقَدا
وألَّف الله ما بين القلوب على التْـ ... ـتَقوى، وعرَّفها طُرْق الهدى وهدى
فأصبح الناس في صفوٍ بلا كدَرٍ ... من بعدما كان كلُّ عَيشُه نكِدا
وَعْدًا على الله حقًّا نصرُ ناصره ... كذا عليه به القرآن قد شهدا
ولم تكن محنة، بل منحة جمعت ... لُطْفًا خفيًّا، ولطفًا للعيون بدا
فيها بصائر للمستبصرين بها ... يُنْبي لمن غاب عنها مَنْ لها شهدا
فداوِموا شكر نُعْمَى كالحيا وكَفَتْ ... على الورى وكَفَت كلّ الأنام ردى
فيا لها نعمة عمّت سلامة من ... بالروح يُفدى وقلّت أن تكون فدا
فهو الإمام الذي ما زال عند ذوي الـ ... أحكام في سائر الأحكام مجتهدا
إن قيل من هو؟ فاطرَبْ عند ذاك وقل: ... نَجْل ابن تيميَّة فاشدد به عضدا

---

(١) في هامش (ك): «هذا البيت فيه إطراء فتأمله. كذا في المنقول عنه. أبو إسماعيل يوسف حسين عفي عنه».

أو قيل: مِنْ وُلْدِ مَنْ هذا الكريم؟ فقل: ... من وُلْدِ مجدٍ علا، أكْرِم به ولدا

مولًى له في جلادٍ أو مجادلة ... لواء نصر وتوفيق قد انعقدا

تهاب مجلسَه العالي الملوكُ، ومَن ... يُخشى سَطاه، ومن لم يَرْهَبِ الأسدا

من أجل تعظيمه للحقّ لو وقف الْـ ... ـلَيثُ الهصور لديه راح مرتعدا

وكونه تَرَكَ الدنيا وزينتها ... زهدًا ولا سَبَدًا أبقى ولا لَبَدا

تصغى المسامِعُ ليتًا[1] عند منطقه ... كأنما السمع بالألفاظ قد عُقدا

وتُذْكِرُ[2] اللهَ ذكراهُ ورؤيتُه ... تذكار واجد ما قد كان قد فُقِدا

ترى ازدحامًا على أبوابه أبدًا ... إما لكسب علوم، أو لنيل جَدا

لم يَدْعُ يومًا على من خاض في دمه ... بغيًا، ولا لام ذا لوم ولا حَقَدا

وربما استغفر الله العظيم لمن ... عمدًا عليه اعتدى، أو قَتْله اعتمدا

كذا يكون فتى الفتيان، لا رجل ... يكون[3] كالنّمر الضاري إذا حَرَدا

«هذي المكارم لا قَعبان من لَبَنٍ» ... لا يكفيان لبعض الجائعين غدا

له صفات كنَشْر الروض تالدةً ... غِبَّ العهاد[4] عليك الريح مفتقدا

أو كالنجوم التي تهدي أخا سَفَرٍ ... ليلًا، إذا ظل في الظلماء منفردا

---

(١) (ف): «لينًا». وفي هامش (ك) ما نصه: «لعله (ليتًا) بالتاء المثناة. والليت: صفحة العنق، وفي الحديث: «**ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا**»، والله أعلم».

(٢) (ف): «ويذكر».

(٣) سقطت من (ف).

(٤) النسخ: «العماد» ولعلها مصحفة عن «العهاد».

عليه ألبابُ أربابِ التّقى عكفت ... ومجتنى الشهد لم يُعْكَف عليه سُدَى
مَن للمسائل، إن أعيت غوامضها ... يحلّ مشكلها المستصعب العقدا؟
ومن إذا رُصَّ بالسادات مجلسُه ... يكون في صدره صدرًا إذا قعدا
يكاد يسلبُ ألبابَ الرّجال بما ... يرويه مما يزيد المهتدين هدى
مِنَ العلوم التي عن ربّه صدرت ... ومِن حديثٍ عن المختار قد وردا
وعن صحابته والتابعين، وعن ... أئمة ساد مَنْ عنهم روى سندا
أم من يشنّف أسماعَ الأنام بما ... يربو على الدرِّ منثورًا ومنتضدا
سوى الإمام تقيِّ الدين أحمد تا ... ج العارفين، وقاه الله كلَّ ردى
ومن يحدِّث عن بحر، فلا حرج ... عليه، بل هو مأثوم إذا اقتصدا
وكم بمصر وبالشام الشريف فتًى؟ ... لكن بمجموع هذا الحَبر ما وُجِدا
كفاه آيةَ تأييدٍ سِعايةُ من ... سعى، ولم يستطع يؤذي له جسدا
لكنه حين حاز السّبْق من صغر ... وفاق كلَّ كبيرٍ فاق[1] وانفردا
وحاز علمًا لَدُنيًّا، ومنقبةً ... تفتتت منه أكباد العِدَى حسدا
فأجمعوا كيدَهم يبغون فتنته ... فما أعان عليه ربُّه أحدا
ولم يطق حاسد[2] في الأرض قاطبةً ... بأن يَمُدَّ بمكروهٍ إليه يدا
وكان سيفًا على الأضداد مشتهرًا ... فحاولوا أن يكون السيفُ منغمدا

---

(١) كذا في الأصول، ولعلها «فات». و(ف): «لما حاز».

(٢) (ف): «حاسدًا».

ومن يصدُّ سنا شمس إذا طلعت ... أو يحجب البدر إن شقّ الدّجى وبدا

ونور ربّك لا يُطفى، وإن[1] حرص الـ ... ـخِبُّ اللئيمُ على الإطفاء واجتهدا

وقد درى كلّ ذي خُبْرٍ بأنَّ له ... من فيض بحر عطايا ربّه مددا

وقد علمتم به لمّا ادّعاه إلى ... مصر الذين علمتم ما بها وُجِدا

فاسترشَدَ اللّهَ في الإصدار[2] عن بلدٍ ... نَبَا بِه، واستخار الله، ثم غدا

فاختار مسراه مولاه ووفّقه ... فيه، وهيَّا له من أمره رشدا

وسار والله يكلؤه ويحرسه ... وكيف لا وعليه كان معتمِدا

والشمس ما حُجبت بالغيم عن بلد ... إلا أنار سناها غيره بلدا

فالدرّ لو لزم الأصداف ما ارتفع الْـ ... ـلَبّات، وارتكب التيجانَ واقتعدا[3]

لم يُبْقِ توديعه يوم الرحيل لذي ... صبرٍ وذي جَلَد صبرًا ولا جَلَدا

كأنّ حاديه يومَ استقلّ به ... مسيره نحو مصرٍ بالقلوب حدا

فاستعبرتْ أعْيُنٌ كادت لفُرْقته ... تَبْيَضُّ حزنًا وأولاها البكا رمدا[4]

هذا، وكم قد قضى ظامٍ إليه ولم ... يُقْضى له قبل وَشْك البين أن يردا

---

(١) (ف): «ولو».

(٢) النسختين: «الاضداد»، ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) البيت في (ف):

فالدر لوازم .... اللبـ ... ـاب، .... وانعقدا

و«ارتفخ» كذا في النسخ. ولعله محرف عن «ارتفع» أو نحوها..

(٤) سقط قوله: «حزنًا وأولاها... يقضى له» من (ف) وهو انتقال نظر.

وما يَضُرُّ فتًى حالت منيتُه ... دون الأماني إذا ما عُدَّ في الشهدا

فحلَّ مصرَ عزيزًا عند مالكها ... وفي مهمَّاته أضحى له عَضُدا

لتُشْرق الدولة الغَرّا بِهِ، وإذا ... أضلّ جهلُ جَهولٍ بالعلوم هَدى

ويأمر الناسَ بالتقوى ويخبرهم ... بسنة المصطفى، فعلًا ومعتقدا

ولا يزال بأعلى فرق منبره ... منزَّهًا أحدًا في ملكه صمدا

وفي مجالسه اللاتي يحفّ بها ... ملائكُ الذِّكْر تُحصي مَن لها شهدا

يدعو لسيدنا السلطان ناصر ديـ ... ـن الله نجل قلاوون الفتى أبدا

بأن يدومَ له في الملك أربعة: ... عزّ، ونصر، وتأييد، وكَبْت عِدَى

حتى يُمَلِّكه الله العراق فيمـ ... ـحو الشركَ، والرفضَ منها، والذي مردا

وعاد مِنْ مصر نحو الشام في دَعَة ... مصالحًا، مصلحًا ما كان قد فسدا

فحين وافى دمشق الشام محترزًا ... من حَلِّ عقد ودادٍ للورى عقدا

رَوّى صَدَى مهجٍ قد طالما ظَمِئت ... إليه شوقًا، وجلَّى للقلوب صدا

وجاءنا بعد يأس مثل عافية ... جاءت عليلًا، فلما لابسته هدى

ولاح شمسٌ على روض وسحَّ ندًى ... والشمس عادتها في الروض رفع ندى

واخضرَّ روضُ الأماني ثم فاح شذًا ... بانُ الحمى، وتغنَّى وُرْقه، وشدا

وصفّق النهر، والأغصان قد رقصت ... مَسَرَّة بفتًى من مصر قد وردا

وسُرّ أهلُ التقى من كلِّ طائفة ... أن عادَ أكرمَ مما كان حين بدا

وأنجح الله في الدنيا مقاصدَه ... وسوف يؤتيه أجرَ الصابرين غدا

فادعوا له، ولمن[1] كان السفير له ... حتى ألمَّ بكم مِنْ بعد ما بَعُدا
وحقَّقَ الله ما أمَّلتموه له ... وصار كلٌّ بكلٍّ عيشه رغدا
فقل لقوم شقوا: زال الشقاء إلى ... أعدائكم، وبقيتم أنتم السُّعَدا
عين أصابت، ولكن عين عائنه ... ألا تروه رقاد الموت قد رقدا
والله ما خيَّب الله الدعاة له ... من كلِّ عبدٍ له يدعو إذا سجدا
لكن أجابَ وأعطى فوقَ ما طلبوا ... فالحمد لله حمدًا دائمًا أبدا

تمت بحمد الله وعونه[2] وحسن توفيقه.

****

أنشد هذه القصيدة الشيخ الأجل شمس الدين أبو الثناء محمود بن خليفة بن محمد بن خلف المنبجي: قال: أنشدنا لنفسه جميع هذه القصائد: الشيخ الإمام سعد الدين أبو محمد سعد الله بن بُخَيخ[3] في مدح شيخ الإسلام تقيّ الدين ابن تيمية ـ قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه، ورحمه وعفا عنه ـ:

أيها الماجدُ الذي فاق فخرًا ... وسما رِفْعة على الأقران
يا إمامًا أقامه الله للعا ... لَمِ هادٍ باللطف والإحسان[4]

---

(١) (ف): «وإن».

(٢) من (ف).

(٣) في (ف، ك): «نجيح» تحريف، والتصحيح من (ح). وانظر (ص٣٥٩).

(٤) (ك): «للعالمين» وعلق في هامشها: «لعله: للعالم».

يا غريب المثال، يا موضح الإشـ ـــكال بالبيّنـــات والبرهـــان

يـا تقـيّ الـدنيا مـع الـدين، يـا مَـن خُـصَّ بالفـضل واكـتمال المعـاني

لا تمـلّ العُـوَّاد إن أكثـروا الـتّرْ داد أو أقــدموا[1] بــلا اسـتئذان

أنـت روح الوجـود في عـصرك الآ ن وقلـب الـورى، وعـين الزمـان

والبرايـــا إذا اعتـــبرت جميعًـــا منـك أضـحوا بمنـزل الجـثمان

وإذا الــداء خــامر الــروحَ والقلـ ـــب تعــدّى الــدّا إلى الأبــدان

فجـديرٌ بـسائر الـصّحْب إن هـم[2] أطنبـــوا في الـــسؤال للـــرحمن

أن يُـدِمْ[3] ظلَّـك الظليـل علـيهم سـالمًا مـن طـوارق الحَـدَثان

بـالنبيّ الهــادي محمــدٍ المبــ ـــعوث بــالمعجزات والقــرآن

وبأصـــحابه مـــع الآل والأز واج والتــابعين بالإحــسان[4]

صـلوات الإلــه تـترى علـيهم وعليـــه مـــا أشرق النـــيِّران

تمت و[5] عدتها ثلاثة عشر بيتًا.

****

---

(١) (ف): «وأقدموا».

(٢) (ف): «إنهم».

(٣) أشار في هامش (ك) إلى نسخة بـ «يديم» لكن ينكسر الوزن بها.

(٤) (ف): «لهم بالإحسان» ولا يستقيم البيت بها.

(٥) «تمت و» من (ف).

وله رحمه الله:

يا من له فِطْنة فاقت ذوي الفطن   يا ذا المناقب[1] والأفضال والمنن

يا من أواليه في سِرّي وفي عَلَني   لا تَلْحُني في انخزالي عن[2] بني الزّمن

ولا اغترابي عن الأهلين والوطن

يا من لدين هواه بتُّ معتقدًا   ومَن بذيل هواه ظَلْت معتضدا

كن لي عذيرًا فلا نلتُ العداة غدا   ولا تلمني إذا أصبحتُ منفردا

عن الوجود بلا خِلّ ولا سكنِ

كم جهد مثلي أن يُخفي تملْمُلَه[3]   عن الوشاة، وأن يُخفي تحمّله

إن نمَّ دمعي بأسراري يحقّ له   فبي من الوجد ما إنْ لو تحمّله

رَضوى لذاب جوى، أو يَذْبُل لفني[4]

لكنّ قلبي، وإن ضاقت مسارحه   لما حوته من البلوى جوارحه

به غريمُ غرامٍ لا يبارحه   ولي من الفكر ندمان أطارحه

ما بي، فأفهم ما أشكو[5] ويفهمني

شُغِلت فيه به عمّن سواه فما   أُلْوِي على صَرْف دهرٍ جار أو رَحِما

---

(١) (ف): «يا ذ لمناقب» وكتب فوقها: كذا.

(٢) (ك): «تلجني». (ك، ف): «انجذابي من» و(ط): «في انخذالي»، والمثبت من (د).

(٣) (ف): «تمlله».

(٤) تحرف «رضوى» في (ف): «رضى». و«رَضوى، ويَذْبُل» جبلان مشهوران. «معجم البلدان: (٣/ ٥١، ٥/ ٤٣٣).

(٥) (ف): «أشكر» وكتب فوقها: كذا.

ولا أبـالي أُذيـع السّرُّ أو كُتما وكيف أصبح بالأغيار ملتئما[1]

وبعض ما بيَ عن إيَّاي يشغلني

هذا ولو أُضْرِمت في القلب نار غضًى ما ازددتُ إلا ابتهاجًا بالهوى ورضا

لكنّ جوهر صبري مذ غدا عَرَضًا أنشدت قولَ الفتى الجِيليّ متَّعِظا

به ومن مثل قول السيد الحسن[2]

مخاطبًا لجهول بات يؤلمه عَذْلًا، ويلحاه فيما ليس يعلمه

عَنّي ملامك إني لست أفهمه وربّ وقت وجودي فيه أسأمه

دع الأجانب بل روحي تزاحمني

تمت.

****

وله فيه أيضًا ـ رحمه الله ورضي عنه ـ:

يا عالمًا جلَّ عن ضدٍّ يضاهيه وفاق أقرانه فيما يعانيه

يا ذا الفضائل، يا زين الأماثل، يا مُردي المماثل، يا مُوهي مُناويه

إيضاح فضلك لا يحتاج تكملةً لكن مفصَّله عن ذاك مجزيه

يا من إذا رُمْتُ أن أحصي مناقبه نظمًا ونثرًا وأنشيه وأرويه

حصرت لولا سجاياه تهذّبني لما ظفرت بمعنًى من معانيه

---

(١) (ف): «بالاعبار ملتهمًا». وفي هامش (ك): «منقول عنه: ملتهمًا». و(د): «ملتهمًا» وفي نسخة كما هو مثبت.

(٢) (ف): «به ومن قول سيد الحسني».

مُحرّر المجد في مدحيك لخصّ[1] لي هدايـةً أرْشَـدَت إرشـاد تنبيـه

يـا عمـدة المُقْتـدي حقًّـا ومقنعـه فـيما يـروم، وكافيـه ومُغْنيـه

ويـا نهايـة طـلّاب الرعايـة مـن وسـيط علـم وخـيرٍ أنـت حاويـه

يـا غُنيـة المبتغـين الرّشْـد مـانحهم فتـوحَ غيـبٍ أتـى مـن عنـد باريـه

أبديت تعجيز أهل النظم فاعترفوا بالعجز عن كُنه ما أصْبَحْت تُبديه[2]

لله كـم مَيْـتِ علـمٍ أنـت تنـشره مـن بعـد مـا كـادت الأيـامُ تطويـه

وكم حصون ضلال أنت هادمها قهرًا، وكم قول غاوٍ أنت موهيه

بَيّنـتَ إفسادَ مـا قـد حللـوه لهـم تبيـينَ تحـريمٍ لا تبيـينَ تنزيـه

من الدياثة[3]، حيث الجُعْل يبذله الـ ـمسكين مـن كفِّـه، كـيما يكافيـه

وقمت بالحقّ في ذا العصر مجتهدًا في نَـصْره مُـبطلًا دعـوى أعاديـه

يا حجةَ الله في هذا الزمان على الـ ـوجود مـا بـين قاصـيه ودانيـه

يـا مـن بـراه إلـٰه العـرش داعيـة إلى الهـدى بلطيـف مـن تأتّيـه

يا كاشف المشكلات المعضلات لنا بـأبلجٍ مُـستنيرٍ مـن فتاويـه

---

(١) (ف): «أخص».

(٢) كتب أمام هذا البيت في (ف) في طرّة الصفحة (١٧٨): «تمت، وله أيضًا يذكر ذلّ الخصوم رحمه الله». وصواب مكانها قبل قوله: «لئن نافقوه...» كما سيأتي.

(٣) (ف، ك): «الديانة». و(ط) كما هو مثبت ولعله الصواب.
ويشير في هذين البيتين إلى مسألة نكاح المحلل، وصنَّف شيخ الإسلام في بيان المسألة كتاب «بيان الدليل على بطلان التحليل».

يـا مَـن أبـى مِقْـوَلي إلا مدائحـه ... ولـو مـدحت سـواه كنـت أعنيـه

ومــن حــداني إلى أني أخاطبــه ... بالمـدح، حتـى كـأني لا أناجيـه

إلا مخافة ذي جَهْل[1] وذي حسد ... يلحـى، فيعـرب عـمّا فيه مِـنْ فيه

وإن تعـرَّض ذو ضِـغْن تلـوتُ لـه ... «فــذلكنّ الــذي لمُتنّنــي فيــه»

تمت[2].

****

وله أيضًا يذكر ذلّ الخصوم رحمه الله:

لئن نافقوه، وهو في السجن، وابتغوا ... رضــاه، وأبــدوا رِقَّــةً، وتــودّدا

فـلا غَـرْو أن ذلّ الخـصومُ لبأسـه ... ولا عجبٌ إن هـاب سَـطْوته العِـدا

فمِـن شـيمة العـضب المهنَّـد أنـه ... يُـخاف ويُرجى، مغمـدًا و مجـرَّدا

****

وله أيضًا فيه يمدحه رحمه الله تعالى:

أيـــا مَــن مناقبــه فـــاخرهْ ... ويــا مَــن مواهبــه غــامره[3]

ويــا مــن ســحائب إفــضاله ... بآمـــال آمالهـــا مـــاطره

ويــا مــن لــه همــة لم تــزل ... بُــنْجح مقاصــده ظــافره

ويــا مَــن عزائمــه لا تَنِــي ... إلى درجــات العُــلا ســائره

---

(١) (ك): «مَحْل».

(٢) ليست في (ف).

(٣) (ف، ك): «عامرة»، والمثبت من (ح).

ويـا ليـث حـرب إذا مـا سـطا تـذلّ لـه الأُسُـدُ الكـاسره

ويـا طـود حِلْـم إذا مـا جنـى عليـه امـرؤ ينثنـي عـاذره

وإن نـال منـه بـسوء المقـالِ وقُـبْح الفعـال غـدا غـافره

ويـا بحـر علـم تكـاد البحـارُ تفـيض بأمواجـه الزاخـره[1]

ويـا مَـن أدِلَّتـه بالنـصوص لأخـصامه أبـدًا قـاهره

ويـا مَـن بـراهين أقوالـه كشمس الضحى إذْ بدت سافره

ويـا مَـن عـوارف عرفانـه تفـوقُ عـلى الأنجـم الزاهـره

ويـا مَـن صـوارمُ آرائـه لأعنـاق أعدائـه بـاتره

ويـا قـدوةً يقتـدي العـارفون بنـور هدايتـه الـوافره

ومَـن قَـصْده بهـدى الطالبيـنَ يؤيّـد باطنُـه ظـاهرَه

ويـا داعـي الخلـق في عـصره إلى الحـقّ بـالحُجَج البـاهره

ويـا مَـن مكـارمُ أخلاقـه زكـت بعنـاصره الطـاهره

ويـا مَـن بـدائع أوصـافه تُعـين عـلى مدحـه شـاعره

ومـاذا عـسى يَبْلـغ المـادحون مـن القـول بـالفِطَن القـاصره[2]

ومجـدك قـد أعْجَـز[3] الواصفيـ ـن وصـيَّر آذانهـم حـائره

ولكـنّ ذلـك جهـد المقِـلّ فكـن بـالقبول لـه جـابره

---

(١) (ف، ك): «الزاهرة»، و(ط) كما هو مثبت، وهو الصواب.

(٢) (ف): «القاهرة»، (ك): «الطاهرة»، وكتب في الهامش: «بدله: القاصرة».

(٣) (ف) ونسخة في هامش (ك): «أعز»، و(ك): «أعيى»، وما أثبته من (ح).

أيـا مَـن دعـائي ويـا مَـن ولائـي وفـــائح أثنيتـــي العـــاطره[1]

لعليــــاء حــــضرته دائــــمًا تـــــردّد واردة صــــــادره

لعمــرك إن كــان حظِّــي غــدًا مِـــــنَ الله في داره الآخـــــره

كــما هـــو عنــدك في هــذه «فتلـــك إذًا كــرَّة خــاسره»

****

وله أيضًا فيه يمدحه رحمه الله تعالى:

اللّــهَ نـشكُر مخلـصين، ونحمـد ولــه نعظِّــم دائــمًا، ونُوَحِّــد

وبفضله[2] الضافي نلوذُ ونلتجي وإليــه نــسعى مُــخبتين ونَحْفِـد

وبه نـصول ونـستعين عـلى العِدى إذ لا ســـواه لنـــا إلـــٰه نَعْبُـــد

فلـه الثنـا والمجـد، إذ هـو أهلـه ولــه الجلالــة والبقــاء الــسرمد

مــولًى حبانــا في فتــور زماننــا بفتًــى يثقِّــف ديننــا ويـــسدّد

أعنـي تقـيّ الـدين، أكمـل سـيّد لــدعائم الــشرع الــشريف يــشيّد

العـالم الـوَرِع المحقّـق، والـذي مــن دون رتبتــه الــسُّهى والفرقــد

من جاد بالنفس[3] النفيسة منه في ذات الإلـــٰه ولم يَرُعْـــه تهـــدّد

---

(١) (ف): «وفاتح... العاصره».

(٢) (ك، ح): «وبذيله» وكتب في هامش (ك) ما نصه: «ظ: بفضله، كذا في هامش الأصل، ولكن الظاهر عندي في متن الأصل. والله أعلم. أبو إسماعيل يوسف حسين. وفي (ف) كتب في الطرّة مقابل البيتين الأولين رمز (ظ) مرتين.

(٣) (ف): «في النفس».

مَـن لم يخـف في الله لومـةَ لائـم كـلّا، ولم يرجعـه عنـه مُفَنّـد
حَـبر حبـاه الله جـلّ جلالـه بـصفات مجـدٍ في عُـلاه تـخلّد
هـو بحـر علـم، طـود حلـم راسخ في الحـقّ لا وانٍ ولا مـتردّد
صـدرٌ لديـه تحبّـب وتـألّف للمـؤمنين ورأفـة وتـودّد
وكـذاك فيـه عـلى المنـافق غِلْظـة وتمنّـع، وتـصَعّب، وتـشَدّد
هـو قـائم لله يهـدي خلقَـه أبـدًا إلى سُـبل النجـاة ويرشـد
فلـذاك أصـبح للبريّـة قـدوةً في العـصر إذ هـو فيـه قُطْـب مفـرد
لـك يـا أبـا العبـاس، أذْعَـنَ فرقـةٌ من قبل قـد كانـت لحقّك تجحَد
ضاقت بهم سَعةُ الفضا مذ عـاينوا لـك كـلّ يـوم رفعـة تتجـدّد
ورأوك ممتـازًا بحـسن مناقـب ليـست لغـيرك في زمانـك توجـد
فعراهم الحسدُ المضلّ فأصبحوا ولـديهمُ منـه المقـيم المُقْعِـد
إن يحـسدوك فغـير بِـدْعٍ مـنهمُ جَـمُّ الفـضائل لا محالـة يُحْـسَد
رامـوا بلـوغَ مقامـك العـالي، ومـا علمـوا بأنّـك في المعـالي أوحـد
فدعا بهم داعي قصورهم: اخْلُدوا ومع الخوالف ما حييتم فاقعدوا[1]
لما نأت عَزَماتهم عن شأوك الـسْـ سَامي[2]، وصُدّوا عن حِماهُ وأُبْعِدوا
همّـوا بـأمر لم ينـالوا منـه مـا طلبـوا، لقـد ضـلوا ولمّـا يهتـدوا
ورمـوك بالإفـك الفظيـع، وأطنبـوا بـالقول فـيما زوَّروا، وتقلّـدوا

(١) (ف): «فاقعد».

(٢) (ف): «الشامي».

وبغـوا عليـك بـما افـتروه تعمّـدًا وسـجيّةُ البـاغين أن يتعمّـدوا

لم يتركـوا شـيئًا بـه يتوصّـلوا طَمَعًـا إلى مـا قـرَّروه وأكّـدوا

إلا نَحَـوه، وبـالغوا في جهـدهم لكـن سعدتَ وإنهـم لـن يسعدوا

حتى إذا مـا استيأسوا مـن نيـل مـا كـانوا جميعًـا حـاولوا وتقـصَّدوا

خـافوا سـطاك فـأجمعوا آراءهـم أن يودعـوك السّجن، ثـم يخلّـدوا

فـابى إلـٰهك أن ينـالوا منـك مـا رامـوا، وهـل يزكـو لبـاغٍ مقـصد

مـا ذاك إلا حـال يوسـف حُزتـه إرثًـا حبـاك بـه الكـريم المرفـد[1]

فبلغـتَ فيـه مـن الرياضـة فـوق مـا تختـاره، وَصَـفا لـديك المـورد

ثـم انقـضت أيـامُ خَلْوتـك التـي كَمُـل العـلاءُ بهـا وتـمَّ السّؤدد

وبـرزتَ كـالإبريز فـارق كِـيْرَه فاحتـار فيـه الجِهْبِـذ المـستنقد

وظهـرتَ كالـصبح المنير إذا بـدا في الأفـق فانقشع الظلامُ الأسـود

وشُهرت كالعَضْب المجرّد مقسمًا في غـير هـامِ عِداتـه لا يغْمَـد

فهنـاك أُعْقِـد للجـدال مجـالس كـانوا أرادوا أنهـا لا تعْقَـد

فرأوا نكولًا عـن جـدالك خيفـة[2] وتذبْـذَبتْ آراؤهـم وتفنَّـدوا

حتـى إذا أُمِـروا بـذاك وأيقنـوا أنَّ الخميس، ولا خلاف الموعـد

حشدوا عليك جموعَهم وتحزَّبـوا وتواثبـوا وتحفَّلـوا وتجـرّدوا

---

(١) (ف): «إربًا حباك» وفوق الأخيرة رمز (ظ).

(٢) (ف): «خفية».

وحموا عصابتك الحضور وحاولوا [أن يغلبوك][1] إذا هُمُ لك أفردوا
فنهضتَ معتصمًا بربّك واثقًا متوكّلًا تثني عليه وتَحْمد
وإليه أخلصتَ التوكّل موقنًا أن ليس يُخْذَل من به يَسْتنجد
ثم استخرت الله واستفتحته فيما تروم من الأمور وتقصد
فحباك منه عواطفًا ولواطفًا يفنى الزمانُ وذكرُها لا يَنْفَد
وأتاك نصر الله والفتح الذي بهما جميعًا كنتَ منه توعَد
فوثبتَ وثْبَة ثائرٍ لله لم تحفل بما حشدوا، ولا ما جنَّدوا
أبديتَ من كنز العلوم غوامضًا مكنونةً لولاك كانت تُفْقَد
أسْمَعْتهم[2] منها لِمَا لم يسمعوا وأتيتهم منها بما لم يَعْهدوا
أسندتها ورَوَيتها نصًّا كما جاءت معنعنةً، فيالك مُسند
حَصِرت صدورُهم عن استفهامها وتحيَّروا لسماعها وتبلَّدوا
وبدا لهم ما لم يكونوا يحسبوا مما يسوؤهمُ ومما يُكمِدُ
فاسعد بها من مِحْنة في طيِّها مِنَح أقرَّ لها الجَحُود الملحد
نِلْت الفَخار بها وحزتَ مآثرًا سُرّ الصِّحابُ بها وغُمَّ الحُسَّد
وغدوتَ فيها كابن حنبل تاليًا تقفو جميلَ جماله وتجدّد
أخمدت نار جهالة، ما خِلتُها لولا جهادك واجتهادك تُخْمَد

(١) (ك): «وجادلوا». والشطر الثاني أوله بياض في النسخ. وكتب في هامش (ك): «كذا في الأصل بياض» أبو إسماعيل يوسف حسين. وفي هامش (د): «لعله: أن يغلبوك» ومنها أثبتناه بين معكوفين.
(٢) (ك): «أسمعته».

أرْضَيتَ ربّك إذ أضفتَ كلامَه ... حقًّا إليه، وليس فيه تردُّد

وكذاك أثبتَّ العلوَّ والاستوا ... من غير تكييفٍ وحصرٍ يوجد

ونزول خالقنا إلى أدنى سما[1] ... ليلًا، كما صحّ الحديثُ المُسْنَد

وذكرتَ أسماء الإلٰه، ولم تَزِغ ... ميلًا إلى ما حرَّفوه وألحدوا

ورويتَ أخبار الصفات وآيها ... مَرًّا، كما نقل الثقاتُ وجوَّدوا

ونصرتَ ملّة أحمد الهادي، وقد ... أيّدت سنته، فأنت مؤيّد

وأقمت مذهب أحمد الثبت الصبو ... ر على الأذى، فلك الهنا يا أحمد

أوضحتَ منهجه السويّ[2] وأنه ... مُذ كان فهو المستقيم الأرْشَد

وأثرتَ محنته وقمت مقامه ... في العصر تُرْغم شانئيك وتُكْمِد

فاحمد إلٰهك، إنّه لك ناصر ... وابشر فعاضدك النبيّ محمّد

المصطفى الطَّهِر الزكيّ المجتبى ... الهاشميّ الأبطحيّ السيّد

خير الورى وأجلّ مَن وطئ الثرى ... وأبرّ مبعوثٍ به يُسْترشد

صلى عليه الله ما سَجَعت ضحًى ... وُرْقٌ على أعلا الغصون تغرِّد

وعلى صحابته الكرام وآله ... والتابعين لهديه وبه هُدوا

والحمدُ لله العميم نواله ... والحمدُ [أفضل][3] ما يقال وأوكد

تمت، والحمد لله وحده.

---

(١) (ف، د): «هذي السما». وأشار في هامش (د) إلى نسخة بما هو مثبت.

(٢) (ف): «النبي»، (ح): «النبوي».

(٣) بياض في الأصول، وتركه بياضًا في (ك) وأشار في الهامش أنه كذلك في الأصل. وقدر البياض في (ط): «أفضل». وفي هامش (د): «لعله: أحق ما يقال. وكتب تحتها: أفضل».

وله أيضًا يمدحه[1] ـ رحمه الله ورضى عنه ـ:

الحقُّ حصحص لا عذرٌ لمعتذرِ ... وقد تحقَّقه من كان ذا بَصَر
وفاح عَرْفُ شذاه في الوجود فظلْـ ... ـلَ الكون في أَرَجٍ من نشره العَطِر
ولاح لألاؤه في الأفق، فانقشعت ... غياهبُ الإفك من خوفٍ ومن حَذَر
وفَرَّ يُدْبِرُ يمشي القهقرى، واهتكوه ... له تبع تسعون في الأثر[2]
مذبذبين لضعف العزم تحسبهم ... سفرًا [أعَاقَهُمُ][3] جبنٌ عن السفر
ضاقت بهم سَعَةُ الأقطار حين سما ... سموّ قَدْر تقيِّ الدين في البشر
وفاق أنداده في العصر قاطبةً ... بالعلم والحلم، والتفسير، والنظر
وامتاز بالدرجات العاليات على ... شيوخ أشياخهم في سالف الدَّهَر
كانوا يظنون أنّ العلم منحصرٌ ... فيهم إلى أن أتاهم أحمد الأثر
ركن الشريعة محيي العدل ناصر ديـ ... ـن الحق، مستنصر بالآي والخبر
ففلَّ بالنصِّ والإجماع جَمْعهم ... فأصبحوا بعد ذاك[4] الحصر في حَصَر

---

(١) (ف): «يمدحه بها».

(٢) كذا البيت في النسختين، وفي هامش (ك): «كذا في الأصل». وأصلح البيت في (ط) وعنها في (د) إلى:

.... هنا ... له توابع تسعى منه في الأثر

ويمكن إصلاحه هكذا:

.... القهقرى (وَهَنًا) ... (وكم) له تبع يسعون في الأثر

(٣) في (ف، ك): «قد أضافهم» ولا يستقيم. و(ح): «قد اعناقهم». وهي الأقرب إلى ما أثبت، وفي هامش (ك): «كذا في الأصل، أبو إسماعيل يوسف حسين عُفي عنه. وأصلحها في (ط): «أصابهم».

(٤) سقطت من (ف).

لا يهتــدون إلى رشــدٍ، وإنهــمُ ... لفي ضلال، وفي غَيٍّ، وفي سُعُر

قد حُمِّلوا حسدًا من عند أنفسهم ... له فهم منه، في همٍّ[1]، وفي فِكَر

تبًّا لهم، ما الذي نالوا بسعيهم؟ ... وما عسى بَلَغوا في ذاك من وطر؟

أيستطيعون أن يمحون ما كَتَبتْ ... يدُ المهيمن بعد الذِّكر في الزُّبُر؟

أم يقدرون على تبديل ما نفذت ... بـه نوافـذ أمـر الله مـن قـدر؟

بل كلما أوقدوا للحرب نار غَضًى ... بالكيد منهم طفاها مُنْزِل السّور

وردّ كيـدهمُ فيهم وأرجعهم[2] ... بالتَّعس والنَّكْس والخذلان والدّبر

واختاره للورى داعٍ إلى سبل الـ ... خيرات، والنفع نَهّاءً عن الضَّرر

واختصَّه منه بالزُّلفى وثَبّته ... بالحزم، والعزم، والتأييد، والظَّفَر

وكم مناقب مجدٍ قد حباه بها ... وزاده بسطةً في العلم والعمر

وكم له في ذُرى العَلْياء مرتبةٌ ... منيفة نالها من بارئ الصور

وكم له من أيادٍ في العطاء غدت ... تُربي على العارضِ الهطّال بالمطر

وهمة في المعالي غير وانية ... تُزري إذا ابتدئت بالصارم الذّكَر

وكم له من كرامات مبينة ... سنَاؤها كضياء الشمس والقمر

وحسبنا عود أهل العُودِ معجزةً ... ما مثلها عبرة تبقى لمعتبر

رؤوس كلّ ضلالات ومحدثة ... وبدعة نشأت في البدو والحضر

---

(١) سقطت من (ف).

(٢) في هامش (ك) ما نصه: «نسخة: «فيه» وهو الصواب، كذا في هامش الأصل. والصواب عندي أن كليهما سواء لا مزية لأحدهما على الآخر» أبو إسماعيل يوسف حسين. و(ف): «وراجعهم».

لمـا اسـتقرَّ لـديهم عُلْـوُ هِمّتـه | وأن سـيرته مـن أكمـل الـسير
وأنّ دعوتـه للنـاس كلهـم | إلى الهـدى باجتهـاد غـير محتـصر
وأنّـه قـائم لله منتـصبٌ | في نُصرة الدين لا يخشى من الخطر
خـافوا سَـطاه، فمـذ حلّـوا بـساحته | وشاهدوا مَـخْبرًا يوفي على الخـبر
وعـاينوا وجهَـه الهـادي، وقـابلهم | منـصور عـزم بـربّ العـرش مقتـدر
وجـاءهم بأسـانيد مُعنعنـةٍ | عـن الهُـداة الثقـات القـادة الغُـرَر
وقـام بـالحجج المقبـول شـاهِدُها | مميـزًا بـين عُـرْف القـول والنُّكُـر
مبرهنًـا بـدلالات منـوّرة | يُهْـدَى لعرفانهـا مـن كـان ذا نظـر
فـأذعنوا عَنـوةً للأمـر حـين رأوا | نـورَ الحقيقـة بـادٍ غـير مـستتر
ولـم يـسعهم ممُـاراةٌ، ولا جـدل | لكـنهم سـلَّموا تـسليمَ مُنْقهـر
وهـذه شـيمةٌ بـين الـورى عُرِفـت | فـيمن يخالفـه مـن سـائر البـشر
إذ قلَّـما فـاء مـنهم للهـدى أحـدٌ | حتـى يُـرى فيـه أنـواعٌ مـن العِـبَر
فالحمـد لله كالِيْـه ونـاصِره | ومجتبيـه وواقيـه مِـن الغِـيَر
وأكمـل الـصلوات الزاكيـات علـى | رسوله[1] المصطفى المختار من مضر
محمـد الـسيد الهـادي وعترتـه | وصحبه الأكـرمين الأنجـم الزُّهُـرِ
صلى الإلٰـه عليهم كلما سجعت | حمائمُ الدَّوح بالألحان في السَّحَر

تمت والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه[2].

---

(١) سقطت من (ف).

(٢) «وحده» من (ك)، و«صحبه» من (ف).

وله أيضًا في تبيين عدم قيام الأصحاب مع الشيخ، حين يَعْظُم الخَطْب، ويقع الحرب:

سبرتُ خلالَ الأصفياء تدبّرًا ... وميّزتُ أحوالَ الصِّحاب تأمّلا

فشاهدتهم في السلم مَن تَلْقَ منهمُ ... تجده محبًّا يدّعي صحّة الوَلا

وعند نزول الخَطْب حاولتُ أن أرى ... أخا ثقةٍ إن أدبر الحظُّ[1] أقبلا

فلم ألق إلا لائمًا مُتبرِّمًا ... ولم أر إلا شاتمًا متعقِّلًا

فلما تحقَّقْتُ التخلّفَ منهمُ ... شطبتُ عليهم شَطْبة الضب: «لا إلى»[2]

تمت.

****

وله أيضًا فيمن أبدى عذلًا في حبّه ومتابعته جهلًا:

سيّان إن عَذَل الواشون أو عذروا ... لا خُبْر عندهمُ منه ولا خَبَر

لاموا على حبّه جهلًا، وما عقلوا ... وعنَّفوا فيه عدوانًا، وما شعروا

ولو رأوا حُسْنَه الزاهي بأعينهم ... كما أراه أقلّوا اللومَ واقتصروا

ولو تجلَّت معانيه الحِسانُ لهم ... وشاهدوها كما شاهدتها بُهِروا

لكنه مُذْ بدا لألاؤه غَشِيت ... أبصارُهم، فانثنوا منه وما نظروا

تمت، والحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله.

---

(١) غيرها في (ط): «الحرب».

(٢) في (ف، ك): «الصب». يشير إلى اصطلاح المحدثين في الضرب على الكلمة أو الكلمات بوضع «لا» في أول الكلمة و«إلى» في آخره.

مرثاة أخرى لغيره:

فقـدَ الأنـامُ فوائـدًا وفـضائلًا … فقدوا من العلم الشريف جلائلا

في موت بحر العلم والحَبر الذي … سلك العلوم مذاهبًا ودلائلا

أعني تقيَّ الدين أوحدَ عصره … قد كان حقًّا بالفضائل عاملا

قد أُوْدِع القبرُ الشريفُ علومَه … عجبًا لوسع القبر بحرًا سائلا

قد كان لا يحتاج طالب علمه … كثر[1] السؤال، وليس يلقى سائلا

قد كان ركنًا في المواعظ جملة … بحرًا عميقًا إن أردت مُسائلا

وإذا رآك يكون حقًّا بادئًا … لك بالسلام مُوادِدًا ومُسائلا

يا ربّ، فارحمه وبُلَّ ثراه بالـ … ـغيث الكريم، معاودًا ومواصلا

يا ربّ وافعل ذا بكلِّ موادِدٍ … ومجاورٍ قبرَ الإمام مؤمّلًا

يا رب وارحمنا، وكلّ مشيِّع … صلى عليه، أو أتاه مُقَبِّلا

من كان مسرورًا به وبعلمه … من بعده، فالحزن أضحى عاجلا

زكّى الإلٰه ثراه، فضلًا منه في … كلّ الزمان، وزاد غيثًا هاطلا

بعد السلام على النبيِّ المصطفى … أعلى البرية في المعاد منازلا

وعلى الصحابة والقرابة كلّهم … والتابعين أواخرًا وأوائلا

تمت.

****

(١) (في): «كثير».

وقال بعضهم في شيخ الإسلام ـ رحمه الله ورضي عنه وجعل الجنة مأواه ـ:

دموعي على صحن الخدود تسيلُ ... وصبري قصير والغرام طويل
على فَقْد مَنْ قد كان للدين ناصحًا ... وكافح أهلَ الشرك وهو فضيل
لفقد تقيّ الدين ضاقت مذاهبي ... وفي كبدي نار الفِراق تجول
إمامٌ كريم، كان لله عابدًا ... وفي زهده شرحٌ هناك يطول
وقد كان للإسلام كهفًا ومسعدًا ... إذا ما أصاب المسلمين نزول
وكان على حكم المهيمن صابرًا ... وفي كلّ ما يُلْقى إليه حَمُول
بشرع رسول الله قد كان قائمًا ... وعن سنة الرحمن ليس يحول
وجاهد في الرحمن حقَّ جهاده ... وكان له صبر عليه جميل
لقد بكت الدنيا حقيقًا لفقده ... ويبكيه علمٌ نافعٌ وأصول
وفي أرض مصر يالها من عجائب ... لديه جرت، وهو الصبور الحمول
ألا يوم الاثنين الذي كان قبضُه ... ففيه عزاء المسلمين جزيل
وفي سجنه يتلو ثمانين خَتمةً ... قراءةَ ترتيل وقصد سبيل
وفي موته دقّت بشائر رحمةٍ ... أتاه من المولى رضًى وقبول
وسار إلى ربٍّ قديم مهيمن ... عظيم كريم ليس ذاك قليل
عليه سلام الله ما لاح بارقٌ ... وما سار غيث بالسماء هطول

****

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا نظمه العبد الفقير إلى رحمة ربه ومغفرته بدر الدين حسن بن محمد النحوي المارداني[1]، في الشيخ الإمام العالم العلامة[2] الأوحد، شيخ الإسلام، وقدوة الأنام تقي الدين أحمد ابن تيمية ـ تغمده الله برحمته ورضي عنه ـ:

ألا أيها القلب الذي عدم الصبرا	أفِقْ طالما جرعت من لوعة صبرا
ويا عبرات الجفن أظهرتِ بالأسى	لنا عبرًا بالدّمع أسطرها تُقرا[3]
أيأمن مِنْ خَطْب الليالي مُخَاطبٌ	وشيمتها في الناس أن تظْهِر الغدرا[4]
وهل خالد في الدَّهر عمرو وخالد	لعمرك لا يبقى، ولو أمَّل العمرا
قضى ماجدٌ، ما مثله اليوم واحد	وأبقى جميل الفعل من بعده ذكرا
دمًا لو بكته دِمْنَةُ الربع والدُّمى	وأمطرت الشِّعرى العبور لها العبرا
أو اغبرَّ وجهُ الروض[5] يوم مُصابه	لقلّ، وجلَّ الخَطْب من فقده قدرا
فتًى ألِفَ المعروف والجود عادة	تعوَّدها طفلًا، وكان بها أحرى
كأن لم يقل يومًا مقالًا، فتنثني	إلى قوله الأسماع طائفة قهرا
ولا ظهرَتْ بين الأنام علومُه	ولا طَرَّزت شامًا ولا جَمَّلت مصرا

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) من (ف)، و(ح): «العامل».

(٣) (ك): «سطرًا»، وفي هامشها نسخة بما هو مثبت.

(٤) (ف): «العذرا»، خطأ.

(٥) غيرها في (ط): «الأرض».

دعاني ظلال الصبر في صبر فقده | فأرسل رُسْل الدمع من مقلتي تترا
سننتَ تقيّ الدين أحمد سُنةً | وأوسعت في كَسْب العلا بالندى صدرا
أيا شافعيَّ الوقت في ضبط نقله | نثرتَ على الأيام من لفظك الدرّا
قنعتَ وفي الدنيا زهدت ديانةً | وفارقتها واخترت ضَرَّتها الأخرى
أفضتَ على الايام بحرَ مكارمٍ | وعلم، فأربحت المتاجرَ والأجرا
عجبتُ لقبرٍ ضمّ جسمك تُربُه | أيحوي الثرى في تربه الشمس والبحرا!
نُقِلت من الدنيا إلى ظلِّ روضة | وحُزت الذي أمَّلت بالمقلة السَّهْرا
وشاهدت في حُسْن الزيادة نَضْرة | وألْبِسْت وشيًا عند نظرتها نظرا
تدرَّعتَ أثوابَ المحامد والتقى | كعرضك بيضًا وابتدلت بها خَضْرا[1]
لئن نقلَ الأعداءُ عنك ضلالةً | رواية نقلٍ ما أحاطت بها خُبْرا
وإن أودعوك السجن منهم جهالةً | فقد زدت قدرًا عندما نقصوا قدرا
فما يختفي إلا الجواهرُ في الورى | ومن ظُلَم الأصداف يستخرج الدرّا
أيا سائلي، عن علمه وصفاته | هو البحر فاعجب فيه[2] من يصف البحرا
هو الغيث يثني[3] عنه كلّ لطيمة | من الروض بل تزكو لأوصافه نَشْرا
سما حاتمًا جودًا، وفاخر عاصمًا | ففاق لمن يقري الضيوف ومن يقرا

---

(١) (ف): «بعرضك... حضرا».

(٢) سقطت من (ف).

(٣) (ف، ح): «ينثني».

أيا بطَلُ، يوم الجدال مجدِّلُ[1] فوارسَ علم من فواضله قهرا
إذا قال في علياك أمعنُ قائلٍ فما حاط من معشار ما نلته العُشْرا
وماذا يقول المادحون بوصفه وقدرك فوق الشِّعْر جلّ عن الشّعرى
تفرّدت في عِلْم وزهد وفطنة فضلت بها في الفضل بين الورى ذكرا
أعدت نهار الجهل ليلًا مسوَّدًا وكافر ليل الكفر صيّرته فجرا
نظمت على جيد الزمان قلائدًا بفضلك نظمًا من علومك أو نثرا
لقد كنت في يوم الفَخَار وفي الوغى شجاعًا يردّ الليث عن سبله قهرا
سيوفك بيض مثل عِرْضك في الورى إذا اسودّ ليل النقع، صيَّرتها حُمرا
كأنك قد أُفْرِغْتَ في فرد قالب تلاشى فلم يصبر على قلبة أخرى
فجئت على الأيام فردًا ومن رأى مثالك[2] من كنز المكارم قد أثرى
فأقسم بالقرآن في العصر صادقًا بأنك قد شرّفْتَ من دهرك العصرا
سقاك حيًا من وابل الغيث ثَجَّةٌ[3] وحيّا ندًى قد ضمّ مِن كفِّك البحرا
ونوّر نوّارُ الربيع ربوعَه وأطلع في أرجائه الزّهر والزهرا

تمت بحمد الله وحسن توفيقه.

****

---

(١) (د): «مجندل»، وفي هامش (ف) كتب: «لعله: مجندل».

(٢) (ف، د): «مثلك».

(٣) (ف): «شجره»، (ك): «سحرة»، والمثبت من (د). والثج: الصب الكثير. انظر «اللسان» (ثجج).

وله أيضًا فيه ـ رحمه الله ورضي عنه ـ آمين:

أبى اليومَ سرُّ الكون أن يتكتَّما ... وصبغ مشيب[1] الدّمع أن يتكلَّما

وكلُّ مصون من شجون ولوعة ... به تمَّ فَرْط الحزن والدمع قد نما

قضى ومضى مولى سما كلَّ ماجد ... فأوحش رَبْع المكرمات وأظلما

غمامة جود أقلعت بعد صوبها ... وبدرُ سُعودٍ غاب لمَّا تتمّما

وبحرُ علوم غاض زاخرُ يمِّه ... وركن معالٍ قد وهى وتهدّما

عيوني مصاب الخطب لما تحققت ... بها الدمع[2] من جفني تَعَنْدَم عندما

أيا فاضل العصر الذي في صفاته ... تأخّر من في الفضل عنه تقدَّما

قضيت جميلَ الفعل أوحد ملّة ... حمى الدين والإسلام عزمًا وسلّما

ليهْنِكَ كم جدّلت يومًا مجادلًا ... وكلمته باللفظ منه تكلّما

نشرت على فرق الزمان جواهرًا ... ودُرًّا على جيد الليالي تنظّما

بفضل صلاة مع صلاتك في الدُّجى ... وجودك والإحسان أربحت مَغْنما

سبقت إلى الغايات في الفضل للورى ... على قدم، مقدامها قد تقدَّما

مضى عَلَم في الناس حَبْر معلّم ... فأوحش من رَبْع المدارس مَعْلما

فأصبح درس الفضل والعلم دارسًا ... يودّ بأن يشكو الجَوَى ويُكلَّما

فتًى لو قُلامات الأنامل قلّما ... لكان شبيه مثله اليوم قلّما[3]

---

(١) كذا في النسخ ولعله: «وصُنْع مُسِيل الدمع...».

(٢) (ف): «للدمع».

(٣) (ف): «قلامات الأمامل»، و(ط): «قلامات الأظافر» والمثبت من (ك). و(ف، ح، د): «شبيه مثلها».

فلـــو أنــصفته الباكيـــاتُ لفقـــده ... بكته دمًا من فيض أجفانها الدَّمّا[1]

فتًى صيَّر المعراج للخلد في الدّجى ... بــأوراده، لمـــا تـــسلَّم ســـلما

فكـم جادلَـتْ أقوالُـه مـن معانـد ... تقـاصر عنـه، حـين أقـدم أحجـما

وكـم ردعـت أراؤه مـن مخـالفٍ ... عن الدين بحثًا، حين سلّم أسْلَما

لبـست تقـيَّ الـدين ثـوبَ نقـاوة ... من الفضل عن مولى سواك تحرما

تخيرت ما يبقـى عـلى كـلِّ هالـك ... فأرْبَحـت مـن تلـك التجـارة مَغْـنما

لقيـت الـذي قدَّمتـه مـن صـنائع ... من الخير أو ما جُدْتَ منك تكرُّما

وفي الحشر تلقى كلُّ نفس نفائسًا ... ويُجْزَى الذي في الناس أجرم أجرما

تـأخَّرت عـن نيل المناصب رفعـةً ... ومثلـك في أيامنـا مـا[2] تقـدَّما

بنيتَ على الإسلام ركنًا ومَعْصَمًا ... يقبّـل منـه المجـد كفًّـا ومِعْـصَما

أقمـتَ قنـاةَ الـدين منـك بعزمـةٍ ... وأطفـأتَ نـار الشرك منك فـأظلما

صبرت على حمل الأذى منك راضيًا ... وأعرضت عن فعل الأعادي تكرُّما

شهرت على أهل البدائع في الورى ... صـوارم شِرْكُ الكفرِ منهـا تـصرّما

وقفـتَ عـلى يـوم الجلاد شجاعة ... بعـــزمٍ يـــردّ المـــشرفيّ مُـــثَلَّما

إذا بكـت الأبطـال خـوف قبيلـةٍ ... ضحكت بثغرٍ في الوغى قد تبسَّما

ولمـا تبـدّى نـورُ نعـشك لامعًـا ... تمنَّـت بنـات الـنعش أن تـتحطَّما

وودّت بـأن تـدنو الثريّـا إلى الثرى ... نثـــارًا عليـــه، رِفْعـــة وتعظّـــما

---

(١) (ف، د): «دما».

(٢) (ك): «قد» وفي هامشها إشارة بما هو مثبت في نسخة.

نزلـتَ عـلى أهـل المقـابر رحمـة وأنقذتهم من ظلمة الظلم والظّما[1]

سقى قبرك الوسمي في كلّ سَحْرة سحائبُ رضوان به الروض وسّما[2]

ورفّ عليــه الأقحـــوان مفلّجـــا وأطلع فيه الـروض نجـمًا وأنجـما

تمت، والحمد لله ربِّ العالمين.

****

بسم الله الرحمن الرحيم، مرثاة في شيخ الإسلام العالم الرباني أحمد ابن تيمية الحرَّاني، للشيخ شمس الدين الحنبلي، من أهل الصالحية، ومولده قريبًا من سنة إحدى وسبعمائة بسفح قاسيون:

خَطْب جسيم [عَرانا] هائل جَلَل قد عزَّ منه العزا، وابيضّت المقل

والوقت قبض، فلا صبر ولا جَلَد أتـى وصَرْف الليـالي سـابق عَجِـل

والأمر يَعْظُـم[3]، والأفكـار حـائرة وقد أحاطت بنـا الأهـوال والوجـل

كأنما الشمس في جوِّ السما كسفت وضـــوؤها بـــائن عنهـــا ومنفـــصل

والجـوّ في مـأتم، كالليـل منظـره كأنَّ جنح الدّجى في الليل مُنْسَبل[4]

فدمعتي بدمي يـا سـعد قـد مُزِجـت كـــأنما في فـــؤادي النـــار تـــشتعل

أُمسي وأصبح والأحـزان تكمـدني وحـسرتي بـدوام الـدّهر تتـصل[5]

---

(١) هذا من المبالغات غير المحمودة.

(٢) «في» سقطت من (ف)، و(د): «الوسمي كل سحيرة ... بها الروض قد سما».

(٣) النسخ: «معظم» وما أثبت يستقيم به الوزن.

(٤) (ف): «منبسل» خطأ.

(٥) في هامش (ك): «لعله: متصل».

قد زادني أسفي، واشتدّ بي جزعي * وأيقنتُ أنْ حياتي حثَّها الأجل
وارَحْمتا لقلوب فُطّرت أسفًا * لقد عراها مصابٌ حادثٌ جَلَل
وساءها فَقْدُ من كان الأنيس لها * وخاب عند رجاها القصدُ والأمل
يا باكيًا طول [هذا][1] الليل منتحبًا * لا يعتريه على طول البكا ملل
زد في البكاء بدمعٍ هاطل هَمِل * عسى بدمعك حرّ الوجه ينغسل
واعلم بأنّ السما والأرض باكية * على ابن تيميّة، والسهل والجبل
هذا الإمام التقيّ السيد الألمعي[2] * البارع، اللوذعيّ الجامع الوجل
حَبرٌ، إمامٌ، تقيٌّ، زاهدٌ، ورع * ليث، همام، حصور، أوحد، بطل
العلم، والحلم، والآداب: شيمتُه * واللطف، والجود، والإحسان مكتمل
ماذا يقول فصيحٌ في مناقبه * والزهد منهجه، والعلم والعملُ
لقد حبا الله أيّام الزمان به * علومه أبحر، والخلقُ تنتهل
قد كان كالشمس للدنيا إذا طلعت * واليوم، لا عِوَض عنه، ولا بَدَل
نال الهداية في مبدا هدايته * وفي نهايته الإرشاد والجمل
قد كان معتصمًا بالله منتصرًا * وواثقًا، مكتفٍ بالله، مُتَّكل
لله درّ أبي العباس مِنْ رجل * ما إن يُرى في البرايا مثله رجل
تالله لا عاذل بالعذل يعدلني[3] * عنه، وحاشاي أنْ يُلْهِيني العذل

---

(١) (ف): «بطول». والزيادة يستقيم بها الوزن.

(٢) في هامش (ك): «كذا في الأصل، ولعله: اللمعي».

(٣) (ف): «بعذلني» خطأ.

يا سيَّد العصر كم خلَّفت من كبدٍ ... حرَّى عليك، وعينٍ دمعها هَطِلُ

ليبكينَّ عليك العلمُ مِن أسفٍ ... ليبكينّ عليك الفقهُ والجَدَل

ليبكينَّك أقوامٌ إذا وفدوا ... من البلاد بعلم أمره شَكِل

لتبكينّك دارٌ كنت تسكنها ... وتشتكي فقدَك الأسحارُ والأُصُل

فازوا بعلمك أقوام، وقد سُعِدوا ... إذ عن جناب حماك الرّحْب ما عدلوا

وشاع ذكرُك في الدنيا بأجمعها ... فأنت في الناس مضروبٌ بك المثل

دانت لعلمك أهلُ الأرض قاطبةً ... فأنت مفتي الورى في كلِّ ما جهلوا

شبَّهت علمك بالبحر المحيط كما الـ ... ـبحر المحيط بكلِّ الأرض مشتمل

وإن تكن في مجال الدرس كنت به ... ليثًا تصول، ومن ألفاظك الأسَل

تروي الخلاف وتأتي بالأصول وعن ... أهل الحديث بما قالوا وما نقلوا

وذكر[1] علمك في الآفاق منتشر ... على ممرّ الليالي، ليس ينفصل

كم قد أتتك فتاوى لا عِداد لها ... أجبتَ أربابَها عن كلّ ما سألوا

وكم أجبت النصارى عن مسائلهم ... بمُخْرِقات[2] علوم عنك تنتقل

وكم قمعت ـ فدتك النفسُ ـ من بدع ... وكنت فيها بأمر الله تستطل

وكم تواضعت عن علمٍ ومعرفة ... تقًى، وقدرك بالجوزاء منتعل[3]

لقد رويت من الآثار أوضحها ... كما روَتْها الثقاتُ السادة الأُوَل

من ذا يضاهيك فيما قد خُصِصْت به ... وبحر علمك منه العارض الهَطِل

---

(١) (ف، د): «فذكر».

(٢) «مُخرِقات» من «أخرق» أي: مُدْهشات.

(٣) (ف، د): «متصل».

قد كنت أعجوبةً في الدّهر مدهشة ... وكـان درسك فيـه العقـل ينـذهل

وكـان يومـك يومًـا أمـره عجـبٌ[1] ... والناس للنعش بالهامات قد حمَلوا

والخلق لا يهتدوا من عُظْم ما ازدحموا ... فكـم دمـوع تراهـا وهـي تنهمـل

يا رحمةً نزلت في الأرض وانتشرت ... عـلى جميـع الـذي في تُرْبـه نزلـوا

سَقتْ ثـراك الغـوادي طِيْـبَ وابلهـا ... كما ضريحك من تحت الرضا[2] خَضِل

كـما حُبيـت بـدار الخلـد منزلـةً ... حللتهـا، وعليـك الحَلْـي والحُلَـل

وتاجك النور والنعلان مـن ذهـب ... وهكذا عن فتى شيبان[3] قد نقلـوا

قـل للـذي سَرَّه مـوتُ الإمـام: لقـد ... يكفيك جهلـك يـا مَـن غـرَّه الأمـل

أما علمت بـأنَّ المـوتَ مـا سَلِمت ... منـه ملـوك بنـي الـدنيا ولا الرسـل

أيـن الملـوكُ وأبنـاءُ الملـوك، لقـد ... صالت عليهم صروفُ الدّهر فارتحلوا

وعن قليل ترى الـدنيا وقـد رَحَلـت ... فلـيس يغنـي ولايـاتٌ ولا دُوَل

وليس يغني المُسِيْ يـوم اللقـا نَـدَم ... إذ أثقلَـتْ ظهـرَه الأوزارُ والزلـل

وإنـما المتقـي تُرْجـى النجـاةُ لـه ... لأنـه خـائف مـن ربِّـه وَجِـل

ولم يـزل في قيـام الـدين مجتهـدًا ... وإن خـلا في الـدياجي فهـو مبتهـل

قل للذي كتبوا[4] علياه واجتهـدوا ... إنّ الذي علموا بعض الذي جهلـوا

---

(١) (ك): «آمنًا عجبًا».

(٢) غيرها في (ط): «الثرى».

(٣) يعني: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني.

(٤) (ف): «كتموا». و(ط): «للأولى كتبوا».

والله، لستُ بمُحْصٍ مدحه أبدًا ... ولو أتيتُ بما ضاقت به السبل

عليه منّي سلام الله ما صدحت ... وُرْقٌ[1] على فَنَن، في نَوحِها زجل

تمت، وهي سبعة وخمسون بيتًا.

****

[مرثيّة أخرى][2]:

يا قوم توبوا إلى الرحمن وابتهلوا ... فقد قضى رجل ما مثله رجل

يا قوم [و]استغفروا الرحمن خالقنا ... قد غار بحر علوم موجه العمل

روى أحاديث الصحيح وعنه[3] ... سائر أخبار رُسْل الله تنتقل

الحلم والعلم والزهد المكين ومن ... ما في مقالاته ريب ولا زلل

كم بدعة قد محاها ثم أبطلها ... وكم أزاح لنا مِنْ منكر عملوا

كم قام في أمر دين الله مجتهدًا ... ولم يكن عنده في أمره ملل

كم نار شرٍّ طفاها وهو مبتسم ... .[4] ولا خوف ولا وجل؟

كم أظهر الحقَّ لما قلَّ ناصره ... وكم أبان لهم أمرًا له جهلوا

كم طوَّقَ الناسَ في أعناقهم مِننًا ... ما ليس يحمله سَهْل ولا جبل

قد كان ذا موردٍ عَذْبٍ لقاصده ... والناس تصدر منه ثمّ ترتحل

---

(١) (ف): «ورقًا» خطأ.

(٢) في هامش (ك): «كذا وجدت في الأصل لم يعز هذه القصيدة». ونحوه في (ح).

(٣) كذا في الأصلين! وفي هامش (ك): «لا يستقيم وزن البيت، والله أعلم».

(٤) بياض في النسخ بمقدار كلمتين، وأكمله في (ط): «لم يَعْر أينٌ».

مــن قبلــه جــا إلى غــازان مبتــسمًا على الجواد وكلّ الخلق قـد نزلـوا

حتــى إذا جــاءه والخلــق تنظــره قــامَ الجميـعُ ولم يأخـذهم كـسلُ

فقـال جهـرًا لـه والخلـق تـسمعه: هل أنت محمودُ بالإسلام متصل؟

فقـال لـه: الـشام يـا محمـودُ دارُ تقًى ومعقـل الأنبيـا عنـه[1] فـارتحلوا

يكفــيكم مــا رأيــتم مِــنْ جنازتــه ونعشه فـوق رؤوس الخلـق يَنتقـل

إن كـان فـوق رؤوس حملـوه فقـد أولاهـمُ نعـمًا مـا لـيس تنحمـل[2]

قـد كنـت أرجـوه لي ذخـرًا وآملـه وأرتجيــه إذا ضــاقت بي الحِيَــل

قــد كــان ذا رجــل للنــاس كلّهــم يا أيها الناس كفّوا قد قضى الأجل[3]

تمت وهي ثمانية عشر بيتًا.

****

رثاء[4] في الشيخ تقيّ الدين أبي العباس، أحمد ابن تيمية ــ قدَّس الله روحه ــ:

لمــا نُعــي الــشيخ الإمــام المتّقــي نجــل رئــيس فاضــل حَــبر تقــي

فاضت محاجر مقلتي، يا حسرتي لفراقــــه فرقًـــا، وزاد تقلّقـــي

(١) كذا في النسخ: «فقال له». وفي هامش (ك): «لا يستقيم البيت، والله أعلم» أبو إسماعيل يوسف حسين عُفي عنه. وفي (ط): «وقال». ولعله: «وقال الشآم...» وفي النسخ: «عنها».

(٢) (ف): «ينخمل».

(٣) (ف): «يا أيها كفوا... الرجل».

(٤) (ف، د): «مديح»، (ط): «مرثية».

زفـرات أشـــواقي أكـــاد لحرّهـــا تـنقض مني مهجتـي[1] بتحرُّقـي

وتركـت مـن بعـد التقـيّ بلَوعَـةٍ ومـدامعي مِـنْ بعـده لا ترتقـي

متهتّـك الأسـتار وَلْـهَان الحـشا أبكـي الـدماءَ عليـه حتّـى نلتقـي

حَـزَني عليـه مـدى الزمـان تأسّـفًا يـا مقلتـي سُـحّي دمًـا وترقرقـي

يـا قلـب ذُبْ أسـفًا عليـه وحسرَة فقليـل مـا لاقيـت شَـيَّب مَفْرقـي

يـا مهجتـي ذوبي عليـه صـبابةً وتقطّعـي لفراقـه وتمزَّقـي

يـا مقلتـي سُـحّي بـدمعٍ هاطـل متحـدّر سـحّ الـسحاب المطبـق

يـا ليتنـي يـوم الفـراق حـضرته حتـى أجـدّد مـا مضى مـن موثقي

وأودِّع الوجـه المليـح بنظـرةٍ يحيـا بهـا قلـب الكئيـب المُشْفق

مـا كـان أهنـا عيـشَنا بحياتـه يـا ليـت يـوم فراقـه لم نُخلَـق

لو كـان يُفْدى مـا بخلت بمهجتي في حقِّـه، ولكنـتُ أوَّل مـن يقـي

يـا أهلـه، لا تجزعـوا لفراقـه ولأجل كأسٍ من حمام قد سُقي

فلـه جنـان الخلـد يـسكنها غـدًا وعـلى مناصـبها العليَّـة يرتقـي

هـو شـيخنا، ورئيـسنا، وإمامنـا لله درّ الطـاهر الحـبر التقـي

إن قلـتُ: طـود العلـم فهـو حقيقـة فاسـمع بهـذا القـول فيـه وحقِّـق

يفتـي بجمـع مـذاهب عـن أربـع لكنـه في الفـضل آخـر مـن بقـي

هـو في القـراءة أوحـدٌ في عـصره هو في الأصـول مفيـدنا والمنطقـي

---

(١) سقطت من (ف).

شيخ الطريقة والحقيقة عارف ... ورث الإمامة والعلوم، فحَقِّق

متصدّق، متفضّل، متطوِّل ... لله ما أجزاه من متصدِّق

قد كان فينا وابلًا نحيا به ... وثناؤه فينا كمسكٍ معبق

قد كان فينا جنّة أنهارها ... تجري لنا من علمه المتدفّق

قد كان فينا سيّدًا مِنْ سيد ... فاقطع بهذا القول فيه وصدِّق

يا قبره يهنيك ما قد حُزْتَه ... من زاهد برٍّ زكيّ متَّقي

قد صرت جنّةَ روضة بحلوله ... فلَكَ الفَخَار بسيِّدٍ وموفّق

فالله يرحمه ويجبر كسره ... ويغيثنا من فضله المغدودق

واجبر بعفوك ناظمًا لقريضها ... حسنًا أعنه تفضّلًا وتصدَّقِ

ثمّ الصلاة على النبيّ محمد ... خير الأنام ومن لعرشك يرتقي

والحِقْ به الآل الكرام وصحبه ... بكرامة فلأنت أكرم مُلْحِقِ

تمت، والحمد لله ربّ العالمين.

****

وقال الشيخ الصالح العابد محمد أبو طاهر البعلي الحنبلي(١)، يمدح شيخ الإسلام والمسلمين الإمام أحمد ابن تيمية ـ رحمه الله ورضي عنه ـ:

يا ابن تيميّة يا أفصح العلما ... يا مَن لأسرار دين الله قد فهما

---

(١) ذكره الذهبي في «المعجم المختص» (ص٩)، لكن سماه: أحمد بن عبد الله شهاب الدين أبو طاهر البعلي الحنبلي (ت٧٣٥).

يـا آيـةً ظهـرت في الكـون بـاهرةً ... لا زلـت في سِـلْك ديـن الله منتظما
وكنــت واســطة في عقــده أبــدًا ... تزيل منه الأذى والفُحْشَ والـسَّقَما
جمعـتَ منـه الـذي قـد كـان فَرَّقـه ... قـومٌ رأوه هـدًى منـه، وكـان عمـى
وكنــت أحــرص خلــقِ الله كلّهــم ... على التآلف، تعطي الفضلَ والنِّعَما
ولـست خِبًّـا لئـيمًا بـاخلًا شَرِهًـا ... لكــن تقيًّــا، نقيًّــا، ســيد الكُرَمــا
تعفو عن الجاهل الجاني فترحمه ... وتكثر العدل والإنـصاف للخُـصَما
ما زلت تغضبُ في ذات الإلٰه ولم ... تكـن لنفـسك يـا ذا الحِلْـم منـتقما
فأنـت حَـبر هـدًى أحيـا الإلٰـه بـه ... مــن دينــه ســننًا أماتــه الغُــشَما
في رأس سبع مئين كنت قد وجبت ... لـك الإمامـةُ يـا خلاصـة العلـما[1]
وكـلّ شيء بـه جُـلّ الـورى هلكـوا ... فشيخنا ذو التقى[2] مِنْ شرِّه سَلِما
وكــلّ وصــفِ كــمالٍ في نظــائره ... لــه خصائــصه لا تقتــضي العَــدَما
كـان المبرِّز في كـلّ العلـوم، وقـد ... أضْحَت له في ذرى أسنامها عَلَما
وكان حاوي صفات الخير أجمعها ... قد حلَّ في كلّ حالات التقـى قَـدَما
لمــا أراد عِــداه دَحْــضه دُحِــضوا ... وزاده الله عـــزًّا دائـــمًا، وســـما
أضــحت عوائــده تبــدي فوائــده ... عـلى موائـده في حـضرة الحُكَـما
فهـو التقـيّ بـه أهـلُ التقـى ألفـوا ... وأبعــد الله عنــه المجــرمَ الــزّنما

---

(١) في النسخ: «يا مربي خلاصة». وفي هامش (ك): «كذا في الأصل، ولا يستقيم الوزن» أبو إسماعيل يوسف حسين. أقول: وبحذف «مربي» يستقيم الوزن.

(٢) (ك): «السخا» وعلق في الهامش: «بدله: التقى».

وهو المحكّ الذي بان العبادُ به | إما كرامًا وإما خُيّبًا لُؤما
فإن أردتَ معايير العباد به | عَرّض بذكراه مدحًا وانظر السيما[1]
ترى الغويّ حزينًا ثم منقبضًا | وتنظر المتقي قد سُرّ مبتسمًا
فحبّه نعمة فاز السعيدُ بها | وبغضه نقمة بها الشقيْ وُسِما
فالحمد لله، أهل الحمد، خالقنا | كم قد أفاض علينا في الورى نِعَما
عافى القلوبَ من الأسقام أجمعها | وعمَّ بالجود مَن وفّى ومَن ظَلَما
كم أفرجت كربة عنّا بمِنّته | وكم أعان وكم عفا[2] وكم رحما
لا ترتجى غيره في رفع نازلةٍ | يبقى الهدى عنك والإحسان منصرمًا
ولا تكن بسواه عنه مشتغلًا | لكي تنال التُّقى والفوزَ والكرما
وكن محبًّا له ساعٍ بطاعته | فالسعي في غير هذا يورِثُ النَّدَما

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا[3].

---

(١) (ف): «الشيما» أو «الشهما».

(٢) (ف): «عافا».

(٣) العبارة في (ف): «تمت بحمد الله وحسن توفيقه، بمنه وكرمه. والحمد لله رب العالمين، وصلى.... وصحبه أجمعين». وبه انتهت نسخة (ف، د). وبعده في (ك) قصيدة لأبي حفص عمر بن الوردي في مدح النبي ﷺ مطلعها:

قلبٌ كواه البين حتى أنضجا | ما زال في بحر الغرام ملجلجا

ولا علاقة لها بالكتاب.

وبعدها قال ناسخها: «وقع الفراغ التام من نسخة الكتاب المستطاب...».



١ ـ الفهارس اللفظية.

٢ ـ الفهارس العلمية.

الفهارس اللفظية

١ - فهرس الآيات القرآنية

٢ - فهرس الأحاديث والآثار

٣ - فهرس الأعلام

٤ - فهرس الكتب (عدا كتب شيخ الإسلام)

٥ - فهرس مصنفات شيخ الإسلام (على المعجم)

٦ - فهرس الأشعار

١ ـ فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

❁ ❁ ❁

٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار [(١)]

(١) ما سبق بـ (*) فهو أثر.



٣ ـ فهرس الأعلام



٤ ـ فهرس الكتب (عدا كتب شيخ الإسلام)



٥ ـ فهرس مصنفات شيخ الإسلام (على المعجم)



٦ ـ فهرس الشعر



الفهارس العلمية

١ - فهرس ترجمة الشيخ المفصلة

٢ - فهرس مصنفات الشيخ على الموضوعات

٣ - فوائد عن مصنفاته

٤ - فوائد متفرقة

٥ - عبارات مشهورة أطلقها الشيخ وغيره

١ ـ فهرس ترجمة الشيخ المفصلة

*** استدعاء الشيخ إلى مصر وما جرى فيها من أحداث:**

*** تلاميذه**

*** تعداد من ذكر منهم في هذا الكتاب**

*** تدريسه وإفتاؤه ونشره للعلم:**

* علومه:

* صفاته وأخلاقه

*** أعداء الشيخ**

*** أنواع الأذي الذي تعرَّض له الشيخ**

*** الذين آزروا الشيخ**

*** العلماء الذين انتصروا للشيخ في مسألة الزيارة**



٢ ـ فهرس مصنفات الشيخ (على الموضوعات)

*** التفسير وعلوم القرآن:**

*** الحديث وعلومه:**

*** الفقه:**

* أصول فقه:

*** التصوف والأخلاق والزهد والرقائق:**



٣ - فوائد عن مصنفاته

❁ ❁ ❁

٤ ـ فوائد متفرقة

❁ ❁ ❁

٥ ـ عبارات مشهورة أطلقها الشيخ وغيره[1]

(١) ما كان لغير الشيخ ميزناه بذكر قائله.



فهرس الموضوعات





آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال



الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية

تأليف

الإمام أبي حفص عمر بن علي البزار
(ت ٧٤٩ هـ)

تحقيق

علي بن محمد العمران

وفق المنهج المعتمد من الشيخ العلامة

بكر بن عبد الله أبو زيد
(رحمه الله تعالى)

دار عطاءات العلم

دار ابن حزم



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذا كتاب «الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» للإمام أبي حفص عُمر بن علي البزّار (ت٧٤٩)، وهو أحد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمهما الله تعالى.

وقد رأينا ضمّه إلى هذه السلسلة المباركة إن شاء الله تعالى من آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال، لتكون ضمن تراجم شيخ الإسلام التي اضطلع المشروع بطباعتها، وهي:

١- الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون.

٢- تكملة الجامع..

٣- ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبدالهادي، المعروف بـ «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية».

٤- ورابعها هذا الكتاب: الأعلام العليّة في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية.

فبهذه الأربعة يكتمل عقد التراجم المنشورة في كتب التواريخ والتراجم ونحوها، مع أهم كتابين في التراجم المفردة لابن تيمية.

وقد كان بادئ الرأي أن تُلْتَقط الفوائد والزوائد التي يضيفها البزّار في كتابه هذا، وتضاف إلى حواشي «العقود الدرية»، أسوةَ بقيّةِ التراجم المفردة الأخرى، لكنّي رأيت ذلك قد يطيل الحواشي؛ إذ فيه معلومات جيدة، وزوائد

كثيرة، ومشاهدات مباشرة. فكان من صائب الرأي أن يُطبع ملحقًا بالعقود الدرية، ليقف القارئ عليه بتمامه، ولا يفوت شيء من فوائده.

* ترجمة المؤلف[1]:

قال الحافظ ابن رجب: عمر بن علي بن موسى بن الخليل البغدادي، الأزَجيّ، البزَّار، الفقيه، المحدِّث، سراج الدين، أبو حفص.

ولد سنة ثمان وثمانين وستمائة تقريبًا.

وسمع من إسماعيل بن الطبَّال، وعلي بن أبي القاسم أخي الرشيد، وابن الدواليبي، وجماعة، وعُني بالحديث، وقرأ الكثير، ورحل إلى دمشق وقرأ بها «صحيح البخاري» على الحجَّار بـ«الحنبلية»، وحضر قراءته الشيخ تقيّ الدينّ ابن تيمية وخلق كثير[2]، وجالس الشيخ تقيَّ الدين، وأخذ عنه[3].

وتلا ببغداد ختمةً لأبي عَمرو، على شيخنا عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي، وقرأ عليه بعضَ تصانيفه في القراءات، وحجَّ مرارًا، وأعاد

---

(١) من كتاب «الذيل على طبقات الحنابلة»: (٥/ ١٤٦-١٤٨ -تحقيق العثيمين) لابن رجب. وهو من تلاميذه.
وله ترجمة في «المنتقى من شيوخ شهاب الدين ابن رجب» (ص٧٥-٧٧)، و«الرد الوافر» (ص٢١٠-٢١١)، و«الدرر الكامنة»: (٣/ ١٨٠)، و«المقصد الأرشد»: (٢/ ٣٠٤)، و«المنهج الأحمد»: (٥/ ٨٦-٨٧)، و«شذرات الذهب»: (٦/ ١٦٣).

(٢) ذكر المؤلف هذه القراءة في كتابه هذا (ص٦٣٧). وذكر الشهاب ابن رجب: أنه حضر هذه القراءة المزي والبرزالي وشيوخ الشام.

(٣) ذكر الشهاب ابن رجب: أنه قرأ المحرر على شيخ الإسلام ابن تيمية، وأذن له بالفتيا.

بـ«المستنصرية». وولي إمامة «جامع الخليفة» ببغداد مدةً يسيرة، ثم أقام بدمشق مدة، وأمَّ بها بـ«الضيائية».

وكان حَسَن القراءة للقرآن والحديث، ذا عبادة وتهجّد.

وصنَّف كثيرًا في الحديث وعلومه، وفي الفقه والرقائق[1].

وقَدِم في آخر عمره إلى بغداد، فأقام بها يسيرًا، ثم توجَّه إلى الحجّ سنة تسع وأربعين. وحججت أنا تلك السنة أيضًا مع والدي، فقرأت على شيخنا أبي حفص عمر «ثلاثيات البخاري» بالحِلّة المزيدية.

ثم توفي رحمه الله قبل وصوله إلى مكة بمنزلة حاجر، صبيحة يوم الثلاثاء حادي عشري ذي القَعْدة سنة تسعٍ وأربعين وسبعمائة، ويُقال: إنه كان نوى الإحرام، وذلك قبل الوصولِ إلى الميقات. ودُفِن بتلك المنزلة، ومعه نحوٌ من خمسين نفسًا بالطاعون، رحمهم الله تعالى.

*** نبذة عن الكتاب:**

١- إثبات نسبته للمؤلف:

ذكر هذا الكتاب ابن ناصر الدين الدمشقي (ت٨٤٢) في «الرد الوافر» (ص٢١١) قال: «وجمع له ترجمةً مفردةً سماها: الأعلام العلية في مناقب

---

(١) ذكر شهاب الدين ابن رجب في «المنتقى» أنه قرأ عليه من مصنفاته «الكفاية في الجرح والتعديل»، و«الفنون [وفي طبعة أخرى: العيون] في علم الحديث» قال: وهو أكمل من كتاب ابن الصلاح. و«الرياض الناضرات» مجالس. و«ناسخ الحديث ومنسوخه»، وبعض مصنف له في الفقه.

الإمام ابن تيمية» ثم نَقَل فقرة منه تتعلّق برجوع بعض العلماء عن مذهب المتكلمين بعد وقوفهم على بحوث الشيخ رحمه الله[1].

وذكره الشيخ مرعي الكرمي (ت١٠٣٣) في كتابه «الكواكب الدرية» (ص٥١) وجعله من الكتب التي اعتمد عليها في كتابه، ونقل جلّ مباحثه. وذكره أيضًا في كتابه «الشهادة الزكية» (ص٦٨).

وأشار إليه إسماعيل البغدادي في «إيضاح المكنون»: (١/ ١٠٣)، و«هدية العارفين»: (١/ ٧٩٠).

٢- نسخ الكتاب الخطية:

- النسخة الأولى : نسخة المنجد:

وهي نسخة خاصة من مقتنيات الدكتور صلاح الدين المنجد. قال في وصفها: «وكنت اقتنيت من هذا الكتاب نسخة قديمة، ضمن مجموع قديم من القرن الثامن الهجري، فيه رسائل كثيرة لشيخ الإسلام، بعضها غير معروف ولا منشور...

ومخطوطتنا هي الرسالة السابعة في المجموع الذي أشرتُ إليه. وعدد ورقاتها ٢٣ ورقة. في كل ورقة عشرون سطرًا. كتبت بخط نسخي مملوكي جميل. وهي نسخة تغلب عليها الصحة، إلا أن ناسخها كان يُهمل بعض الإعجام. وقد جاء في الورقة الأولى منها: (كتاب الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية للإمام الحافظ أبي حفص البزّار رحمه الله).

---

(١) وهذا الموضع في كتابنا (ص٦٢٢).

وجاء في آخرها: «علّقه لنفسه فقير رحمة ربه محمد بن علي البعلي ثم الدمشقي الحنبلي لطف الله تعالى به في الدارين، ووافق تمامه غرّة المحرم سنة ست وخمسين وسبعمئة بالمدرسة الحنبلية بباطن دمشق حرسها الله».

يلي الكتاب بخط الناسخ نفسه ذيل في أسماء أصحاب شيخ الإسلام ومحبّيه وأعوانه. ويبدو أن الكاتب جعله تذكرة لنفسه ليجمع فيه في ورقتين أسماء كثيرة، وترك بياضًا ليُضيف إليها، لكنه لم يستوف فيما ذكر أسماء المحبّين ولا المعترضين.

ولم أجد ترجمة لناسخ الكتاب. على أنه يبدو أنه كان من فقهاء طلَبة المدرسة الحنبلية بدمشق. وهي المدرسة التي وقفها شرف الإسلام عبد الوهاب بن أبي الفرج الحنبلي سنة ٥٣٦ بدمشق». انتهى كلام المنجد[١].

- **النسخة الثانية: نسخة ليدن:**

نسخة في مكتبة جامعة ليدن في هولندا. رقمها ١١٢٦، وهي نسخة متأخرة، ليس عليها تاريخ ولا اسم الناسخ، ولعلها من مخطوطات القرن العاشر، وهي مليئة بالأخطاء تصحيفًا وتحريفًا بخطٍّ عادي.

على الورقة الأولى من النسخة: (كتاب الأعلام العليّة في مناقب شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن الحليم (كذا) بن عبد السلام ابن تيمية قدس الله روحه ونوّر ضريحه تأليف الشيخ الإمام العالم العامل الفاضل الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى البزّار رحمة الله تعالى عليه

---

(١) مقدمته للأعلام العلية (ص٧-٩).

وغفر له بمنه وكرمه ولجميع المؤمنين آمين)[1].

وقد سقطت منها كلمات كثيرة، ووجد فيها عبارات زائدة على نسخة الأصل، مما يدل على أنها ليست منقولة منها، وأن أصلهما مختلف. وقد أشرنا إلى بعض ذلك في الحواشي، وقد رمزنا إليها بحرف (ل).

- النسخة الثالثة: نسخة الكويت:

نسخة محفوظة في مكتبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت رقم (٢/ ٣١٧)، في ٥٣ ورقة ضمن مجموع (ق٦-٥٨)، وهي نسخة متأخرة كتبت سنة ١٣٧٧هـ. وليس عليها اسم الناسخ.

٣- طبعات الكتاب:

١- طبعة دار الكتاب الجديد، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجّد، ط. الأولى ١٣٩٦هـ، وقد اعتمد على نسختين، واحدة كان يملكها وسبق وصفها من كلامه، والثانية نسخة ليدن (ل).

٢- طبعة المكتب الإسلامي ببيروت، تحقيق الشيخ محمد زهير الشاويش، وقد طبع سنة ١٣٩٤هـ ثم أعيد عدة مرات.

٣- طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، تحقيق الدكتور يحيى مراد، طبعت سنة ١٤٢٦هـ، ضمن مجموع يضم خمسة كتب. وقد سقطت منها مقدّمة المؤلف بتمامها!! ولعلها أُخذت من بعض مواقع الشبكة الإلكترونية، إذ وجَدْتُه في بعضها بلا مقدمة!

---

(١) انظر مقدمة المنجد (ص٩ ـ ١٠).

٤- منهج التحقيق:

- اعتمدت في إثبات نص الكتاب على طبعتي المنجد والشاويش، واستفدت من ذكر فروق النسخ في هوامشها. وكان من المفترض أن تكون نسخ الكتاب بين أيدينا، ولكن عذرنا أن بعض نُسَخه خاصة وليست في مكتبات عامة، ونسخة ليدن حاولت الحصول عليها جاهدًا، ولكن لم أتمكّن من ذلك، مع كونها متأخرة ومليئة بالأخطاء.
- قارنت نصوص الكتاب بالمصادر الناقلة، وبكتب التاريخ، وصححتُ كثيرًا من الأوهام الواقعة في الطبعات.
- علقت على النص بما يزيل الإشكال، أو بما فيه استدراك على المؤلف في بعض ما ذكره، وذلك من مصادر ترجمة الشيخ، أو كتب الشيخ نفسه.

وكتب

علي بن محمد العمران

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

قال الشيخ الإمام العالم الورع الفقيه المحدّث سراجُ الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى البغداديّ البزّار ـ رحمه الله وأثابه الجنّة ـ:

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم.

أمّا بعد، فإنّي لما بلغني خبرُ حبر الأمة وربّانيها، الإمام المجتهد المجاهد، ناصر الشريعة الحنيفية، والذابّ عن السنّة المحمدية، شيخ الإسلام تقيّ الدين أبي العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، قدّس الله روحه، قال لي جماعةٌ من أهل العلم والدين، ومحبيّ الخير لكافة المسلمين: إنّك قد رأيت الشيخ وصحبته، ووقفت على أحواله وعرفته، فلو أمليت شيئًا منها وسطّرته، ممّا شاهدته وخبرته، لينتفع به من يقف عليه من هذه الأمة، إذ عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة.

فأجبتهم: أني إنما صحبته أيامًا معدودة قلائل، فليس ما أعرفه بالنسبة إلى مناقبه بطائل. لكن لمّا رأيت حُسن قصدهم ونيّتهم، وما دلّ من ظاهرهم على صلاح طويتهم، وأنّ الذي طلبوه مني علَيّ حقًّا واجبًا، إذ يلزم العالم بما فيه نُصْح المسلمين أن يكون على نشره مواظبًا= فذكرتُ

نبذةً مختصرة من مناقبه وطُرَفِه[1]، تدلّ العاقل المنصف على فضائله وشرَفه.

وقد رتّبتها فصولًا، لتكون لمتأملها دليلًا. وذكرت في كلّ فصلٍ منها ما حضرني ممّا يليق بذكره فيه؛ من ذكر مولده، ومنشئه، وتوفيق الله تعالى له مدة عمره من أوله إلى آخره، وحرصه على العلوم واجتهاده، وكثرة سماعه الأحاديث وازدياده، وغزارة علومه ومؤلفاته ومصنفاته، وسعة نقله في فتاويه ودروسه البديهية ومنصوصاته، وثاقب بصره بأنواع أجناس المذكور والمقول والمنقول، والمتصوّر والمفهوم والمعقول، وذكر تعبّده وورعه، وزهده وتجرّده، وخلوّه عن الدنيا وتبعّده، وإيثاره مع فقره وتواضعه، وكرامته وفراسته، وثباته وكرمه، وشجاعته وصبره في ذات الله ومِحَنِه، وحِفْظ الله تعالى ورعايته له، مع تحاشد أعدائه وحُسّده، وذكر وفاته، وكثرة من صلى عليه ومشيّعي جنازته، وما ألقى الله تعالى في قلوب الخاصة والعامّة في حياته وبعد وفاته، وانتشار فضله وفضائله، وعلمه ومسائله في البلاد والآفاق. فأقول وبالله التوفيق والرشاد:

الفصل الأول: في ذكر مولده ومنشئه، ومدة عمره رضي الله عنه وأرضاه.

الفصل الثاني: في غزارة علومه ومؤلفاته ومصنفاته، وسَعَة نقله في دروسه وعلومه البديهية ومنصوصاته.

الفصل الثالث: في ذكر معرفته أنواع أجناس المذكور والمقول والمنقول، والمتصوَّر والمفهوم والمعقول.

---

(١) (ط): «طُرْفة». وما أثبته أصح.

الفصل الرابع: في ذكر تعبّده.

الفصل الخامس: في ذكر بعض ورعه.

الفصل السادس: في ذكر بعض زُهده وتجرّده، وتقاعده عن الدنيا وتبعّده.

الفصل السابع: في إيثاره مع فقره وتواضعه.

الفصل الثامن: في هيئته ولباسه.

الفصل التاسع: في ذكر بعض كراماته وفراسته.

الفصل العاشر: في ذكر كرمه.

الفصل الحادي عشر: في ذكر قوّة قلبه وشجاعته.

الفصل الثاني عشر: في ذكر قوّته في مرضاة الله تعالى وصبره على الشدائد واحتماله إيّاها لله، وثبوته على الحق إلى أن توفّاه الله على ذلك.

الفصل الثالث عشر: في ذكر أن الله تعالى جعله حجّة في عصره، ومعيارًا للحق والباطل، مريدًا الآجل، وغير مؤثر العاجل.

الفصل الرابع عشر: في ذكر وفاته، وكثرة من صلّى عليه وشيَّعه. رضي الله عنه وأرضاه[1].



(١) ينبه هنا إلى أن سياقات بعض عناوين الفصول بداخل الكتاب تختلف قليلًا عما هنا بالزيادة أو بالنقص.

الفصل الأول

في ذكر منشئه وعمره ومدّة عمره رضي الله عنه وأرضاه

أمّا مولده فكما أخبرني به غيرُ واحد من الحُفّاظ أنه ولد بحرّان في عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مائة. وبقي بها إلى أن بلغ سبع سنين، ثم انتقل به والده ـ رحمه الله ـ إلى دمشق المحروسة، فنشأ بها أتمَّ إنشاءٍ وأزكاه، وأنبته الله أحسن النبات وأوفاه.

وكانت مخايل النجابة عليه في صغره لائحة، ودلائل العناية فيه واضحة. أخبرني من أثق به عن جدّته أنّ الشيخ رضي الله عنه في حال صغره، كان إذا أراد المضيّ إلى المكتب، يعترضه يهوديٌّ كان منزله بطريقه، بمسائل يسأله عنها لما يلوح عليه من الذكاء والفطنة. وكان يجيبه عنها سريعًا، حتى تعجّب منه. ثم إنه صار كلّما اجتاز يُخبره بأشياء مما يدلّ على بُطلان ما هو عليه، فلم يلبث أن أسلم وحسن إسلامه. وكان ذلك ببركة الشيخ على صغر سنّه.

ولم يزل منذ أيام صغره مستغرق الأوقات في الجدّ والاجتهاد. وخَتَم القرآن صغيرًا، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية حتى برع في ذلك، مع ملازمته مجالس الذِّكر وسماع الأحاديث والآثار. ولقد سمع غير كتابٍ على غير شيخ من ذوي الروايات الصحيحة العالية.

أمّا دواوين الإسلام الكبار، كـ«مسند أحمد»، و«صحيح البخاري»، ومسلم، و«جامع الترمذي»، و«سنن أبي داود السجستاني»، والنسائي،

وابن ماجه، والدارقطني؛ فإنه سمع كل واحد منها مرّات عدّة. وأول كتاب حفظه في الحديث «الجمع بين الصحيحين» للإمام الحُمَيدي.

وقلّ كتاب من فنون العلم إلّا وقف عليه. كأنّ الله قد خصّه بسرعة الحفظ وإبطاء النسيان. لم يكن يقف على شيء أو يستمع لشيء غالبًا إلا ويبقى على خاطره، إمّا بلفظه أو معناه.

وكان العلم كأنّه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره، فإنه لم يكن له مستعارًا، بل كان له شِعارًا ودثارًا. لم يزل آباؤه أهل الدراية التامة والنقد، والقدم الراسخة في الفضل. لكن جمع الله له ما خرق بمثله العادة، ووفقه في جميع عمره لأعلام السعادة، وجعل مآثره لإمامته أكبر شهادة، حتى اتفق كلُّ ذي عقل سليم أنّه ممن عنى نبينا ﷺ بقوله: «**إنّ الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدِّد لهذه الأمة أمرَ دينها**»(١). فلقد أحيا الله به ما كان قد دَرَس من شرائع الدين، وجعله حجة على أهل عصره أجمعين. والحمد لله رب العالمين.



(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والحاكم: (٤/ ٥٢٢) وصححه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر «المقاصد الحسنة» (ص١٢١).

الفصل الثاني

في غزارة علومه ومؤلفاته ومصنفاته، وسَعَة نقله في فتاويه ودروسه البديهية ومنصوصاته

أمّا غزارة علومه فمنها: ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه، ونقله لأقوال العلماء في تفسيره، واستشهاده بدلائله، وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه، وفنون حكمه، وغرائب نوادره، وباهر فصاحته، وظاهر ملاحته، فإنه فيه الغاية التي يُنتهى إليها، والنهاية التي يُعوَّل عليها. ولقد كان إذا قُرئ في مجلسه آياتٌ من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها، فينقضي المجلس بجملته، والدرس بزمنه، وهو في تفسير بعض آيةٍ منها.

وكان مجلسه في وقت مقدَّر بقدر ربع النهار. يفعل ذلك بديهةً من غير أن يكون له قارئٌ مُعيَّن يقرأ له شيئًا معيّنًا يُبَيّته[1] ليستعدّ لتفسيره، بل كان من حضر يقرأ ما تيسّر، ويأخذ هو في القول على تفسيره. وكان غالبًا لا يقطع إلا ويفهم السامعون أنه لولا مضيّ الزمن المعتاد لأورد أشياء أُخر في معنى ما هو فيه من التفسير، لكن يقطع نظرًا في مصالح الحاضرين.

ولقد أملى في تفسير ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مجلّدًا كبيرًا. وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ نحو خمس وثلاثين كرّاسة.

ولقد بلغني أنّه شرع في جمع تفسير لو أتمّه لبلغ خمسين مجلدًا.

---

(١) (ط): «ببيته يستعد» والمثبت من (ك).

أمّا معرفته وبصره بسنّة رسول الله ﷺ وأقواله وأفعاله وقضاياه ووقائعه وغزواته، وسراياه وبعوثه، وما خصّه الله تعالى من كراماته ومعجزاته، ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه، والمنقول عن الصحابة رضي الله عنهم في أقوالهم وأفعالهم وقضاياهم وفتاويهم وأحوالهم، وأحوال مجاهداتهم في دين الله، وما خُصوا به من بين الأمة= فإنه كان ـ رضي الله عنه ـ من أضبط الناس لذلك، وأعرفهم فيه، وأسرعهم استحضارًا لما يريده منه.

فإنه قلّ أن ذَكَر حديثًا في مصنّفٍ وفتوى، أو استشهد به، أو استدلّ به، إلا عزاه في أيّ دواوين الإسلام هو، ومن أيّ قسم من الصحيح أو الحسن أو غيرها. وذَكَر اسم راويه من الصحابة. وقلّ أن يُسأل عن أثرٍ إلا وبيّن في الحال حاله، وحال أمره[1] وذكره.

ومن أعجب الأشياء في ذلك: أنه في محنته الأولى بمصر[2] لمّا أُخِذَ وسُجن، وحيل بينه وبين كتبه، صنف عدّة كتب صغارًا وكبارًا، وذكر فيها ما احتاج إلى ذكره من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدِّثين والمؤلفين ومؤلفاتهم، وعزا كلَّ شيء من ذلك إلى ناقليه وقائليه بأسمائهم، وذكر أسماء الكتب التي ذلك فيها، وفي أي موضع هو منها. كلُّ ذلك بديهة من حفظه؛ لأنّه لم يكن عنده حينئذٍ كتاب يُطالعه. ونُقِّبَت[3]

---

(١) كذا، ولعلها: «راويه» أو نحوه.

(٢) سنة (٧٠٥).

(٣) في (ل): «نقيت» وفي (ط المنجد): «نُفِيت».

واعْتُبِرَت فلم يوجد فيها بحمد الله خلل ولا تغيّر. ومن جملتها كتاب «الصارم المسلول على شاتم الرسول»[1]، وهذا من الفضل الذي خصَّه الله تعالى به.

ومنها ما منحه الله تعالى من معرفة اختلاف العلماء ونصوصهم، وكثرة أقوالهم واجتهادهم في المسائل، وما رُوي عن كلٍّ منهم من راجح ومرجوح، ومقبول ومردود، في كل زمان ومكان وعصر، من الصحيح الثاقب الصائب للحقّ مما قالوه ونقلوه، وعَزْوه ذلك إلى الأماكن التي بها أودعوه، حتى كان إذا سئل عن شيء من ذلك كأنّ جميع المنقول عن الرسول ﷺ وأصحابه والعلماء فيه من الأولين والآخرين متصوَّر مسطور بإزائه. يقول ما شاء الله، ويذكر[2] ما يشاء. وهذا قد اتفق عليه كلّ من رآه، أو وقف على شيء من علمه، ممن لم يُغلِظ عقلَه الجهلُ والهوى.

وأمّا مؤلفاته ومصنفاته فإنها أكثر من أن أقدر على إحصائها، أو يحضرني جملة أسمائها، بل هذا لا يقدر عليه غالبًا أحد؛ لأنّها كثيرة جدًّا، كبارًا وصغارًا. وهي منشورة في البلدان. فقلَّ بلدٌ نزلتُه إلا ورأيت فيه من تصانيفه.

---

(١) الراجح أن تأليف كتاب الصارم.. كان في الشام قبل سفر الشيخ إلى مصر بمدة طويلة، عقب حادثة عسَّاف النصراني، سنة (٦٩٣). انظر «الجامع لسيرة شيخ الإسلام» (ص٤٠٦-٤٠٧). وقد ألف الشيخ في مصر عددًا من الكتب من أهمها «منهاج السنة النبوية»، و«جواب الاعتراضات المصرية»، و«الرد على البكري»، وفتاوى جمعت فكانت نحو ست مجلدات كبار. وغير ذلك.

(٢) لعلها: «ويترك».

- فمنها ما يُبلغ **اثنى عشر مجلدًا**، كتخليص[1] التلبيس على أساس التقديس وغيره.
- ومنها ما يبلغ **سبع مجلدات**، كالجمع بين العقل والنقل.
- ومنها ما يبلغ **خمس مجلّدات**، ومنها منهاجُ الاستقامة والاعتدال ونحوه.
- ومنها ما يبلغ **ثلاث مجلّدات**، كالرَّد على النصارى وشِبْهه.
- ومنها **مجلدان**، كنكاح المحلّل، وإبطال الحيل[2]، وشرح العقيدة الأصبهانية.
- ومنها **مجلّد ودون ذلك**. وهذان القِسْمان من مؤلفاته فهي كثيرة جدًّا لا يمكنني استقصاؤها، لكن أذكر بعضها استئناسًا:
- كتاب تفسير سورة الإخلاص، مجلد.
- كتاب الكلام على قوله عزّ وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾.
- كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول، مجلد.
- كتاب الفرق المبين بين الطلاق واليمين.
- كتاب الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.
- كتاب اقتضاء الصراط المستقيم.
- كتاب الكلم الطّيب.

---

(١) (ط، ك): «كتلخيص...» وسيأتي (ص٧٥٥) كما أثبتّ، ولعله الصواب.

(٢) «نكاح المحلل، وإبطال الحيل» كتاب واحد، وهو المسمى «بيان الدليل على بطلان التحليل» مطبوع في مجلد واحد. وسيعيده المؤلف على أنه مجلد واحد.

- كتاب إثبات الكمال[1].
- كتاب الردّ على تأسيس التقديس[2].
- كتاب نقض أقوال المبتدعين.
- كتاب الردّ على النصارى[3].
- كتاب إبطال الحيل ونكاح المحلّل[4].
- كتاب شرح العقيدة الأصبهانية.
- كتاب الفتاوى.
- كتاب الدرّ الملتقط.
- كتاب أحكام الطلاق.
- كتاب الرسالة[5].
- كتاب اعتقاد الفرقة الناجية.
- كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام.
- كتاب تقرير مسائل التوحيد.
- كتاب الاستغاثة والتوسّل.

---

(١) كذا في (ط)، ولعل صوابه: «إثبات الكرامات». انظر «العقود الدرية» (ص٦٢).

(٢) هو الذي سبق عنده باسم «تلخيص التلبيس على أساس التقديس». في اثني عشر مجلدًا، إلا إن وقع تصحيف في الاسم.

(٣) سبق للمؤلف أنه ثلاثة مجلدات.

(٤) سبق للمؤلف أنه والذي يليه مجلدان.

(٥) كذا! ولم يبيِّن أي رسالة أراد.

- كتاب المسائل[1] الحموية.
- كتاب المسائل الجزرية.
- كتاب المسائل المفردة.

ولا يليقُ هذا المختصر بأكثر من هذا القَدْر من مؤلفاته، وإلاّ فيمكن تعداد ما ينيفُ على المائتَين، لكن لم نَرَ الإطالة بذكره.

وأما فتاويه ونصوصه وأجوبته على المسائل، فهي أكثر من أن أقدر على إحصائها، لكن دُوِّن بمصر منها على أبواب الفقه سبعة عشر مجلّدًا. وهذا ظاهر مشهور. وجمع أصحابه أكثر من أربعين ألف مسألة. وقلَّ أن وَقَعَتْ واقعةٌ وسُئل عنها، إلّا وأجابَ فيها بديهةً بما بَهَرَ واشتهر. وصار ذلك الجواب كالمصنّف الذي يحتاج فيه غيره إلى زمن طويل ومطالعة كُتُب، وقد لا يقدر مع ذلك على إبراز مثله.

أخبرني الشيخ الصالح تاج الدين محمد المعروف بابن الدوري، أنّه حضر مجلس الشيخ رضي الله عنه، وقد سأله يهوديٌّ عن مسألة في القَدَر قد نظمها شعرًا في ثمانية أبيات، فلما وقف عليها فكّر لحظة يسيرة وأنشأ يكتب جوابها، وجعل يكتب ونحن نظنّ أنه يكتب نثرًا. فلما فرغ تأمّله من حضر من أصحابه، وإذا هو نظم في بحر أبيات السؤال وقافيتها، تقرب من مائة وأربعة وثمانين بيتًا[2]. وقد أبرز فيها من العلوم ما لو شُرح بشرح لجاء

(١) كذا بالجمع، والمعروف: المسألة. وكذلك الذي يليه.

(٢) انظرها في «مجموع الفتاوى»: (٨/ ٢٤٥-٢٥٥). وعددها فيهما مائة وخمسة وعشرون بيتًا. وهي ملحقة ببعض نسخ «العقود الدرية» وعددها هناك مئة وخمسة =

شرحه مجلّدين كبيرين. هذا من جملة بواهره. وكم من جواب فتوى لم يُسبق إلى مثله.

وأمّا ذكر دروسه؛ فقد كنت في حال إقامتي بدمشق لا أفوّتها. وكان لا يهيئ شيئًا من العلم ليُلقيه ويورده، بل يجلس بعد أن يصلي ركعتين فيحمد الله ويثني عليه، ويصلّي على رسوله ﷺ، على صفة مستحسنة مستعذبة لم أسمعها من غيره. ثم يشرع فيفتح الله عليه إيراد علوم وغوامض، ولطائف ودقائق، وفنون ونقول، واستدلالات بآياتٍ وأحاديث، وأقوال العلماء، ونصر[1] بعضها وتبيين صحته، أو تزييف بعضها وإيضاح[2] حجّته، واستشهادٍ بأشعار العرب، وربّما ذكر ناظمها. وهو مع ذلك يجري كما يجري السيل، ويفيض كما يفيض البحر، ويصير منذ يتكلم إلى أن يفرغ، كالغائب عن الحاضرين، مغمضًا عينيه، وذلك كله مع عدم فكره فيه ورَوِيَّته[3]، من غير تعجرف ولا توقف ولا لحن، بل فيضٌ إلهيّ، حتى يبهر كل سامع وناظر، فلا يزالُ كذلك إلى أن يصمت. وكنتُ أراه حينئذٍ كأنّه قد صار بحضرة من يشغله عن غيره، ويقع عليه إذ ذاك من المهابة ما يُرعد القلوب ويحيّر الأبصار والعقول.

= أبيات. وذكر الحافظ في «الدرر» أنها مائة وتسعة عشر بيتًا. انظر «شرح التائية» (ص١١٤) لمحمد الحمد.

(١) في نسخة: «ونقد».

(٢) كذا، ولعلها: «وإدحاض» أو نحوها.

(٣) (ط): «وروايته» خطأ، والمثبت من (ل) و(ك): «فكر فيه ورويّة».

وكان لا يذكر رسول الله ﷺ قطُّ إلّا ويصلي ويُسلِّم. ولا والله ما رأيت أحدًا أشدّ تعظيمًا لرسول الله ﷺ، ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به منه. حتى إذا كان أورد شيئًا من حديثه في مسألة، ويرى أنه لم ينسخه شيء غيره من حديثه يعمل به ويقضي ويفتي بمقتضاه، ولا يلتفت إلى قول غيره من المخلوقين كائنًا من كان. وقال رضي الله عنه: كلُّ قائل إنّما يحتج لقوله لا به، إلا الله ورسوله.

وكان إذا فرغ من درسه يفتح عينيه، ويقبل على الناس بوجه طلْقٍ بشيشٍ، وخلق دمث كأنه لقيهم حينئذ. وربّما اعتذر إلى بعضهم من التقصير في المقال مع ذلك الحال. ولقد كان درسُه الذي يورده حينئذ قدر عدة كراريس.

وهذا الذي ذكرته من أحوال درسه أمرٌ مشهور يوافقني عليه كلّ حاضريه، وهم بحمد الله خلق كثير، لم يحصر عددهم: علماء ورؤساء وفضلاء من القرّاء والمحدّثين والفقهاء والأدباء وغيرهم من عوام المسلمين.



الفصل الثالث

في ذكر معرفته بأنواع أجناس المذكور والمقول والمنقول، والمتصوَّر والمفهوم والمعقول

أمّا معرفته بصحيح المنقول وسقيمه فإنه في ذلك من الجبال التي لا يُرتقى ذروتها، ولا يُنال سنامُها. قلَّ أن ذكر له قولٌ إلا وقد أحاط علمه بمبتكره وذاكره وناقله وآثره، أو راوٍ إلا وقد عرف حاله من جرح وتعديل بإجمالٍ وتفصيل.

حكى من يوثق بنقله أنه كان يومًا بمجلس، و محدّثٌ يقرأ عليه بعض الكتب الحديثية. وكان سريع القراءة. فعارضه الشيخ في اسم رجل من سند الحديث قد ذكره القارئ بسرعة. فذكر الشيخ أنَّ اسمه فلان، بخلاف ما قرأ، فاعتبروه فوجدوه كما قال الشيخ، فانظر إلى هذا الإدراك السريع والتنبيه[1] الدقيق العجيب. ولا يقدر على مثله إلا من اشتدت معرفته، وقوي ضبطه.

وأما ما وهبه الله تعالى ومنحه، من استنباط المعاني من الألفاظ النبوية والأخبار المروية، وإبراز الدلائل منها على المسائل، وتبيين مفهوم اللفظ ومنطوقه، وإيضاح المخصّص للعام، والمقيّد للمطلق، والناسخ للمنسوخ، وتبيين ضوابطها ولوازمها وملزوماتها، وما يترتب عليها، وما يحتاج فيه إليها، حتى إذا ذكر آية أو حديثًا، وبيّن معانيه وما أريد به، يعجب

---

(١) لعله: «التنبّه».

العالم الفطن من حسن استنباطه، ويدهشه ما سمعه أو وقف عليه منه.

ولقد سئل يومًا عن الحديث «**لعن الله المحلِّل له...**»[١] فلم يزل يورد فيه وعليه حتى بلغ كلامه فيه مجلّدًا كبيرًا. وقلّ أن كان يُذكر له حديث أو حكم فيشاء أن يتكلّم عليه يومه أجمع إلا فعل. أو يقرأ بحضرته آيةٌ من كتاب الله تعالى ويشرع في تفسيرها إلا وقطع المجلس كلَّه فيها.

وأمّا ما خصّه الله تعالى به من معارضة أهل البدع في بدعتهم، وأهل الأهواء في أهوائهم، وما ألفه في ذلك من دحض أقوالهم وتزييف أمثالهم وأشكالهم، وإظهار عوارهم وانتحالهم، وتبديد شملهم، وقطع أوصالهم، وأجوبته عن شبههم الشيطانية، ومعارضتهم النفسانيّة[٢] للشريعة الحنيفية المحمدية، بما منحه الله تعالى من البصائر الرحمانية والدلائل النقلية والتوضيحات العقلية، حتى انكشف قناع الحق، وبان فيما جمعه في ذلك وألّفه الكذب من الصدق، حتى لو أن أصحابها أحياء ووُفِّقوا[٣] لغير الشقاء؛ لأذعنوا له بالتصديق، ودخلوا في الدين العتيق.

ولقد وجب على كلّ من وقف عليها، وفهم ما فيها أن يحمد الله تعالى على حسن توفيقه هذا الإمام لنصر الحقّ بالبراهين الواضحة العظام.

حدثني غير واحدٍ من العلماء الفضلاء النبلاء الممعنين بالخوض في

---

(١) أخرجه أحمد (٦٧١)، وأبو داود (٢٠٧٨) وغيرهما من حديث علي رضي الله عنه. وروي عن جماعة من الصحابة.

(٢) كذا، ولعلها: «القياسية».

(٣) (ط): «ووقفوا».

أقاويل المتكلمين، لإصابة الثواب وتمييز القشر من اللباب: أنّ كلًّا منهم لم يزل حائرًا في تجاذب أقوال الأصوليين ومعقولاتهم، وأنه لم يستقرّ في قلبه منها قولٌ ولم يَبِن له من مضمونها حقّ. بل رآها كلَّها موقعة في الحيرة والتضليل، وجُلّها مذعن بتكافؤ الأدلة والتعليل. وأنه كان خائفًا على نفسه من الوقوع بسببها في التشكيك والتعطيل، حتى منّ الله تعالى عليه بمطالعته مؤلفات هذا الإمام أحمد ابن تيمية شيخ الإسلام، مما أورده من النقليات والعقليات في هذا النظام. فما هو إلا أن وقف عليها وفهمها، فرآها موافقة للعقل السليم وعَلِمَها، حتى انجلى ما كان قد غشيه من أحوال المتكلمين من الظلام، وزال عنه ما خاف أن يقع فيه من الشكّ وظفر بالمرام[1].

ومن أراد اختبار صحة ما قلته، فليقف بعين الإنصاف، العَرِيّة عن الحسد والانحراف، إن شاء على مختصراته في هذا الشأن، كـ«شرح الأصبهانية» ونحوها، وإن شاء على مطولاته، كـ«تخليص التلبيس من تأسيس التقديس»، و«الموافقة بين العقل والنقل»، و«منهاج الاستقامة والاعتدال»، فإنه والله يظفر بالحق والبيان، ويستمسك بأوضح برهان، ويزن حينئذ ذلك بأصحّ ميزان.

ولقد أكثر ـ رضي الله عنه ـ التصنيف في الأصول فضلًا عن غيره من

---

(١) أظنه عنى بهذا الكلام الشيخ عبد الله بن حامد الشافعي، وقد أرسل رسالتين بهذا الخصوص لتلاميذ شيخ الإسلام يشرح فيها بالتفصيل حكايته، ويتحسر على عدم لقاء الشيخ، الرسالة الأولى إلى ابن رشيّق، وهي في «الجامع لسيرة ابن تيمية» (ص٢٤١-٢٤٥)، والثانية إلى ابن بُخيخ، وهي في «تكملة الجامع» (ص٥١-٦٤).

بقية العلوم، فسألته عن سبب ذلك، والتمست منه تأليف نصّ في الفقه يجمع اختياراته وترجيحاته، ليكون عمدة في الإفتاء، فقال لي ما معناه: الفروع أمرها قريب، فإذا قلّد المسلم فيها أحدَ العلماء المقلَّدين جاز له العمل بقوله، ما لم يتيقن خطأه. وأمّا الأصول فإني رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء، كالمتفلسفة والباطنية والملاحدة، والقائلين بوحدة الوجود، والدهرية، والقدرية، والنُّصيرية، والجهمية، والحلولية، والمعطلة، والمجسِّمة، والمشبِّهة، والراوندية، والكُلّابية، والسالمية[1]، وغيرهم من أهل البدع قد تجاذبوا فيها بأزمّة الضلال، وبان لي أنّ كثيرًا منهم إنما قَصَد إبطال الشريعة المقدّسة المحمدية، الظاهرة على كلّ دين، العلية، وأن جمهورهم أوقع الناس في التشكيك في أصول دينهم، ولهذا قلّ أن سمعت أو رأيت معرضًا عن الكتاب والسنة، مقبلًا على مقولاتهم، إلا وقد تزندق أو صار على غير يقين في دينه أو اعتقاده.

فلما رأيت الأمر على ذلك، بان لي أنه يجب على كلّ من يقدر على دفع شُبَهِهم وأباطيلهم وقطع حُجّتهم وأضاليلهم، أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم، وزيف دلائلهم، ذبًّا عن الملّة الحنيفية، والسنة الصحيحة الجليّة.

ولا والله ما رأيتُ فيهم أحدًا ممّن صنّف في هذا الشأن، وادعى علوّ المقام، إلا وقد ساعد بمضمون كلامه في هدم قواعد دين الإسلام. وسبب ذلك إعراضه عن الحق الواضح المبين، وعمّا جاءت به الرسل الكرام عن

---

(١) (ط): «السلمية»، (ك): «السليمية» ولعل الصواب ما أثبت، والسالمية هم أتباع أبي الحسن بن سالم. انظر «مجموع الفتاوى»: (٥/ ٤٨٣).

رب العالمين، واتباعه طرق الفلسفة في الاصطلاحات التي سمّوها بزعمهم حُكميات وعقليّات، وإنما هي جهالات وضلالات، وكونه التزمها معرضًا عن غيرها أصلًا ورأسًا، فغلبت عليه حتى غطَّت على عقله السليم، فتخبّط حتى خَبَط فيها خَبْط عشواء، ولم يفرّق بين الحقّ والباطل، وإلا فالله أعظم لطفًا بعباده من أن لا يجعل لهم عقلًا يقبل الحقّ ويثبته، ويبطل الباطل وينفيه، لكن عدم التوفيق وغلبة الهوى أوقع من أوقع في الضلال.

وقد جعل الله تعالى العقل السليم من الشوائب ميزانًا يزن به العبد الواردات، فيفرق به بين ما هو من قبيل الحقّ، وما هو من قبيل الباطل، ولم يبعث الله الرسل إلا إلى ذوي العقل، ولم يقع التكليف إلا مع وجوده، فكيف يقال إنه مخالف لبعض ما جاءت به الرسل الكرام عن الله تعالى؟ هذا باطل قطعًا، يشهد له كل عقل سليم، لكن ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قال الشيخ الإمام قدّس الله روحه: فهذا ونحوه هو الذي أوجب أنّي صرفت جُلّ همّي إلى الأصول، وألزمني أن أوردت مقالاتهم وأجبت عنها بما أنعم الله تعالى به من الأجوبة العقلية والنقلية.

قلت: وقد أبان بحمد الله تعالى فيما ألّف فيها لكلّ بصيرٍ الحقَّ من الباطل، وأعانه بتوفيقه حتى ردّ عليهم بِدَعهم وآراءهم، وخُدَعهم وأهواءهم، مع الدلائل النقلية بالطريقة العقلية[1]، حتى يجيب عن كل شبهة من شبههم بعدة أجوبة جليّة واضحة، يعقلها كلّ ذي عقل صحيح،

---

(١) كذا، ولعلها: «والطرائق العقلية».

ويشهد لصحتها كلّ عاقل رجيح.

فالحمد لله الذي منّ علينا برؤيته وصحبته، فلقد جعله الله حجةً على أهل هذا العصر، المعرض غالب أهله عن قليله وكثيره؛ لاشتغالهم بفاني الدنيا عما يحصَّل به باقي الآخرة. فلا حول ولا قوة إلا بالله، لكن الله ذو القوة المتين ضمن حفظ هذا الدين إلى يوم الدين، وأظهره على كل دين، فالحمد لله رب العالمين.



الفصل الرابع
في ذكــــر تعبّــده

أمّا تعبّده ـ رضي الله عنه ـ فإنه قلّ أن سُمِع بمثله؛ لأنّه كان قد قطع جُلّ وقته وزمانه فيه، حتى إنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله تعالى ما يُراد[1] له من أهل ولا من مال.

وكان في ليله متفرِّدًا عن الناس كلهم، خاليًا بربه عز وجل، ضارعًا، مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم، مكرّرًا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية.

وكان إذا ذهب الليل وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر، يأتي بسنّتها قبل إتيانه إليهم، وكان إذا أحرم بالصلاة يكاد يخلع القلوبَ لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام، فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميد يمنةً ويسرة، وكان إذا قرأ يمدّ قراءته مدًّا كما صحَّ في قراءة رسول الله ﷺ، وكان ركوعه وسجوده وانتصابه عنهما من أكمل ما ورد في صلاة الفرض، وكان يُخفُّ جلوسه للتشهد الأول خفَّة شديدة، ويجهر بالتسليمة الأولى حتى يسمع كلُّ من حضر، فإذا فرغ من الصلاة أثنى على الله عزّ وجلّ هو ومن حضر بما ورد من قوله: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام...**»[2] الحديث، ثم يُقبل على الجماعة، ثم يأتي بالتهليلات الواردات حينئذ، ثم يسبح الله ويحمده ويكبّره ثلاثًا وثلاثين، ويختم المائة بالتهليل، كما ورد، وكذا

(١) كذا العبارة في النسخ.

(٢) أخرجه مسلم (٥٩١) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

الجماعة، ثم يدعو الله تعالى له ولهم وللمسلمين أجناس ما ورد(١).

وكان غالب دعائه: «**اللهم انصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، واهدنا ويسّر الهدى لنا، اللهم اجعلنا لك شاكرين، لك ذاكرين، إليك راغبين، لك مخبتين، إليك راهبين، لك مطاويع، ربنا تقبّل توباتنا، واغسل حَوباتنا، وثبّت حُجَجَنا، واهد قلوبنا، واسلل سَخيمة صدورنا**»(٢).

---

(١) ما ذكره المؤلف فيه الدعاء بعد الإتيان بالأوراد المشروعة، وهذا لا يخالف إنكار المؤلف على من دعا عقب الصلاة مباشرةً، فقد سُئل عن الدعاء عقب الصلاة فأجاب: «لم يكن النبي ﷺ يدعو هو والمأمومون عقيب الصلوات الخمس كما يفعله بعض الناس عقيب الفجر والعصر، ولا نُقل ذلك عن أحد ولا استحب ذلك أحدٌ من الأئمة. ومَن نقل عن الشافعي أنه استحب ذلك فقد غلط عليه. ولفظه الموجود في كتبه ينافي ذلك. وكذلك أحمد وغيره من الأئمة لم يستحبوا ذلك.
ولكن طائفة من أصحاب أحمد وأبي حنيفة وغيرهما استحبوا الدعاء بعد الفجر والعصر. قالوا: لأن هاتين الصلاتين لا صلاة بعدهما فتعوض بالدعاء عن الصلاة.
واستحب طائفة أخرى من أصحاب الشافعي وغيره الدعاء عقيب الصلوات الخمس.
وكلهم متفقون على أن من ترك الدعاء لم ينكر عليه، ومن أنكر عليه فهو مخطئ باتفاق العلماء، فإن هذا ليس مأمورًا به، لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب في هذا الموطن، والمنكر على التارك أحق بالإنكار منه؛ بل الفاعل أحق بالإنكار، فإن المداومة على ما لم يكن النبي ﷺ يداوم عليه في الصلوات الخمس ليس مشروعًا؛ بل مكروه كما لو داوم على الدعاء قبل الدخول في الصلوات.. فإنه مكروه... والأحاديث الصحيحة تدل على أن النبي ﷺ كان يدعو دبر الصلاة قبل السلام ويأمر بذلك». «مجموع الفتاوى»: (٢٢/ ٥١٣ ـ ٥١٢). وانظر «مجموع الفتاوى»: (٢٢/ ٤٩٢).

(٢) ورد هذا الدعاء بألفاظٍ مختلفة عند أحمد (١٩٩٧)، وأبو داود (١٥١٠، ١٥١١)، والترمذي (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، وابن حبان (٩٤٧، ٩٤٨)، وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

يفتتحه ويختمه بالصلاة على النبي ﷺ.

ثم يشرع في الذّكر، وكان قد عُرفت عادتُه لا يُكلّمه أحدٌ بغير ضرورة بعد صلاة الفجر، فلا يزال في الذكر يُسمع نفسه، وربما يسمع ذكره من الروحانية مع كونه في خلال ذلك يكثر من تقليب بصره نحو السماء، هكذا دأبه حتى ترتفع الشمس، ويزول وقتُ النهي عن الصلاة.

وكنت مدّة إقامتي بدمشق ملازمه جلَّ النهار وكثيرًا من الليل، وكان يدنيني منه حتى يجلسني إلى جانبه، وكنت أسمع ما يتلو وما يذكر حينئذ، فرأيته يقرأ الفاتحة ويكررها، ويقطع ذلك الوقت كله، أعني من الفجر إلى ارتفاع الشمس في تكرير تلاوتها، ففكّرت في ذلك لِمَ قد لزم هذه السورة دون غيرها؟ فبان لي، والله أعلم، أن قصده بذلك أن يجمع بتلاوتها حينئذ بين ما ورد في الأحاديث وما ذكره العلماء، هل يستحب تقديم الأذكار الواردة على تلاوة القرآن أو العكس؟ فرأى رضي الله عنه أنّ في الفاتحة وتكرارها حينئذ جمعًا بين القولين وتحصيلًا للفضيلتين، وهذا من قوة فطنته وثاقب بصيرته.

ثم إنه كان يركع، فإذا أراد سماع حديث في مكان آخر سارع إليه من فوره، مع من يصحبه، فقلَّ أن يراه أحدٌ ممن له بصيرة إلا وانكبَّ على يديه فيقبلهما، حتى إنه كان إذا رآه أرباب المعايش يتخَطّون[1] من حوانيتهم للسلام عليه والتبرّك به، وهو مع هذا يُعطي كُلًّا منهم نصيبًا وافرًا من السلام وغيره، وإذا رأى منكرًا في طريقه أزاله، أو سمع بجنازة سارع إلى

---

(١) (ط): «يتخبطون»، والمثبت من (ك).

الصلاة عليها، أو تأسّف على فواتها، وربما ذهب إلى قبر صاحبها بعد فراغه من سماع الحديث، فصلى عليه، ثم يعود إلى مسجده، فلا يزال تارة في إفتاء الناس، وتارة في قضاء حوائجهم، حتى يصلّي الظهر مع[1] الجماعة، ثم كذلك بقية يومه.

وكان مجلسه عامًّا للكبير والصغير، والجليل والحقير، والحرّ والعبد، والذكر والأنثى، قد وسع كل من يَرِدُ عليه من الناس، يرى كلٌّ منهم في نفسه أن لم يكرم أحدًا بقدره.

ثم يصلي المغرب، ثم يتطوع بما يسَّره الله، ثم أقرأ عليه من مؤلفاته أنا أو غيري، فيفيدنا بالطرائف، ويمدُّنا باللطائف، حتى يصلّي العشاء، ثم بعدها كما كنا وكان من الإقبال على العلوم إلى أن يذهب هَوِيٌّ من الليل طويل، وهو في خلال ذلك كلّه في النهار والليل، لا يزال يذكر الله تعالى ويوحّده ويستغفره.

وكان رضي الله عنه كثيرًا ما يرفع طَرْفَه إلى السماء، لا يكاد يفتر عن ذلك، كأنّه يرى شيئًا يثْبِته بنظره، فكان هذا دأبه مدّة إقامتي بحضرته، فسبحان الله ما أقصر ما كانت! يا ليتها كانت طالت. ما مرَّ على عمري إلى الآن زمانٌ كان أحبَّ إليَّ من ذلك الحين، ولا رأيتني في وقت أحسن حالًا منّي حينئذ، وما كان إلا ببركة الشيخ رضي الله عنه.

وكان في كلّ أسبوع يعود المرضى، خصوصًا الذين بالمارستان. وأخبرني غير واحد ممن لا يُشكُّ في عدالته أن جميع زمن الشيخ ينقضي

(١) (ط): «من».

على ما رأيته. فأيُّ عبادة واجتهاد أفضل من ذلك؟ فسبحان الموفق من يشاء لما يشاء!



الفصل الخامس
في ذكـر بعـض وَرَعه

كان رضي الله عنه في الغاية التي يُنتهى إليها في الوَرَع؛ لأنّ الله تعالى أجراه مدة عمره كلّها عليه، فإنه ما خالط الناس في بيع ولا شراء ولا معاملة ولا تجارة ولا مشاركة ولا زراعة ولا عمارة، ولا كان ناظرًا مباشرًا لمال وقف، ولم يكن يقبل جراية ولا صلة لنفسه من سلطان ولا أمير ولا تاجر، ولا كان مُدَّخرًا دينارًا ولا درهمًا ولا متاعًا ولا طعامًا، وإنما كانت بضاعته مدّة حياته، وميراثه بعد وفاته ـ رضي الله عنه ـ العلم، اقتداءً بسيّد المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، فإنه قال: «**إنّ العلماء ورثة الأنبياء لم يورّثوا دينارًا ولا درهمًا، ولكن ورّثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظٍّ وافر**»[1].

وكان ينبّه العاقل بحسن الملاطفة ورقيق المخاطبة ليختار لنفسه طريقتهم، ويسلك سبيلهم، وإن كان دونها من الطرائق من اتخاذ المباحات جائز، لكن العاقل يدلّه عقله على طلب الأعلى. فانظر بعين الإنصاف إلى ما وفّق الله له هذا الإمام وأجرى، ممّا أقعد عنه غيره وخذله عن طلبه، لكن لكل شيء سبب، وعلامة عدم التوفيق سلب الأسباب، ومن أعظم الأسباب: تركُ فضول الدنيا [و]التخلّي[2] عن غير الضروري منها. فلما

(١) أخرجه أبوداود (٣٦٤٣)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. صححه ابن الملقن في «البدر المنير»: (٧/ ٥٨٧).
(٢) العبارة في (ط): «لترك... التخلي» ولعلّها ما أثبت.

وفّق الله هذا الإمام لرفض غير الضروري منها انصبّت عليه العواطف الإلهية، فحصل بها كلَّ فضيلة جليلة، بخلاف غيره من علماء الدنيا، مختاريها وطالبيها والساعين لتحصيلها، فإنهم لمّا اختاروا ملاذّها وزينتها ورياستها= انسدّت عليهم غالبًا طُرُق الرشاد، فوقعوا في شَرَكها يخبطون خبط عشواء، ويحطبونها كحاطب ليل، لا يُبالون ما يأكلون ولا ما يلبسون ولا ما يتأولون[1] إلا ما يُحصّل لهم أغراضَهم الدنيئة، ومقاصدهم الخبيثة الخسيسة، فهم متعاضدون على طلبها، متحاسدون بسببها، أجسامهم ميتة، وقلوبهم من غيرها فارغة، وظواهرهم مزخرفة معمورة، وقلوبهم خربة مأبورة.

ولم يكفهم ما هم عليه حتى أصبحوا قالين رافضها، معادين باغضها، ولمّا رأوا هذا الإمام عالم الآخرة، تاركًا ما هم عليه من تحصيل الحطام من المشتبه الحرام، رافضًا الفضل المباح فضلًا عن الحرام، تحقّقوا أنّ أحواله تفضح أحوالهم، وتوضح خفيّ انفعالهم، وأخذتهم الغيرة النفسانية على صفاتهم الشيطانية، المباينة لصفاته الروحانية، فحرصوا على الفتك به أين ما وَجدوا، وأُنْسوا أنهم ثعالب وهو أسد. فحماه الله تعالى منهم بحراسته، وصنع له غير مرّة كما صنع لخاصّته، وحفظه مُدّة حياته وحماه، ونشر له عند وفاته علمًا في الأقطار بما والاه.



(١) كذا في (ط، ك)، ولعلها: «يتناولون».

الفصل السادس

في ذكر بعض زُهده وتجرده وتقاعده عن الدنيا وتبعّده

أمّا زهده في الدنيا ومتاعها، فإنّ الله تعالى جعل ذلك له شعارًا من صغره. حدّثني من أثق به عن شيخه الذي علّمه القرآن المجيد قال: قال لي أبوه وهو صبي ـ يعني الشيخ ـ: أحبُّ إليك أن توصيه وتَعِده بأنك إذا لم تنقطع عن القراءة والتلقين أدفع إليك كلّ شهر أربعين درهمًا. قال: ودفع إليّ أربعين درهمًا، وقال: أعطه إيّاها، فإنه صغير وربّما يفرح بها فيزداد حرصه على الاشتغال بحفظ القرآن ودرسه، وقل له: لك في كلّ شهر مثلها. فامتنع من قبولها وقال: يا سيدي، إنّي عاهدت الله تعالى أن لا آخذ على القرآن أجرًا، ولم يأخذها، فرأيت أن هذا لا يقع من صبي إلّا لما لله فيه من العناية.

قلتُ: وصدق شيخه، فإنّ عناية الله هي التي أوصلته إلى ما وصل من كل خير من صغره، ولقد اتفق كلُّ من رآه ـ خصوصًا من أطال ملازمته ـ أنه ما رأى مثله في زهده في الدنيا، حتى لقد صار ذلك مشهورًا، بحيث قد استقرّ في قلب القريب والبعيد من كلّ من سمع بصفاته على وجهها، بل لو سُئل عامي من أهل بلد بعيد من الشيخ: من كان أزهد أهل هذا العصر وأكملهم في رفض فضول الدنيا، وأحرصهم على طلب الآخرة؟ لقال: ما سمعت بمثل ابن تيمية.

وما اشتهر له ذلك إلا لمبالغته فيه، مع تصحيح النية، وإلاّ فمَن رأينا

من العلماء قنع من الدنيا بمثل ما قنع هو منها، أو رضي بمثل حالته التي كان عليها؟ لم يُسمع أنه رغب في زوجةٍ حسناء ولا سرية حوراء، ولا دار قوراء، ولا جَوَارٍ، ولا بساتين ولا عَقار، ولا شدّ على دينار ولا درهم، ولا رغب في دواب ولا نَعَم، ولا ثياب ناعمة فاخرة ولا حَشَم، ولا زاحم في طلب الرياسات، ولا راءى ساعيًا في تحصيل المباحات، مع أنّ الملوك والأمراء والتجّار والكبار كانوا طَوعَ أمرِه، خاضعين لقوله وفعله، وادّين أن يتقربوا إلى قلبه مهما أمكنهم، مظهرين لإجلاله، أو أن يؤهل كلًا منهم[1] في بذل ماله.

فأين حاله هذه من أحوال بعض المنتسبين إلى العلم وليسوا من أهله، ممّن قد أغراه الشيطان بالوقيعة فيه بقوله وفعله؟ أتُرى ما نظروا ببصائرهم إلى صفاتهم وصفاته، وسِماتهم وسماته، وتحاسدهم في طلب الدنيا وفراغه عنها، وتحاشدهم في الاستكثار منها، ومبالغته في الهرب منها، وخدمتهم الأمراء واختلافهم إلى أبوابهم، وذلّ الأمراء بين يديه، وعدم اكتراثه بكبرائهم وأترابهم ومداجاتهم وتعبداتهم، وصدعه إيّاهم بالحق، وقوّة جأشه في محاورتهم؟ بلى والله! ولكن قتَلَتْهم الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، وغطّى على أحلامهم حبّ الدنيا السارقة، سارقة العقل لا سارقة البدن، حتى أصبحوا قاطعين من بايَنَهم[2] في طلبها، واصلين مَن واصلهم في جلبها.

(١) كذا العبارة في (ط، ك).

(٢) (ط، ك): «يأتيهم» ولعلها ما أثبت ويدل عليها السياق بعدها.

الفصل السابع
في إيثاره مع فقره، وتواضعه

كان رضي الله عنه مع شدّة تركه للدنيا ورفضه لها وفقره فيها وتقلّله منها= مؤثِرًا بما عساه يجده منها، قليلًا كان أو كثيرًا، جليلًا أو حقيرًا، لا يحتقر القليل فيمنعه ذلك عن التصدّق به، ولا الكثير فيصرفه النظر إليه عن الإسعاف به. فقد كان يتصدّق حتى إذا لم يجد شيئًا نزع بعض ثيابه ممّا يحتاج إليه فيَصِل به الفقير، وكان يستفضل من قوته القليل الرغيف والرغيفين فيؤثر بذلك على نفسه، وربّما خبأهما في كمّه ويمضي ونحن معه لسماع الحديث، فيراه بعضنا وقد دفعه إلى الفقير مستخفيًا، يحرص أن لا يراه أحد، وكان إذا ورد عليه فقير، وآثر المقام عنده يؤثره عند الأكل بالأكثر من قوته الذي جُعِل برسمه.

حدّثني الشيخ الصالح العارف زين الدين علي الواسطيّ ما معناه: أنّه أقام بحضرة الشيخ مدة طويلة. قال: فكان قوتنا في غالبها أنه كان في بكرة النهار يأتيني ومعه قدر نصف رطل خبزًا بالعراقي، فيكسره بيده لُقمًا ونأكُل منه أنا وهو جميعًا، ثم يرفع يده قَبْلي، ولا يفرغ باقي القُرْص من بين يديّ حتى أشبع، بحيثُ أنّي لا أحتاجُ إلى الطعام إلى الليل. وكنتُ أرى ذلك من بركة الشيخ. ثم يَبْقى إلى بعد العشاء الآخرة حتى يفرغ من جميع عوائده التي يفيدُ الناسَ بها في كلّ يوم من أصناف القُرَب. فيؤتى بعشائنا، فيأكل هو معي لُقَيْمات، ثم يؤثرني بالباقي. وكنتُ أسأله أن يزيدَ على أكْلِه فلا يفعل، حتى إنّي كنتُ في نفسي أتوجّعُ له من قلّة أكله.

وكان هذا دأبُنا[1] في غالب مدّة إقامتي عنده، وما رأيتُ نفسي أغنى منها في تلك المدة، ولا رأيتُني أجمع[2] همًّا مني فيها.

وحكى غيرُ واحد ما اشتهر عنه من كثرة الإيثار، وتفقّد المحتاجين والغُرَباء، ورقيقي الحال من الفُقهاء والقُرّاء، واجتهاده في مصالحهم وصِلاتهم، ومساعدته لهم. بل لكلّ أحدٍ من العامّةِ والخاصّة ممن يمكنه فعل الخير معه، وإسداء المعروف إليه بقوله وفِعْله، ووجهه وجاهه.

وأمّا تواضعه؛ فما رأيتُ ولا سمعتُ بأحدٍ من أهل عصره مثله في ذلك، كان يتواضع للكبير والصغير، والجليل والحقير، والغني الصالح والفقير. وكان يُدْني الفقيرَ الصالح ويُكرمُه ويؤنسه ويُباسطه بحديثه المستحلى زيادة على مثله من الأغنياء، حتى إنّه ربما خدمه بنفسه؛ وأعانه بحَمْل حاجته، جَبْرًا لقَلْبه، وتقرُّبًا بذلك إلى ربّه.

وكان لا يسأمُ ممّن يَسْتَفْتِيه أو يسأله، بل يُقبل عليه ببشارة وجْه ولين عريكة، ويقفُ معه حتى يكون هو الذي يُفارقه، كبيرًا كان أو صغيرًا، رجلًا أو امرأةً، حُرًّا أو عبْدًا، عالمًا أو عامِيًّا، حاضرًا أو باديًا، ولا يجبهه ولا يُحرِجهُ ولا يُنفِّرُه بكلام يوحشُه، بل يُجيبُه ويُفهِّمُهُ ويُعَرِّفُه الخطأَ من الصواب، بلطف وانبساط.

وكان يلزم التواضع في حضوره مع الناس ومغيبه عنهم، في قيامه وقعوده ومَشْيه، و مجلسه و مجلس غيره.

---

(١) (ط، ك): «رأينا» والصواب ما أثبت.

(٢) في (ط، ك): «أفقر» والمثبت من (ل).

ولقد بالغ معي حال إقامتي بحضرته في التواضع والإكرام، حتى إنه لا يذكرني باسمي، بل يُلَقِّبني بأحسن الألقاب، ويُظهِرُ لي خصوصًا بين أصحابي من الإكرام والتبجيل والإدناء منه، بحيث لا يتركني أجلس إلّا إلى جانبه، قصيرًا كان مجلسُه أو طويلًا، خاصًّا أو عامًّا. ولازمني في حال قراءتي «صحيح البخاري». وكان قَصْدي قراءته على راويه منفردًا، لاستصغاري نفسي عن القراءة هُناك بمحضر من الناس، ولقصدي تعجيل فراغي منه انتهازًا للفُرْصة، وخَوْفًا من فوات ذلك الشيخ الراوي، لكونه تفرّد بروايته سماعًا على أصحاب أبي الوقت السِّجْزي.

فلما سمع الشيخ بذلك ألزمني قراءته بمجْمَع كثير من الناس رجالًا ونساءً وصبيانًا. وقال: ما ينبغي إلّا على صِفةٍ يكون نفعُها متعديًا إلى المسلمين. فتجرّد لي بحيث حصل لي مُرادي وفوقه من تحصيل قراءتي له في عشرين مجلسًا متوالية، لم يتخللها سوى الجمعة. ولازمني فيها، وحضر القراءة كلّها يضبطها بنسخة كانت بيده هي أصلُ ابن ناصر الحافظ يُعارض بها نسخة القراءة، وكانت أصلَ الشيخ المُسْمع[1].

وَأظهر لي من حسن الأخلاق والمبالغة في التواضع، بحيث إنه كان إذا خرجنا من منزله بقصد القراءة يحمل هو بنفسه النسخة ولا يَدَعُ أحدًا منّا يحملها عنه. وكنتُ أعتذرُ إليه من ذلك خَوْفًا من سوء الأدب، فيقول: لو حملْتُه على رأسي لكان ينبغي. ألا أحمل ما فيه كلامُ رسول الله ﷺ؟

---

(١) ذكر هذه القراءة ابن ناصر الدين في «الرد الوافر» (ص٢١١). وكانت القراءة على المسند المعمّر أبي العباس الحجار (ت٧٣٠).

وكان يجلس تحت الكرسي ويَدَعُ صَدْر المجالس، حتى إنّي لأستحي من مجلسه هناك، وأعجب من شدّة تواضعه، ومبالغته في إكرامي بما لا أستحق وتقديمي عليه في المجلس. ولولا قراءتي حديث رسول الله ﷺ، وعِظَم حُرْمتها لما كان ينبغي لي ذلك. وكان هذا حاله في التواضع والتنازل والإكرام لكلّ مَنْ يَرِدُ عليه، أو يصحبه، أو يلقاه. حتى إنّ كلّ مَنْ لقيه يحكي عنه من المبالغة في التواضع نحوًا مما حكيتُه وأكثر من ذلك. فسبحان مَنْ وفّقه وأعطاه، وأجراه على خلال الخير وأمضاه.



الفصل الثامن
في هيئتــه ولباســـه

كـان رضي الله عنـه متوسّـطًا في لباسـه وهيئتـه، لا يلـبس فـاخر الثيـاب بحيثُ يُرْمق ويمدّ إليه النظر فيها، ولا أطمارًا، ولا غليظةً تُشهر حال لابسها ويُميَّز من عامّة الناس بصفةٍ خاصة يراه الناسُ فيها[1]. بل كان لباسُه وهيئتُه كغالب الناس ومتوسّطهم. ولم يكن يلزم نوعًا واحدًا من اللباس فلا يَلْبَسُ غيرَه. كان يلبس ما اتفق وحصل ويأكل ما حضر.

وكانت بذاذة الإيـمان[2] عليـه ظـاهرة. لا يُرَى مُتَصَنِّعًا في عمامـة ولا لباس ولا مِشية ولا قيام ولا جلـوس، ولا يتهيّـأ لأحـدٍ يلقـاه، ولا لـمَنْ يَرِدُ عليه من بلد.

ومن العجب أنّي كنتُ قد رأيتُه قبل لُقِيِّه بمدّةٍ فـيما يـرى النـائم، ونحـن جلوس نأكلُ طعامًا على صفة مُعيّنة. فحالَ لقائي له ودخولي عليـه وجدتُـه يأكلُ مثل ذلك الطعام على نحوٍ من الـصفة التـي رأيـت. فأجلسني، وأكلنـا جميعًا كما رأيت في المنام.

وأخبرني غير واحد أنه ما رآه ولا سمع أنه طلـب طعامًـا قـطُّ ولا غـداء ولا عشاء، ولو بقي مهما بقي؛ لشدّة اشتغاله بما هو فيه مـن العلـم والعمـل، بل كان يؤتى بالطعام، وربما يُـترك عنـده زمانًـا حتـى يلتفـت إليـه، وإذا أكـل

---

(١) في (ل، ك) زيادة: «من عالم وعابد».

(٢) البذاذة: رثاثة الهيئة. والمراد: ترك الترفُّه والتنطع في اللباس والتواضع فيه. انظر «فتح الباري»: (١٠/ ٣٦٨).

أكل شيئًا يسيرًا. قال: وما رأيناه يذكر شيئًا من ملاذّ الدنيا ونعيمها، ولا كان يخوض في شيء من حديثها، ولا يُسألُ عن شيء من معيشتها، بل جلُّ همّته وحديثه في طلب الآخرة، وما يقرّب إلى الله تعالى.

وهكذا كان في لباسه، لم يُسمع أنه أمر أن يُتَّخذ له ثوب بعينه، بل كان أهله يأتون بلباسه وقت علمهم باحتياجه إلى بدل ثيابه التي عليه، وربّما بقيت عليه مدّة حتى تتّسخ ولا يأمر بغسلها حتى يكون أهله هم الذين يسألونه ذلك.

وأخبر أخوه[(١)] الذي كان ينظر في مصالحه الدنيوية أنّ هذا حاله في طعامه وشرابه ولباسه وما يحتاج إليه ممّا لا بدّ منه من أمور الدنيا، وما رأيت أحدًا كان أشدَّ تعظيمًا للشيخ من أخيه هذا ـ أعني القائم بأَوَدِه[(٢)] ـ وكان يجلس بحضرته كأنّ على رأسه الطير، وكان يهابه كما يهاب سلطانًا، وكنا نعجب منه في ذلك ونقول له: إنّ من العرف والعادة أنّ أهل الرجل لا يحتشمونه كالأجانب، بل يكون انبساطهم معه فضلًا عن الأجنبي، ونحن نراك مع الشيخ كتلميذ مبالغ في احتشامه واحترامه، فيقول: إني أرى منه أشياء لا يراها غيري، أوجبَتْ أن أكون معه ما ترون. وكان يُسأل عن ذلك فلا يذكر منه شيئًا لما يعلم من عدم إيثار الشيخ لذلك.



(١) هو زين الدين عبد الرحمن بن عبد الحليم ابن تيمية (ت٧٤٧). ترجمته في «البداية والنهاية»: (١٨/ ٤٩٠) و«الدرر الكامنة»: (٢/ ٣٢٩).

(٢) كذا، ولعلها: «بأموره».

الفصل التاسع

في ذكر بعض كرامته وفراسته

أخبرني غير واحد من الثقات ببعض ما شاهده من كراماته، وأنا أذكر بعضها على سبيل الاختصار، وأبدأ من ذلك ببعض ما شاهدته.

فمنها: أنه جرى بيني وبين بعض الفضلاء منازعة في عدة مسائل، وطال كلامنا فيها، وجعلنا نقطع الكلام في كل مسألة بأن نرجع إلى الشيخ وما يُرجحه من القول فيها.

ثم إن الشيخ رضي الله عنه حضر، فلما هممنا بسؤاله عن ذلك سَبَقنا هو وشرع يذكر لنا مسألة مسألة كما كنا فيه، وجعل يذكر غالب ما أوردناه في كل مسألة، ويذكر أقوال العلماء، ثم يرجح منها ما يُرجحه الدليل، حتى أتى على آخر ما أردنا أن نسأل عنه، وبيَّن لنا ما قصدنا أن نستعمله منه، فبقيتُ أنا وصاحبي ومَن حَضَرَنا مبهوتين متعجبين ممّا كاشَفَنا به، وأظهره الله عليه ممّا كان في خواطرنا.

وكنت في خلال الأيام التي صحِبْته فيها إذا بحث مسألةً يحضر لي إيرادٌ، فما يستتمُّ خاطري به، حتى يشرع فيورده ويذكر الجواب من عدّة وجوه.

وحدّثني الشيخ الصالح المقرئ أحمد بن الحريمي أنّه سافر إلى دمشق، قال: فاتفق أنّي لمّا قدمتها لم يكن معي شيء من النفقة البتة، وأنا لا أعرف أحدًا من أهلها، فجعلت أمشي في زقاق منها كالحائر، فإذا بشيخ قد

أقبل نحوي مسرعًا فسلَّم، وهشَّ في وجهي، ووضع في يدي صُرَّة فيها دراهم صالحة، وقال لي: أنفق هذه الآن فيما أنت فيه، فإن الله لا يضيعك، ثم رُدَّ على أثره كأنه ما جاء إلا من أجلي، فدعوت له وفرحت بذلك، وقلت لبعض من رأيته من الناس: من هذا الشيخ؟ فقال: وكأنك لا تعرفه، هذا ابن تيمية، لي مدة طويلة لم أره اجتاز بهذا الدرب. وكان جُلُّ قصدي من سفري إلى دمشق لقاءه، فتحقَّقتُ أنّ الله أظهره عليّ وعلى حالي، فما احتجت بعدها إلى أحد مدّة إقامتي بدمشق، بل فتح الله عليّ من حيث لا أحتسب، واستدللت فيما بعد عليه، وقصدت زيارته والسلام عليه، فكان يكرمني ويسألني عن حالي، فأحمد الله تعالى إليه.

وحدّثني الشيخ العالم المقرئ تقي الدين عبد الله ابن الشيخ الصالح المقرئ أحمد بن سعيد قال: سافرت إلى مصر حين كان الشيخ مقيمًا بها، فاتّفق أنّي قدمتها ليلًا وأنا مُثقل مريض، فأُنزلت في بعض الأمكنة، فلم ألبث أن سمعت من ينادي باسمي وكنيتي، فأجبته وأنا ضعيف، فدخل إليّ جماعة من أصحاب الشيخ ممّن كنت قد اجتمعت ببعضهم في دمشق، فقلت: كيف عرفتم بقدومي، وأنا قدمتُ هذه الساعة؟ فذكروا أنّ الشيخ أخبرنا أنّك قدمت وأنت مريض، وأمرنا أن نسرع بنقلك، وما رأينا أحدًا جاء، ولا أخبرنا بشيء، فعلمت أنّ ذلك من كرامات الشيخ رضي الله عنه.

وحدثني أيضًا قال: مرضت بدمشق ـ إذ كنت بها ـ مرضةً شديدة منعتني حتى من الجلوس، فلم أشعر إلا والشيخ عند رأسي وأنا مثقل بالحُمّى والمرض، فدعا لي وقال: جاءت العافية، فما هو إلا أن فارقني وجاءت العافية وشُفيت من وقتي.

وحدّثني أيضًا: قد كنتُ أستكتب شعرًا لبعض من انحرف عن الشيخ قد تنقصَّه فيه. وكان سبب قوله ذلك الشعر أنه نُسب إلى قائله شعر وكلام يدلُّ على الرفض، فأُخذ الرجل وأُثبت ذلك عليه في وجهه عند حاكم من حُكام الشرع المطهر، فأمر به فشُهِّر حاله بين الناس، فتوهم أن الذي كان سبب ذلك الشيخ، فحمله ذلك على أن قال فيه ذلك الشعر، وبقي عندي، وكنت ربما أورد بعضَه في بعض الأحيان، فوقعت في عدّة أشياء من المكروه والخوف متواترة، ولولا لطف الله تعالى بي فيها لأتت على نفسي، فنظرت من أين دُهيتُ، فلم أر لذلك سببًا إلا إيرادي لبعض ذلك الشعر، فعاهدت الله أن لا أنوّه بشيء منه، فزال عني أكثر ما كنت فيه من المكاره، وبقي بعضه، وكان ذلك الشعر عندي فأخذته وحرقته وغسلته، حتى لم يبق له أثر، واستغفرت الله تعالى من ذلك، فأذهب الله عني جميع ما كنت فيه من المكروه والخوف، وأبدلني الله به عكسه، ولم أزل بعد ذلك في خير وعافية، ورأيت ذلك حالًا من أحوال الشيخ ومن كرامته على الله.

وحدثني أيضًا قال: أخبرني الشيخ ابن عماد الدين المقرئ المطرّز قال: قدمت على الشيخ ومعي حينئذ نفقة، فسلّمت عليه، فردّ عليّ ورحّب بي، وأدناني ولم يسألني هل معك نفقة أم لا. فلما كان بعد أيّام وقد نفِدَت نفقتي أردت أن أخرج من مجلسه بعد أن صليت مع الناس وراءه، فمنعني وأجلسني دونهم، فلما خلا المجلس دفع إليَّ جملة دراهم، وقال: أنت الآن بغير نفقة، فارتفق بهذه، فعجبت من ذلك، وعلمت أنّ الله كشَفَه على حالي أوّلًا لما كان معي نفقة، وآخرًا لما نفِدَت واحتجت إلى نفقة.

وحدّثني من لا أتهمه أنّ الشيخ ــ رضي الله عنه ــ حين نزل المُغل

بالشام لأخذ دمشق وغيرها، رجَفَ أهلُها وخافوا خوفًا شديدًا، وجاء إليه جماعةٌ منهم وسألوه الدعاء للمسلمين، فتوجه إلى الله، ثم قال: أبشروا، فإن الله يأتيكم بالنصر في اليوم الفلاني بعد ثالثة، حتى ترون الرؤوس معبّأة بعضها فوق بعض. قال الذي حدثني: فوالذي نفسي بيده ـ أو كما حلف ـ ما مضى إلّا ثلاثٌ ـ مثل قوله ـ حتى رأينا رؤوسهم كما قال الشيخ، على ظاهر دمشق، معبأة بعضها فوق بعض[1].

وحدّثني الشيخ الصالح الورع عثمان بن أحمد بن عيسى النسّاج أنّ الشيخ ـ رضي الله عنه ـ كان يعود المرضى بالبيمارستان بدمشق، في كل يوم، فجاء على عادته فعادهم، فوصل إلى شاب منهم فدعا له، فشُفي سريعًا، وجاء إلى الشيخ يقصد السلام عليه، فلما رآه هشَّ له وأدناه، ثم دفع إليه نفقةً وقال: قد شفاك الله، فعاهد الله أن تعجل الرجوع إلى بلدك، أيجوز أن تترك زوجتك وبناتٍ لك أربعًا بلا نفقة وتقيم هاهنا، فقال الفتى: فقبّلت يده وقلت: يا سيدي أنا تائب إلى الله على يدك، وعجبت مما كاشفني به، وكنت قد تركتهم بلا نفقة، ولم يكن قد عرف بحالي أحدٌ من أهل دمشق.

وحدثني مَن أثق به: أنّ الشيخ ـ رضي الله عنه ـ أُخبر عن بعض القضاة أنه قد مضى متوجّهًا إلى مصر المحروسة ليُقلَّد القضاء، وأنه سمعه يقول: حالما أصل إلى البلد قاضيًا أحكم بقتل فلان، رجل معيّن من فضلاء أهل العلم والدين، قد أجمع الناس على علمه وزهده وورعه، ولكن حصل في

---

(١) وذلك في معركة شقحب سنة (٧٠٢هـ).

قلب القاضي منه من الشحناء والعداوة ما صوَّب له الحكم بقتله، فعظُم ذلك على من سمعه خوفًا من وقوع ما عَزَم عليه من القتل بمثل هذا الرجل الصالح، وحذرًا على القاضي أن يوقعه الهوى والشيطان في ذلك ، فيلقى الله متلبِّسًا بدم حرام، وفتْكٍ بمسلم معصوم الدم بيقين، وكرهوا وقوع مثل ذلك لما فيه من عظيم المفاسد.

فأبلغ الشيخ ـ رضي الله عنه ـ هذا الخبر بصفته، فقال: إن الله لا يُمكِّنه ممّا قصد، ولا يصل إلى مصر حيًّا، فبقي بين القاضي وبين مصر قدرٌ يسير، وأدركه الموت، فمات قبل وصولها، كما أجرى الله تعالى على لسان الشيخ رضي الله عنه .

قلت: وكرامات الشيخ رضي الله عنه كثيرةٌ جدًّا، لا يليق بهذا المختصر أكثر مِن ذكر هذا القدر منها. ومن أظهر كراماته أنه ما سُمِع بأحدٍ عاداه أو غضّ منه إلا وابتُلي بعدّة بلايا غالبها في دينه، وهذا ظاهر مشهور لا يُحتاج فيه إلى شرح صفته.



الفصل العاشر
في ذكر كرمه رضي الله عنه

كان ـ رضي الله عنه ـ مجبولًا على الكرم، لا يتطبّعه ولا يتصنّعه، بل هو له سجيّة، وقد ذكرت فيما تقدم أنه ما شدَّ على دينار ولا درهم قطُّ، بل كان مهما قدر على شيء من ذلك يجود به كلّه، وكان لا يردُّ من يسأله شيئًا يقدر عليه من دراهم ولا دنانير، ولا ثياب ولا كتب، ولا غير ذلك، بل ربما كان يسأله بعض الفقراء شيئًا من النفقة، فإن كان حينئذٍ متعذّرًا لا يدعه يذهب بلا شيء، بل كان يعمد إلى شيء من لباسه فيدفعه إليه، وكان ذلك المشهور عند الناس من حاله.

حدثني الشيخ العالم الفاضل المقرئ أبو محمد عبد الله ابن الشيخ الصالح المقرئ أحمد بن سعيد قال: كنت يومًا جالسًا بحضرة شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه، فجاء إنسان فسلَّم عليه، فرآه الشيخ محتاجًا إلى ما يعتمّ به، فنزع الشيخ عمامته من غير أن يسأله الرجل ذلك، فقطعها نصفين واعتمّ بنصفها، ودفع النصف الآخر إلى ذلك الرجل، ولم يحتشم للحاضرين عنده.

قلت: وربّما توهم بعض من يحتاج إلى التفهيم أنّ هذا الفعل من الشيخ فيه إضاعة المال، أو نوع من التبذّل الذي يشين المروءة، وليس الأمر كذلك، فإنه لم يكن عنده حينئذ معلوم غير ثيابه، ورأى أنّ قطع العمامة من بقية لباسه ممّا يفسده ولا يحصل به المقصود، ولم يكن عليه ولا عنده حينئذ ثوبٌ صحيح لا يحتاج إليه حتى يدفعه إليه، فسارع إلى

قطع ما يستغني ببعضه عن كلِّه فيما وُضع له، وهو العمامة، فنفع أخاه المسلم وسدّ حاجته حينئذ ببعضها، واستغنى هو بباقيها. وهذا هو أكمل التصرف الصالح والرُّشد التام، والجود المذكور المشهور، والإيثار بالميسور. وأما التبذُّل الذي فيه نوع من إسقاط المروءة فليس من هذا القبيل في شيء، بل هذا من المبالغة في التواضع، وعدم رؤية النفس في محل الاحتشام، ورفض إرادة المرء تعظيم نفسه بحضرة الحاضرين، وهذه خصال محمودة مطلوبة شرعًا وعقلًا.

وقد روي مثل ذلك عن سيد الأنام وأكمل الخلق مروءةً وعقلًا وعلمًا محمد المصطفى ﷺ: أنه لبس يومًا شملة سوداء لها حواش بيض، وخرج إلى المسجد، وجماعة من المسلمين حضور، فرآه إنسان فقال: يا رسول الله! أعطني هذه الشملة، وكان رسول الله ﷺ لا يمنع سائلًا يسأله، فنزعها ﷺ عن كريمه المكرّم ودفعها إلى ذلك الرجل، وطفق الناس يلومون ذلك الرجل على ما فعل، وكونه سأل النبي ﷺ وكان محتاجًا إلى ما يلبس، وقد علم أنه ﷺ لا يمنع شيئًا يُسأله، فقال الرجل معتذرًا إليهم: إنّي لم أطلبها لألبسها، لكن لأجعلها لي كفنًا عند موتي، قال الراوي: فأمسكها عنده حتى كانت كفنه. وهذا حديث مشهور قد رواه غير واحد من الحفاظ الثقات[1]. وهو من أوضح الدليل على ما قلناه، بل أبلغ في الجود والتواضع وكسر النفس وكرم الأخلاق.

وحدثني من أثق به أنّ الشيخ ـ رضي الله عنه ـ كان مارًّا يومًا في بعض

(١) بنحو القصة أخرجه البخاري (١٢٧٧) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

الأزقّة، فدعا له بعض الفقراء، وعرف الشيخ حاجتَه، ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه، فنزع ثوبًا من على جلده ودفعه إليه وقال: بعه بما تيسّر وأنفقه، واعتذر إليه من كونه لم يكن معه شيء[1] من النفقة.

وهذا أيضًا من المبالغة في عدم إكثاره بغير ما يقرِّب إلى الله تعالى، وجوده بالميسور كائنًا ما كان، وهذا من أبلغ إخلاص العمل لله سبحانه، فسبحان الموفّق من شاء لما شاء.

وحدّثني من أثق به ـ أيضًا ـ أنّ الشيخ رضي الله عنه كان لا يردُّ أحدًا يسأله شيئًا من كتبه، بل يأمره أن يأخذ هو بنفسه ما شاء منها، وأخبرني أنه جاءه يومًا إنسان فسأله كتابًا ينتفع به، فأمره أن يأخذ كتابًا يختاره[2]، فرأى ذلك الرجل بين كتب الشيخ مصحفًا قد اشتُري بدراهم كثيرة، فأخذه ومضى، فلام بعضُ الجماعة الشيخَ في ذلك، فقال: لا يحسن بي أن أمنعه بعدما سأله، دعه، فلينتفع به.

وكان الشيخ ينكر إنكارًا شديدًا على من يُسأل شيئًا من كتب العلم التي يملكها ويمنعها من السائل، ويقول: ما ينبغي أن يُمنع العلم ممّن يطلبه.

ومن كرمه: أنه كان لا ينظر أبدًا إلى جهة الملك والتموّل.

وهذا القدر من كرمه يُغني المقتدي.



(١) في (ل): «كونه لم يحضر عنده شيء».

(٢) وقع تكرار في العبارة في (ط).

الفصل الحادي عشر

في ذكر قوة قلبه وشجاعته

كان ـ رضي الله عنه ـ من أشجع الناس وأقواهم قلبًا، ما رأيت أحدًا أثبت جأشًا منه، ولا أعظم عناء في جهاد العدوّ منه، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف في الله لومة لائم.

أخبر غيرُ واحد: أنّ الشيخ ـ رضي الله عنه ـ كان إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهادٍ يكون بينهم واقِيَتَهم[1] وقُطْبَ ثَباتِهم، إن رأى من بعضهم هلعًا أو رقّةً وجبانةً، شجّعه وثبّته وبشّره ووعده بالنصر والظَّفَر والغنيمة، وبيّن له فضل الجهاد والمجاهدين، وإنزال الله عليهم السكينة.

وكان إذا ركب الخيل يتحنّك ويجول في العدوّ كأعظم الشجعان، ويقوم كأثبت الفرسان، ويكبّر تكبيرًا أنكى في العدوّ من كثير من الفتك بهم، ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت.

وحدّثوا أنهم رأوا منه في فتح عكّة أمورًا من الشجاعة يعجزُ الواصف عن وصفها، قالوا: ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله ومشورته وحسن نظره.

ولمّا ظهر السلطان غازان على دمشق المحروسة، جاءه ملك الكَرْج وبذل له أموالًا جزيلة على أن يمكِّنه من الفتك بالمسلمين من أهل دمشق، ووصل الخبر إلى الشيخ، فقام من فوره وشجّع المسلمين ورَغَّبهم في

(١) في (ط): «أوقفهم»، والمثبت من (ك).

الشهادة، ووعدهم على قيامهم النصر والظفر والأمن وزوال الخوف، فانْتُدِب منهم رجال من وجوههم وكبرائهم وذوي الأحلام منهم، فخرجوا معه إلى حضرة السلطان غازان، فلمّا رآهم السلطان قال: من هؤلاء؟ فقيل: هم رؤساء دمشق، فأذن لهم، فحضروا بين يديه، فتقدم الشيخ رضي الله عنه أوّلًا، فلمّا أن رآه أوقع الله له في قلبه هيبة عظيمة رضي الله عنه، حتى أدناه وأجلسه، وأخذ الشيخ في الكلام معه أوّلًا في عكس رأيه عن تسليط المخذول[1] ملك الكرج على المسلمين، وضمن له أموالًا، وأخبره بحرمة دماء المسلمين، وذكَّره ووعظه. فأجابه إلى ذلك طائعًا، وحُقِنت بسببه دماء المسلمين، وحُميت ذراريهم، وصين حريمهم.

وحدّثني مَن أثق به عن الشيخ كمال الدين ابن المنجّا[2] قدّس الله روحه قال: كنت حاضرًا مع الشيخ حينئذ، فجعل ـ يعني الشيخ ـ يُحدث السلطان بقول الله ورسوله في العدل وغيره، ويرفع صوته على السلطان حتى جثا على ركبتيه، وجعل يقرب منه في أثناء حديثه، حتى لقد قرب أن تلاصق ركبته ركبة السلطان، والسلطان مع ذلك مقبلٌ عليه بكُلّيته، مُصْغٍ لما يقول، شاخص إليه لا يعرض عنه. وأن السلطان من شدّة ما أوقع الله له في قلبه من المحبة والهيبة سأل من يخصه من أهل حضرته: من هذا الشيخ؟ وقال ما معناه: إني لم أر مثله ولا أثبت قلبًا منه، ولا أوقع من حديثه في قلبي، ولا رأيتني أعظم انقيادًا مني لأحد منه، فأخبر بحاله، وما هو عليه من العلم والعمل، وسأله إن أحببت أن أعمر لك بلد آبائك حرّان،

---

(١) (ط، ك): «المخزول».

(٢) في «ذيل مرآة الزمان»: (١/ ٢٥٥) وغيره: «وجيه الدين بن المنجا».

وتنتقل إليه، ويكون برسمك، فقال: لا والله، لا أرغب عن مهاجر إبراهيم، وأستبدل به غيره، فخرج من بين يديه مكرّمًا مُعزّزًا، قد صنع له الله بما طوى عليه نيّته الصالحة من بذله نفسه في طلب حقن دماء المسلمين، فبلغه ما أراده، وكان ذلك أيضًا سببًا لتخليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم، وردّهم على أهلهم وحفظ حريمهم، وهذا من أعظم الشجاعة والثبات وقوّة الجأش.

وأخبرني من لا أتهمه أنّ الشيخ ــ رضي الله عنه ــ حين وُشي به إلى السلطان المعظّم الملك الناصر، أحضره بين يديه، فكان من جملة كلامه: إنّني أُخبرت أنك قد أطاعك الناس، وأن في نفسك أخذ المُلك، فلم يكترث به، بل قال له بنفس مطمئنة وقلبٍ ثابت وصوتٍ عالٍ سمعه كثير ممّن حضر: أنا أفعلُ ذلك؟ والله إنّ مُلكك وملك المُغْل لا يساوي عندي فلسين، فتبسّم السلطان لذلك، وأجابه في مقابلته بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة: إنك والله لصادق، وإن الذي وشى بك إليّ كاذبٌ، واستقرّ له في قلبه من المحبة الدينية ما لولاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل؛ من كثرة ما يُلقى إليه في حقّه من الأقاويل الزور والبُهتان، ممّن ظاهر حاله للطّغَام العدالة، وباطنه مشحون بالفسق والجهالة .

ولم يزل المبتدعون أهل الأهواء وآكلو الدنيا بالدين، متعاضدين متناصرين في عدوانه، باذلين وسعهم بالسعي في الفتك به، متخرّصين عليه الكذب الصُراح، مختلقين عليه، وناسبين إليه ما لم يقله ولم ينقله، ولم يوجد له به خط، ولا وجد له في تصنيف ولا فتوى، ولا سُمع منه في مجلس. أتراهم ما علموا أنّ الله سائلهم عن ذلك ومحاسبهم عليه؟ أوَ ما

سمعوا قولَ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٦-١٨]. بلى والله، ولكن غلب عليهم ما هم فيه من إيثار الدنيا على الآخرة، والعمل للعاجلة دون الآجلة، فلهذا حسدوه وأبغضوه، لكونه مباينهم ومخالفهم، لبغضه ورفضه ما أحبوا، وطلبه ومحبته ما باينوا ورفضوا. ولمّا علم الله نياته ونيّاتهم أبى أن يُظفرهم فيه بما راموا، حتى إنه لم يحضر معه منهم أحد في عقد مجلس إلا وصنع الله له ونصره عليهم بما يظهره على لسانه من دحض حججهم الواهية وكشف مكيدتهم الداهية للخاصة والعامة.



الفصل الثاني عشر

من ذكر قوّته في مرضاة الله وصبره على الشدائد، واحتماله إياها وثبوته على الحق

كان ـ رضي الله عنه ـ من أعظم أهل عصره قوّة ومقامًا وثبوتًا على الحق، ولتحقيق توحيد الحقّ، لا يصدُّه عن ذلك لوم لائم ولا قول قائل، ولا يرجع عنه لحجة محتجّ، بل كان إذا وضح له الحقّ يعضُّ عليه بالنواجذ، ولا يلتفت إلى مباين معاند، فاتفق غالب الناس على معاداته، وجُلُّ من عاداه قد تستروا باسم العلماء والزمرة الفاخرة، وهم أقبل الناس في الإقبال على الدنيا والإعراض عن الآخرة.

وسبب عداوتهم له: أنّ مقصودهم الأكبر طلب الجاه والرياسة، وإقبال الخلق وراءه، قد رقّاه الله إلى ذروة السنام من ذلك بما أوقع له في قلوب الخاصّة والعامة من المواهب التي منحه بها، وهم عنها بمعزل، فنصبوا عداوته، وامتلأت قلوبهم محاسدة، وأرادوا ستر ذلك عن الناس، حتى لا يفطن بهم، فعمدوا إلى اختلاق الباطل والبُهتان عليه، والوقوع فيه خصوصًا عند الأمراء والحكام، وإظهارهم الإنكار عليه فيما يُفتي به من الحلال والحرام، فشقّقوا قلوب الطّغام بما اجترحوه[1] من زور الكلام، ونسوا أنّ لكلّ قول مقامًا[2] بين يدي أحكم الحُكام، يسأله هل قلته بحقٍّ

(١) (ط): «اخترصوه». والمثبت من (ك).

(٢) (ك): «مقامًا أي مقام...».

أو بذام؟ فيجازي المحقَّ دار السلام، والمبطل دار الانتقام. فبعضهم صَبَا إلى أقوالهم تقليدًا، وصار في حقّ هذا الإمام جبّارًا عنيدًا، وأحسّ بذلك من العامّة قوم قد أصبحوا للحكام عبيدًا، وتصوروا أن أخذهم بزمام حصول المال يكون شديدًا، فأصبحوا وهم لهم مصدِّقين، وفي طاعتهم سابقين[1]، فاجتمع من هذا التركيب العديد، بحيث عاداه أكثر السادات والعبيد، كلٌّ بحسب غرضه الفاسد، وهو مع ذلك كلّما رأى تحاشدهم في مباينته وتعاضدهم في مناقضته، لا يزداد للحقّ إلا انتصارًا، ولكثرة حججه وبراهينه إلا إظهارًا.

ولقد سُجن أزمانًا وأعصارًا، ولم يولّهم دُبُره فرارًا. ولقد قصد أعداؤه الفتكَ به مرارًا، وأوسعوا حيلهم عليه إعلانًا وإسرارًا، فجعل الله حفظه منهم له شعارًا ودثارًا، ولقد ظنُّوا أن في حبسه مشينة، فجعله الله له فضيلة وزينة، وظهر له يوم موته ما لو رآه وادُّه أقرَّ به عينيه، فإن الله تعالى لعلمه بقرب أجله، ألبسه من الفراغ عن الخلق للقدوم على الحق أجمل حلله، كونه حُبِس على غير جريرة ولا جريمة، بل على قوّة في الحقّ وعزيمة، هذا مع ما نشر الله له من علومه في الآفاق، وبهر بفنونه البصائرَ والأحداق، وملأ بمحاسن مؤلفاته الصُّحف والأوراق، كبتًا ورغمًا للأعداء أهل البدع المضلة والأهواء.



(١) كذا وصوابها: «مصدقون... سابقون».

الفصل الثالث عشر

في أنّ الله جعله حُجّة في عصره ومعيارًا للحق والباطل

وهذا أمرٌ قد اشتهر وظهر، فإنه ـ رضي الله عنه ـ ليس له مُصنَّف ولا نصٌّ في مسألة ولا إفتاء إلّا وقد اختار فيه ما رجّحه الدليل النقلي والعقلي على غيره، وتحرّى قول الحق المحض فبرهن عليه بالبراهين القاطعة الواضحة الظاهرة، بحيث إذا سمع ذلك ذو الفطرة السليمة يثلج قلبه بها، ويجزم بأنها الحق المبين. وتراه في جميع مؤلفاته إذا صحّ الحديث عنده يأخذ به ويعمل بمقتضاه، ويقدّمه على قول كل قائل من عالم ومجتهد، وإذا نظر المنصف إليه بعين العدل يراه واقفًا مع الكتاب والسنة لا يُميله عنهما قولُ أحد كائنًا من كان، ولا يرائي في الأخذ بعلومهما أحدًا، ولا يخاف في ذلك أميرًا ولا سلطانًا ولا سوطًا ولا سيفًا، ولا يرجع عنهما لقول أحد، وهو متمسّك بالعروة الوثقى، واليد الطولى، وعاملٌ بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩] وبقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:١٠].

وما سمعت أنه اشتهر عن أحد منذ دهر طويل ما اشتهر عنه من كثرة متابعته للكتاب والسنة، والإمعان في تتبّع معانيهما، والعمل بمقتضاهما. ولهذا لا يُرى في مسألة أقوال العلماء إلا وقد أفتى بأبلغها موافقةً للكتاب والسنة، وتحرّى الأخذ بأقومها من جهة المنقول والمعقول.

ولمّا منّ الله عليه بذلك جعله حجّة في عصره لأهله، حتى إنّ أهل البلد البعيدة عنه كانوا يرسلون إليه بالاستفتاء عن وقائعهم، ويعوِّلون عليه في كشف ما التبس عليهم حكمه، فيشفي غلّتهم بأجوبته المسدّدة، ويبرهن على الحق من أقوال العلماء المتعددة، حتى إذا وقف عليها كلُّ محقّ ذو بصيرة وقوى، ممن قد وُفّق لترك الهوى، أذعن بقبولها، وبان له حقّ مدلولها، وإن سمع عن أحد من أهل وقته مخالفته في حقه المشهور، يكون ممن قد ظهر عليه عند الخاصة والعامة فعل الشرور، والاشتغال بترّهات الغرور.

ومن أراد تحقيق ما ذكرته فليُمعن النظر ببصيرته، فإنه حينئذ لا يرى عالمًا من أهل أيّ بلد شاء موافقًا لهذا الإمام، معترفًا بما منحه الله تعالى من صنوف الإلهام، مثنيًا عليه في كل محفل ومقام، إلّا وراءه من اتّبع من علماء بلده الكتاب والسنة، واشتغل بطلب الآخرة ورغب فيها، وبالغ في الإعراض عنها وأهملها. ولا يرى عالمًا مخالفًا له، منحرفًا عنه، ملتبسًا بالشحناء له، إلا وهو من أكبرهم نَهَمًا في جمع الدنيا، وأوسعهم حيلًا في تحصيلها، وأكثرهم رياءً، وأطلبهم سمعةً، وأشهرهم عند ذي الُّلب أحوالًا رديّة، وأشدّهم على ذوي الحكم والظلم دهاءً ومكرًا، وأبسطهم في الكذب لسانًا، وإن نظر إلى محبّيه ومبغضيه من العوام، رآهم كما وصفت من اختلاف القبيلين الأولين.

ولقد أمعنت فكري ونظري، فرأيته كما وصفته، لا والله ما أتحرّج في أحدٍ منهما، ومن ارتاب في ذلك فليعتبر هو بنفسه فإنه يراه كذلك، إن أزاح عنه غطاء الهوى، وما كان ذلك كذلك إلّا لما علم الله سبحانه من حسن

طوية هذا الإمام، وإخلاص قصده، وبذل وسعه في طلب مرضاة ربّه، ومتابعة نبيه صلوات الله وسلامه عليه.



الفصل الرابع عشر
في ذكر وفاته وكثرة من صلى عليه وشَيَّعه

أخبرني غيرُ واحد ممن كان حاضرًا بدمشق حين وفاته ـ رضي الله عنه ـ قال: إنّ الشيخ ـ قدّس الله روحه ـ مرض أيامًا يسيرة، وكان إذ ذاك الكاتب شمس الدين الوزير[1] بدمشق المحروسة، فلما علم بمرضه استأذن في الدخول عليه لعيادته، فأذن الشيخ له في ذلك، فلما جلس عنده أخذ يعتذر له عن نفسه، ويلتمس منه أن يحلّه مما عساه أن يكون قد وقع منه في حقّه من تقصير أو غيره، فأجابه الشيخ ـ رضي الله عنه ـ بأني قد أحللتك وجميع من عاداني وهو لا يعلم أنّي على الحقّ، وقال ما معناه: إني قد أحللت السلطان المعظّم الملك الناصر من حبسه إيّاي؛ كونه فعل ذلك مقلِّدًا غيره معذورًا، ولم يفعله لحظّ نفسه، بل لما بلغه ممّا ظنّه حقًّا من مُبلِّغه، والله يعلم أنه بخلافه، وقد أحللتُ كلَّ واحد مما بيني وبينه، إلا من كان عدوًّا لله ورسوله.

قال: ثم إن الشيخ بقي إلى ليلة الاثنين، العشرين من ذي القعدة الحرام، وتوفي إلى رحمة الله تعالى ورضوانه في بكرة ذلك اليوم، وذلك من سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مائة، وهو على حاله، مجاهدًا في ذات الله تعالى، صابرًا، محتسبًا، لم يجبن، ولم يهلع، ولم يضعف، ولم يتتعتع، بل

---

(١) في (ط): «الملك» والمثبت من (ك). والذي كان نائب الشام هو: سيف الدين تنكز وكان خارج البلد للصيد، وكان والي دمشق: شهاب الدين بن برق، وكاتب السر: شمس الدين بن شهاب الدين بن محمود. ولعل هذا الأخير هو المعنيّ.

كان إلى حين وفاته مشتغلًا بالله عن جميع ما سواه.

قال: فما هو إلا أن سمع الناس بموته حتى لم يبق في دمشق من يستطيع المجيء إلى الصلاة عليه وأراده إلا حضر لذلك وتفرّغ له، حتى غلّقت الأسواق بدمشق، وعُطِّلت معايشها حينئذ، وحصل للناس بمصابه أمرٌ شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم، وخرج الأمراء والرؤساء، والعلماء والفقهاء، والأتراك والأجناد، والرجال والنساء والصبيان من الخواص والعوام.

قال: ولم يتخلَّف أحدٌ من الناس فيما أعلم إلا ثلاثة أنفس كانوا قد اشتهروا بمعاندته[1]، فاختفوا من الناس خوفًا على أنفسهم، بحيث غلب على ظنهم أنهم متى خرجوا رجمهم الناس فأهلكوهم[2].

فغُسِّل رضي الله عنه وكُفِّن. قال: وازدحم من حضر غسله من الخاصة والعامة على الماء المنفصل عن غسله، حتى حصل لكلّ واحدٍ منهم شيء قليل[3].

ثم أخرجت جنازته، فما هو إلا أن رآها الناس حتى أكبّوا عليها من كلّ جانب، كُلٌّ منهم يقصد التبرّك بها، حتى خُشي على النعش أن يُحطَّم قبل وصوله إلى القبر، فأحدق بها الأمراء والأجناد، واجتمع الأتراك فمنعوا

---

(١) عند ابن كثير: «بمعاداته».

(٢) ذكرهم ابن كثير عن البرزالي، وهم: ابن جملة، والصدر، والقحفازي. انظر «البداية والنهاية»: (١٤/ ١٤٦- ط الريان)، وهذه الأسماء ليست في ط دار هجر.

(٣) هذا من التبرّك غير المشروع.

الناس من الزحام عليها خشية من سقوطها عليهم[1] من اختناق بعضهم، وجعلوا يردّونهم عن الجنازة بكلّ ما يمكنهم، وهم لا يزدادون إلا ازدحامًا وكثرة، حتى أدخلت جامع بني أمية المحروس، ظنًّا منهم أنه يسع الناس، فبقي كثير من الناس خارج الجامع، وصُلّي عليه ـ رضي الله عنه ـ في الجامع، ثم حُمل على أيدي الكبراء والأشراف ومن حصل له ذلك من جميع الناس إلى ظاهر دمشق، ووضع بأرض فسيحة متّسعة الأطراف، وصلّى عليه الناس.

قال: وكنت أنا قد صليت عليه في الجامع، وكان لي مستشرف على المكان الذي صُلّي فيه عليه بظاهر دمشق، فأحببت أن أنظر إلى الناس وكثرتهم، فأشرفت عليهم حال الصلاة، وجعلت أنظر يمينًا وشمالًا ولا أرى أواخرهم، بل رأيت الناس قد طبقوا تلك الأرض كلّها.

واتفق جماعة ممّن حضر حينئذ وشاهد الناس والمصلّين عليه، على أنّهم يزيدون على خمسمائة ألف، وقال العارفون بالنقل والتاريخ: لم يُسمع في جنازة بمثل هذا الجمع إلا جنازة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

ثم حمل بعد ذلك إلى قبره فوُضع، وقد جاء الكاتب[2] شمس الدين الوزير، ولم يكن حاضرًا قبل ذلك، فصلّى عليه أيضًا ومن معه من الأمراء والكبراء ومن شاء الله من الناس.

---

(١) (ط، ك): «وعليهم» ولعله ما أثبت.

(٢) (ط): «الملك»، والمثبت من (ك) وانظر ما سبق (ص٥٨).

ولم يُر لجنازة أحدٍ ما رئُي لجنازته من الوقار والهيبة، والعظمة والجلالة، وتعظيم الناس لها، وتوقيرهم إيّاها، وتفخيمهم أمر صاحبها، وثنائهم عليه بما كان عليه من العلم والعمل، والزهادة والعبادة، والإعراض عن الدنيا، والاشتغال بالآخرة، والفقر والإيثار، والكرم والمروءة، والصبر والبشارة[1]، والشجاعة والفروسية والإقدام، والصدع بالحقّ، والإغلاظ على أعداء الله وأعداء رسوله، والمنحرفين عن دينه، والنصر لله ولرسوله ولدينه ولأهله، والتواضع لأولياء الله والتذلل لهم، والإكرام والإعزاز والاحترام لجنابهم، وعدم الاكتراث بالدنيا وزخرفها ونعيمها ولذّاتها، وشدة الرغبة في الآخرة والمواظبة على طلبها، حتى لتسمع ذلك ونحوه من الرجال والنساء والصبيان، وكلّ منهم يثني عليه بما يعلمه من ذلك.

قال: ودُفن في ذلك اليوم ـ رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته ـ ثم جعل الناس ينتابون[2] قبره للصلاة عليه من القُرى والأطراف والأماكن والبلاد، مُشاة وركبانًا، وما وصل خبر موته إلى بلد ـ فيما نعلم ـ إلا وصُلِّي عليه في جميع جوامعه ومجامعه، خصوصًا أرض مصر والشام والعراق وتبريز والبصرة وقراها وغيرها، وخُتِمت له الختمات الكثيرة في الليالي والأيام، في أماكن كثيرة لم يضبط عددها، خصوصًا بدمشق المحروسة ومصر والعراق وتبريز والبصرة وغيرها، حتى جعل كثير من الناس القراءة له ديدنًا لهم، وأديرت الرَّبْعَة الشريفة على الناس لقراءة القرآن المجيد وإهدائه له.

---

(١) كذا، ولعلها: «الثبات».

(٢) (ط، ك): «يتناوبون» ولعل الصواب ما أثبت.

وقد رثاه كثير من الفضلاء بقصائد متعددة، ولا يسع هذا المختصر ذكرها، وذلك لما وجب للشيخ ـ رضي الله عنه ـ عليهم من الحق في إرشادهم إلى الحقّ، والمنهج المستقيم بالأدلة الواضحة الجلية النقلية والعقلية، خصوصًا في أصول الدين، فإن الله أنعم على الناس في هذا الزمان الذي قد ظهرت فيه البدع وأُميتت السنن، وصار أغلب أهله مُمْرِجين في البدع والحرام من حيث لا يشعرون، ومن حيث لا يعلمون، ومنّ الله عليهم بما وفقه له من إيضاح أصول الدين، وتبيين الحقّ المحض، والاعتقاد العدل، وإفراده عن غيره من البدع والضلالات بأمور لم يسبق إلى مثلها، وإظهارها على لسانه بما أورده من ذلك من مؤلفاته ومصنفاته وقواعده المطابقة للحق، وتقريراته، وما أبرزه من الحجج والبراهين الظاهرة، الموافقة للمعقول والمنقول، ممّا لم يتمكّن أحدٌ من المتكلمين والمناظرين الإتيان بمثله، وما أظهره وأورده من كثرة الدلائل العقلية بعد النقلية حتى قطع به جميع المبتدعين، وكشف به عوار حجج الشاكّين المُشكّكين.

فجزاه الله أحسن الجزاء عن الإسلام والمسلمين، وسبحان من أعطاه ما أولاه، ومدّه بحسن التوفيق إلى ما هداه، وأعانه بالصبر الجميل إلى أن توفاه، ورضي عنه وأرضاه، ورزقنا والمسلمين كافة الحياة والموت على الكتاب والسنة حتى نلقاه، والاعتصام بهما جميعًا في جميع ما نلقاه.

والحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام الأكملان الأطيبان على سيدنا

محمد المصطفى، خاتم الأنبياء وصاحب اللواء، وعلى آله وصحبه أجمعين آمين(١).



(١) جاء في خاتمة نسخة المنجد: «علّقه لنفسه فقير رحمة ربه محمد بن علي البعلي ثم الدمشقي الحنبلي، لطف الله تعالى به في الدارين. ووافق تمامه غرة المحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة بالمدرسة الحنبلية بباطن دمشق حرسها الله. والحمد لله وحده، وصلواته على نبيه محمد وآله وصحبه، وحسبنا الله ونعم الوكيل».
وبعدها بغير خط الناسخ: «رحم الله من قرأ هذا الكتاب أو نظر فيه أو نسخه وأفاد منه، فدعا لشيخ الإسلام ولمؤلفه وكاتبه، عليهم الرحمة والرضوان أجمعين».



فهرس موضوعات كتاب «الأعلام العلية»

❁ ❁ ❁

الفهرس العام

❁ ❁ ❁